

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وقف لله تعالى)

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبِيعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبِيعِهِ وَتَوَزَّيْعِهِ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

وَسَمِيَّتُهُ (مِفْتَاحُ الْأَفْكَارِ لِلتَّاهِبِ لِذَارِ الْقَرَارِ)
خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقيه الفقيه إلى عفورته

عبد العزيز بن محمد السليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ مَنْ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْآخِرَةَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ يُعِيذُ طِبَاعَتَهُ أَوْ يُعِينُ عَلَيْهَا أَوْ يَتَسَبَّبُ لَهَا أَوْ يُشِيرُ عَلَى مَنْ يُؤْمَلُ فِيهِ الْخَيْرَ أَنْ يَطْبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ تَعَالَى يُوزَّعَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فائدة عظيمة النفع لمن وفقه الله)

ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرّفه لا إله إلا الله ، وفهمه معناها ، ووفقّه
للعمل بمقتضاها ، والدعوة إليها .

أشرف الأشياء قلبك ووقتك فإذا أهملت قلبك وضيعت وقتك ، فما بقي معك ؟ كل
القوليد ذهب فانتبه لنفسك .

(فصل)

فائدة

وقف قوم على عالم فقالوا إنا سئلك أفعجتنا أنت قال سلوا ولا تكثروا ، فإن
النهار لن يرجع والعمر لن يعود ، والطالب حينئذ في طلبه ، قالوا فأوصنا ، قال
تروا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما أبلغ البغية ، ثم قال الأيام صحائف الأعمار
فخلدوها أحسن الأعمال ، فإن الفرص تمر مر السحاب ، والتواني من أخلاق الكسالى
والخوالف ، ومن استوطن مركب العجز عثر به ، وتزوج التواني بالكسل فولد بينهما
الخسران ٥١٠ قال بعضهم :

شعرا :

تزوجت البطالة بالتواني
فأما الإبن سموه بفقر
فأولدها غلاماً مع غلامه
وأما البنت سموها ندماً

آخر :

الذكر أصدق قول فافهم الخبرا
فاعمل به إن تُرد فهما ومعرفة
وتحميد الله في يوم المعاد إذا
الله در رجال عالمين به
لأنه قول من قد أنشأ البشر
بأذا التهي كني تال العز والفخر
جاء الحساب وعم الخوف وانتشرا
فيما يدق وما قد جل واشتهرا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظَة : لا يُسَمَحُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَهُ تَخْفِيقًا لِأَنَّ الْإِحْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَغْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقُ أَرَى أَنَّهُ أَتَهَامٌ لِلْمُؤَلِّفِ ، وَلَا يُطْبَعُ إِلَّا وَقَفَاءً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ جِدًّا لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبَحَ وَنَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاه .

(٣) إَعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَذَارٌّ عَظِيمٌ وَحِصْنُ قِصَرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فُجْأَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غُرُورٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . فَاحْفَظْ هَذِهِ الْفَوَائِدَ وَأَعْمَلْ بِهَا تُفْلِحَ وَتَرْبَحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا ،
فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خيراً مَنْ طَبَعَهُ وَفَقاً لِلَّهِ ، أَوْ أَعَانَ عَلَى
طَبَعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيْعِهِ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ . فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ :

« إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ
فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِي بِهِ ، وَمُتَّبِعُهُ » الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .
وَوَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ
عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ
غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ
مِمَّا يُلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا
تَرَكَهُ .

أَوْ مُصْنَفًا وَرَثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ
صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ
وَابْنُ خُزَيْمَةَ .

وَرَوَاهُ الْبُزَّارُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عِلْمٍ عَلَّمَهُ أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَيْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى
مَسْجِدًا أَوْ وَرَثَ مُصْنَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّرُ الأقدار ومُصَرِّفُ الأمور
على ما يشاء ويختار ومُكَوِّرُ الليل على النهار.
الواحدِ الأحدِ الفردِ العليمِ الحكيمِ الذي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ
اضْطَفَاهُ فَأَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ الْأَخْيَارِ وَوَفَّقَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ عِبِيدِهِ فَجَعَلَهُ مِنَ
الْأَبْرَارِ.

وَبَصَّرَ مِنْ أَحَبِّهِ مَنْ خَلَقَهُ لِلْحَقَائِقِ فَزَهَّدُوا فِي هَذَا الدَّارِ فَاجْتَهَدُوا فِي
مَرْضَاتِهِ وَالتَّأَهُبِ لِدَارِ الْقَرَارِ.
وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي غَفْلَتِي عَنْ اكْتِسَابِ الزَّادِ الْمُبْلَغِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ
وَرَأَيْتُ أَوْقَاتِي قَدْ ضَاعَتْ فِيمَا لَا يَنْفَعُنِي فِي مَعَادِي وَرَأَيْتُ اسْتِعْصَاءَ نَفْسِي
عَمَّا يُؤْنِسُنِي فِي رَمْسِي لِاسِيْمَا وَالشَّيْطَانُ وَالْدُنْيَا وَالْهَوَىٰ مَعَهَا ظَهِيرِ.
فَعَزَمْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنْ أَجْمَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تيسَّرَ مِنْ
الْمَوَاعِظِ وَالنَّصَائِحِ وَالْخُطَبِ وَالْحِكَمِ وَالْأَحْكَامِ وَالْفَوَائِدِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْآدَابِ
وَفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ الْمُسْتَمْدَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ الْأَوَائِلِ
وَالْأَوَاخِرِ الْمُسْتَمَدِّ مِنْهُمَا مَا أَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ أَنْ يَسْتَعْنِي بِهِ
الْوَاعِظُ وَالْخَطِيبُ وَالْمُرْشِدُ وَغَيْرُهُمْ رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ذِي
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْقَوِي الْعَزِيزُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنْ يَنْفَعَ
بِهِ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ يَطْبَعُهُ وَفَقَاءَ اللَّهِ تَعَالَىٰ أَوْ يُعِينُ عَلَىٰ طِبَاعَتِهِ أَوْ يَتَسَبَّبَ لَهَا
وَسَمَّيْتُهُ «مِفْتَاحَ الْأَفْكَارِ لِلتَّأَهُبِ لِدَارِ الْقَرَارِ».

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ الآية . وقال تبارك وتعالى : ﴿وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . وقال جل وعلا : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ، أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . وقال تعالى : ﴿هَنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ . وقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّي ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلَ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الآية . وقال جل وعلا : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ، وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ

قَبْلَ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴿١٠﴾
وقال تعالى : ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
ترجعون ، ولو تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنْسُلُونَ ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ
الْمُرْسَلُونَ ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ .
وقال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلَّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ . وقال تعالى : ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ . وقال تعالى ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْأُزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَتُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُل
نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ . وقال تعالى : ﴿أُزْفَتِ الْأُزْفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
كَاشِفَةٌ﴾ . وقال تعالى : يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ^{صَفًّا} لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ
لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ، ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا إِنْ
أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿فَإِذَا
جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ . وقال تعالى : ﴿فَإِذَا
جَاءَتِ الصَّاخَةُ ، يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَجِيءَ
يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَ إِذْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَى﴾ .

الأحاديث

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده متفق عليه)
وعن ابن عمر قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبح فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحبتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري ، وقال ﷺ أكثرُوا ذكْرَ هادم اللذات ، يعني الموت رواه الترمذي . وقال حديث حسن ، وقال ﷺ (بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنىً مطغياً أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يتمنى أحدكم الموت إما مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وإما مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبِ متفق عليه . وفي رواية مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يتمنن أحدكم الموت لِضُرِّ أَصَابِهِ فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَأَعِلَّ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي متفق عليه .

١ «موعظة»

إِخْوَانِي إِنَّ فِي مَوَاعِظِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِدَوِيِّ الْبَصَائِرِ رَكَائِبُ
أَمْوَاتٍ تُزْعَجُ عَنْ مَقْصُورَاتِ الْقُصُورِ ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى مَضَائِقِ الْقُبُورِ، فَكَمْ
قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ فِي الْأَرْضِ، قَدْ وُضِعَتْ، وَكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ
أَبْدَانٍ نَاعِمَةٍ قَدْ لُفَّتْ وَإِلَى مَضِيقِ الْأَلْحَادِ قَدْ رُفَّتْ فَيَالَهَا مِنْ غَايَةِ يَسْتَبِقُ
إِلَيْهَا الْعِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَهُ جَوَادُ بَعْدَ جَوَادٍ وَيَالَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيدٍ
يَعْقِبُهُ أَهْوَالُ شِدَادٍ فِتْنَةُ قُبُورٍ وَحَشَرٌ فِي مَوْقِفٍ مَهِيلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ
الْأَنْسَابُ وَتَخْضَعُ فِيهِ الرُّقَابُ وَتَنْسَكِبُ فِيهِ الْعَبْرَاتُ وَتَتَصَاعَدُ فِيهِ الزَّفَرَاتُ
ذَلِكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فِيهِ الدَّوَابُّ، وَتَنْصَبُ فِيهِ الْمَوَازِينُ، وَيُمَدُّ فِيهِ الصِّرَاطُ،
وَحِينَئِذٍ يَقَعُ الْاِمْتِيَارُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ.

شعرا:

قُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَاقْصِدْ مُهِمِّنَا
وَقُلْ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ لَا تَقْطَعْ الرَّجَا
فِيَا رَبِّ فَاقْبَلْ تَوْبَتِي بِتَفَضُّلٍ
فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَعْفُو وَأَنْتَ ذَخِيرَتِي
حَقِيقٌ لِمَنْ أَخْطَا وَعَادَ لِمَا مَضَى
وَيَبْكِي عَلَى جِسْمٍ ضَعِيفٍ مِنَ الْبَلَى
رَجَوْتُ إِلَهِي رَحْمَةً وَتَفَضُّلاً
يَرَاكَ إِلَيْهِ فِي الدُّجَى تَتَوَسَّلُ
فَأَنْتَ الْمُنَى يَا غَايَتِي وَالْمُؤْمَلُ
فَمَا زِلْتَ تَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَتُمَهِّلُ
لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي وَمَنْ أَتَوَسَّلُ
وَيَبْقَى عَلَى أَبْوَابِهِ يَتَذَلَّلُ
لَعَلَّ يَجُودَ السَّيِّدُ الْمُتَفَضَّلُ
لِمَنْ تَابَ مِنْ زَلَّاتِهِ يَتَقَبَّلُ

اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القرار، اللهم وفقنا بحسن الإقبال عليك والإضغاء إليك ووفقنا للتعاون في طاعتك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم لأمرك والرضا بقضائك والصبر على بلائك والشكر لنعمائك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

(فصل)

قال بعض العلماء: من عجيب ما نقذت من أحوال الناس كثرة ما نأخو على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف والتحسر على الأرزاق بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه.

وقد رأوا من انهدام الإسلام وموت السنن وظهور البدع وارتكاب المعاصي وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يُجدي والقبيح الذي يُوبق ويُؤذي. فلا أجد أحداً منهم ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا آسى على فائت دهره.

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم في الأديان وعظم الدنيا في عيونهم.

ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على الدين أهـ.

وكتب بعضهم إلى صديق له يشاوره في شيء من أمر الدنيا فكان الجواب: اطلب الدنيا على قدر مكثك فيها، واطلب الآخرة على قدر حاجتك إليها.

وقال يحيى بن معاذ: لَسْتُ أَمْرُكُم بِتَرْكِ الدُّنْيَا أَمْرُكُم بِتَرْكِ الذُّنُوبِ ،
تَرْكُ الدُّنْيَا فَضِيلَةٌ وَتَرْكُ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ وَأَنْتُمْ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِيضَةِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ
إِلَى الْحَسَنَاتِ .

وقال : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَفْضَحُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ مِيرَاثُهُ وَيَوْمَ حَشْرِهِ مِيزَانُهُ .
وقال إبراهيم الخواص : دَوَاءُ الْقَلْبِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
بِالتَّدْبِيرِ ، وَخَلَاءِ الْبَطْنِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَالتَّضَرُّعِ عِنْدَ السَّحَرِ ، وَمُجَالَسَةِ
الصَّالِحِينَ .

وقال : عَلَى قَدَرِ إِعْزَازِ الْمَرْءِ لِأَمْرِ اللَّهِ يُلْبَسُهُ اللَّهُ مِنْ عِزِّهِ ، وَيُقِيمُ لَهُ الْعِزَّ
فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال فِي الْفُنُونِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الْحَيَوَانَ لَا سِيَّمَا ابْنَ آدَمَ حَيْثُ أَبَاحَهُ
الشَّرْكَ عِنْدَ الْإِكْرَاهِ وَخَوْفِ الضَّرَرِ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ .

مَنْ قَدَّمَ حُرْمَةَ نَفْسِكَ عَلَى حُرْمَتِهِ حَتَّى أَبَاحَكَ أَنْ تَتَوَقَّى وَتُحَامِيَ عَنْ
نَفْسِكَ بِذِكْرِهِ بِمَا لَا يَنْبَغِي لَهُ سُبْحَانَهُ .

فَحَقِيقُ أَنْ تُعَظَّمَ شَعَائِرُهُ وَتَوْقَرِ أَوَامِرُهُ وَزَوَاجِرُهُ وَعَصَمَ عِرْضَكَ بِإِيجَابِ
الْحَدِّ بِقَذْفِكَ وَعَصَمَ مَالَكَ بِقَطْعِ مُسْلِمٍ فِي سَرَقَتِهِ .

وَأَسْقِطْ شَطْرَ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ مَشَقَّتِكَ وَأَقَامْ مَسْحَ الْخُفِّ مَقَامَ غَسْلِ
الرَّجْلِ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ مِنْ مَشَقَّةِ الْخَلْعِ وَاللَّبْسِ وَأَبَاحَكَ الْمَيْتَةَ سَدَةً لِرَمَقِكَ
وَحِفْظًا لِمَصْحُوتِكَ ، وَزَجَرَكَ عَنْ مَضَارِكَ بِحَدِّ عَاجِلٍ وَوَعِيدِ آجِلٍ ، وَخَرَقَ
الْعَوَائِدَ لِأَجْلِكَ وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ إِلَيْكَ .

أَيَحْسُنُ بِكَ مَعَ هَذَا الْإِكْرَامِ أَنْ تُرَى عَلَى مَا نَهَاكَ مِنْهُمْ كَأَوْعَمَّا أَمَرَكَ
مُتَنَكِّبًا وَعَنْ دَاعِيهِ مُعْرِضًا وَلِسْتَهُ هَاجِرًا وَلِدَاعِي عَدُوَّكَ فِيهِ مُطِيعًا .
يُعْظِمُكَ وَهُوَ هُوَ وَتُهْمِلُ أَمْرَهُ وَأَنْتَ أَنْتَ وَهُوَ حَطُّ رُتَبِ عِبَادِهِ لِأَجْلِكَ
وَأَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْ سَجْدَةٍ يَسْجُدُ لِأَبِيكَ .
هَلْ عَادَيْتَ خَادِمًا طَالَتْ خِدْمَتُهُ لَكَ لَتَرْكَ صَلَاةً ، هَلْ نَفَيْتَهُ مِنْ دَارِكَ
لِلْإِخْلَالِ بِفَرَضٍ أَوْ لَارْتِكَابِ نَهْيٍ ، إِنْتَهَى .
قُلْتَ فِي وَقْتِنَا هَلْ أُخْرِجْتَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ بَيْتِكَ هَلْ مَنَعْتَ
الْأَجَانِبَ وَالْأَجْنَبِيَّاتِ سَوَاقِينَ وَخِدْمَاتٍ مِنْ بَيْتِكَ .

فائدة

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجَّبِينَا أَنْتَ قَالَ سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ
النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمْرَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَتَّى يَطْلُبَهُ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ
تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الْآيَامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ
فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنَ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى
وَالْخَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوْطِنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوَلَدَ بَيْنَهُمَا
الْخُسْرَانِ هـ .

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقيِّل عثرات العاثرين ،
نسألك أن تُلحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تزيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وصلى
الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

[فصل في بعض ذكر فوائد ذكر الموت]

إعلم أنَّ في ذكر الموت فوائد عديدة من ذلك أنه يردُّعُ عن
المعاصي ، ويُلِّين القلب القاسي .

ثانيا : يُذهِبُ الفرحَ والسُرورَ بالدنيا ، ويَزْهَدُ فيها ، ويُهَوِّنُ
المصائبَ .

ثالثا : التَّأَثُّرُ في مُشَاهَدَةِ الْمُحْتَضِرِينَ الَّذِينَ تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ ،
فإن في النظرِ إليهم ومُشَاهَدَةِ سَكَرَاتِهِمْ عِنْدَ نَزْعِ أَرْوَاحِهِمْ ،
وشُخُوصِ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ نَزْعِهَا ، وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْكَلَامِ ، عِنْدَ
تَسَلُّلِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ .

وتَأَمُّلِ صُورِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوحِ مَا يَقْطَعُ عَنِ النُّفُوسِ
لذَاتِهَا وَيَطْرُدُ عَنِ الْقُلُوبِ مَسَرَّاتِهَا وَيَمْنَعُ الْجَفُونَ مِنَ النَّوْمِ وَيَمْنَعُ
الْأَبْدَانِ مِنَ الرَّاحَةِ .

وَيَبْعَثُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ فَرُوءِي أَنَّ
الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَوَجَدَهُ فِي سَكَرَاتِ
الموت .

فَنَظَرَ إِلَى كُرْبِهِ وَشِدَّةِ مَا نَزَلَ بِهِ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ بِغَيْرِ اللَّوْنِ
الَّذِي خَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِمْ .

فَقَالُوا لَهُ الطَّعَامَ فَلَمْ يَأْكُلْ وَقَالَ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مَصْرَعًا
لَا أَزَالُ أَعْمَلُ لَهُ حَتَّى الْلِقَاءِ .

الرَّابِعُ : مِمَّا يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ زِيَارَةُ الْقُبُورِ .
فَإِنَّهَا تَبْلُغُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ لِأَنَّهَا
تَذَكِّرُ بِالْآخِرَةِ .

وَلَمْ أَرَى كَالْأَمْوَاتِ أَفْجَعَ مَنَظَرًا وَلَا وَاعِظِي جُلَاسِهِمْ كَالْمَقَابِرِ
آخِرُ :

وَعَظَمَتِكَ أَجْدَاثُ وَهُنَّ صُمُوتُ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
الْخَامِسُ : زِيَارَةُ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَالْمُسْتَوْصَفَاتِ فَإِنَّهَا تَلَيِّنُ
الْقُلُوبَ وَتَحُثُّ الْإِنْسَانَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَعَلَى الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ
فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْآخِرَةِ .

وَيُنَبِّغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُقَوِّي ظَنَّهُ بِاللَّهِ وَيَسْتَحْضِرُ رَحْمَتَهُ وَرَأْفَتَهُ
وَلُطْفَهُ بِعِبَادِهِ وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ .

قَالَ ﷺ « لَا يَمُوتُنْ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ » رَوَاهُ
مُسْلِمٌ وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى الْحَلِيمَ الْكَرِيمَ الْجَوَادَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الرَّؤُوفَ
بِالْعِبَادِ الْغَنِيِّ عَنَّا وَعَنْ أَعْمَالِنَا وَعَنْ تَعْذِيبِنَا وَعِقَابِنَا .

مِنْ أَعْظَمِ مَا نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ وَمِنْ أَجْزَلِ مَا نَتَوَجَّهُ بِهِ عَلَيْهِ .
أَيُّ عِبَادَةٍ أَعْظَمُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّنا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ مَعَ الْخَوْفِ مِنْ

مُعَامَلَتِهِ إِيَّانَا بَعْدَ لَهُ .

فَالْعَاقِلُ يَكُونُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لَكِنْ يُغَلِّبُ الرَّجَاءَ عِنْدَ

الِاحْتِضَارِ وَيَحْسِنُ الظَّنَّ بِالكَرِيمِ الْغَفَّارِ وَيَسْتَحْضِرُ أَنَّهُ قَادِمٌ عَلَى أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ . وَأَجُودُ الْأَجُودِينَ الْبَرِّ الرَّحِيمِ .

وَإِنْ حَصَلَ أَنْ يَتْلَى عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ آيَاتُ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثُ الرَّجَاءِ لِيَقْوَى ظَنُّهُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَجُودُ الْأَجُودِينَ وَأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ .

وَمِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ ﴾ .

وَمِنْ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ مَا وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُدِّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَسْبِي فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَالزَّقَتْهُ بَيْطْنَهَا فَأَرْضَعَتْهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » متفق عليه .
 وقال صلى الله عليه وسلم « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبْ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ غَلِبَتْ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ سَبَقَتْ غَضَبِي » متفق عليه .
 وروى عن الإمام أحمد أنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبدالله :
 أَلْقِ عَلَيَّ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ .

لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَمِعَ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثَ الرَّجَاءِ قَوِيَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاشْتَقَّ إِلَى لِقَاءِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ وَالِدِيهِ وَأَوْلَادِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَهَوَّنَ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ .

إِذَا اشْتَكْتَ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْ عَدَهَا

وَصَلِّ الْمُحِبَّ فَتَحِيًّا عِنْدَ مِيعَادِ

والمهم أنه يحرص كل الحرص على تقوية حسن ظنه برب العالمين ثم اعلم أن للموت سكرات قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تُمِيدُ﴾ .

وقيل إن الأعضاء يسلم بعضها على بعض ففي تذكرة القرطبي عن أنس مرفوعا « إِنْ الْعَبْدَ لَيُعَالَجُ كُرْبَ الْمَوْتِ وَإِنْ مَفَاصِلُهُ لَيَسْلَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ تُفَارِقُنِي وَأَفَارِقُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
 أي يُودِّعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

خُلِقْنَا لِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي فَرَائِسًا تُزْفُ إِلَى الْأَجْدَاثِ مِنَّا عَرَائِسًا

تُجَهَّزُ مِنَّا لِلْقُبُورِ عَسَاكِراً وَتُرَدُّ أَعْوَادَ الْمَنَايَا فَوَارِسَا
 إِذَا أَمَلَّ أَرْخَى لَنَا مِنْ عِنَانِهِ غَدَاً أَجَلٌ عَمَّا نَحَاوُلُ حَابِسَا
 أَرَى الْغُصْنَ لَمَّا اجْتَثُ وَهُوَ بِبَائِهِ رَطِيباً وَمَا أَنْ أَصْبَحَ الْغُصْنُ يَابِسَا
 نَشِيدُ قُصُوراً لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً وَنَصْبِرُ مَا شِئْنَا فَتُورَا دَوَارِسَا
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا
 مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(ف ص ل)

إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يُجَبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ
 الْمَوْتِ تَرْدَعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَتُلَيِّنُ الْقَلْبَ الْقَاسِي ، وَتُذْهِبُ الْفَرَحَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
 وَزَخَارِفَهَا وَلَذَائِهَا .

وَتُحَثِّكَ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُؤْنِكَ
 وَالتَّنَسُّخِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ ، وَتَنْفِيذِ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ
 وَالِدِيُونَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ فَضَحَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هَذَا الْمَوْتُ فَلَمْ يَتْرِكْ فِيهَا لِيَذِي عَقْلٍ فَرَحاً .
 وَقَالَ آخَرُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلاً قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَزِيراً مِنَ الْمَوْتِ حَزِيناً مِنْ
 أَجْلِهِ .

وَقَالَ آخَرُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .

وقا آخر : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .
 وقال آخر يُوصِي أَخَاهُ لَهُ : يَا أَخِي إِخْذِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوجَدُ .

وقال آخر : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُقَدَّرًا
 مَفْرُوعًا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ
 وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرُ وَالنَّظَرُ فِيمَا تَقْدُمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرُكَ
 إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ مَوْتِكَ
 سَهْلًا وَأَمْرُهُ قَرِيبًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى كُنْتَ مَأْجُورًا مَعَ النِّيَّةِ
 الصَّالِحَةِ فِيمَا تُقَاسِمُهُ ، مَثَابًا عَلَى مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْمَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَى مَا
 تَذْكُرُهُ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ
 كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي
 تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ .

وإِنَّمَا مَثَلُ الذِّكْرِ الَّذِي يَغْقِبُ التَّنْبِيهِ ، وَيَكُونُ مَعَهُ النِّفْعُ وَالْإِيقَاطُ مِنَ الْعَفْلَةِ
 وَالنُّومِ أَنَّ تُخْصِرَ الْمَذْكُورَ قَلْبَكَ وَتَجْمَعَ لَهُ ذُهْنُكَ وَتَجْعَلَهُ نَصَبَ عَيْنِكَ مِنْ
 وَلَدٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَتَعْلَمَ عِلْمًا لَا يَشُوبُهُ شَكٌّ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ إِمَّا فِي
 الْحَيَاةِ أَوْ فِي الْمَمَاتِ ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي خَلْقِهِ وَحُكْمِهِ الْمُطَرَّدُ .

وَتُشِيرُ هَذَا قَلْبَكَ وَتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمْتَعَهَا بِذَلِكَ عَنِ الْمِيلِ إِلَى ذَلِكَ
 الْمَحْبُوبِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ وَالْهَلَكَةِ بِسَبَبِهِ .

فَعَقَّبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ

وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَّعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ
وَفِيمَنْ لَمْ تُؤْهِلْهُمْ بِفَلَسٍ وَفِيمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
وَتُسَانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بِأَلْيَاتِ
كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ
والله أعلم وصلى الله على محمد واله وسلم .

فصل

وَاغْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفَرِّغُكَ لَهُ
وَيُكْثِرُ اشْتِغَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَخِلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ
وَأَقْرَانِكَ وَزُمَلَائِكَ وَأَسَاتِيدِكَ وَمَشَايِخِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَكَ .

كَأَنَّا يَخْرِصُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعُونَ سَعْيَكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَّتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَمَتْ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ،
وَفَجَعَتْ فِيهِمْ أَهْلِيَهُمْ وَأَجْبَاءَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَأَصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ
وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضاً مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِغْتِنَاءِ بِالْمَلَابِسِ وَنَضَافَتِهَا وَنَضْرَةِ
بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْحَبُونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّيْبِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَعِيمٍ يَتَقَلَّبُونَ ،
وَعَلَى الْأَسِيرَةِ يَتَكَيَّمُونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِيهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .

وَفِي أَمَانِيهِمْ يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ ، لَا يُفَكِّرُونَ بِالزَّوَالِ ، وَلَا يَهْمُونَ
بِالنَّقَالِ ، وَلَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، قَدْ خَدَعَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا ،
وَحَلَبَتْهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ بِرَوْنَقِهَا ، وَحَدَّثَتْهُمْ بِأَحَادِيثِهَا الْكَاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ
بِمَوَاعِيدِهَا الْمُخْلِفَةِ الْفَرَارَةِ .

فَلَمْ تَزَلْ تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيدَهَا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ مَشِيدَهَا ، وَتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا
وَجَدِيدَهَا ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ عِلَاقَتُهَا ، وَتَحَكَّمْتَ فِيهِمْ رَوَاشِقُهَا ،
وَتَكَشَّفْتَ لَهُمْ حَقَائِقُهَا ، وَرَمَقْتَهُمْ مِنَ الْمِينَةِ رَوَاقِهَا .

فَوُثِّبَتْ عَلَيْهِمْ وَثْبَةُ الْحَقِيقِ وَأُغْصِتَتْهُمْ غُصَّةُ الشَّرِّقِ ، وَوَقَلَّتْهُمْ قَتْلَةُ
الْمُخْتَنِقِ ، فَكَمَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُيُونِ بَاكِيَةٍ ، وَدُمُوعِ جَارِيَةٍ ، وَخُلُودِ دَامِيَةٍ ،
وَقُلُوبِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِفَقْدِهِمْ خَالِيَةٍ . وَأَنْشُدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَرَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَى
يَمِيدُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَمِيدُ
تَعْلَقُ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ

خُلُوبًا لِأَلْبَابِ الرِّجَالِ تَصِيدُ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدِ وَقَائِمِ

وَلِلْمَرْءِ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ
خَلَا بِالْأَمَانِي وَاسْتَطَابَ حَدِيثُهَا

فَيَنْقُصُ مِنْ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ
وَأَذِنَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ بَعِيدَةٌ

وَتَفْعَلُ تُؤَدِّي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ
أَتَيْحَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْتِ رَمِيَةٌ

فَرَاخَ بِهَا الْمَغْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ
وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا

وَعَادَ حَدِيثَنَا يَنْقُضُنِي وَيَبِينُ
كَأَنَّ لَمْ يَتَلَّ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً

وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ

تَبَارَكَ مَنْ يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَجِيدٌ
إِنْتَهَى

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ
الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَفِنَا
عَذَابَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ أَخِي قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِإِلِيمِ عِقَابِكَ يَا
أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَنْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ
وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

ثم أعلم أيها الأخ أنه ما من ساعة تمرُّ على العبدٍ لا يذكرُ اللهَ فيها إلا
تأسَّفَ وتَحَسَّرَ على فواتها بغيرِ ذِكْرِ اللهِ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ
شَيْئاً يَذْكُرُهُ لِذِكْرِ اللهِ كُلَّمَا غَفَلَ عَنْهُ .

ويُقالُ إنَّ العبدَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ سَاعَاتُ عُمُرِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَيَرَاهَا
خَزَائِنَ مَصْفُوفَةٍ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خِزَانَةً فَيَرَى فِي كُلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا فِي طَاعَةِ اللهِ
مَا يَسْرُهُ . فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ السَّاعَاتُ الَّتِي غَفَلَ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللهِ رَأَاهَا فَارِغَةً
سَاءَةً ذَلِكَ وَتَنْدَمُ حِينَ لَا يُفِيدُهُ النَّدَمُ .

وأما السَّاعَاتُ الَّتِي كَانَ يَذْكُرُ اللهُ فِيهَا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ سُورِهِ فِيهَا
وَفَرَحِهِ بِهَا حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَقْتُلَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ . قَالَ بَعْضُهُمْ أَوْقَاتُ الْإِنْسَانِ

أَرْبَعَةٌ لَا خَامِسَ لَهَا النِّعْمَةُ ، وَالْبَلِيَّةُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْمَعْصِيَةُ .
وَاللَّهُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ .
فَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ فَسَبِيلُهُ شُهُودُ الْمِنَّةِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ هَدَاهُ
وَوَقَفَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الْمَعْصِيَةَ فَعَلِيهِ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ النِّعْمَةَ فَسَبِيلُهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّنَاءُ عَلَيْهِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الْبَلِيَّةَ فَسَبِيلُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا رِضَى
النَّفْسِ عَنِ اللَّهِ ، وَالصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ . أَهـ .
الْعُمُرُ إِذَا مَضَى لَا عِوَضَ وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لَا قِيَمَةٌ لَهُ . فَعُمُرُ
الْإِنْسَانِ هُوَ مَيِّدَانُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ جَزِيلِ
الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَلَكِنْ مَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْعُمُرِ إِلَّا نَوَادِرُ الْعُلَمَاءِ .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَقَالَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ وَقَالَ
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ الْآيَاتُ

وهذه هي السَّعَادَةُ الَّتِي يَكْدَحُ الْعَبْدُ وَيَسْعَى مِنْ أَجْلِهَا وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا مَا سَعَى كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .
فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُهُ مِنَ الْعُمُرِ خَالِيًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ .
يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِقَدْرِهِ وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ .
فَالْوَقْتُ لَا يُسْتَدْرَكُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنْهُ وَكُلُّ جُزْءٍ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ
غَيْرِ خَالٍ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُلْكٍ كَبِيرٍ لَا يَفْنَى وَلَا قِيَمَةٌ لِمَا
يُوصِلُ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَالنَّفَاسَةِ .
وَلَأَجْلِ هَذَا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ

لأنفاسهم ولحظاتهم وبأدروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا لأنفسهم إلا بالجد والتشمير فلله درهم ما أبصرهم بتصرف أوقاتهم .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَغْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا هَذَا فِي سَيْرِهِمْ جَدٌّ وَتَشْمِيرٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ أَذْرَكْتُ أَقْوَمًا كَانُوا عَلَى سَاعَاتِهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ عَلَى
دَنَائِرِكُمْ وَدَرَاهِمِكُمْ فَكَيْفَا لَا يُخْرِجُ أَحَدُكُمْ دِنْيَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا فِيهَا يَعُودُ نَفْعُهُ
عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ السَّلَفُ لَا يُجِبُونَ أَنْ تُخْرَجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلَا دَقِيقَةٌ مِنْ أَعْمَارِهِمْ إِلَّا
فِيهَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ ضِدَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ مِنْ قَتْلِ الْوَقْتِ عِنْدَ
الْمُنْكَرَاتِ .

تَبَا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا	كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سُرُورَهَا ضَرَّرَ	أَمَانُهَا غَرَّرَ أُنُورَهَا ظَلَمٌ
شَبَابُهَا هَرَمَ رَاحَتُهَا سَقَمٌ	لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَائُهَا عَدَمٌ
لَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الْإِنْكَادِ صَاحِبُهَا	لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضُمِنَتْ أَرْمٌ
فَحُلَّ عَنْهَا وَلَا تُرْكَنُ لِزَهْرَتِهَا	فَإِنَّهَا نَعَمٌ فِي طَيْهَا نَقَمٌ
وَاعْمَلْ لِذَاكِ نَعِيمٍ لَا تَفَادِلُهَا	وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ
آخِرُ:	إِنْتَهَى
رَفَعَتْ عَرْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَنُتِيتَ بِهِ	وَمَا بِهَا لِلْيَبِ تَرْفَعُ الْعُرْشُ
وَبِتَّ فِيهَا عَلَى فُرْشِ مُلْكِيَّةٍ	وَلَوْ عَقَلْتَ لَمَا لَانَتْ لَكَ الْفُرْشُ
وَوَلَّتْ تَسْعَى لِأَمَالٍ وَتَفْرَشُهَا	وَالْمَوَارِيثُ مَا تَسْعَى وَتَفْرَشُ
كَمْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ مَأْثُورٍ رَغْبَتِهِ	بِالْجَرَصِ تُلْدَغُ جَنْبَاهُ وَتُنْتَهَشُ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي حِلٍّ وَفِي ظَعْنٍ	يَضُمُّ هَذَا إِلَى هَذَا وَيَخْتَوِشُ
عَطْشَانٌ لِلْمَالِ مُحَمَّاةٌ جَوَانِحُهُ	أَلْقَى عَلَى صَدْرِهِ لِسَانَهُ الْعَطْشُ

حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ
 مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَ الْمَوْتِ بَاطِشَةً
 فَقَصَعَتْهُ وَقَدْ كَانَ ذَا جَيْدٍ
 فَبَاتَ مُسْتَلَبًا وَبَاتَ وَارِثُهُ
 أَمَا سَمِعْتَ بِأَمْلَاكِ مَضَوْا قَدْماً
 إِنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أَوْ زُوجِمُوا زَحَمُوا
 جَاءَتْهُمْ وَأُجْنُودُ اللَّهِ غَالِبَةٌ
 فَضَعُضَعَتْ جَنَابَاتُ عِزِّهِمْ وَرَمَتْ
 لَطَالَمَا أَكَلُوا وَطَالَ مَا شَرَبُوا
 مَرُّوا وَلَا أَثَرَ مِنْهُمْ بِدَارِهِمْ
 قَدْ كَانَ لِلْقَوْمِ آمَالٌ مَبْسُوطَةٌ
 وَطَافَ مِنْ حَوْلِهِ أَهْلُوهَ وَاحْتَوَشُوا
 حَشَنَاءُ لَا دَهْشَ فِيهَا وَلَا رَعَشُ
 وَأَجْهَشْتُهُ وَلَمَّا يَذِرُ مَا الْجَهَشُ
 وَقَدْ تَعَطَّوْا بِذَلِكَ الْمَالِ وَافْتَرَشُوا
 شَمُّوا الْأَنْوْفَ بِرُوضِ الْمَلِكِ قَدْ عَرَشُوا
 أَوْ غُوبُوا غُلْبُوا أَوْ بُوْطِشُوا بَطِشُوا
 كَتَائِبُ لِلْمَنَائِبِ كُلِّهَا حَبَشُ
 مَنَازَهُمْ بِظُلَامٍ مَا بِهِ غَبَشُ
 وَطَالَ مَا رَفَعُوا الْآجَامَ وَاعْتَرَشُوا
 وَلَا حَسِينَسَ وَلَا رِكَزَ وَلَا وَقَشُ
 فَأَصْبَحُوا قَبَضُوا الْآمَالَ وَانْكَمَشُوا

اللَّهُمَّ اشْفِ قُلُوبَنَا مِنْ أَمْرَاضِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَأَمْلَأْهَا مِنْ
 خَشْيَتِكَ وَأَقْبِلْ بِهَا إِلَى طَاعَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

[فصل]

إَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ الْمُبَادَرَةَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ،
 وَأَنْ يَنْتَهِزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ قَبْلَ هَجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ .
 وَأَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلَهُ الْعَوْنَ فِي تَسِيرِ الْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَةِ وَصَرَفِ الْمَوَانِعِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل
 به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .
 ويحرص على مجالس الذكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة
 والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .
 ويتهيأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بها عليه ، وما له فإن كان
 عنده حُقوقٌ لله كزكاة أو لخلقِه كإمانات أو عواري أو وصايا أداها
 بِسُرْعَةٍ خَشْيَةً أَنْ يَفْجَأَهُ الْمَوْتُ وهي عنده .
 فإذا لم تُؤدِّها أنتَ في حَيَاتِكَ ، فَمَنْ بَعْدَكَ مِنْ أَوْلَادٍ أو
 إِخْوَانٍ يَبْعُدُ اهْتِمَامُهُمْ بِذَلِكَ ، لأنهم يهتمون وَيَشْتَغِلُونَ بِهَا خَلْفَتُهُ
 لهم وَضِيعَتٌ بِسَبَبِهِ نَفْسِكَ .
 فالله الله الْبِدَارَ بِالتَّفَتُّيشِ عَلَى النَفْسِ ، والمبادرة بالتوبة
 والاكتثار من الاستغفار .
 وما يُحِثُّكَ عَلَى ذَلِكَ ذِكْرُ مَرَارَةِ الْمَوْتِ الَّذِي سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ هَادِمَ اللَّذَاتِ ، وتذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي
 حُبِسُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ لِيُجَازَوْا بِهَا فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَحْوِ
 خَطِيئَةٍ ، وَلَا عَلَى زِيَادَةِ حَسَنَةٍ .
 وعَادَ بَعْضُهُمْ مَرِيضاً فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ ؟
 قَالَ : هُوَ الْمَوْتُ . قَالَ لَهُ : وَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّهُ الْمَوْتُ ؟ قَالَ :
 أَجِدُنِي أَجْتَذِبُ أَجْتَذَاباً ، وَكَأَنَّ الْخَنَاجِرَ فِي جَوْفِي ، وَكَأَنَّ جَوْفِي
 تَنُورٌ مُحْمًى يَتَلَهَّبُ .
 قَالَ لَهُ : فَاعْهَدْ (أَيِ أَوْصَى) ، قَالَ : أَرَى الْأَمْرَ أَعْجَلَ
 مِنْ ذَلِكَ فَدَعَا بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَتَى بِهَا حَتَّى شَخَّصَ
 بَصَرَهُ فَمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال :
يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحَدِّثْ بِقُرْبِهِمْ عَهْدًا .
فانطلقتُ مَعَهُ ، فأتى المقابر فجلسنا إلى بعض تلك
القبور، فقال : يا أبا إسحاق ما ترى هذا مُتَمَنِّيًا لو مُنَّ ، قلت :
أن يُردَّ والله إلى الدنيا فيستمتع من طاعة الله ويُصلح .
قال : فيها نحنُ ، ثم نهَضَ فجَدَّ واجتهد ، فلم يلبث إلا
يسراً حتى مات .

(فَصْل)

إِغْلَمَ رَحْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي الْقَبْرِ وَظْلَمَتِهِ ، وَضِيقِهِ
وَوَحْشَتِهِ وَطَرَحِ الْمَيِّتِ فِيهِ غَيْرُ مُمَهِّدٍ وَلَا مُوسِّدٍ قَدْ بَاشَرَ الثَّرَابَ وَوَاجَهَ الْبِلَى
وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا لِلْوَرَى .

وَبَدَأَ مِنْهَا مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ فِي الْعَرَاءِ مَعَ حَبِيبِ تَرْكِهِ وَقَرِيبِ أَسْلَمِهِ ،
وَنَصِيرِ أِفْرَدِهِ ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ عِندَهُ إِنْ ذَلِكَ لِمِمَّا يَفْطِمُ النَّفْسَ عَنِ
الشَّهَوَاتِ ، وَإِنْ كَانَتْ صَعْبَةَ الْفَطَامِ ، وَيَقْطَعُهَا عَنِ اللَّذَاتِ ، وَإِنْ كَانَ قَطْعُهَا
بَعِيدَ الْمَرَامِ ، إِذَا بَحَثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَنَظَرَ بَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ وَسَمِعَ النَّدَاءَ مِنْ قَرِيبٍ
فَبَيْنَا الْإِنْسَانَ فِي رَحَاءِ الْعَيْشِ مَسْرُورًا فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ غَافِلًا عَنْ يَوْمِ صَرَغَتِهِ قَدْ
فَتَحَ لِلْهَوَى بَابَهُ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حِجَابَهُ ، وَلَمْ يُبَالِ بِمَنْ لَامَهُ فِي ذَلِكَ أَوْعَابَهُ ، إِذْ
هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْمَنِيَّةُ ، فَهَتَكَتْ أَسْتَارَهُ ، وَكَسَفَتْ أَثْوَارَهُ ، وَشَتَّتْ شَمْلَهُ
وَطَمَسَتْ أَعْلَامَهُ وَأَثَارَهُ .

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ ، وَالْمَنْزِلِ الْمُنْجِدِ وَالْمَتَاعِ الْمُزْخَرَفِ
الْمُنْضِدِ ، إِلَى حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ظَلَمَاءَ ضَيْقَةِ الْجَوَانِبِ مَمْلُوءَةً مِنَ الرُّغْبِ

وَالْفَزَعِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالذُّعْرِ .

فَحَذَارِ حَذَارٍ وَبِدَارٍ بِدَارٍ قَبْلَ أَنْ تُصْرَعَ هَذَا الْمَصْرَعُ فَيَقُتَّ فِي عَضْدِكَ
وَيُسْقَطُ فِي يَدِكَ وَتُرْمَى بِكَ عَنْ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فِي مَهْوَاةٍ تَزْدَجِمُ فِيهَا الْأَهْوَالُ ،
وَتَنْقَطِعُ فِيهَا الْأَمَالُ .

قَدْ جُمِعَتْ فِيهَا جَمْعاً وَرُصِيعَتْ فِيهَا رَصْعاً وَتُرِكَتْ فِيهِ لِلْهَوَامِّ وَالذِّيدَانِ
طَعْمًا ، وَمَرَعَى .

وَلَعَلَّكَ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي تَبْدِيلِ الْمَنَازِلِ وَإِنْ كَانَتْ حِسَانًا ، وَلَا تَرَى لِرَبِّكَ
عِزًّا وَجَلًّا فِيهَا تَفَضُّلاً وَامْتِنَانًا .

فَانْظُرِ الْآنَ كَمْ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَكَمْ قَدَرٌ مَا بَيْنَ الْوَحْشَتَيْنِ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَكَ اللَّهُ
بِرَحْمَتِهِ فَتَتَّسِعُ مِنَ الْقَبْرِ أَقْطَارُهُ وَتَمْتَدَّ فِيهِ أَنْوَارُهُ وَأَنْشَلُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَنْ كَانَ يُوَحِّشُهُ تَبْدِيلُ مَنْزِلِهِ	وَأَنْ يُبَدِّلَ مِنْهَا مَنْزِلًا حَسَنًا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَهَا	عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَتْ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ	فَرْدًا وَقَدْ فَارَقَ الْأَهْلِينَ وَالسُّكُنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْرَ الْوَحْشَتَيْنِ وَمَا	يَلْقَاهُ مَنْ بَاتَ بِاللَّذَاتِ مَرَّتَهُنَا
يَا غَفَلَةً وَرِمَاحَ الْمَوْتِ شَارِعَةً	وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرِّسَا
وَلَمْ أُعِدْ مَكَانًا لِلنِّزَالِ وَلَا	أَعْدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غِرَّةً وَمُنَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودُهُ أَبَدًا	وَيَعْفُ مَنْ عَفَوَهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا
فَيَا إِلَهِي وَمُزْنَ الْجُودِ وَآكِفَةً	سَحَاً فَتَمَطَّرْنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِئْنَا
آيِسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشَّتْنَا	وَأَلْطَفَ بِنَا وَتَرَفَّقَ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا
نَحْنُ الْعَصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلَجُونَا	وَأَنْتَ مَقْصَدُنَا الْأُسْنَى وَمَطْلَبُنَا
فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا	أُولَى فَمَنْ ذَا الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَنَاهَجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ
وَوَفِّقْنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلَطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا وَانْمِمْ عَلَيْنَا
مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا

تَذَكَّرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تُكُنْ
كَأَنَّكَ تُخْلِى لِلْمَلَاعِبِ مُخْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلَّوْلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُخْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُسَجَّى بِشَوْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السِّيَاقِ تُخْشَرُجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُعْزَى قَرِيبُهُ
وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضٍ مِنَ الرِّيطِ مُدْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الثَّرَى
إِذَا مَا هَذَوْكَاهُ انْتَنَوْا لَمْ يُعْرِجُوا
وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تُرَابِهِ
عَلَيْكَ بِهِ رَذَمٌ وَلَبْنٌ مُشْرِجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَدًا مِنْهُ وَخَشَّةُ
مَجَالِسٍ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِجُ
وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَخْدَةٍ
وَأَنْ سَرُّكَ الْبَيْتُ الْعَيْتِيُّ الْمُدْبِجُ

أَلَا رَبُّ ذِي طَمَرٍ غَدَاً فِي كَرَامَةٍ
وَمَلِكٍ يَتَنَجَّانِ الْهَوَانِ مُتَوَجِّ
لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
وَإِنْ زُخْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزُبُرُجُوا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقاً يَقِيناً عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرَشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيهَا
يُرْضِيكَ وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خَزَائِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَ لأَوْلِيَائِكَ
وَأَحْبَابِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قَائِدَةٌ - قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ
وَإِحْبَاطِهَا لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِنْ عَبْدٍ مُوقِنٍ بِهَا عَارِفٍ بِمَضْمُونِهَا قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ
الشَّهَوَاتُ وَلَانتَ نَفْسُهُ الْمُتَمَرِّدَةُ وَأَنْقَادَتْ بَعْدَ إِبَائِهَا ، وَأَقْبَلَتْ بَعْدَ
اعْرَاضِهَا .

وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ مِنْهَا جِرْصُهَا عَلَى الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَحْذَتْ
بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا وَفَاطَرِهَا وَمَوْلَاهَا الْحَقُّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى مَا كَانَتْ
لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوْحِيدُ بِانْقِطَاعِ أَسْبَابِ الشُّرْكِ
وَتَحَقُّقِ بُطْلَانِهِ .

فَرَأَتْ مِنْهَا تِلْكَ الْمُنَازَعَاتِ الَّتِي كَانَتْ مَشْغُولَةً بِهَا ، وَاجْتَمَعَ هَمُّهَا
عَلَى مَنْ أَيْقَنْتَ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ الْعَبْدُ وَجْهَهُ بِكُلِّيَّتِهِ
إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَهَمَّهُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَسَلَّمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً

وَأَسْتَوِي سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ .

فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَدْ تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ
وَالْإِنْفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ ، قَدْ خَرَجْتَ الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ الْقُدُومَ
عَلَى رَبِّهِ ، وَحَمَدَتْ نِيرَانُ شَهَوَاتِهِ ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَصَارَتْ
نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَصَارَتْ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الْخَالِصَةُ خَاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهَّرَتْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ
وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ لِأَنَّهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظَاهِرُهَا بِاطْنِهَا
وَسِرُّهَا عَلَانِيَتُهَا فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فِي أَيَّامِ الصُّحَّةِ
لَاَسْتَوْحَشَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَهْلِيهَا وَفَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّاسِ وَأَنْسَ بِهِ دُونَ مَنْ
سِوَاهُ . لَكِنَّهُ شَهِدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحُونٍ بِالشَّهَوَاتِ وَحُبِّ الْحَيَاةِ وَأَنْسَ بِهَا
وَنَفْسٍ مَمْلُوءَةٍ بِطَلَبِ الْحُطُوطِ وَالْإِنْفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَلَوْ تَجَرَّدَتْ
كَتَجَرُّدِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ لَكَانَ لَهَا نَبَأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا الْبَهِيمِيِّ .
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ
طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا
اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِّينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال كيف أصبحت ، يا معاذ قال أصبحت مؤمناً بالله حقاً - قال « إن

لكل قولٍ مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟

قال : يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننتُ أنني لا أصبح ، ولا خطوة خطوة إلا ظننتُ أنني لا أتبعها أخرى وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تُدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عُقُوبَةِ أهل النار وثواب أهل الجنة ، قال عليه الصلاة والسلام عَرَفْتُ فالزَّمْ.

وَبَلَغَ زَيْنُ العابدين مِنَ الدنيا أَفْضَلَ ما تَسْعَى إليه همةُ رجل ، فَرَفَضَهَا وَبَذَلَهَا قَاتِلًا « هذا سُرُورٌ لولا أَنه غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لولا أَنه عن قَرِيبٍ عَذِيبٌ ، وَمُلْكٌ لولا أَنه هُلْكٌ ، وَغِنًى لولا أَنَّهُ فَنًى ، وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لولا أَنه ذَمِيمٌ ، وَارْتِفَاعٌ لولا أَنه اِتِّضَاعٌ وَحَسَبُ امرئٍ مِنَ الدنيا لُقَيْمَاتٌ يُقِيمُ بها صُلْبُهُ ، وَثَوْبٌ يَسْتُرُ به عَوْرَتُهُ ، وَصِحَّةٌ يَسْتَقْوِي بها على طاعةِ الله .

وَإِعلم يا أَخِي أَن الأجلَ قَرِيبٌ وَهُوَ مَسْتُورٌ عَنْكَ وَهُوَ في يدِ غَيْرِكَ ، يَسُوقُهُ حَيْثُ اللّيل والنهار ، وَإِذا لَمَتِ المِدةُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ العِلَّةِ ، فَاحْتَلْ قَبْلَ الْمُنتَهَى وَأَكْرِمْ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ الصَّادِقِينَ ، وَإِذا آنَسْتَكَ السَّلامَةُ فَاسْتَوْجِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّه الغاية وَإِذا فَرَحْتَ بِالْعَافِيَةِ فَاحْسِبْ حِسَاباً لِلْبَلَاءِ ، وَإِذا بَسَطْتَ الأملَ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الأجلِ ، فَهُوَ الموعِدُ وَإِلَيْهِ المورِدُ .

كتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يَا أَخِي اخْذِرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ أَنْ تُصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى فِيهَا الْمَوْتَ فَلَا تَجِدَهُ .

وكانَ عمرُ بنُ عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم ييكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال إبراهيم التيمي : شيطان قطعاً عني لذّة الدنيا ذكّر الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وقال كعبُ من عَرَفَ الموتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَهُوْمُهَا .

وقال شريح : إِنِّي أَصَابُ بِالْمُصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَكْثَرُ مِنْهَا ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ وَقَفَنِي لِاسْتِرْجَاعِ مَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي .

وقال حاتمُ الأَصَمِ : مُصِيبَةُ الدِّينِ أَكْثَرُ مِنْ مُصِيبَةِ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ مَاتَتْ لِي بِنْتُ فَعْرَآنِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ وَفَاتَتْني صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فَلَمْ يُعْزِني أَحَدٌ .
وقال آخر : كُنْ حَذِيراً مِنْ أَرْبَعِ غَارَاتٍ ، الْأُولَى : غَارَةُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَى رُوحِكَ ، الثَّانِيَةِ : غَارَةُ الْوَرَثَةِ عَلَى مَالِكَ ، الثَّالِثَةِ : غَارَةُ الْوُدِّ عَلَى جِسْمِكَ فِي قَبْرِكَ ، والرَّابِعَةِ : غَارَةُ الْخُصْمَاءِ عَلَى حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ فِي الْاسْتِعْدَادِ وَالْإِحْتِيَاظِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ لَيْلاً وَنَهَاراً وَسِيراً وَجَهَاراً .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نصفَ النهار يُكَبِّرُ وَيُسَبِّحُ وَيَذْكُرُ اللَّهَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَكْرٍ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، قَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ غَفْلَةٌ يَنْبَغِي الذِّكْرَ وَالتَّذْكَيرَ فِيهَا .

وقال بعضُ العلماء : إِنِّي لِأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَأَنْظُرُ فِي آيَةٍ فَيَحَارُ عَقْلِي فِيهَا وَأَعْجِبُ مِنْ حِفَاطِ الْقُرْآنِ كَيْفَ يَهْنِئُهُمُ النَّوْمُ وَهُمْ يَتْلُونَ كَلَامَ الرَّحْمَنِ ، أَمَا لَوْ فَهَمُوا مَا يَتْلُونَ وَعَرَفُوا حَقَّهُ وَتَلَذَّذُوا بِهِ وَاسْتَحْلَوْا الْمُنَاجَاةَ بِهِ لَذَهَبَ عَنْهُمْ

النوم فرحاً وسروراً بما رزقهم الله ووفقهم له .

شعراً :

فَسَمِّرْ وَلَدْ بِاللّٰهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ ففِيهِ الْهُدَى حَقّاً وَلِلْخَيْرِ جَامِعُ
هُوَ الذُّخْرُ لِلْمَلُوفِ وَالْكَثْرُ وَالرَّجَا ومنه بلا شَكِّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَهْمِهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهْنُهُ الْفَجَائِعُ
وَاللّٰهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فائدة)

إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ورؤوف به وناظر إليه فكل ما يرد عليه من أنواع البلياء والرزايا والمصائب ينبغي له أن يصبر ويحتسب ولا يكثر بذلك فإنه لم يتعوذ من الله إلا خيراً له .

فليحسّن طئه بربه وليعتقد أن ذلك خيراً له وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ فقد يجب الإنسان الشهرة والعافية والغناء ويكون شراً له كما في قصة قارون وثعلبة .

وَحَفَفَ عَنِّي مَا آلَايَ مِنَ الْعَنَاءِ بَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُبْتَلَى وَالْمُقْلَدُّرُ
وَمَا لِأَمْرٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَعْدَلٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ الَّذِي يَتَخَيَّرُ

(فائدة)

قيل من علامات التوفيق دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها ، وصرف المعاصي عنك مع السعي إليها ، وفتح باب اللجاء والافتقار إلى الله تعالى في كل الأحوال ، واتباع السيئة الحسنة ، وعظم الذنب في قلبك وإن كان من صفات الذنوب والاكتثار من ذكر الله وشكره وحمده والاستغفار .

ومن علامات الخذلان تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ، ودخول المعاصي عليك مع هربك منها ، وغلق باب الالتجاء إلى الله وترك التضرع له

وَتَرَكَ الدَّعَاءَ ، وَاتَّبَعَ الْحَسَنَةَ بِالسَّيِّئَاتِ ، وَاحْتِقَارَكَ لِذُنُوبِكَ وَعَدَمَ الْاهْتِمَامِ بِهَا
وَإِهْمَالَ التَّوْبَةِ مِنْهَا وَالِاسْتِغْفَارَ وَنِسْيَانَكَ لِرَبِّكَ .

ذَمَّ الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ وَاحْتِقَارَهُ لَهَا لِمَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ عُيُوبِهَا وَأَفَاتِهَا مَطْلُوبٌ
مِنْهُ لِأَنَّهُ يُؤَدِّيهِ إِلَى التَّفْتِيشِ عَلَيْهَا وَمَحَاسِنِهَا بِدَقَّةٍ وَيُؤَدِّيهِ أَيْضاً إِلَى الْحَذَرِ مِنْ
غُرُورِهَا وَشُرُورِهَا .

فَتَصْلَحَ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَعْمَالُهُ وَتَصْدُقَ أَحْوَالُهُ وَتَسْتَقِيمَ بِإِذْنِ اللَّهِ أُمُورُهُ وَإِلَّا
فَسَدَّتْ عَلَيْهِ وَاعْتَلَّتْ لِدُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهَا وَلَا يَصُدُّنَهُ عَنْ ذَلِكَ مَدْحُ الْمَادِحِينَ
وِثْنَاءُ الْمُتَمَلِّقِينَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ .

الْمُؤْمِنُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي إِذَا مُدِّحٌ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ مَحَاسِنِهِ
اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِحْيَا تَعْظِيمَ وَإِجْلَالَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِصِفَةٍ لَيْسَتْ فِيهِ .
فَيَزِدَادُ بِذَلِكَ مَقْتًا لِنَفْسِهِ وَاسْتِحْقَارًا لَهَا وَتَقُورًا عَنْهَا وَيَقْوَى عِنْدَهُ رُؤْيُ
إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَشُهُودُهُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ وَمِنْتَهُ فِي إِظْهَارِ الْمَحَاسِنِ عَلَيْهِ وَيَشْكُرُ
اللَّهُ وَيُحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصَى .

قِيلَ إِنْ رَجُلًا أَخْرَجَ مِنَ السَّجْنِ فِي رَجُلِهِ قَيْدٌ وَهُوَ يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ
لِإِنْسَانٍ عَاقِلٍ أَعْطِنِي كِسْرَةَ خُبْزَةٍ فَقَالَ لَوْ قَنَعْتُ بِالْكَسْرَةِ لَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ فِي
رِجْلِكَ ، وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ يَأْكُلُ مَا نَسَاقَطَ مِنَ الْبَقْلِ عَلَى رَأْسِ
الْمَاءِ .

فَقَالَ لَوْ خَدَمْتُ السُّلْطَانَ لَمْ تُخْتَجِ إِلَى أَكْلِ هَذَا ، فَقَالَ الْحَكِيمُ وَأَنْتَ
لَوْ قَنَعْتَ بِهِذَا لَمْ تُخْتَجِ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانَ ، وَقَالَ رَجُلٌ لآخرَ كَيْفَ حَالُكُمْ مَعَ
السُّلْطَانَ ، فَقَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ .

(فَالْتَدَةِ)

الْأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِحُبِّهِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ تَذَكَّرَ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

(١) قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ لِمَعَانِيهِ وَالتَّفْطِنِ لِمُرَادِ اللَّهِ مِنْهُ .

(٢) الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَاللَّهُ

يحب المحسنين ﴿ ٢٠ 〉 .

- (٣) التقوى ، قال الله تعالى ﴿ ٢١ 〉 والله يحب المتقين ﴿ ٢٢ 〉 .
- (٤) طهارة الباطن والظاهر ، قال الله تعالى ﴿ ٢٣ 〉 والله يحب المطهرين ﴿ ٢٤ 〉 .
- (٥) التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض فإنها توصل إلى محبة الله لعبده كما في الحديث « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » الحديث .
- (٦) دوام ذكر الله على كل حال في كل مكان إلا في المحلات المستقرة كالخلاء ونحوه ويكون ذلك باللسان والقلب والعمل .
- (٧) إثارة محابته على محابك عند غلبات الهوى .
- (٨) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبادئها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .
- (٩) مشاهدة براهينه وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .
- (١٠) إنكسار القلب بين يديه والتضرع والتذلل له وإظهار الافتقار إليه وإظهار العجز والمسكنة والتلهف إلى رحمته ورأفته ولطفه .
- (١١) مجالسة التالين للقرآن العاملين به والذاكرين الله كثيرا .
- (١٢) القتال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ ٢٥ 〉 إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴿ ٢٦ 〉 .
- (١٣) إتباع النبي ﷺ ، قال الله جل وعلا ﴿ ٢٧ 〉 قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴿ ٢٨ 〉 .
- (١٤) الصبر ، قال تعالى ﴿ ٢٩ 〉 والله يحب الصابرين ﴿ ٣٠ 〉 .
- (١٥) الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي أي وقت التجلي الإلهي ، وهو في الاسحار قبل الفجر لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقالب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .
- (١٦) مباحدة العوائق والحوائل وكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز

وجل .

قال رَجُلٌ لَطَّاءُوسٍ : أوصني قال أوصيك أن تحب الله حُباً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ منه وَخِفَهُ خَوْفاً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَخَوْفَ إِلَيْكَ منه وارْجُ اللهَ رَجَاءً يَحُولُ بَيْنَكَ وبين ذلك الخُوفِ وارض للناس ما ترضى لنفسك .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فصل]

المراقبة في ثلاثة أشياء : مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان قال تعالى ﴿ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴾ وقال النبي ﷺ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

قالت أسماء بنتُ عُمَيْسٍ : إنا لَعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بعد ما ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجِمٍ ، إِذْ شَهَقَ ثُمَّ أَعْيَمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ مَرْحَباً ، مَرْحَباً ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْثَرَنَا الْجَنَّةَ فَقِيلَ لَهُ مَا تَرَى ، قَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَخِي جَعْفَرٌ وَعِمي حَمْزَةُ وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ مُفْتَتِحَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ يُسَلِّمُونَ عَلَيَّ وَيُشِيرُونَ وَهذه فاطمة قد طَافَ بِهَا وَصَائِفُهَا مِنَ الْحُورِ وهذه مَنَازِلِي فِي الْجَنَّةِ « لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ » .

عن كثير بن زَيْد قال كَبُرَ حَكِيمٌ بِنُ حِزَامٍ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ ثُمَّ اشْتَكَى فَاشْتَدَّ وَجَعُهُ فَقُلْتُ لِأَخْضَرْتُهُ وَلَا أَنْظُرَنَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَإِذَا هُوَ يُهَمِّهِمْ وَيَقُولُ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَجِبْكَ وَأَخْشَاكَ حَتَّى مَاتَ . لِأَنْتَهِ
وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هَرِيرَةَ الْوَفَاةَ بَكَى قَالُوا مَا يَبْكِيكَ ، قَالَ بَعْدَ السَّفَرِ وَقَلَّةُ
الزَّادِ وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَخَوْفُ الْوُقُوعِ مِنَ الصَّرَاطِ فِي النَّارِ .
وَلَمَّا حَضَرَتْ مَعَاذُ بْنُ جَبَلِ الْوَفَاةَ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى
النَّارِ ثُمَّ قَالَ مَرْحَباً بِالْمَوْتِ زَائِرِ مَغِيبٍ وَحَبِيبِ جَاءَ عَلَى فَاقَةِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ
أَخَافُكَ وَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكُرِّي الْأَنْهَارِ
وَلَا لِقَرَسِ الْأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِيُطَوِّلَ ظَمَأَ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامَ لَيْلِ الشِّتَاءِ وَمُكَابَدَةَ
السَّاعَاتِ وَمُزَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرَّكْبِ عِنْدَ حُلُقِ الذِّكْرِ ثُمَّ قَبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ .
وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا الدَّرْدَاءِ الْوَفَاةَ جَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ
لِمِثْلِ مَصْرِعِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ سَاعَتِي
هَذِهِ ثُمَّ قَبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ثُمَّ أَعْلَمَ : أَنَّ الْأَلَمَ الْمُصِيبَ لِلْبَدَنِ إِنَّمَا يَدْرِكُ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ ، وَإِذَا
وَصَلَ الْأَلَمُ إِلَى نَفْسِ الرُّوحِ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ كَرِبِهِ وَآلَمِهِ حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ أَشَدُّ مِنْ
ضَرْبِ السَّيْفِ وَنَشْرِ الْمَنَاشِيرِ وَقَرْضِ الْمَقَارِيضِ .
وَالسَّبَبُ فِي أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الصَّبَاحِ مَعَ شِدَّةِ الْأَلَمِ لِرِيبَادَةِ الْوَجْعِ
وَالكَرْبِ حَتَّى قَهَرَ كُلَّ قُوَّةٍ وَضَعَفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةُ الْإِسْتِغَاثَةِ
وَالْإِسْتِعَاثَةِ .

أَمَّا الْعَقْلُ فَقَدْ غَشِيَهُ وَشَوَّشَهُ وَأَمَّا اللِّسَانُ فَقَدْ أَبْكَمَهُ وَأَمَّا الْأَطْرَافُ
فَقَدْ خَدَّرَهَا وَضَعَفَهَا فَإِنْ بَقِيََتْ فِيهِ قُوَّةٌ سَمِعَتْ لَهُ خُوراً وَغَرْغَرَةً مِنْ صَدْرِهِ
وَحَلَقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا إِلَى الْحُلُقُومِ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ التَّوْبَةِ قَالَ ﷺ
« إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ
حَسَنٌ .

فالموفق مَنْ يَكُونُ الموتُ نصبَ عَيْنَيْهِ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ سَاعَةً فَيَسْتَعِذُّ
للموت.

وَيُقَاتِلُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَّقِدْهَا مِنْ قَبْلِ الصَّلَاةِ وَمِنْ قَبْلِ حُقُوقِ اللَّهِ
وَحُقُوقِ خَلْقِهِ هَلْ أَقَامَ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ هَلْ أَدَّى الزَّكَاةَ كَامِلَةً مُكَمَّلَةً
هَلْ أَبْرَأَ ذِمَّتَهُ مِنْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ .

هَلْ أَدَّى الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا هَلْ نَفَذَ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَصَايَا وَوَكَالَاتٍ هَلْ
عِنْدَهُ أَشْيَاءٌ مُعَارَاةٌ كُتِبَ أَوْ نَحْوَهَا يُرْجَعُهَا هَلْ عِنْدَهُ كُتُبٌ زَائِدَةٌ يُفَرِّقُهَا عَلَى
طَلِبَةِ الْعِلْمِ الْعَامِلِينَ بَعْلِهِمْ . وَيَتْلَفُ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ آلَاتٌ لَهُ لَا تَقْبِضُ رُوحَهُ
وَهِيَ عِنْدَهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ عِلَامَةَ قِصَرِ الْأَمَلِ الْمُبَادَرَةُ فِي الْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ
الْأَجْلِ وَمَنْ ادَّعَى قِصَرَ الْأَمَلِ وَهُوَ يَغْتَنِي بِالدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ

فالتوفيق أن يكون الموت أمامه في كل لحظة لا يغفل عنه أبداً إن أصبح
أضمر أنه لا يمسي وإن أمسى قلر أنه لا يصبح .

مُدِيمُ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ شَاكِرًا لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِذَلِكَ مُلَازِمًا لِذِكْرِ اللَّهِ لَيْلًا
وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا .

وَلَكِنْ لَا يَتَيَسَّرُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ عَنِ الْغَدِّ وَمَا يَكُونُ فِيهِ وَعَنِ الدُّنْيَا
وَأَشْغَالِهَا وَزَخَارِفِهَا وَجَمِيعِ مَتَعَلِقَاتِهَا .

إِلَّا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَدَاءً لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ نَسَائِلِ اللَّهِ
الْإِعَانَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

فِيهَا أَيُّهَا الْغَافِلُ الْمُهْمِلُ الْمَفْرُطُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَتَصَوَّرْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ
لِنَفْسِكَ وَتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وَتَصَوَّرْ كُرْبَهُ وَسَكَرَاتِهِ وَغُصَصَهُ وَغَمَّهُ وَقَلَقَهُ .
وَتَصَوَّرْ بُدُوَ الْمَلِكِ لَجَذِبِ رُوحِكَ مِنْ قَدَمِكَ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارَ لَجَذِبِ
الرُّوحِ مِنْ جَمِيعِ بَدَنِكَ فَتَشِطَّتْ مِنْ أَسْفَلِكَ مُتَصَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ

منك الكرب والوجع والألم مُتناهٍ وعَمَّتِ الآلامُ جميعَ بَدَنِكَ وَقَلْبُكَ وَجَلْ
مَحْزُونٌ مُنْتَظِرٌ إِمَّا الْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ بِالرَّضَا وَإِمَّا بِالغَضَبِ .

فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي كَرْبِكَ وَغَمُّومِكَ وَشِدَّةِ حُزْنِكَ لَا زَقَا بِكَ إِحْدَى
الْبُشْرَيْنِ إِذْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ إِمَّا بِمَا يَسُرُّكَ وَإِمَّا بِمَا يَغْمُكَ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ غَايَةَ الْهَمِّ
وَالْحُزْنِ أَوْ الْفَرَحِ وَالْأَنَسِ وَالسُّرُورِ قَلْبُكَ حِينَ انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا مُدَّتُكَ
وَانْقَطَعَ مِنْهَا أَثَرُكَ وَحُمِلْتَ إِلَى دَارٍ مِنْ سَلَفٍ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكَ .

وَتَصَوِّرُ نَفْسَكَ حِينَ اسْتَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا وَسُرُورًا أَوْ مُلَىءَ رُغْبًا وَحُزْنًا
وَعَبْرَةً وَبِزَارَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَرَوْعَةِ الْمَلَكَيْنِ مَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَسَوَالِهِمَا لَكَ فِي
الْقَبْرِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مَا فِيهَا تَخْيِيرٌ ، الْأَوَّلُ مَنْ رَبُّكَ وَالثَّانِي مَا دَيْتُكَ وَالثَّالِثُ مَنْ
نَيْيُكَ .

فَتَصُورُ أَصَوَاتَهُمَا عِنْدَ نِدَائِهِمَا لَكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤَالِهِمَا لَكَ فِيهِ فَتَصَوِّرُ
جَلَسَتَكَ فِي ضَيْقِ قَبْرِكَ وَقَدْ سَقَطَ كَفَنُكَ عَنْ حَقْوَيْكَ وَالْقُطُنُ مِنْ عَيْنَيْكَ .
ثُمَّ تَصُورُ شُخُوصَكَ يَهْصِرُكَ إِلَيْهِمَا وَتَأْمُلُكَ لِصُورَتَيْهِمَا فَإِنْ رَأَيْتَهُمَا
بِأَحْسَنِ صُورَةٍ أَتَقَنَّ قَلْبُكَ بِالْفُوزِ وَالنَّجَاةِ وَالسُّرُورِ وَإِنْ رَأَيْتَهُمَا بِأَقْبَحِ صُورَةٍ
أَيَقْنَتَ بِالْعَطَبِ وَالْمَلَاحِ .

شِعْرًا :

وَاللَّمْرُ يَوْمَ يَنْقُضِي فِيهِ عُمْرُهُ وَمَوْتُ وَقَبْرٌ ضَيْقٌ فِيهِ يُؤَلَّجُ
وَيَلْقَى نَكِيرًا فِي السُّؤَالِ وَمُنْكَرًا يَسُومَانِ بِالتَّكْوِيلِ مَنْ يَتَلَجَّلُجُ

آخِر :

تَفَكَّرْ فِي مَشِيئِكَ وَالْمَآبِ وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فِي التُّرَابِ
إِذَا وَافَيْتَ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةً الْإِهَابِ
فَلَوْلَا الْقَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرًا لَأَتَتْنَا الْأَبَاطِخُ وَالرَّوَابِي
خَلَقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصُرْتَ حَيًّا وَعُلِمْتَ الْفَصِيحُ مِنَ الْخُطَابِ

فَطَلَّقْ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَبَادِرْ قَبْلَ مَوْتِكَ بِالْمَتَابِ
نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ قَوْلِي وَنَصِحِي فَمِثْلُكَ قَدْ يُدَلُّ عَلَى الصُّوَابِ
خُلِقْنَا لِلْمَمَاتِ وَلَوْ تَرَكْنَا لَصَاقَ بِنَا الْفَسِيحُ مِنَ الرِّحَابِ
يُنَادِي فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

ثُمَّ تَصَوَّرْ كَيْفَ يَكُونُ شُعُورُكَ إِنْ ثَبَّتَكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَنَظَرْتَ إِلَى مَا
أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ وَقَوْلُهُمَا لَكَ هَذَا مَنْزِلُكَ وَمَصِيرُكَ فَتَصَوَّرْ فَرَحَكَ وَسُرُورَكَ بِمَا
تُعَايِنُهُ مِنَ النِّعَمِ وَبِهَيْجَةِ الْمُلْكِ وَإِقَانِكَ بِالسَّلَامَةِ مِمَّا يَسُوؤُكَ .
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَتَصَوَّرْ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ إِنْتِهَارِكَ وَمُعَايِنَتِكَ جَهَنَّمَ
وَقَوْلُهُمَا لَكَ هَذَا مَنْزِلُكَ وَمَصِيرُكَ فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ
عَثْرَةٍ لَا تُقَالُ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَنَاءُ وَالْبَلَاءُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَوْصَالُ وَتَتَفَتَّتِ الْعِظَامُ وَيَبْلُ
جَسَدُكَ وَيَسْتَمِرَّ حُزْنُكَ فَيَا حَسْرَةَ رُوحِكَ وَغُومِهَا وَهُمُومِهَا .
حَتَّى إِذَا تَكَامَلَتْ عِدَّةُ الْأَمْوَاتِ وَقَدْ بَقِيَ الْجَبَّارُ الْأَعْلَى مُنْفَرِدًا بِعَظَمَتِهِ
وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ ثُمَّ لَمْ يَفْجَأْكَ إِلَّا نِدَاءُ الْمُنَادِي لِلْخَلَائِقِ لِلْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ
وَعَلَا .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ
الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ يَا أَمْرَ اللَّهِ مَلَكًا أَنْ يُنَادِيَ عَلَى صَخْرَةٍ بَيْتِ
الْمَقْدَسِ أَيْتَهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ وَاللَّحُومُ الْمُتَمَزِّقَةُ وَالشُّعُورُ
الْمُتَفَرِّقَةُ إِنَّ اللَّهَ يَا أَمْرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ .

فَتَصَوَّرْ وَقُوعَ الصَّوْتِ فِي سَمْعِكَ وَدُعَائِكَ إِلَى الْعَرْضِ عَلَى مَالِكِ الْمُلْكِ
فَيَطِيرُ فَوَازُكَ وَيَشِيبُ رَأْسُكَ لِلنِّدَاءِ لِأَنَّهَا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْعَرْضِ عَلَى الرَّبِّ جَلَّ
وَعَلَا قَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي فَرْعٍ مِنَ الصَّوْتِ إِذْ سَمِعْتَ بَانْشِقَاقَ الْأَرْضِ فَخَرَجْتَ

مُغْبَرًا مِنْ غِبَارِ قَبْرِكَ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْكَ شَاخِصًا بِيَصْرِكَ نَحْوَ النَّدَاءِ قَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ وَقَالَ ﴿ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ .

فَتَصُورُ تَعْرِيفَكَ وَمَذَلَّتَكَ وَانْفِرَادَكَ بِخَوْفِكَ وَأُخْزَانِكَ وَهُمُومِكَ وَغُمُومِكَ فِي رَحْمَةِ الْخَلَائِقِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ تَرْهَقُهُمُ الدِّلَّةُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مِهْطَعِينَ إِلَى السَّادِعِ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

ثم تصور إقبال الوحوش من البراري مُنَكِّسَةً رُؤُوسَهَا لِهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَبَعْدَ تَوَحُّشِهَا وَانْفِرَادِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ ذَلَّتْ لِيَوْمِ النُّشُورِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا الْوَحُوشُ حَشَرَتْ ﴾ .

وَتَصُورُ تَكْوِيرَ الشَّمْسِ وَتَنَاقُثَ النُّجُومِ وَانْشِقَاقَ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ الْخَلَائِقِ مَعَ كَثَافَةِ سَمَكِهَا فَيَا هَوْلَ صَوْتِ ذَلِكَ الْانْشِقَاقِ .

وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى خَافَاتٍ مَا يَتَفَطَّرُ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ .

قِيلَ تَلُوبُ كَمَا تَلُوبُ الْفِضَّةُ فِي السَّبَكِ وَتَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغُ الَّتِي

يُذْهِنُ بِهَا فَتَارَةَ حَمَرَاءَ وَتَارَةَ صَفَرَاءَ وَزَرْقَاءَ وَخَضْرَاءَ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ قِيلَ كَالْفُضَّةِ الْمَذَابَةِ أَوْ الرِّصَاصِ الْمَذَابِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ .
 فَتَصُورُ وَقُوفَكَ مَفْرَدًا عَرِيَانًا حَافِيًا وَقَدْ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ وَلَا ظِلٌّ لِأَحَدٍ إِلَّا ظِلُّ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَرْعُوجَةِ اشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْوَهْجُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ثُمَّ ازْدَحَمَتِ الْأُمَمُ وَتَدَافَعَتْ وَتَضَايَقَتْ وَاخْتَلَفَتْ الْأَقْدَامُ وَانْقَطَعَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْخَوْفِ الْعَظِيمِ .
 وَانْضَافَ إِلَى حَرِّ الشَّمْسِ كَثْرَةُ الْأَنْفَاسِ وَازْدِحَامُ الْأَجْسَامِ وَالْعَطَشُ تَضَاعَفَ وَلَا نَوْمَ وَلَا رَاحَةَ وَفَاضَ عَرْقُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارْتَفَعَ عَلَى الْأَبْدَانِ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ .
 ثُمَّ تَصُورُ مَجِيءَ جَهَنَّمَ تَقَادُ وَلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ .

فَلَا يَبْقَى مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا جُنَا لِرُكْبَتِهِ يَقُولُ يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي فَتَصُورُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ الْمُهِيلَ الْمَفْرُوعَ الَّذِي قَدْ مَلَأَ الْقُلُوبَ رُعبًا وَخَوْفًا وَقَلَقًا وَذُعْرًا يَا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ وَمَنْظَرٍ مَرْعُوجٍ .
 وَأَنْتَ لَا مَحَالَةَ أَحَدُهُمْ فَتَوَهُمُ نَفْسَكَ لِكَرْبِكَ وَقَدْ عَلَاكَ الْعَرَقُ وَالْفَرْعُ وَالرَّعْبُ الشَّدِيدُ وَالنَّاسُ مَعَكَ مُنْتَظِرُونَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ أَوْ إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَتُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ .

فَتَصُورُ أَصْوَاتَ الْخَلَائِقِ وَهُمْ يَنَادُونَ بِأَجْمَعِهِمْ مُنْفَرِدٌ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ يَنَادِي نَفْسِي نَفْسِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ الْآيَةُ .

فتصور نفسك وحالتك عند ما يتبرأ منك الولد والوالد والأخ
والصاحب لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلقل والأهوال التي ملأت
القلوب من الخوف والفرج والرعب والذعر .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروءة والحفاظ أن تفر
من أمك وأبيك وأخيك وبنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول
اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك قال الله
تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن زلزلة الساعة
شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ .

فبينما أنت في تلك الحالة مملوء رغباً قد بلغت القلوب الحناجر من شدة
الأهوال والمزعجات والخوف العظيم إذ ارتفع عنق من النار يلتقط من أمر
بأخذه فينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم ثم تصور الميزان وعظمته وقد
نصب لوزن الأعمال وتصور الكتب المتطايرة في الأيمان والشمالك وقلبك
واجف مملوء خوفاً متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك أو من وراء
ظهرك .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

فالاتقياء يُعطون كتبهم بإيمانهم والأشقياء بالشمال أو من وراء الظهر ،
قال تعالى ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب
إلى أهله مسروراً ﴾ وقال ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو
إلى أهله مسروراً ﴾ .

ثُبُورًا وَيَصِلِي سَعِيرًا ﴿٤٤﴾ .

وقال تعالى ﴿٤٥﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَازِمٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ ﴿٤٦﴾
الآيَاتِ وَقَالَ ﴿٤٧﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ وَلَمْ
أَدْر مَا حِسَابِيهِ ﴿٤٨﴾ الْآيَاتِ .

فِيآلِهَآ مِنْ مَّوَاقِفٍ وَيَا لَهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَيَا لَهَا مِنْ خُطُوبٍ مُّجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا
يُنَبِّئُكَ الْمُؤْمِنَ بِهَا حَقًّا .

عن الحسن « أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فنفس
فقد كثرت الآخرة فبكت فسالت دموعها على خد النبي ﷺ فاستيقظ بدموعها
فرفع رأسه فقال ما يبكيك فقالت يا رسول الله ذكرت الآخرة هل تذكرون
أهليكم يوم القيامة .

قال : والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه :
إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل
وعند الصحف حتى ينظر أيمينه يأخذ أم بشماله وعند الصراط .

وعن أنس بن مالك قال : يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين
كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق
سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا .

وإن خف ميزانه نادى بصوت يُسمع الخلائق شقي فلان بن فلان
شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

وتصوّر بينما أنت واقف مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله جل
وعلا وتقدس إذ نودي بإسمك على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين أين
فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل .

فهمت أنت لا يقوم غيرك لما لزم قلبك من العلم من أنك المطلوب
فهمت ترتعد فرائصك وتضطرب رجلاك وجميع جوارحك وقلبك من شدة
الخوف والذهول في أشد الخفقان مرتفعاً إلى الحنجرة .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾ .

فَتَصَوَّرْ خَوْفَكَ وَذَلِكَ وَضَعَفَكَ وَانْهَارَ أَغْصَابِكَ وَقُوءَكَ مُتَغَيِّرًا لَوْنُكَ مَرْغُوبًا مَذْغُورًا مُرْتَكِضًا مُزْعَجًا قَدْ حَلَّ بِكَ الْعَمُّ وَالْهَمُّ وَالاضْطِرَابُ وَالْقَلَقُ وَالذُّهُولُ لِمَا أَصَابَكَ وَرَأَيْتَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ وَالْمُحْزِنَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وترى الناس سُكَّارَى وَمَا هُمْ بِسُكَّارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيبًا ﴾ والآية بعدها .

وَتَصَوَّرْ وَقُوءَكَ بَيْنَ يَدَيِ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبِضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَقَلْبُكَ خَائِفٌ مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّعْبِ مَخْزُونٌ وَجَلَّ وَطَرَفَكَ خَائِفٌ خَفِيَ خَاشِعٌ ذَلِيلٌ .
وَجَوَّارِحُكَ مَرْتَعِدَةٌ بِيَدِكَ صَحِيفَةٌ مُخْصَصَةٌ فِيهَا الدَّقِيقُ وَالْجَلِيلُ لَا تُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً فَقَرَأْتَهَا بِلِسَانٍ كَلِيلٍ وَقَلْبٌ مُنْكَسِرٌ وَدَاخَلَكَ مِنَ الْخَجَلِ وَالْجُبْنِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ إِلَيْكَ مُحْسِنًا وَعَلَيْكَ سَاتِرًا .

فَبَايَ لِسَانٍ تُحِجُّهُ حِينَ يَسْأَلُكَ عَنْ قَبِيحٍ فِعْلِكَ وَعَظِيمٍ جُرْمِكَ وَبَايَ قَدَمٍ تَقِفُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَايَ طَرْفٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَبَايَ قَلْبٍ تَحْتَمِلُ كَلَامَهُ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ وَمُسَاءَلَتُهُ وَتَوَيْحُهُ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بِصَغْرِ جِسْمِكَ بَيْنَ يَدَيِ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي شَدِيدِ الْمَحَالِ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ .
وَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ وَالْأَهْوَالِ مُحَدِّقَةً بِكَ مِنْ جَوَانِبِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ فَكَمْ مِنْ كَبِيرَةٍ قَدْ نَسِيَتْهَا أَثْبَتَهَا عَلَيْكَ الْمَلَكُ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ أَخَذَتْهَا فَذَكَرَتْهَا وَكَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ قَدْ كُنْتَ كَتَمْتَهَا قَدْ ظَهَرَتْ وَبَدَتْ .

وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدْ كُنْتَ تَنْظُرُ أَنَّهُ قَدْ خَلَصَ لَكَ وَسَلِّمْ فَإِذَا هُوَ بِالرِّاءِ قَدْ
حَبِطَ بَعْدَ مَا كَانَ أَمْلَكَ فِيهِ عَظِيمًا فَيَا حَسْرَةً قَلْبِكَ وَتَأْسُفَكَ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي
طَاعَةِ رَبِّكَ قَالَ تَعَالَى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ
وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِرِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأُنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

حَتَّى إِذَا كُرِّرَ عَلَيْكَ السُّؤَالُ بِذِكْرِ الْبَلَايَا وَتُشِيرَتْ مَخْبَأَتُكَ الَّتِي طَلَمَّا
أَخْفَيْتَهَا وَسَتَرْتَهَا عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لغيرِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَقَدْ ظَهَرَتْ قَلَّةُ هَيِّبَتِكَ لِلَّهِ وَقَلَّةُ حَيَاتِكَ مِنْهُ وَظَهَرَتْ مُبَارَزَتُكَ لَهُ بِفَعْلٍ مَا نَهَاكَ
عَنْهُ .

فَمَا ضَنْكُكَ بِسُؤَالٍ مَنْ قَدْ امْتَلَأَ سَمْعُكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ
وَسَائِرِ صِفَاتِهِ كَمَا هُوَ وَكَيْفَ بِكَ إِنْ ذَكَرَكَ مُخَالَفَتَكَ لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيهِ وَقَلَّةَ
اهْتِمَامِكَ بِنَهْيِهِ وَنَظَرِهِ إِلَيْكَ وَقَلَّةَ اكْتِرَائِكَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ .

وَمَاذَا تَقُولُ إِنْ قَالَ لَكَ يَا عَبْدِي مَا أَجَلَّتَنِي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَمَا رَاقَبْتَنِي
اسْتَحْفَفْتَ بِنَظَرِي إِلَيْكَ أَلَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ أَلَمْ أَنْعِمْ عَلَيْكَ مَا غَرَّكَ مِنِّي .
شَبَابُكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ وَعُمْرُكَ فِيمَا أَقْنَيْتَهُ وَمَالُكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَ
أَنْفَقْتَهُ وَعِلْمُكَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيهِ .

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرْجَمُ عَنْهُ فَيَقُولُ أَلَمْ
أَنْعِمِ أَلَمْ آتِكَ مَا لَا يَقُولُ بَلَى .

فَيَقُولُ أَلَمْ أَرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيَقُولُ بَلَى ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا
النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ
يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فَاعْظِمِ بِهِ مَوْقِفًا وَأَعْظِمِ بِهِ مِنْ سَائِلٍ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَأَعْظِمِ بِمَا
يَدْخُلُكَ مِنَ الْحَجَلِ وَالْعَمِّ وَالْحُزْنِ وَالْأَسْفِ الشَّدِيدِ .

على ما فَرَطْتَ في طَاعَتِهِ وعلى ركوبك معصيته وعلى أوقات ضاعت
عند الملامى والمنكرات ، قال الله تعالى عن حال المجرمين المفرطين ﴿ ولو ترى
إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً
إنا موقنون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان
قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ الآية .

وكيف تُثَبِّتُ رَجُلَاكَ عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلام
لِسَائِلِكَ عندما يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جل وعلا ويقدرك على ذلك
فإذا تَبَالَعَ فيكَ الجُهِدُ من الغم والحزن والحياء والحجل بدا لك منه أَحَدُ أمرين
إمَّا الغضب أو الرضا عنك .

فإما أن يقول يا عبدي أَنَا سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم
فقد غفرتُ لَكَ كَبِيرَ جُزْمِكَ وَكَثِيرَ سَيِّئَاتِكَ وَتَقَبَّلْتُ مِنْكَ يَسِيرَ إِحْسَانِكَ
فَيَسْتَطِيعُ قَلْبُكَ بالبهجة والفرح والسرور فيُشْرِقُ وَيَسْتَبِيرُ لِذَلِكَ وَجْهَكَ .
فتصوِّرُ نَفْسَكَ حِينَ مَا يَقَالُ لَكَ وَتَهْدَأُ نَفْسُكَ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَيُنَوِّرُ
وَجْهَكَ بَعْدَ كَاثِبِهِ وَتَكْشِفُهُ مِنَ الْحَيَاءِ مِنَ السُّوَالِ .

وَتُصَوِّرُ رِضَاهُ عَنْكَ حِينَمَا تَسْمَعُهُ مِنْهُ فَتَارُ فِي قَلْبِكَ فَاِمْتِلَاءُ
سُرُورٍ أَوْ كِدَتْ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْفَرَحِ فَأَيُّ سُرُورٍ أَعْظَمُ مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ بِرِضَا
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ وَقَدْ بَدَأَ لَكَ مِنَ الرِّضَا وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ فَتَكَادُ رُوحُكَ
أَنْ تَطِيرَ مِنْ بَدَنِكَ فَرِحًا فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا عَنْكَ
وَالْمَغْفِرَةَ لَكَ فَأَمِنْ خَوْفِكَ وَسَكَنَ حَذْرُكَ وَتَحَقَّقَ أَمْلُكَ وَرَجَاؤُكَ بِخُلُودِ الْأَيْدِ
وَأَيَقَنْتَ بِفُوزِكَ وَنَعِيمِكَ أَبَدًا لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ وَطَارَ قَلْبُكَ فَرِحًا وَابْتِضُّ
وَجْهَكَ وَأَشْرَقَ وَأَنَارَ .

ثُمَّ خَرَجْتَ إِلَى الْخَلَائِقِ مُسْتَبِيرَ الْوَجْهِ قَدْ حَلَّ بِكَ أَكْمَلُ الْجَمَالِ
وَالْحُسْنِ كِتَابُكَ يَمِينُكَ وَقَدْ شَخَّصْتَ أَبْصَارَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ غِبْطَةً لَكَ وَتَأْسُفًا
عَلَى أَنْ يَنَالُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ مَا نِلْتَ .

وَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْكَ رَبُّكَ وَأَيَقَنْتَ بِالْهَلَاكِ وَذُهِبَ بِكَ إِلَى
جَهَنَّمَ مُسَوِّدَ الْوَجْهِ تَتَخَطَّى الْخَلَائِقُ بِسَوَادِ وَجْهِكَ وَكِتَابُكَ فِي شِمَالِكَ أَوْ مِنْ
وَرَاءَ ظَهْرِكَ تُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ وَالْمَلِكُ آخِذٌ بِعَصِيدِكَ يَنَادِي هَذَا فُلَانُ بْنُ
فُلَانٍ قَدْ شَقِيَ شَقَاءً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وَتَصَوِّرِ الصِّرَاطَ وَهُوَ الْجَسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ قَدْ أَمَكَ وَتَصَوِّرْ
مَا يَحِلُّ بِكَ مِنَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدِ حِينَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَتَنْظُرْتَ إِلَيْهِ بِدَقِّهِ
وَحُوضِيهِ وَجَهَنَّمَ تَضْطَرِبُ وَتَتَفَيَّضُ وَتَخْفِقُ بِأَمْوَاجِهَا مِنْ تَحْتِهِ .

فَيَأْتِيهِ مِنْ مَنَظَرٍ مَا أَفْظَعُهُ وَأَهْوَلُهُ وَسَمَاعُكَ شَهيقَهَا وَتَغْيِضُهَا وَقَصْفَ
أَمْوَاجِهَا وَجَلْبَةَ ثَوْرَانِهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَقَدْ اضْطَرَّرْتَ عَلَى الْمَشْيِ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّتْ
عَلَيْكَ صِفَتُهُ .

ثُمَّ قِيلَ لَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى الْجَسْرِ بِفَضَائِلِهِ وَفَضَاعَتِهِ وَقِيلَ لِلْخَلْقِ مَعَكُمْ
ارْكَبُوا الْجَسْرَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ فَتَصَوِّرْ حَالَكَ وَخَفَقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَانَ
جِسْمِكَ مِمَّا عَايَنْتَ مِنَ الْمَزْعَجَاتِ وَالْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَعَظَائِمِ
الْأُمُورِ وَقِلَّةِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالرَّاحَةِ .

ولَمَّا قِيلَ ارْكَب طَارَ عَقْلُكَ رُغْبًا وَخَوْفًا ثُمَّ إِذَا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وَأَنْتَ
تَنْتَفِضُ لِتَرْكَبَ الْجَسَرَ فَوَقَعَ قَدَمُكَ عَلَى حِدَّتِهِ وَدَقَّتِهِ فَازْدَادَ فَرْعُكَ وَازْدَادَ
رَجْفَانُ قَلْبِكَ وَرَفَعْتَ رِجْلَكَ الْأُخْرَى وَأَنْتَ مَضْطَرِبٌ تَتَمَرَّجُ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ الْعَظِيمِ وَقَدْ انْقَلَبَتْكَ الْأَوْزَارُ وَأَنْتَ حَامِلُهَا عَلَى ظَهْرِكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى
النَّاسِ يَتَهَايَتُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ وَرَائِكَ .

فَتَصَوَّرَ مُرُورَكَ عَلَيْهِ بَضْعُفِكَ وَثِقَلِكَ وَأَوْزَارَكَ وَقِلَّةَ حِيلَتِكَ وَأَنْتَ
مُنْدَهَشٌ مِمَّا تَحْتَكُ وَأَمَامَكَ مِثْنٌ يَقُونُ وَيَزُلُونُ وَقَدْ تَنَكَّسَتْ هَامَاتُهُمْ
وَأَرْتَفَعَتْ أَرْجُلُهُمْ وَآخَرُونَ يُخْتَطِفُونَ بِالْكَلاَلِيبِ وَتَسْمَعُ الْعَوِيلَ وَالْبَكَاءَ
وَالْأَصْوَاتَ الْمَرْعِجَاتِ الْمَنَادِيَاتِ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ .

فِيَالِهِ مِنْ مَنَظَرٍ فَظِيعٍ وَمُرْتَقَى مَا أَصْغَبَهُ وَمَجَازٍ مَا أَضِيقَهُ وَمَكَانٍ مَا
أَهْوَلَهُ وَمَوْقِفٍ مَا أَشَقَّهُ وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الذُّغْرِ وَالرَّغْبِ وَالْقَلَقِ مُلْتَفِتًا يَمِينًا
وَشِمَالًا إِلَى مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ وَهُمْ يَتَهَايَتُونَ قُدَّامَكَ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَخْشَى
أَنْ تَتَّبِعَهُمْ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ .

فَتَصَوَّرَ هَذَا بِعَقْلِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَتِّكَ وَبَيْنَهُ فَلَا
يُفِيدُكَ التَّفَكِيرُ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَلَا فِي تَفْرِيطِكَ وَتُحَاسِبَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ يَقُوتَ الْأَوَانُ
فَتَبُوءَ بِالْفُشَلِ وَالْخِيْبَةِ وَالْجُرْمَانِ .

وَتَصَوَّرَ حَالَتَكَ إِنْ بُوتَ بِالْخُسْرَانِ وَزَلَّتْ رِجْلُكَ عَنِ الصِّرَاطِ وَوَقَعْتَ
فِيمَا كُنْتَ تُحَازِرُ وَتَخَافُ وَطَارَ عَقْلُكَ ثُمَّ زَلَّتْ رِجْلُكَ الْأُخْرَى فَتَنَكَّسْتَ عَلَى
هَامَتِكَ وَعَلَتْ رِجْلَاكَ فَلَمْ تَشْعُرْ إِلَّا وَالْكَلْبُوبُ قَدْ دَخَلَ فِي جِلْدِكَ وَلَحْمِكَ .
فَجُذِبْتَ بِهِ وَبَادَرَتْ إِلَيْكَ النَّارُ نَائِرَةً غَضْبَانَةً لِعَظْبٍ مَوْلَاهَا وَقَدْ غَلَبَ
عَلَى قَلْبِكَ النَّدَمُ وَالتَّأْسُفُ عَلَى أَوْقَاتِ ضَيِّعَتِهَا فِيمَا يُسَخِّطُ اللَّهُ .

وَتَصَوَّرَ سَمَاعَكَ لِنِدَاءِ النَّارِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هَلْ امْتَلَأْتَ ﴾ وَسَمِعْتَ
إِجَابَتَهَا لَهُ ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَهِيَ تَلْتَبُ فِي بَدَنِكَ لَهَا قَصِيفٌ فِي جَسَدِكَ ثُمَّ لَمْ
تَلْبَثْ أَنْ تَفْطِرَ جِسْمَكَ وَتَسَاقُطَ لَحْمُكَ وَبَقِيَتْ عِظَامُكَ .

مُخْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَاءً أَوْ نَحْوَهُ فَأَجَابُوكَ بِالرَّدِّ وَالْحَيَّةِ فَتَقَطَعَ قَلْبُكَ حَسْرَةً
وَأَسْفًا .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فَيَا
خَيِّبَةً مَن هَذَا حَالُهُ وَهَذَا مَالُهُ .

لَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبُكَ حُزْنًا إِذْ خَيَّبُوا أَمْلَكَ فِيهِمْ وَبِمَا رَأَيْتَ مِنْ غَضَبِهِمْ عَلَيْكَ
لِعَظَمَةِ رَبِّكَ عِزٌّ وَجَلٌ فَفَزَعْتَ إِلَى اللَّهِ بِالنَّدَاءِ بِطَلَبِ الْخُرُوجِ مِنْهَا فَبَعْدَ مُدَّةٍ اللَّهُ
أَعْلَمَ بِهَا جَاءَ الْجَوَابُ ﴿ إِنْخَسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلُمُونَ ﴾ .

فلما سَمِعْتَ النِّدَاءَ بِالتَّخْشِيعَةِ لَكَ وَلِأَمْثَالِكَ بَقِيَ نَفْسُكَ مِنْ شِدَّةِ الضَّيْقِ
وَالْأَمِّ وَالْحَسْرَةِ مُتَرَدِّدًا فِي جَوْفِكَ لَا مَخْرَجَ لَهُ فَضَاقَتْ نَفْسُكَ ضَيْقًا شَدِيدًا لَا
يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَبَقِيَتْ قَلْبًا تَزْفَرُ وَلَا تُطِيقُ الْكَلَامَ ثُمَّ أَتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ حَيْثُ
أُطِيقَ أَبْوَابُ النَّارِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَعْدَائِهِ فِيهَا فَانْقَطَعَ الْأَمَلُ كُلِّيًّا .

فَيَا إِيَّاسَكَ وَيَا إِيَّاسَ سُكَّانِ جَهَنَّمَ حِينَ سَمِعُوا وَقَعَ أَبْوَابُهَا تَطْبِقُ عَلَيْهِمْ
قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ .

فَعَلِمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ لَا فَرْجَ أَبَدًا وَلَا مَخْرَجَ وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَعَذَابٌ لَا زَوَالَ لَهُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ وَدَوَامٌ حَرَقَ قُلُوبَهُمْ .
أَحْزَانٌ لَا تَنْقُضِي وَهُمُومٌ وَغَمُومٌ لَا تَنْفُذُ وَسُقْمٌ لَا يَبْرَأُ وَقَيْوْدٌ لَا تُحْلُ
وَأَغْلَالٌ لَا تُفَكُّ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

ثُمَّ أَطْلَعَتِ النَّارُ عَلَى مَا فِي جَوْفِكَ فَأَكَلَتْ مَا فِيهِ وَأَنْتَ تُنَادِي وَتَسْتَغِيثُ
فَلَا تُرْحَمُ حَتَّى إِذَا طَالَ فِيهَا مُكْنُكَ وَاشْتَدَّ بِكَ الْعَطَشُ .

فَذَكَرْتَ الشَّرَابَ فِي الدُّنْيَا فَرِزَعْتَ إِلَى الْحَمِيمِ فَتَنَاولْتَ الْآنَاءَ مِنْ يَدِ
الْخَازِنِ الْمُوَكَّلِ بِعَذَابِكَ فَلَمَّا تَنَاوَلْتَهُ تَمَزَّعَتْ كُفُوكَ مِنْ تَحْتِهِ وَاخْتَرَقَتْ مِنْ حَرَارَتِهِ
ثُمَّ قَرَبَتْهُ إِلَى فَمِكَ وَالْأَلَمُ بِالْعَمَلِ مِنْكَ كُلِّ مَبْلَغٍ فَشَوَى وَجْهَكَ وَتَسَاقَطَ لَحْمُهُ .
ثُمَّ تَجَرَّعَتْهُ فَسَلَخَ خَلْقَكَ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى جَوْفِكَ فَقَطَعَ أَمْعَاءَكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿
وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا
هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرِاثَةُ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ .

ثُمَّ ذَكَرْتَ شَرَابَ الدُّنْيَا وَبَرْدَهُ وَلَذَّتْهُ فَبَادَرَتْ إِلَى الْحَمِيمِ لِتُبَرِّدَ بِهِ كَبَدَكَ
كَمَا تَعَوَّدْتَ فِي الدُّنْيَا فَسُقِيَتْ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَكَ وَالْحَمِيمُ شَرَابٌ كَالنَّحَاسِ الْمَذَابِ
يُقَطَّعُ الْأَحْشَاءَ وَالْأَمْعَاءَ ثُمَّ بَادَرَتْ إِلَى النَّارِ رَجَاءً أَنْ تُكُونَ أَهْوَنَ مِنْهُ ثُمَّ اشْتَدَّ
عَلَيْكَ حَرِّئُ النَّارِ فَارْجَعْتَ إِلَى الْحَمِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ آتٍ ﴾ وَقَالَ فِي آيَةِ الْأُخْرَى ﴿ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ
يُسْخَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

فَقَدَّرَ نَفْسَكَ مَعَ الضَّائِعِينَ وَالْخَاسِرِينَ لَعَلَّكَ أَنْ تُلْحَقَ بِالْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّرِينَ
وَتَصَوَّرَ حَالَتَكَ لَمَّا اشْتَدَّ بِكَ الْكَرْبُ وَالْعَطَشُ وَبَلَغَ مِنْكَ كُلِّ مَبْلَغٍ وَذَكَرْتَ
الْجَنَانَ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ .
وَهَاجَتْ الْأَحْزَانُ وَهَاجَتْ غُصَّةٌ فِي فُؤَادِكَ إِلَى خَلْقِكَ أَسْفَاءَ عَلَى مَا فَاتَ
مِنْ رِضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُزْنًا عَلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ .

ثُمَّ ذَكَرْتَ شَرَابَهَا وَبَرْدَ مَائِهَا وَذَكَرْتَ أَنَّ فِيهَا بَعْضَ الْقَرَابَةِ مِنْ أَبِي أَوْ أُمِّ
أَوْ ابْنِ أَوْ أَخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَرَابَةِ أَوْ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا فَنَادَيْتَهُمْ بِقَلْبٍ مَحْزُونٍ

لَا يُرْحَمُ بُكَاءُهُمْ وَلَا يَجَاب دَعَاؤُهُمْ وَلَا يَغاثُونَ عِنْدَ تَضَرُّعِهِمْ وَلَا تَقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ غَضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ أَبَدًا فَمَثَلُ نَفْسِكَ بِهَذَا الْوَصْفِ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْكَ رَبُّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَيْقِضَ فَتَسْتَذِرَكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ الْمُعَذِّبِينَ وَقَدْ أَكَلَتِ النَّارُ لُحُومَهُمْ وَمَحَتْ مَحَاسِينَ وَجُوهِهِمْ
وَانْدَرَسَ تَخْطِيطُهُمْ فَبَقِيَتِ الْعِظَامُ مُحْتَرَقَةً مُسْوَدَّةً وَقَدْ قَلَقُوا مِنْ شِدَّةِ تَكَرُّرِ
الْعَذَابِ الْأَلِيمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ .

وَهُمْ يَنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَيَصْرَخُونَ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ .

فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَذَابَ قَلْبِكَ فَرَعًا وَرُغْبًا مِنْ سُوءِ خَلْقِهِمْ وَلِخَرَجَتْ رُوحُكَ مِنْ نَتْنِ رَائِحَتِهِمْ فَكَيْفَ لَوْ نَظَرْتَ نَفْسَكَ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَقَدْ زَالَ مِنْ قَلْبِكَ الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَلَزِمَكَ الْقُنُوطُ وَالْإِيَّاسُ فَمَثَلُ نَفْسِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَأَثَّرَ فَتَسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ .
وَنَظَرْتَ إِلَى النَّارِ وَهِيَ تَشْتَعِلُ فِي أَجْزَاءِ بَدَنِكَ فَتَدْخُلُ أَذُنَيْكَ وَعَيْنَيْكَ
وَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِبْعَادِهَا عَنْكَ لِمَلَازِمَتِهَا لَكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ فَهَنَّاكَ يَغْلُبُ عَلَى قَلْبِكَ التَّأْسُفُ وَالْحَسْرَةُ
وَالنَّدَامَةُ قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ الْآيَةُ .

فَتَصَوَّرْ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَالْعِظَائِمَ بِعَقْلِ فَارِغٍ وَعَزِيمَةً صَادِقَةً وَرَاجِعَ نَفْسِكَ
مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَثُبْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَنْ مَا يَكْرَهُهُ مَوْلَاكَ وَتَضَرَّعْ
إِلَيْهِ وَابْكُ مِنْ خَشْيَتِهِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكَ وَيُقِيلَ عَثْرَتَكَ فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ وَالبَدَنُ
ضَعِيفٌ وَالْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ ، انْتَهَى بِتَصْرِفٍ مِنْ كَلَامِ الْحَاسِبِيِّ رَحِمَهُ
اللَّهُ .

مَثَلٌ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ عَرِيَانَا
النَّارُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ
إِقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ
لَمَّا قَرَأْتَ كِتَابًا لَا يُغَادِرُ لِي
قَالَ الْجَلِيلُ خُنُوهُ يَامَلَايَكْتِي
يَارَبِّ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا
مُسْتَعْظِفًا قَلَقَ الْأَخْشَاءَ خَيْرَانَا
عَلَى الْعَصَاةِ وَتَلَقَّى الرَّبُّ غَضَبَانَا
وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
حَرْفًا وَمَا كَانَ فِي سِرِّ وَإِعْلَانَا
مُرُّوا بِعَبْدِي إِلَى النِّيَرَانِ عَطْشَانَا
تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

اللهم ارزقنا أنفساً تقنع بِعَطَائِكَ ، وترضى بقضائك ، وتصبر على
بلائك ، وتؤقن بِلِقَائِكَ وتشكر لنعمائك وتحب أوليائك وتبغض أعداءك وأغفر
لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين .

٢ [موعظة]

لِلَّهِ دَرُ أَقْوَامٍ تَرَكُوا الدُّنْيَا فَأَصَابُوا ، وَسَمِعُوا مُنَادِيَّ اللَّهِ
فَأَجَابُوا ، وَحَضَرُوا مَشَاهِدَ التَّقَى فَمَا غَابُوا ، وَاعْتَذَرُوا مَعَ التَّحْقِيقِ
ثُمَّ تَابُوا وَأَنَابُوا ، وَقَصَدُوا بَابَ مَوْلَاهُمْ فَمَا رَدُّوا وَلَا خَابُوا .
قَالَ عَمْرُو بْنُ ذَرٍّ لَمَّا رَأَى الْعَابِدُونَ اللَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ ،
وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الْغَفْلَةِ قَدْ سَكَنُوا إِلَى فُرْشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلَاذِهِمْ .
قَامُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرْحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ
اللَّهُ لَهُمْ مِنَ السَّهْرِ وَطُولِ التَّهَجُّدِ .

فَاسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ بِأَبْدَانِهِمْ ، وَبَاشَرُوا ظُلْمَتَهُ بِصِفَاحِ
وُجُوهِهِمْ ، فَانْقَضَى عَنْهُمْ اللَّيْلُ ، وَمَا انْقَضَتْ لَدُنْهُمْ مِنَ
التَّلَاوَةِ ، وَلَا مَلَتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ طُولِ الْعِبَادَةِ ، فَاصْبَحَ الْفَرِيقَانِ وَقَدْ
وَلَّى اللَّيْلُ بَرِيحٍ وَغَبَنَ .

فَاعْمَلُوا فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فَإِنَّ الْمَغْبُونِ مَنْ غَبِنَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ، كَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بَقِيَامِهِ فِي
ظُلْمَةِ حُفْرَتِهِ .

[ف ص ل]

وَيَقَابِلُ دَارَ الْأَشْقِيَاءِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ قَرِيباً دَارُ أُخْرَى دَارُ قَرَارٍ وَنَعِيمٍ
وَسُرُورٍ وَخُبُورٍ وَأَمْنٍ وَصِحَّةٍ وَحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ
مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

دَارُ جَعَلَهَا الْكَرِيمُ جَلٍ وَعِلَا دَارَ ضِيَاةٍ ، يُكْرَمُ فِيهَا عِبَادُهُ
الْأَخْيَارُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمْ لِحُدُومَتِهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ .
وَلَا تَظُنْ هَذِهِ الضِّيَاةُ مَحْدُودَةٌ ، وَلَا أَنَّ الْكِرَامَةَ فِيهَا تَنْتَهِي
بَلْ كُلُّ مَا تَحِبُّهُ وَتَتَمَنَّاهُ أَمَامَكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ
فَتَوْهَمُ إِنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ (أَيَ تَصُورُ مَمْرَكَ عَلَى
الصِّرَاطِ) .

وَنُورُكَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ ، وَكِتَابُكَ بِيَمِينِكَ
مُبَيَّضَ الْوَجْهِ .

قَالَ اللَّهُ جَلٍ وَعِلَا ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وَقَدْ
أَيَّقَنْتَ بَرَضَاهُ عَنْكَ وَأَنْتَ عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ زَمَرَةِ الْعَابِدِينَ وَوُفُودِ
الْمُتَّقِينَ .

والملائكة تُنادي : سَلِّمْ سَلِّمْ ، والوجلُّ مَعَ ذَلِكَ لَا يَفَارِقُ
قَلْبَكَ وَلَا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، تُنادي وَيَنَادُونَ : ﴿ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا
وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

فتدبر حينَ رَأَوْا الْمُنَافِقِينَ طَفِيءَ نُورِهِمْ ، وَهَاجَ الْوَجَلُ فِي
قُلُوبِهِمْ ، فَدَعَوْا بِتَمَامِ النُّورِ وَالْمَغْفِرَةِ .

فَتَوَهَّمُ أَيُّ تَصَوُّورٍ وَتَخَيَّلٍ وَتَمَثُّلٍ نَفْسِكَ ، وَأَنْتَ تَمُرُّ خَفِيفًا مَعَ
الْوَجَلِ وَتَصَوُّورٍ مَمْرِكَ عَلَى قَدَرِ خِفَةِ أَوْزَارِكَ وَثِقَلِهَا وَقَدْ انْتَهَيْتَ إِلَى
آخِرِهِ .

فَغَلَبَ عَلَى قَلْبِكَ النِّجَاةُ ، وَقَدْ عَايَنْتَ نَعِيمَ الْجَنَانِ وَأَنْتَ
عَلَى الصِّرَاطِ ، فَحَنَّنَ قَلْبُكَ عَلَى جَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاشْتَاقَ إِلَى
رِضَا اللَّهِ .

حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى آخِرِهِ خَطَوَاتٍ بِأَحَدِ رَجْلَيْكَ إِلَى الْعَرِصَةِ
(أَيْ عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ) الَّتِي بَيْنَ آخِرِ الْجَسْرِ وَبَيْنَ بَابِ الْجَنَّةِ ،
فَوَضَعْتَهَا عَلَى الْعَرِصَةِ الَّتِي بَعْدَ الصِّرَاطِ ، وَبَقِيَتِ الْقَدَمُ الْآخَرَى ،
عَلَى الصِّرَاطِ ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ قَدْ اعْتَلَيَا فِي قَلْبِكَ وَغَلَبَا عَلَيْكَ .
ثُمَّ ثَبَّتَتْ بِالْآخَرَى ، فَجُزَّتِ الصِّرَاطُ كُلُّهُ وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمَاكَ
عَلَى تِلْكَ الْعَرِصَةِ ، وَزَلَّتْ عَنِ الْجَسْرِ بِدَنِكَ ، وَخَلَفَتْهُ وَرَاءَ
ظَهْرِكَ .

وَجَهَنَّمُ تَضَطَّرَبُ مِنْ تَحْتِ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا ، وَتَثْبُ عَلَى مَنْ
زَلَّ عَنْهُ مُغْتَاظَةً تَزْفَرُ عَلَيْهِ وَتَشْهَقُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْجَسْرِ فَظَنَّتْ إِلَيْهِ بِاضْطِرَابِهِ ، وَنَظَرَتْ إِلَى
الْخَلَائِقِ مِنْ فَوْقِهِ ، وَإِلَى جَهَنَّمِ مِنْ تَحْتِهِ تَثْبُ وَتَزْفَرُ عَلَى الَّذِينَ زَلُّوا

عن الصراط .

لَهَا فِي رُؤُوسِهِمْ وَأُنْجِيَّتْهُمْ قَصِيفٌ ، فَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا إِذْ
نَجَوْتَ بِضَعْفِكَ مِنَ النَّارِ وَخَلَّفْتَ النَّارَ وَجَسَرَهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ .
مُتَوَجِّهًا إِلَى جِوَارِ رَبِّكَ .

ثُمَّ خَطَوْتَ أَمْنًا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ أَمْتَلًا قَلْبُكَ سُورًا وَفَرَحًا ،
فَلَا تَزَالُ فِي مَمَرِّكَ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ حَتَّى تُوَافِيَ أَبْوَابَهَا .

فَإِذَا وَافَيْتَ بَابَهَا اسْتَقْبَلَكَ بِحُسْنِهِ ، فَنَظَرْتَ إِلَى حُسْنِهِ وَنُورِهِ
وَحُسْنِ صُورَةِ الْجَنَّةِ وَجَدَّوَانَهَا .

وَقَلْبُكَ مُسْتَطِيرٌ فَرَحٌ مَسْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ حِينَ
وَافَيْتَ بَابَهَا أَنْتَ وَأَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ .

فَتَوَهَّجَ أَيُّ تَحْيَلٍ وَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْكِبِ ، وَهُمْ أَهْلُ
كِرَامَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ، مُبَيَّضَةً وَجُوهُهُمْ ، مُشْرِقَةً بِرِضَا اللَّهِ ،
مَسْرُورُونَ فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ ، وَقَدْ وَافَيْتَ بَابَ الْجَنَّةِ بِغُبَارِ قَبْرِكَ ،
وَحَرِّ الْمَقَامِ وَوَهَجِ مَا مَرَّ بِكَ .

فَنَظَرْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَإِلَى حُسْنِ مَائِهَا ،
فَانْغَمَسْتَ فِيهَا مَسْرُورًا ، لَمَّا وَجَدْتَ مِنْ بَرْدِ مَائِهَا وَطِيِّهِ ،
فَوَجَدْتَ لَهُ بَرْدًا وَطِييًّا ، فَذَهَبَ عَنْكَ بِحُزْنِ الْمَقَامِ .

وَطَهَّرَكَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَغُبَارٍ ، وَأَنْتَ مَسْرُورٌ لَمَّا وَجَدْتَ مِنْ
طِيبِ مَائِهَا لَمَّا بَاشَرْتَهُ ، وَقَدْ أَقْلَيْتَ مِنْ وَهَجِ الصِّرَاطِ وَحَرِّهِ ، لِأَنَّهُ
قَدْ يُوَافِي بَابَهَا مَنْ أَحْرَقَتِ النَّارُ بَعْضَ جَسَدِهِ بِلَفْحِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ
مِنْهُ .

فَمَا ظَنُّكَ وَقَدْ انْفَلَتَ مِنْ حَرِّ الْمَقَامِ وَوَهَجِ أَنْفَاسِ الْخَلَائِقِ ،
وَمِنْ شِدَّةِ تَوَهُّجِ حَرِّ الصِّرَاطِ فَوَافَيْتَ بَابَ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا

نظرت إلى العين قَذَفَتْ بِنَفْسِكَ فِيهَا .
فَتَوَهُّمُ (أَي تَصَوَّرُ وَتُخَيِّلُ) فَرَحَ فُؤَادِكَ لَمَّا بَاشَرَ بَرْدَ مَائِهَا
بَدَنِكَ بَعْدَ حَرِّ الصِّرَاطِ ، وَوَهَجِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْتَ فَرِحَ لِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ
إِنَّمَا تَغْتَسِلُ لِتَتَطَهَّرَ لِلدُّخُولِ الْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ فِيهَا .
فَأَنْتَ تَغْتَسِلُ مِنْهَا دَائِبًا ، وَلَوْ أَنَّكَ مُتَغَيِّرٌ حُسْنًا ، وَجَسَدُكَ
يَزْدَادُ نَضْرَةً وَبَهْجَةً وَنَعِيمًا ، ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهَا فِي أَحْسَنِ الصُّوَرِ وَأَتَمِّ
النُّورِ اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، اللَّهُمَّ الْهِمَّنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهَجْرَانَهُمْ وَالْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

فَتَوَهُّمُ (أَي تَصَوَّرُ وَتُخَيِّلُ) فَرَحَ قَلْبِكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْهَا
فَنَظَرْتَ إِلَى كِمَالِ جَمَالِكَ ، وَنَضَارَةِ وَجْهِكَ وَحُسْنِهِ ، وَأَنْتَ عَالِمٌ
مُوقِنٌ بِأَنَّكَ تَتَنَظَّفُ لِلدُّخُولِ إِلَى جِوَارِ رَبِّكَ .
ثُمَّ تَقْصُدُ إِلَى الْعَيْنِ الْأُخْرَى ، فَتَتَنَاوَلُ مِنْ بَعْضِ آنِيَتِهَا ،
فَتَوَهُّمُ نَظْرَكَ إِلَى حُسْنِ الْإِنَاءِ ، وَإِلَى حُسْنِ الشَّرَابِ ، وَأَنْتَ
مَسْرُورٌ بِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَشْرَبُ هَذَا الشَّرَابَ لِتَطَهَّرَ جَوْفَكَ مِنْ
كُلِّ غَلٍّ ، وَجَسَدُكَ نَاعِمٌ أَبَدًا .
حَتَّى إِذَا وَضَعْتَ الْإِنَاءَ عَلَى فَيْكِ ثُمَّ شَرَبْتَهُ ، وَجَدْتَ طَعَمَ
شَرَابٍ لَمْ تَذُقْ مِثْلَهُ ، وَلَمْ تَعُودْ شَرِبْهُ ، فَيَسْلُسُ مِنْ فَيْكِ إِلَى

جَوْفِكَ ، فَطَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا لَمَّا وَجَدْتَ مِنْ لَدَّتِهِ ، ثُمَّ نَقِيَ جَوْفَكَ
مِنْ كُلِّ آفَةٍ .

فَوَجَدْتَ لَذَّةَ طَهَارَةِ صَدْرِكَ مِنْ كُلِّ طَبْعٍ كَانَ فِيهِ يُنَازَعُهُ إِلَى
الْغُمُومِ وَالْهُمُومِ وَالْجِرْصِ وَالشَّدَةِ وَالْغَضَبِ وَالْغِلِّ ، فَيَا بَرْدَ
طَهَارَةِ صَدْرِكَ ، وَيَارَوْحَ ذَلِكَ عَلَى فُؤَادِكَ .

حَتَّى إِذَا اسْتَكْمَلْتَ طَهَارَةَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، وَاسْتَكْمَلَ
أَحِبَاءُ اللَّهِ ذَلِكَ مَعَكَ ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ يَرَاكَ وَيَرَاهُمْ .

أَمَرَ مَوْلَاكَ الْجَوَادُ الْمُتَحَنِّنُ خَزَانَ الْجَنَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، الَّذِينَ
لَمْ يَزَالُوا مُطِيعِينَ خَائِفِينَ مِنْهُ مُشْفِقِينَ وَجِلِينَ مِنْ عِقَابِهِ إِعْظَامًا لَهُ
وَإِجْلَالًا ، وَهَيْبَةً لَهُ ، وَحَذَرًا مِنْ نِقْمِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا بَابَ
جَنَّتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ .

فَانْحَدَرُوا مِنْ دَارِهَا ، وَبَادَرُوا مِنْ سَاحَاتِهَا ، وَأَتَوْا بَابَ الْجَنَّةِ
فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِيَفْتَحُوا أَبْوَابَهَا .

وَأَيَقَنْتَ بِذَلِكَ ، فَطَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا ، وَامْتَلَأَتْ فَرْحًا ،
وَسَمِعْتَ حُسْنَ صَوْنِهِمْ أَبْوَابَهَا ، فَعَلَكَ السُّرُورُ ، وَغَلَبَ عَلَى
فُؤَادِكَ ، فَيَا سُرُورَ قُلُوبِ الْمَفْتُوحِ لَهُمْ بَابَ جَنَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَلَمَّا فَتَحَ لَهُمْ بَابُهَا ، هَاجَ نَسِيمُ طَيْبِ الْجَنَانِ ، وَطَيْبُ جَرَى
مَائِهَا ، فَنفَحَ وَجْهَكَ ، وَجَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَثَارَتْ أَرَائِيحُ الْجَنَّةِ الْعَبْقَةِ
الطَّيْبَةِ .

وَهَاجَ رِيحُ مِسْكِيهَا الْأَذْفَرِ ، وَزَعْفَرَانِهَا الْمُتَوْنِعِ ، وَكَافُورِهَا
الْأَصْفَرِ ، وَعَنْبَرِهَا الْأَشْهَبِ ، وَأَرِيَا حُ طَيْبِ ثَمَارِهَا وَأَشْجَارِهَا ، وَمَا
فِيهَا مِنْ نَسِيمِهَا .

فَتَدَاخَلَتْ تِلْكَ الْأَرَايِيحُ فِي مَشَامِكُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى دِمَاعِكَ ، وَصَارَ طَيِّبُهَا فِي قَلْبِكَ ، وَفَاضَ مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِكَ .
وَنَظَرْتَ بَعَيْنِكَ إِلَى حُسْنِ قُصُورِهَا ، وَتَأَسَّيْسِ بُنْيَانِهَا مِنْ طَرَائِقِ الْجَنَدَلِ الْأَخْضَرِ مِنَ الزُّمُرِدِ ، وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالذَّرِّ الْأَبْيَضِ ، قَدْ سَطَعَ مِنْهُ نُورُهُ وَبَهَاؤُهُ وَصَفَاؤُهُ .

فَقَدْ أَكْمَلَهُ اللَّهُ فِي الصَّفَاءِ وَالنُّورِ ، وَمَازَجَهُ نُورُ مَا فِي الْجَنَانِ ، وَنَظَرْتَ إِلَى حُجُبِ اللَّهِ ، وَفَرَحَ فَوَادِكُ لِمُعْرِفَتِكَ أَنْكَ إِذَا دَخَلَتْهَا فَإِنَّ لَكَ فِيهَا الزِّيَادَاتِ ، وَالنَّظْرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ ، فَاجْتَمَعَ طَيِّبُ أَرَايِيحِ الْجَنَّةِ وَحُسْنُ بَهْجَةِ مَنْظَرِهَا ، وَطَيِّبُ نَسِيمِهَا ، وَبَرْدُ جَوْهَا .
فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ إِنْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ ، فَلَوْ مَتَّ فَرَحاً لَكَانَ ذَلِكَ يَحَقُّ لَكَ ، حَتَّى إِذَا فَتَحُوا بَابَهَا ، أَقْبَلُوا عَلَيْكَ ضَاحِكِينَ فِي وَجْهِكَ وَوُجُوهُ أَوْلِيَائِ اللَّهِ مَعَكَ .

وَنَادَوْكُمْ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فَتَوَهَّمْ حَسَنَ نَغْمَاتِهِمْ ، وَطَيِّبْ كَلَامَهُمْ ، وَحَسَنَ تَسْلِيمِهِمْ ، فِي كِمَالِ صُورِهِمْ ، وَشِدَّةِ نُورِهِمْ .
ثُمَّ أَتَبِعُوا السَّلَامَ بِقَوْلِهِمْ : ﴿ طِبُّهُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ،
فَأَثْنُوا عَلَيْهِمْ بِالطَّيِّبِ وَالتَّهْذِيبِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ وَدَرَنِ وَغِلٍّ وَغِشٍّ ، وَكُلِّ آفَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، ثُمَّ أَدْنُوا لَهُمْ عَلَى اللَّهِ بِالْدُّخُولِ فِي جَوَارِهِ .

ثُمَّ أَخْبَرَوْهُمْ أَنَّهُمْ بَاقُونَ فِيهَا أَبَداً ، فَقَالُوا : ﴿ طِبُّهُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأُذُنُ وَأَوْلِيَائِ اللَّهِ مَعَكَ ، بَادَرْتُمُ الْبَابَ بِالْدُّخُولِ ، فَكَضَّتِ الْأَبْوَابُ مِنَ الزَّحَامِ .
فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ إِنْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ فِي تِلْكَ الزَّحْمَةِ مُبَادِراً مَعَ

مُبَادِرِينَ ، مَسْرُورًا مَعَ مَسْرُورِينَ ، بِأَبْدَانٍ قَدْ طَهَّرَتْ ، وَوُجُوهٍ قَدْ
أَشْرَقَتْ وَأَنَارَتْ فَهِيَ كَالْبَدْرِ ، قَدْ سَطَعَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَشَعَاعِ
الشمس .

فلما جاوزتَ بَابَهَا ، وَضَعْتَ قَدَمَيْكَ عَلَى تَرَبَّتِهَا ، وَهِيَ
مَسْكٌ أَذْفَرُ ، وَنَبَتْ الزَعْفَرَانُ الْمَوْنَعُ ، وَالْمَسْكُ مَصْبُوبٌ عَلَى
أَرْضٍ مِنْ فَضْةٍ ، وَالزَعْفَرَانُ نَابِتٌ حَوْلَهَا .

فذلك أَوَّلُ خَطْوَةٍ خَطَوْتَهَا فِي أَرْضِ الْبَقَاءِ بِالْأَمْنِ مِنْ
العذاب والموت ، فَأَنْتَ تَتَخَطَّى فِي تُرَابِ الْمَسْكِ ، وَرِيَاضِ
الزَعْفَرَانِ ، وَعَيْنَاكَ تَرْمُقَانِ حُسْنَ بَهْجَةِ الدَّرِّ ، مِنْ حُسْنِ
أَشْجَارِهَا ، وَزِينَةِ تَصْوِيرِهَا .

فبينما أَنْتَ تَتَخَطَّى فِي عَرَصَاتِ الْجَنَانِ ، فِي رِيَاضِ
الزَعْفَرَانِ ، وَكُثْبَانِ الْمَسْكِ ، إِذْ نُودِيَ فِي أَزْوَاجِكَ وَوَلَدَانِكَ
وَحُدَامِكَ وَغُلَمَانِكَ وَقَهَارِمَتِكَ ، أَنْ فَلَانًا قَدْ أَقْبَلَ ، فَأَجَابُوا ،
وَاسْتَبَشَرُوا لِقُدُومِكَ ، كَمَا يُبَشِّرُ أَهْلُ الْغَائِبِ فِي الدُّنْيَا بِقُدُومِهِ -

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّؤْمِ فَوْقَ مَا
نُحْذِرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ غُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَغَفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

فبينما أنت تنظرُ إلى قصورك ، إذ سمعتَ جلبَتَهُم
وتَبَشِيشَهُم ، فاستطرتَ لذلك فرحاً ، فبينما أنت فرحٌ مسررٌ
بغبطتهم لقُدومِكَ لما سمعتَ إجلالَهُم فرحاً بك .
إذ ابتدرت القَهَّارَةُ إليك وقامت الولدان صُفُوفاً لقُدومِكَ ،
فبينما أتت القَهَّارَةُ مُقْبِلَةً إليك ، إذ استخفَّ أزواجك لِلْعَجَلَةِ ،
فبعثت كل واحدةٍ منهن بعضَ خُدَمِها لينظرَ إليك مُقْبِلاً .
ويسرع بالرجوع إليها بقُدومِكَ ، لتطمئنَّ إليه فرحاً ،
وتسكنَ إلى ذلك سروراً ، فنظرَ إليك الخدمُ قبل أن تلقاك
قَهَّارُمتك .

ثم بادَرَ رسولُ كل واحدةٍ منهنَّ إليها فلما أخبرها بقُدومِكَ ،
قالت كل واحدةٍ لرسولها : أنتَ رأيتهُ ، من شدةِ فرحها بذلك ،
ثم أرسلت كل واحدةٍ منهنَّ رسولاً آخر .
فلما جاءت البَشَارَاتُ بقُدومِكَ إليهن ، لم يتماكنَ فرحاً ،
فأردنَ الخروجَ إليك مُبَادِرَاتٍ إلى لقائك لولا أن الله كتبَ القَصْرَ
لهنَّ في الخيامِ إلى قُدومِكَ ، كما قال مَلِيكَك : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتُ
فِي الْخِيَامِ ﴾ .

فوضعهن أيديهن على عَصَائِدِ أَبوابهن . وأذرعهن
برؤوسهن ، ينظرن متى تبدو لهن صَفْحَةٌ وَجْهَك ؛ فيسكنَ طول
حنينهن ، وشدة شوقهن إليك ، وينظرون إلى قرير أعينهن ،
ومعدين راحتهن ، وأنسهن إلى ولي ربهن وحبيب مولاهن .

فتوهم ما عَايَنْتَ ، حينَ فَتَحْتَ أَبْوَابَ قُصُورِكَ ، وَرُفِعَتْ
سُتُورُهُ ، مِنْ حُسْنِ بَهْجَةٍ مَقَاصِيرِهِ ، وَزِينَةِ أَشْجَارِهِ ، وَحُسْنِ
رِيَاضِهِ ، وَتَلَأُلُو صَحْنِهِ . وَنُورِ سَاحَاتِهِ .

فبينما أنتَ تَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ ، إِذْ بَادَرَتْ الْبُشْرَى مِنْ خُدَامِكَ
يُنَادُونَ أَرْوَاجَكَ هَذَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ قَصْرِهِ ، فَلَمَّا
سَمِعْنَ نِدَاءَ الْبُشْرَاءِ بِقُدُومِكَ وَدُخُولِكَ ، تَوَثَّنَ مِنَ الْفُرْشِ عَلَى
الْأَسْرَةِ فِي الْحِجَالِ .

وَعَيْنُكَ نَازِطَةٌ إِلَيْهِنَّ فِي جَوْفِ الْخِيَامِ وَالْقِبَابِ ، فَنَظَرْتَ إِلَى
وُثُوبِهِنَّ مُسْتَعْجَلَاتٍ ، قَدْ اسْتَخَفَّهِنَّ الْفَرْحُ ، وَالشُّوقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ .
فَتَخَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْدَانِ الرَّخِيمَةَ الرَّعْبُوبَةَ الْخَرِيدَةَ النَّاعِمَةَ ،
يَتَوَثَّنَ بِالتَّهَادِي وَالتَّبَخُّرِ .

فَتَصُورُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، حِينَ وَثَبَتْ فِي حُسْنِ حُلِيِّهَا
وَحِلْيَتِهَا بِصَبَاحَةٍ وَجْهَهَا ، وَتَثْنِي بَدَنَهَا بِنِعْمَتِهِ .
فتوهم انْحِدَارَهَا مُسْرِعَةً بِكَمَالِ بَدَنهَا ، نَازِلَةً عَنْ سَرِيرِهَا إِلَى
صَحْنِ قُبَّتِهَا ، وَقَرَارِ خِيَمَتِهَا ، فَوَثَّنَ حَتَّى أَتَيْنَ أَبْوَابَ خِيَامِهِنَّ
وَقِبَابِهِنَّ .

ثُمَّ أَخَذْنَ بِأَيْدِيهِنَّ عِصَائِدَ أَبْوَابِ خِيَامِهِنَّ لِلْقَصْرِ ، الَّذِي
ضَرَبَ عَلَيْهِنَّ إِلَى قُدُومِكَ ، فَقُمْنَ أَخَذَاتٍ بَعْضَائِدَ أَبْوَابِهِنَّ .
ثُمَّ خَرَجْنَ بِرُؤُوسِهِنَّ وَوُجُوهِهِنَّ ، يَنْحَدِرْنَ مِنْ أَبْوَابِ
قِبَابِهِنَّ . مُتَطَلِّعَاتٍ ، يَنْظُرْنَ إِلَيْكَ ، مُقْبِلَاتٍ قَدْ مِلْنَّ مِنْكَ
فَرَحًا وَسُرُورًا .

وَتَخَيَّلَ نَفْسَكَ بِسُرُورِ قَلْبِكَ وَفَرَحِهِ ، وَقَدْ رَمَقْتَهُنَّ عَلَى حُسْنِ

وَجُوهَهُنَّ ، وَغَنَجَ أَعْيُنَهُنَّ .
فَلَمَّا قَابَلَتْ وَجُوهَهُنَّ حَارَ طَرْفُكَ ، وَهَاجَ قَلْبُكَ بِالسُّرُورِ ،
فَبَقِيَتْ كَالْمَبْهُوتِ الذَّاهِلِ مِنْ عَظِيمِ مَا هَاجَ فِي قَلْبِكَ مِنْ سُرُورِ
مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ ، وَسَكَنتَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَرْفُلُ إِلَيْهِنَّ ، إِذْ دَنَوْتَ مِنْ أَبْوَابِ الْحَيَامِ ،
فَاسْرَعَنْ مُبَادِرَاتٍ قَدْ اسْتَخَفَّهِنَّ الْعِشْقُ ، مُسْرِعَاتٍ يَتَشَنَّنَ مِنْ
نَعِيمِ الْأَبْدَانِ ، وَيَتَهَادَيْنَ مِنْ كَمَالِ الْأَجْسَامِ .

ثُمَّ نَادَتْكَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ : يَا حَبِيبِي مَا أَبْطَأَكَ عَلَيْنَا ؟
فَأَجَبَتْهَا بِأَنْ قُلْتَ : يَا حَبِيبَةُ مَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوقِفُنِي عَلَى ذَنْبٍ
كَذَا وَكَذَا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا أَصِلَ إِلَيْكُنَّ .

فَمَشَيْنَ نَحْوَكَ فِي السُّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ . يُثْرِنَ الْمِسْكَ ، وَشَوْقًا
وَعِشْقًا لَكَ .

فَأُولَ مَنْ تَقَدَّمَتْ مِنْهُنَّ مَدَّتْ إِلَيْكَ بَنَانَهَا وَمَعْصَمَهَا وَخَاتَمَهَا
وَضَمَّتْكَ إِلَى نَحْرِهَا فَانْثَنَّتْ عَلَيْهَا بِكَفِّكَ وَسَاعَدَكَ حَتَّى وَضَعَتْهُ
عَلَى قَلَائِدِهَا مِنْ حَلَقِهَا ، ثُمَّ ضَمَمَتْهَا إِلَيْكَ وَضَمَّتْكَ إِلَيْهَا .

فَتَوَهَّمْنَ نَعِيمَ بَدَنِهَا لَمَّا ضَمَّتْكَ إِلَيْهَا كَأَنَّهَا يُدَاخِلُ بَدَنُكَ
بَدَنَهَا مِنْ لَيْنِهِ وَنَعِيمِهِ .

فَتَوَهَّمْنَ مَا بَاشَرَ صَدْرُكَ مِنْ حُسْنِ نُهُودِهَا ، وَلَذَّةِ مُعَانِقَتِهَا .

ثُمَّ شَمَمْتَ طِيبَ عَوَارِضِهَا ، فَذَهَبَ قَلْبُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا
حَتَّى غَرَقَ فِي السُّرُورِ ، وَامْتَلَأَ فَرَحًا ، لَمَّا وَصَلَ إِلَى رُوحِكَ مِنْ
طِيبِ مَسِيسِهَا ، وَلَذَّةِ رَوَائِحِ عَوَارِضِهَا .

فَلَمَّا اسْتَمَكَنْتَ خَفَةَ السُّرُورِ مِنْ قَلْبِكَ ، وَعَمَّتْ لَذَّةُ الْفَرَحِ

جَمِيعَ بَدَنِكَ ، وَمَوْعِدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُرُورِكَ ، فَنَادَيْتَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ
الَّذِي صَدَقَكَ الْوَعْدَ ، وَأَنْجَزَ لَكَ الْمَوْعِدَ . ثُمَّ ذَكَرْتَ طَلَبَكَ إِلَى
رَبِّكَ إِيَّاهُنَّ بِالذُّؤُوبِ وَالتَّشْمِيرِ .

فَأَيْنَ أَنْتَ فِي عَاقِبَةِ ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي اسْتَقْبَلَتْهُ وَأَنْتَ
تَلْتَمِهِنَّ وَتَشْمُ عَوَارِضَهُنَّ ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ .

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
وَمِنَ شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
وَالنَّارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُ ، وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فتوهم صعودَها على السريرِ بِعَظِيمِ بَدَنِها وَنَعِيمِها ، حَتَّى
اسْتَوَتْ عَلَيْهِ جَالِسَةً ، ثُمَّ ارْتَقَيْتَ عَلَى السَّرِيرِ ، فَاسْتَوَيْتَ عَلَيْهِ
مَعَهَا ، فَقَابَلْتَكِ وَأَنْتَ مُقَابِلُهَا ، فَيَا حُسْنَ مَنْظَرِكَ إِلَيْهَا جَالِسَةً فِي
حَالِهَا وَحُلِيِّهَا بِصَبَاحَةِ وَجْهِهَا وَنَعِيمِ جَسْمِهَا ! الْأَسَاوِرُ فِي
مَعَاصِمِهَا ، وَالْخَوَاتِمُ فِي أَكْفِهَا ، وَالْخَلَاحِيلُ فِي أَسْوَاقِهَا ، وَالْقَلَائِدُ
فِي عُنُقِهَا ، وَالْأَكَالِيلُ مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ عَلَى قَصَّتِهَا وَجَبِينِهَا ،
وَالتَّاجُ مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ عَلَى رَأْسِهَا ، وَالدُّوَابُّ مِنْ تَحْتِ التَّاجِ ، قَدْ
حُلَّ مِنْ مَنَاقِبِهَا ، وَبَلَغَ أَرْدَافُهَا ، تَرَى وَجْهَكَ فِي نَحْرِهَا ، وَهِيَ
تَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهَا فِي نَحْرِكَ .

وقد تدلت الأشجار بشأرها من جوانب حَجَلَتِكَ ، واطردت
الأنهارُ حَوْلَ قِصْرِكَ ، واستَعَلَى الجداولُ عَلَى خِيَمَتِكَ بِالْخَمْرِ
وَالْعَسَلِ وَاللَّبَنِ وَالسَّلْسَبِيلِ .

وقد كَمَلَ حُسْنُكَ وَحُسْنُهَا ، وَأَنْتَ لَا بَسُّ الْحَرِيرِ
وَالسُّنْدُسِ ، وَأَسَاوِرُ الذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ عَلَى كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْ
مَفَاصِلِكَ ، وَتَاجُ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مُتَّصِفٌ فَوْقَ رَأْسِكَ ، وَأَكَالِيلُ
الدَّرِّ مُفَصَّصَةٌ بِالنُّورِ عَلَى جَبِينِكَ .

وقد أَضَاءَتِ الْجَنَّةُ وَجَمِيعُ قُصُورِكَ مِنْ إِشْرَاقِ بَدَنِكَ وَنُورِ
وَجْهِكَ ، وَأَنْتَ تُعَايِنُ مِنْ صَفَاءِ قُصُورِكَ جَمِيعَ أَزْوَاجِكَ وَخُدَمِكَ
وَجَمِيعَ أبنية مَقَاصِيرِكَ .

وقد تَدَلَّتْ عَلَيْكَ ثِمَارُ أَشْجَارِكَ ، وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارُكَ مِنَ الْخَمْرِ
وَاللَّبَنِ مِنْ تَحْتِكَ ، وَالْمَاءُ وَالْعَسَلُ مِنْ فَوْقِكَ ، وَأَنْتَ جَالِسٌ مَعَ
زَوْجَتِكَ عَلَى أَرِيكَتِكَ ، وَقَدْ فُتِحَتْ مَصَارِيْعُ أَبْوَابِكَ ، وَأُرْخِيتِ
عَلَيْكَ حِجَالُ خِيَمَتِكَ ، وَحَفَّتِ الْخُدَامُ وَالْوُلْدَانُ بِقُبَّتِكَ ،
وَسَمِعْتَ زَجْلَهُمْ بِالتَّقْدِيسِ لِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنْتَ وَزَوْجُكَ بِأَكْمَلِ الْهَيْئَةِ وَأَتَمِّ النِّعْمَةِ ، وَقَدْ حَارَ فِيهَا
طَرْفُكَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا مُتَعَجِّباً مِنْ جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا ، طَرَبُ قَلْبِكَ
بِمَلَاحَتِهَا ، وَأَنْسُ قَلْبِكَ بِهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَهِيَ مُنَادِمَةٌ لَكَ عَلَى
أَرِيكَتِكَ ، تُنَازِعُكَ وَتُعَاطِيكَ الْخَمْرَ وَالسَّلْسَبِيلَ وَالتَّسْنِيمَ فِي
كَأْسَاتِ الدَّرِّ وَأَكَاوِيبِ قَوَارِيرِ الْفِضَّةِ .

فتوهم الكأسُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالدَّرِّ فِي بَنَانِهَا ، وَقَدْ قَرُبْتَ إِلَيْكَ
ضَاحِكَةً بِحُسْنِ ثَغْرِهَا ، فَسَطَعَ نُورُ بَنَانِهَا فِي الشَّرَابِ ، مَعَ نُورِ

وَجْهَهَا وَنَحْرَهَا ، وَنُورَ الْجَنَانِ ، وَنُورَ وَجْهِكَ وَأَنْتَ مُقَابِلَهَا ،
وَاجْتَمَعَ فِي الْكَأْسِ الَّذِي فِي بَنَانِهَا نُورُ الْكَأْسِ ، وَنُورُ الشَّرَابِ ،
وَنُورُ وَجْهِهَا ، وَنُورَ نَحْرَهَا ، وَنُورَ ثَغْرِهَا ، إِنْتَهَى بِتَصْرِفِ .
وقال ابن القيم :

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَاتِ ثُمَّ
حُورٍ حَسَانٍ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقًا
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهَدَ حُسْنَهَا
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُسِ جَمَاهَا
كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مُوَضَّعٌ ذَاكَ مِنْ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعِهِ
وَكِلَاهُمَا مِرَاةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
فَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
حُمُرُ الْخُدُودِ تُغَوِّرُهُنَّ لَأَلَى
وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَسْمُ ثَغْرَهَا
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرَقًا سَاطِعًا
فَيَقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ صَاحِبِكِ
لِلَّهِ لَا تُثَمُّ ذَلِكَ الثَّغْرَ الَّذِي
رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
لَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بَغُضْنَهَا

مَ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْلِ النَّشْوَانِ
قَدْ أَلْبَسْتَ فَالطَّرْفُ كَالْحَيَّرَانِ
سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيِّدَةِ بَعْدَ ثَمَانِ
وَاللَّيْلِ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
سُبْحَانَ مُتَقِنِ صُنْعَةِ الْإِنْسَانِ
مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيْنَانِ
سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ
فَيُضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجَذْرَانِ
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بَجْنَانِ
فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
فِي لُثْمِهِ إِذْرَاكَ كُلِّ أَمَانِ
بِغَضْنِهَا بِالمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
حَمْلُ الثِّمَارِ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ

غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ الْبُسْتَانِ
حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْقُضْبَانِ

فَالْوَرْدُ وَالتُّفَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
وَالْقَدْ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذَنُ فِي

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحُمْلُهُ
وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيَحْقُ ذَا
وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ قَدْ حُفَّ فِي
فَلْسَانُهُ وَفَوَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلَا
فَسَلَ الْمُتِمِّمُ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
وَسَلَ الْمُتِمِّمُ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّـ

وَسَلَ الْمُتِمِّمُ كَيْفَ عِيشَتُهُ إِذَا
يَتَسَاقَطَانِ لِئَالِكَا مَنُشُورَةٍ
وَسَلَ الْمُتِمِّمُ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ
وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
يَتَنَازَعَانِ الْكَاسَ هَذَا مَرَّةً
فِيضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعَ
غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ
أَتَرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا

وَتَمَآيَلَتْ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ
وَرْدٌ وَتَفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
كَ لِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
دَهْشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
وَالْعُرْسُ إِشْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ
مُلِئَتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
هَ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خَلَوَانِ
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ جُمَانِ
مُحْبُوبٍ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلَدَانِ
وَالْحُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكَيَّانِ
شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
وَهُمَا بِثُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ

وَيَزِيدُ كُلَّ مِنْهَا حُبًّا لِّصَا
وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
فَرَقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا
وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأَوَّلَى
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطْبَتِي عَجَزَ وَجْهَهُ
مَنْتَكَ نَفْسُكَ بِالْحَقِّ مَعَ الْقُعُوءِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
وقال ابن القيم رحمه الله :

فِيَا سَاهِيًّا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
أَفِقْ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
وَبِالسَّنَةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا
تَمَسَّكَ بِهَا مَسَّكَ الْبَخِيلُ بِهَالِهِ
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
وَهِيَءُ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
وَأَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةً
وَيَنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا
وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لَوْعَدِهِ

حِبِّهِ جَدِيدًا سَائِرَ الْأَزْمَانِ
مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
وَبِلَاحِقٍ وَكِلَاهُمَا صِنَوَانِ
يَذَرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
جَدِّ الرَّحِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
قَنَعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ
فَتَبَعُهُمْ فَرَضِيَتْ بِالْحَرَمَانِ
لِ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
دِ عَنْ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَتَدَمُّ
سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرٍّ نَارٍ تَضَرَّمُ
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ تَسْلَمُ
فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْخَمُ
مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرَضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ
أَجَابَ سَوَاهُمْ سَوْفَ يُجْزَى وَيَنْدَمُ
لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمُ
فَهَاوٍ وَخَدُوشُ وَنَاجٍ مُسَلَّمُ
فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَمَحْكُمُ

وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبِّكَ حَقَّهُ
وَيُنْشِرُ دِيْوَانَ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ أَلْـ
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
فَيَأْلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا
أَتَأْخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
تَقُولُ كِتَابِي فَاقْرَؤُهُ فَإِنَّهُ
وَأِنْ تَكُنْ الْآخِرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ
فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمُرِ فُسْحَةٌ
وَجِدْ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصَّبَا
وَسِرْ مُسْرِعاً فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعاً

فَيَأْبُوسَ عَبْدٌ لِلْحَلَائِقِ يَظْلِمُ
مَوَازِينَ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
كَذَاكَ عَلَى فِيهِ الْمُهِمِّنُ يَحْتَمُ
تَطَايُرُ كُتُبِ الْعَالَمِينَ وَتُقَسَّمُ
بِالْآخِرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسْلَمُ
فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهَ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ
يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعْلِمُ
أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَهُ فَهُوَ مَغْرَمٌ
وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قِيَمٌ
فَفِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَهِيَاهُ مَا مِنْهُ مَفْرٌ وَمَهْزَمٌ

اللهم ألهمنا القيام بحقك ، وبارك لنا في الحلال من رزقك ، ولا
تفضحنا بين خلقك ، يا خير من دعاه داعٍ وأفضل من رجاه راجٍ يا قاضي
الحاجات ويا مجيب الدعوات هب لنا ما سألناه وحقق رجاءنا فيما تمنيناه
وأملناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في ضمائر الصامتين ، أذننا
برّد عفوك ، وحلاوة مغفرتك ، يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْل)

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الْمَعَاصِي فَإِنَّهَا
سَيِّئَةُ الْعَوَاقِبِ ، وَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبَ الْخَلَوَاتِ ،

فَإِنَّ الْمَبَارَزَةَ لِلَّهِ تَعَالَى تُسْقِطُ الْعَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلَا يَنَالُ لَذَّةَ الْمَعَاصِي إِلَّا دَائِمُ الْغَفْلَةِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْيَقْظَانُ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَذُّ بِهَا ، لِأَنَّهُ عِنْدَ التَّذَاذِهِ يَقِفُ بَازَائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيَتْ مَعْرِفَتُهُ رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِي وَهُوَ اللَّهُ فَيَتَنَغَّصُ عَيْشُهُ فِي حَالِ التَّذَاذِهِ فَإِنْ غَلِبَهُ سُكْرُ الْهَوَى كَانَ الْقَلْبُ مُتَنَغِّصًا بِهِذِهِ الْمُرَاقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ فِي شَهْوَتِهِ فَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدَمٌ مُلَازِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَوَاصِلٌ وَأَسْفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ الْعَفْوَ وَقَفَ بِإِزَائِهِ حِذَارَ الْعِتَابِ فَأُفٍّ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَأَ أَخْبَارَهَا أَنْتَهَى .

٣ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ اعْتَادَ النَّاسُ أَنْ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا مِنْ نَفَائِسِ الدُّنْيَا لَا يَهْدَأُ وَلَا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ ، لَيْلَهُ ، وَنَهَارُهُ ، سَعَى النَّشِيطِ الْهَمَامِ ، وَكُلَّمَا سُدَّ فِي وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَعَ بَابًا آخَرَ ، وَإِنْ تَعَدَّدَ الْأَبْوَابُ ، كَمَا هُوَ دَأْبُ الْحَرِيصِ الْمِقْدَامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى قَدَرٍ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ السَّعْيُ ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مَصَاعِبٍ وَمَتَاعِبٍ وَالْآمِ وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ لَا يَمَلُّ وَلَا يَسْأَمُ ، وَإِنْ وَاصَلَ السَّعْيُ سِنِينَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُ لَا يَنْشَبِي عَنْ مَطْلُوبِهِ ، وَإِنْ مَسَّ شَرْفُهُ وَأَهْنَى ، وَإِنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ ، اسْتَعَانَ بِذَوِي الْوِجَاهَةِ الْمُحْتَزِّينَ ، وَلَا يَزَالُ هَذَا يُوَاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِلَ مُبْتَهَجًا إِلَى مَالِهِ مِنْ مَرَامٍ . أَنْتَ تَطْلُبُ الْجَنَّةَ يَا هَذَا وَلَا نَفِيسَ أَنْفَسٍ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَا تَقْنَى وَلَا تَبِيدُ ، وَلِأَنَّ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذَتْ عَيْنُكَ دُونَ أَيِّ تَقْيِيدٍ ، وَلِأَنَّكَ خَالِدٌ فِيهَا أَبَدًا دُونَ أَنْ يُكْدَّرَ ، بِأَيِّ مُكْدَرٍ ، ذَلِكَ الْغَيْشُ الرَّغِيدُ فَهَلْ شَمَرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا ، كَمَا تَسْعَى فَقَطْ لِذَلِكَ الْفَانِي مِنَ الْحُطَامِ ، الْمُشَاهَدُ أَنَّكَ لَا تَسْعَى لِتِلْكَ الْجَنَّةِ وَلَا

يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَهَا فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا بِأَيِّ
مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلْجَنَّةِ لَا يَكُونُ بِالْكَلامِ ، وَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ ،
وَلَكِنْ بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزْهَدْتَ أَنْتَ فِي شَيْءٍ كَمَا تَزْهَدْتَ فِي
تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْفَخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ
مَوْלِمَاتِ الدُّنْيَا يُبْعِدُ عَنْهُ وَيَفِرُّ ، كُلُّ الْفِرَارِ ، وَيَذْهَبُ هُدُوءُهُ وَطَمَائِنَتُهُ ،
وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَارًا لَا اخْتِيَارًا وَلَا يَطْمِئِنُّ بَعْضُ الْأَطْمِئِنَانِ إِلَّا إِذَا
اخْتَرَسَ مِنْهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلَّا
يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى مَا يُكْدِرُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ، وَصَفَوْهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أَعْظَمُ
مُخَوْفٍ فَهَلْ عَمِلْتَ الْاِخْتِيَاظَ لَهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفَاتِ هَذِهِ الدَّارِ .

الَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْكَ وَيَظْهَرُ أَنَّ إِيْمَانَكَ بِهَا ضَعِيفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أَيَّ
اِخْتِيَاظٍ لَهَا ، فَلَوْ كَانَ إِيْمَانُكَ قَوِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ لَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا وَلَا زَعْجَكَ وَأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأْ بِنَوْمٍ وَلَا
طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، وَأَمَامَكَ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ ، شِعْرًا :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ
وَلَمْ تَذِرْ فِي أَيِّ الْمَكَانَيْنِ تَنْزِلُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا
مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وصايا وفوائد ومواعظ وآداب

أَوْصَى بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ بِمَوْضِعٍ بَأْنِ حَصَلَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَاعْمَلْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ طَاعَةً كَاسْتِغْفَارٍ وَذِكْرِ اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكَمَا يَشْهَدُ عَلَيْكَ يَشْهَدُ لَكَ .

قَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ . وَكُلَّمَا تَذَكَّرْتَ ذَنْبًا صَدَرَ مِنْكَ قُتُبٌ عَقِبَ ذِكْرِكَ إِيَّاهُ تَوْبَةً نَصُوحًا وَأَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ .

إِخْرَضَ عَلَى أَنْ تَتَوَيَّ فِعْلَ الْخَيْرِ ، وَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِشَرٍّ فَاعْزِمْ عَلَى تَرْكِهِ لِلَّهِ .

فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا﴾ .

وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا . وَمَا أَوْصَى بِهِ بَعْضُهُمْ قَالَ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبِكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَفِي الْمَلَا .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ . وَقَالَ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولاً » .

أحرص على صيانة الوقت وثابر على إتيان جميع ما يقربك إلى الله من الأعمال وبالأخص الأكار من كلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله .
وأعلم أنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى كلمة وما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفهمه معناه ووفقه للعمل بمقتضاها وعليك بالقيام بما افترض الله عليك وملازمته على الوجه الأكمل الذي أمرك الله جل وعلا أن تقوم فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ . وفي حديث سفيان بن عبد الله قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « استقيموا ولن تحصوا وأعملوا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » . وفي رواية للإمام أحمد سددوا وقاربوا ولا يحافظ على الصلاة إلا مؤمن » . وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن أقوالك من جملة أعمالك قال الله جل وعلا ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

وقال تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ واحذر الإقامة بين أظهر الكفار فإن في ذلك تشجيعاً للكفار وإهانةً لدين الإسلام وإعلاءً لكلمة الكفر .

قال النبي ﷺ « أنا برىء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين لا تَراى نارَاهُمَا » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ « مَنْ جَامَعَ المشركَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ » رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بفهمهم وتدبر وتفكر ونظر فيما تتلوهُ إلى ما حمِدَ فيه مِنَ النُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَا مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ عِبَادِهِ فَاتَّصَفَ بِهَا .

وما ذَمَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الصِّفَاتِ فَاجْتَنِبْهَا فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَا أُنْزِلَهَا فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهَا لَكَ وَعَرَّفَكَ بِهَا إِلَّا لِتَعْمَلَ بِهَا .

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ وَحَضِرْهُ وَفَكِّرْ فِيْمَا تَتْلُو وما أَشْكَلَ عَلَيْكَ فَطَالِعْ مَعْنَاهُ فِي التَّفْسِيرِ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنٌ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاسْأَلْ أَهْلَ الذِّكْرِ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ تِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ فَأَفْضَلُ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَكُلُّ ذِكْرٍ وَرَدَّ فَضْلُهُ فِي خَبَرٍ أَوْ أَثَرٍ فَهُوَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ فَالتَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ بَعْدَ التِّلَاوَةِ وَبَعْدَهُنَّ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ ﷺ .

وعليك بِمُجَالَسَةِ مَنْ تَتَفَعَّلُ بِمُجَالَسَتِهِ فِي دِينِكَ مِنْ عِلْمٍ تَسْتَفِيدُهُ أَوْ عَمَلٍ يَكُونُ فِيهِ أَوْ خُلُقٍ حَسَنٍ يَكُونُ عَلَيْهِ تَكْسِبُهُ مِنْ صُحْبَتِهِ .

وَعَلَيْكَ بِالْبَذَاذَةِ فَإِنَّهَا مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ تَرْكُ الزُّيْنَةِ وَعَدَمُ التَّرَفِّهِ وَرِثَاةُ الْهَيْئَةِ وَالرِّضَا بِالذُّوْنِ مِنَ الثِّيَابِ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ » وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُتَبَدِّلَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا لَبَسَ » وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ « وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبٍ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ قَالَ

تَوَاضَعًا كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ » رواه أبو داود (وَمَنْ يَرْتَضِي أَدْنَى اللَّبَاسِ تَوَاضَعًا سَيُكْسَى الثِّيَابَ الْعَبْقَرِيَّاتِ فِي غَدٍ)

اللهم يا حيُّ يا قيُّومُ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنْأِ
مِنَ الْكَذِبِ وَأَعْيِنَّا مِنَ الْخِيَانَةِ إِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ دَاوُهُ الْمَعْصِيَةِ ، فَشِفَاؤُهُ الطَّاعَةِ ، وَمَنْ كَانَ
دَاوُهُ الْغَفْلَةِ ، فَشِفَاؤُهُ الْيَقَظَةِ ، وَمَنْ كَانَ دَاوُهُ كَثْرَةِ الْأَشْغَالِ ،
فَشِفَاؤُهُ فِي تَفْرِيجِ الْمَالِ .

فَمَنْ تَفَرَّغَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا قَلْبُهُ ، قَلَّ تَعَبُهُ ، وَتَوَفَّرَ مِنَ الْعِبَادَةِ
نَصِيْبِهِ ، وَاتَّصَلَ إِلَى اللَّهِ مَسِيرُهُ ، وَارْتَفَعَ فِي الْجَنَّةِ مَصِيرُهُ ، وَتَمَكَّنَ
مِنَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالْوَرَعِ وَالزَّهْدِ وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ وَسَاوِسِ
الشَّيْطَانِ ، وَغَوَائِلِ النَّفْسِ .

وَمَنْ كَثُرَ فِي الدُّنْيَا هَمُّهُ ، أَظْلَمَ طَرِيقُهُ ، وَنَصَبَ بَدَنُهُ ،
وَضَاعَ وَقْتُهُ ، وَتَشَتَّتَ شَمْلُهُ ، وَطَاشَ عَقْلُهُ ، وَانْعَقَدَ لِسَانُهُ عَنِ
الذِّكْرِ ، لِكَثْرَةِ هُمُومِهِ وَغَمُومِهِ ، وَصَارَ مُقَيَّدَ الْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ ،
مِنْ قَلْبِهِ فِي كُلِّ وَادٍ شُعْبَةً ، وَمِنْ عُمُرِهِ لِكُلِّ شُغْلٍ حِصَّةً .

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ فَضُولِ الْأَعْمَالِ وَالْهَمُومِ فَكُلِّ مَا شُغِلَ الْعَبْدُ
عَنِ الرَّبِّ فَهُوَ مُشْتَوٍ ، وَمَنْ فَاتَهُ رِضَى مَوْلَاهُ فَهُوَ مُحْرَمٌ ، كُلُّ
الْعَافِيَةِ فِي الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ ، وَكُلُّ الْبَلَاءِ فِي الْغَفْلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، وَكُلُّ
الشِّفَاءِ فِي الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ، وَانْظُرْ لَوْ أَنَّ طَبِيباً نَصْرَانِيّاً نَهَاكَ عَنْ
شَرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَجْلِ مَرَضٍ فِي جَسَدِكَ لِأَطْعَمْتَهُ فِي تَرْكِ مَا نَهَاكَ
عَنْهُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ يَصْدُقُ وَقَدْ يَكْذِبُ وَقَدْ يُضَيَّبُ وَقَدْ

يُخْطِئُ وَقَدْ يَنْصَحُ وَقَدْ يَغْشَى ، فَمَا بِالكَ لَا تَتْرَكَ مَا نَهَاكَ عَنْهُ أَنْصَحُ
النَّاصِحِينَ وَأَصْدَقَ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ لِأَجْلِ مَرَضِ الْقَلْبِ
الَّذِي إِذَا لَمْ تَشَفْ مِنْهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِكَ الْهَالِكِينَ .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَغْرُورُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالُ فَمَا وَصَلُوا هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جَدُّ وَتَشْمِيرُ
يَأْمُدُّعِي الْحُبِّ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ وَقَدْ أَقَامَ بَيْنَهُ لَكِنَّهَا زُورُ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ هَذَا وَأَنْتَ بَعِيدُ الدَّارِ مَهْجُورُ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا ذُبْتُ مِنْ كَمَدٍ مَا لِلْجِرَاحِ بِجِسْمِ الْمَيِّتِ تَأْثِيرُ

وقال ابن القيم رحمه الله إن الذي يُجَسِّمُ مَادَةَ رَجَاءِ
الْمَخْلُوقِينَ مِنْ قَلْبِكَ هُوَ الرِّضَى بِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَسْمِهِ لَكَ .
فَمَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَقَسْمِهِ لَمْ يَبْقَ لِرَجَاءِ الْخَلْقِ فِي قَلْبِهِ
مَوْضِعٌ .

والذي يُجَسِّمُ مَادَةَ الْخَوْفِ هُوَ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ فَإِنْ مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ
وَأَسْتَسَلَّمَ لَهُ وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ .
وَمَا أَخْطَاءَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبْهُ إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَهُ لَمْ يَبْقَ لِلْخَوْفِ الْمَخْلُوقِينَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ أَيْضًا .
فَإِنْ نَفْسَهُ الَّتِي يَخَافُ عَلَيْهَا قَدْ سَلَّمَهَا إِلَى وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا
وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهَا إِلَّا مَا كَتَبَ لَهَا .

وَأَنَّ مَا كَتَبَ لَهَا لَا بَدَّ أَنْ يُصِيبَهَا فَلَا مَعْنَى لِلْخَوْفِ مِنْ غَيْرِ

اللَّهُ .

والذي يُجَسِّمُ مَادَةَ الْمَبَالَاتِ بِالنَّاسِ شُهُودُ الْحَقِيقَةِ .
وهو رؤية الأشياء كلها من الله وبالله وفي قبضته وتحت قهره
وسُلْطَانِهِ .

لا يَتَحَرَّكُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيتُهُ فَمَا وَجَّهَ الْمَبَالَاتِ بِالْخَلْقِ .

اللَّهُمَّ انا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرة اللهم انا نسألك العفو عافية في ديننا ودُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَامْنِ عَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمَنْ قِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ سَلَمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

قال أحدُ العلماء : لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل ، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .
فإن العبد قد يُصَلِّي وهو يُعْصِي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يُعْصِي الله في صيامه .

وقيل لآخر : كيف أَصْبَحْتَ فبكى ، وقال أصبحتُ في غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنْ الْمَوْتِ مَعَ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِي ، وَأَجَلَ يَسْرِعُ كُلُّ يَوْمٍ فِي عَمْرِي ، وَمَوْتٌ لَسْتُ أَدْرِي عِلَامًا أَهْجُمُ ثُمَّ بَكَى .

وقال آخر : لا تَغْتَمُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ يَضُرُّكَ غَدًا (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُرُّكَ غَدًا ، وأنفعُ الخوف ما حَجَزَكَ عَنْ الْمَعَاصِي ، وَأَطَالَ الْحُزْنَ مِنْكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَالزَّمَكَ الْفِكْرَ فِي بَقِيَةِ عُمْرِكَ .

وقال آخر : عليك بِصُحْبَةِ مَنْ تُذَكِّرُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُؤْيَاهُ ، وَتَقَعُ هَيْبَتُهُ عَلَى بَاطِنِكَ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكَ مَنْطِقُهُ .

وَيُزْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا عَمَلَهُ ، وَلَا تَعْصِي اللَّهَ مَا دُمْتَ فِي قُرْبِهِ ،
يَعْظُكَ بِلِسَانٍ فَعَلِهِ وَلَا يَعْظُكَ بِلِسَانٍ قَوْلِهِ .

قال إسرافيل : حَضَرْتُ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيَّ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ وَقَدْ
دَخَلَ الشَّرْطِيُّ بِطَعَامٍ لَهُ ، فَقَامَ ذُو النُّونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أَيْ قَبَضَهَا
عَنِ الطَّعَامِ) .

فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَخَاكَ جَاءَ بِهِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ عَلَى يَدَيَّ ظَالِمٌ ،
قَالَ : وَسَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا الَّذِي أَتَعِبَ الْعِبَادَ وَأَضْعَفَهُمْ ؟
فَقَالَ : رَذِرُ الْمَقَامِ وَقِلَّةُ الزَّادِ ، وَخَوْفُ الْحِسَابِ ، وَلَمْ لَا
تَذُوبُ أَبْدَانِ الْعَمَالِ وَتَذَهْلُ عُقُولُهُمْ ، وَالْعَرْضُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
أَمَامَهُمْ ، وَقِرَاءَةُ كُتُبِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .

وَالْمَلَائِكَةُ وَقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ يَنْتَظِرُونَ أَمْرَهُ فِي الْأَخْيَارِ
وَالْأَشْرَارِ ، ثُمَّ مَثَلُوا هَذَا فِي نَفُوسِهِمْ وَجَعَلُوهُ نَصَبًا أَعْيُنُهُمْ .
وَقَالَ : سَقَمُ الْجَسَدِ فِي الْأَوْجَاعِ ، وَسَقَمُ الْقُلُوبِ فِي
الذُّنُوبِ ، فَكَمَا لَا يَجِدُ الْجَسَدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ عِنْدَ سَقَمِهِ ، كَذَلِكَ لَا
يَجِدُ الْقَلْبُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ الذُّنُوبِ .

وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ ، سُلِبَها مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ .
مَا خَلَعَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ خَلْعَةً أَحْسَنَ وَلَا أَشْرَفَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا
قَلَدِهِ قِلَادَةً أَجْمَلَ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا زِينَةَ بَزِينَةِ أَفْضَلَ مِنَ الْحِلْمِ وَكِمَالِ
ذَلِكَ التَّقْوَى .

وَقَالَ آخَرُ : أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللَّهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ
مِنْ طُولِ الْمَجْجَةِ ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَنْبِ فَإِذَا تَحَرَّكَ قَالَ لِنَفْسِهِ : لَيْسَ
لَكَ قَوْمِي خُذِي حَظَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ .

وقال أبو هاشم الزاهد : إن الله عز وجل وسَّم الدنيا
بالوحشة ، ليكن أنسُ المريدين به دونها ، وليقبل المطيعون له
بالاعراض عنها ، وأهل المعرفة بالله فيها مُستَو حشون ، وإلى
الآخرة مُشتاقون .

فتفكر يا أخي في ذلك عسى الله أن ينفعنا وإياك واستعن
بالله واصبر واجتهد وشمر وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَال
بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذرا من مُفاجأة الأجل فإنك غرض لآفات وهَدَفُ
مَنْصُوبٍ لِسهام المنايا وإنما رأسُ مالك الذي يمكنك إن وفَّقَكَ الله
أن تشتري به سعادة الأبد هذا العُمر .

إخواني المؤمنُ يَتَقَلَّبُ في الدنيا على جمراتِ الحذر في نيران
الخوف ، يَرْهَبُ العاقبة ، ويَحْذَرُ المُعاقبة ، فالخوفُ مِنَ النارِ
مُتَمَكِّنٌ مِنْ سُوءِذَاءِ قلبه .

فإن هَفَا بأن حَصَلَ مِنْهُ زَلَّةٌ توقَّدَتْ في قلبه نارُ النَّدمِ ، وإن
تَذَكَّرَ ذَنْباً اضْطَرَمَّتْ نارُ الحُزْنِ في بَاطِنِهِ ، وإن تفكر في مصيره
ومُنْقَلَبِهِ التَّهَبَّتْ نارُ الحذرِ في قلبه ، وصَارَ لَا يَهْنُؤُهُ طَعَامٌ وَلَا
شَرَابٌ .

خُذْ مَا صَفَا لَكَ فَالْحَيَاةُ غُرُورٌ	والموتُ آتٍ واللَّيْبُ خَبِيرٌ
لَا تَعْتَبَنَّ عَلَى الزَّمَانِ فَإِنَّهُ	فَلَكَ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ يَدُورٌ
تَغْفُو السُّطُورُ إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا	وَالْخَلْقُ فِي رِقِّ الْحَيَاةِ سُطُورٌ
كُلُّ يَفْرُ مِنَ الرَّدَى لِيَفُوتَهُ	وَلَهُ إِلَى مَا فَرِ مِنْهُ مَصِيرٌ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَالسَّلَامَةُ نَهْزَةٌ	وَزَمَانُهَا ضَا فِي الْجَنَاحِ يَطِيرُ

مِرَّةً عَيْشِكَ بِالشَّبَابِ صَقِيلَةً وَجَنَاحُ عُمْرِكَ بِالْمَشَيْبِ كَسِيرٌ
بَادِرٌ فَإِنَّ الْوَقْتَ سَيْفٌ قَاطِعٌ وَالْعُمْرُ جَيْشٌ وَالشَّبَابُ أَمِيرٌ
وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[فائدة عظيمة النفـع]

قال بعض العلماء : ذَكَرَ اللهُ تعالى في ابتداء الأقوال والأفعال أَنَسَةً مِنَ الْوَحْشَةِ وَهَدَايَةً مِنَ الضَّلَالِ .
وَحَمْدُهُ جَلَّ وَعَلَا فَرَضُ لَازِمٌ لِكُلِّ أَحَدٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِأَنَّهُ
أَهْلٌ أَنْ يُحَمَّدَ إِنْ ابْتُلِيَ ، وَإِنْ مَنَعَ ، وَإِنْ أَنَالَ .
فَفَضْلُهُ جَلَّ وَعَلَا عَمَّ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَالْكُهُولِ وَالْأَطْفَالِ .
وَلَطْفٌ فِي قَدَرِهِ وَقَضَائِهِ بِأَهْلِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ
سَافِلٌ وَلَا عَالٍ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تُمَدُّ الْأَيْدِي بِالرَّغْبَةِ وَالْمَسْأَلَةِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
يَعُولُ فِي كَشْفِ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا عَلَيْهِ .
يَا مَنْ كُلُّ الرِّغَائِبِ وَالْمَطَالِبِ لَدَيْهِ ، وَجَمِيعُ الْمَوَاهِبِ لَدَيْهِ .
لَيْسَ لِضُرْنَا سِوَاكَ كَاشِفٌ ، وَلَا عَلَى ضَعْفِنَا سِوَاكَ عَاطِفٌ .
الْمُعَافَى مَنْ عَافَيْتَهُ ، فَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ مُوجِبَاتِ سَخَطِكَ
وَعِقَابِكَ ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَهُ ، فَاهْدِنَا يَا رَبَّنَا سُبُلَ الْوَاصِلِينَ إِلَى
مَرْضَاتِكَ .

بِذِكْرِ اللهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ مِنْ مَوْتِ غَفْلَتِهَا فَاللهُ اللهُ بِالْمَدَاوِمَةِ
عَلَى ذِكْرِ اللهِ سِرّاً وَجَهَاراً لَيْلاً وَنَهَاراً قِيَاماً وَقُعُوداً مَاشِينَ
وَمُضْطَجِعِينَ .

ذَاكَرَ اللهُ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ فِي ظِلِّهِ مَقِيلًا ، ذَاكَرَ اللهُ لَا
يَجِدُ الشَّيْطَانُ إِلَى إِغْوَاثِهِ سَبِيلًا ، ذَاكَرَ اللهُ لَا يَزَالُ شَيْطَانُهُ مَذْخُوراً

ذليلاً ، ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه وكيف يضيع مَنْ كان الله به
 كفيلاً ، بذكر الله تطمئن القلوب وتُحْيَا ، قال الله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ
 اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وقال تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ ﴾ .
 ذَكُرْ إِلَهَ الزَّمْ هُدَيْتَ لِذِكْرِهِ فِيهِ الْقُلُوبُ تَطِيبُ وَالْأَفْسُوَاهُ
 آخِر : وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا تُحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ

اللَّهُمَّ إِنَّ نَوَاصِيَنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفِي
 عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مَلَجُؤُنَا وَمَلَاذُنَا ، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَشْنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ
 يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ
 فَهَدَيْتَهُ وَهَبَ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ ، وَاعْفُ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمِيثِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فوائد ومواعظ]

إعلم يا أخي أن الناس عند الموت ثلاثة أقسام : الأول :
 ذو بصيرة علم أن الانسان وإن طال عمره في الدنيا فهو كخطفة
 برق لمعت في السماء ثم عادت للاختفاء .

فلا يثقل على العاقل اللبيب الخروج من الدنيا إلا بقدر ما
 يفوته من خدمة ربه عز وجل ، والازدياد من ما يقربه إليه ،
 والاشفاق مما يقول أو يقال له .

كما قال بعضهم لما قيل له لِمَ تجزع قال : لأني أسلك طريقاً لم
 أعهدّه ، وأقدم على ربي جل وعلا ولا أدري ما أقول وما يقال لي .

ومثل هذا الشخص لا ينفّر من الموت بل إذا عجز عن
 العبادة ربّاً اشتاق إليه .

وقال بعضهم في مناجاته : إلهي إِنْ سَأَلْتُكَ الْحَيَاةَ فِي دَارِ
المَمَاتِ فَقَدْ رَغِبْتُ فِي الْبَعْدِ عَنْكَ ، وَزَهَدْتُ فِي الْقَرَبِ مِنْكَ .
فَقَدْ قَالَ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ ﷺ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ
لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

الثاني : رَجُلٌ رَدِيَءُ الْبَصِيرَةِ مُتَلَطِّخُ السَّرِيرَةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا
مُنْكَرٌ لِلْبَعْثِ ، قَدْ رَضِيَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ بِهَا وَيَسَّ مِنْ
الْآخِرَةِ .

فهذا مَصِيرُهُ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ
أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

القسم الثاني : مَنْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا وَاعْتَرَفُوا
بذُنُوبِهِمْ وَهَؤُلَاءِ أَيْضًا مُصِيرُهُمْ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
وَتَقَدَّسَ ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ
سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم اعلم أن طول العمر محبوب ومطلوب إذا كان في طاعة
الله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « خيركم من طال عمره وحسن
عمله » وكلما كان العمر أطول في طاعة الله ، كانت الحسنات أكثر
والدرجات أرفع .

وأما طوله في غير طاعة ، أو في المعاصي ، فهو شر وبلاء ،
تكثر السيئات ، وتضاعف الخطيئات .

ومن زعم أنه يحب طول البقاء في الدنيا لِيَسْتَكْثِرَ مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ حَرِيصًا عَلَيْهَا

وَمُسْمَرًا فِيهَا وَمَجَانِبًا لِمَا يَشْغَلُ عَنْهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَهُوَ بِالصَّادِقِينَ أَشْبَهَ .

وإن كان متكاسلاً عنها ومُسَوِّفًا فيها أي الأعمال الصالحة فهو من الكاذبين المتعلّلين بما لا يُغني عنه .

لأن من أحب أن يَبْقَى لأجل شيء وجَدته في غاية الحرص عليه مخافة أن يَفُوتَهُ ويُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ .

ولا سِيِّمًا والعمل الصالح محلّه الدنيا ولا يمكن في غيرها لأن الآخرة دارُ جزاء وليست بدار عمل .

فتفكر يا أخي في ذَلِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَاصْبِرْ واجتهد وشمّر وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا فلا تجد إليها سبيلا .

وكن حذر من مفاجأة الأجل فإنك غرض للآفات وهدفٌ مَنْصُوبٌ لِسَهَامِ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا رَأْسُ مَالِكَ الَّذِي يُمْكِنُكَ إِنْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ تَشْتَرِيَ بِهِ سَعَادَةَ الْأَبَدِ هَذَا الْعُمُرُ .

قال الله جل وعلا ﴿ أَوْ لِمَ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ ﴾ الآية فإياك أن تنفق أوقاته وأيامه وساعاته وأنفاسه فيما لا خير فيه ولا منفعة فيطول تحسُّرك ونَدَمُك وحُزْنُك بعد الموت .
إذا كان رأسُ المالِ عُمُرَكَ فاحترزْ

عليه من الإنفاق في غير واجب

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم قال محمد بن أسلم : مالي ولهذا الخلق كُنتُ في صلب أبي وخدي .

ثم صرت في بطن أمي وخدي .

ثم دَخَلْتُ الدُّنْيَا وخدي .

ثم تَقْبِضُ رُوحِي وحدي .
ثم أدخل في قبري وحدي .
ثم يأتيني منكراً ونكيراً فيسألاني وحدي ، فإن صرت إلى خير
صرت وحدي .

ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي .
وإن بُعِثْتُ إلى الجنة بُعِثْتُ وحدي .
وإن بُعِثْتُ إلى النار بُعِثْتُ وحدي ، فما لي وللناس .
ثم تفكر ساعةً فوقعت عليه الرعدة حتى خَشِيتُ أن يَسْقُطَ
قال وسمعتَه يحلف كذا وكذا مرة يقول : لو قَدِرْتُ أن
أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لَا يَرَانِي مَلَكَائِي لَفَعَلْتُ .
ولكني لا أَسْتَطِيعُ ذلك خوفاً مِنَ الرِّياءِ .

وكان يدخل بيته ويُغَلِّقُ بابه ويدخل معه كُوزاً مِنْ ماء فلم
أدري ما يصنع .
حتى سَمِعْتُ ابناً له صَغِيراً يَحْكِي بُكَاءَهُ فَهَتَّهْهُ أُمُّهُ فَقُلْتُ
لها : ما هذا البكاء ؟

فقلت : إن أبا الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ القرآن
ويبكي فيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ فيَحْكِيهِ (أي يقلده) .
وكان إذا أراد أن يَخْرُجَ غَسَلَ وجهه واكتحل لئلا يُرى عليه
أثر البكاء .

بلغ يا أخي الذين يذكرون أعمالهم للناس من حج وصدقة
وصيام رياءاً وسمعةً .

وكان يَصِلُ قوماً وَيُعْطِيهِمْ وَيَكْسُوهُمْ فَيَبِيعُ إِلَيْهِمْ ويقول
لِلرَّسُولِ : أَنْظِرْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ وَيَأْتِيهِمْ هُوَ بِاللَّيْلِ

فيذهب به إليهم ويخفي نفسه .
ولا يعلمون من الذي أعطاهم ولا أعلم أنه وصل أحداً
بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك .

ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام فقال : يا أبا عبد الله أبشر
بما صنع الله بأخيك من الخير قد نزل بي الموت وقد من الله علي أنه
ليس عندي درهم يُجاسِبني الله عليه .

وقد علم ضعفي فإني لا أطيق الحساب ، فلم يدع عندي
شيئاً يُجاسِبني الله عليه ثم أغلق الباب ولا تأذن لأحد علي
حتى أموت .

واعلم أي أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ،
وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي .

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً ، فقال : هذا لابني
أهداهُ إليه قريبٌ له ولا أعلم شيئاً أحل لي منه لأن النبي ﷺ قال
«أنت ومالك لأبيك» .

فكفّنوني منها وابسطوا على جنازتي لبدي وغطوا عليّ
بكسائي وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكيناً يتوضأ منه ثم مات باليوم
الرابع رحمه الله .

٤ موعظة

كان السلف رحمهم الله ومن سار على نهجهم من الخلف
أحرص الناس على حفظ الوقت ، وتعبيته بالأعمال الصالحة سواء
في ذلك العالم ، وطالب العلم ، والعباد .
وكانوا يقتدي بعضهم ببعض ويوصي أحدهم الآخر على

صَيَانَتِهِ وَمِلْكُهُ بِالْخَيْرِ وَكَانُوا يَسَابِقُونَ السَّاعَاتِ ، وَيَبَادِرُونَ
اللَّحْظَاتِ ، حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى الْوَقْتِ ، وَأَنْ لَا يَذْهَبَ هَذَا .
لَعَلِّمِهِمْ أَنَّهُ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وَيَجْرِي جَرَى الرِّيحِ .
قِيلَ إِنْ نُوْحًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
جَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ أَوْ أَقَلٍّ أَوْ أَكْثَرَ اللَّهُ
أَعْلَمُ .

فَسَأَلَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ قَالَ لَهُ يَا أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمرًا كَيْفَ
وَجَدْتَ الدُّنْيَا فَقَالَ كَدَارٍ لَهَا بَابَانِ دَخَلْتُ مَعَ أَحَدِهِمَا وَخَرَجْتُ مِنَ
الْآخَرِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يَوْعَدُونَ لَمْ
يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَةً أَوْ
ضَحَاها » .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ « وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ » .

وَمِنْ خِصَائِصِ الْوَقْتِ أَنْ كُلَّ سَاعَةٍ أَوْ يَوْمٍ أَوْ لَحْظَةٍ تَمُرُّ لَيْسَ
يُمْكِنُ اسْتِرْجَاعُهَا .

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَا مِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلَّا وَيُنَادِي
يَا أَبْنَى آدَمَ أَنَا خَلَقْتُ جَدِيدًا وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ فَتَزَوَّدْ مِنِّي فَإِنِّي إِذَا
مَضَيْتُ لَا أَعُودُ .

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا رَاكِبٌ ظَهَرَ عُمرُهُ عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيهِ بِالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ
يَبِيتُ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا قَرِيبًا إِلَى الْقَبْرِ

فالذي ينبغي للانسان أن يحافظ على وقته أعظم من مُحَافَظَتِهِ
على ماله ، وأن يَحْرَصَ على الاستفادة منه في كل لحظة فيما ينفعه في
دِينِهِ وفي دُنْيَاهُ ، مِمَّا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى الدار الآخرة .

قال عمر بن عبد العزيز إن الليل والنهار يعملان فيك
فاعمل فيهما .

وقال حكيم مَنْ أَمْضَى يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ ،
أَوْ فَرَضِ أَدَائِهِ ، أَوْ مَجْدِ أَثْلِهِ ، أَوْ حَمْدِ حَصْلِهِ ، أَوْ خَيْرِ أَسْسِهِ ، أَوْ
عِلْمِ اقْتِبَاسِهِ ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ .

والذي يُعِينُ عَلَى اغْتِنَامِ الزَّمانِ ، الْعِزَّةُ مِمَّا أَمَكْنَ ، إِلَّا
لِضُرُورَةٍ ، أَوْ حَاجَةٍ لِمَنْ يَلْقَاهُ ، أَوْ يَزُورُهُ ، وَقِلَّةُ الْأَكْلِ .

لِأَنَّ كَثْرَتَهُ تُكْسِلُ الْبَدَنَ ، وَسَبَبُ لِلنَّوْمِ الطَّوِيلِ ، وَضِيَاعِ
الليل ، وفوات ^{الزهد} التَّجَهُّدِ ، أَوْ تَقْلِيلِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

[ف ص ل]

ولقد كَانَتْ هُمُ السَّلفِ عَالِيَةً يَدُلُّ عَلَيْهَا كَثْرَةُ مُصَنَّفَاتِهِمْ
التي هي خلاصة أَعْمَارِهِمْ .

وقد أَمَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاسْتِيقَافِ الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْهَا
قَبْلَ أَنْ تَشْغَلَ عَنْهَا الشَّوَاغِلُ أَوْ تَعْوَقَ الْعَوَاقِقُ .

قال الله جل وعلا « فاستبقوا الخيرات » .

وقال عز من قائل « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وقال جل وعلا « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله » .

ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين » .

وقد حث النبي ﷺ على المبادرة بالعمل قبل حلول العوائق والفتن .

فقال « هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا غَنًى مُطْعِياً أَوْ فَقْرَ مُنْسِيٍّ أَوْ مَرَضًا مَفْسِداً أَوْ هَرَمًا مَفْئِداً أَوْ مَوْتًا مُجْهَزا أَوْ الدَّجَالَ فُشْرَ غَائِبٍ يَنْتَظِرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ » رواه الترمذي .

وقال بن القيم رحمه الله وعمارة الوقت الاشتغال في جميع آثائه بما يُقَرَّبُ إلى الله تعالى أو يُعَيَّنُ على ذلك من مأكَلٍ ومَشْرَبٍ أو منكِحٍ أو منامٍ أو راحة .

فإن متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنَّب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت .

وإن كان له فيها أتمُّ لَذَّةٍ فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات المباحة .

قال بعض العلماء أُغْلِقْ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ شَيْءٍ .

انشغلهم بالنعمة عن شكرها .

ورغبتهم في العلم وتركهم العمل .

واقبال الآخرة وهم معرضون عنها .

والاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم .
وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها .

والمسارعة إلى المعاصي والذنوب وتأخير التوبة .

وَكَمْ ذِي مَعَاصٍ نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً وَمَاتَ وَخَلَّاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمَ لَذَاتُ الْمَعَاصِي وَتَنَقَّضِي وَتَبَقِيَ تَبَاعَاتُ الْمَعَاصِي كَمَا هِيَا
فَيَاسُوءَتَا وَاللَّهُ رَآءِ وَسَامِعٌ لِعَبْدٍ بَعَيْنِ اللَّهِ يَغْشَى الْمَعَاصِيَا
آخر :

تَوَارَى بِجُذْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى وَأَنْتَ بَعَيْنُ اللَّهِ لَا شَكَّ تُنْظَرُ
وقال آخر : إِنْ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كَتَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ
مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَّعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا
فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ .

قَدْ أَنْضَجُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَافْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي
مَحَارِبِهِمْ يُنَاجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ فِي فَكَائِكَ رِقَابِهِمْ .
وَمَرَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بِرَجُلٍ يَتَحَدَّثُ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ فَوْقَ عَلَيْهِ
فَقَالَ كَلَامُكَ هَذَا تَرْجُو بِهِ الثَّوَابَ .

قال لا فقال أفتأمنُ عليه العقاب قال لا .

قال فما تصنعُ بكلام لا ترجو عليه ثواباً وتحاف منه عقاباً .
قال بعضهم لو بقت لحظةً من إقبالِكَ على الله بمقدار عمر
نوح في ملك قارون لَكُنْتُ مَغْبُونًا فِي الْعَقْدِ .

قال سفيان الثوري دخلتُ على جعفر الصادق فَقُلْتُ لَهُ
مَا لِي أَرَاكَ سَكَنْتَ دَارَكَ وَلَا تُحَالِطُ النَّاسَ .

فقال نعم يا ابنَ سَعِيدٍ فِي الْعُزْلَةِ دَعَا وَفِي الدَّعَةِ الْقِنَاعَةَ

وما قَدَّرَ لَكَ يَأْتِيكَ .

يا سُفِيَانُ فَسَدَ أَهْلُ الزَّمَانِ وَتَغَيَّرَ الْأَصْدِقَاءُ فَرَأَيْتُ الْإِنْفِرَادَ
أَسْكَنَ لِلْفَوَادِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ دَيَّدَنُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلُونَ الْمُتَّقُونَ الْوَرَعُونَ الْمُبْعِدُونَ عَنْ
التَّكَالُبِ عَلَى الدُّنْيَا الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِهَا الْفَانِي وَكَذَلِكَ أُرْيَابُ الْقُلُوبِ
الْوَاعِيَةِ وَأَنْ لَمْ يَكُونُوا عُلَمَاءَ يُقْصِرُونَ أَمَلَهُمْ وَيَحْتَقِرُونَ الدُّنْيَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا زَائِلَةٌ
عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الزَّمَانِ عِبِيدُ الدُّنْيَا لِلْبُطُونِ وَالْفُرُوجِ .

قَالَ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ
فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ
إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ
صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

قَالُوا فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ لَا تَرَكَّنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا
وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا إِلَّا بِمَا يَشْتَغِلُ بِهِ الْغَرِيبُ
فَقَطُّ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَحْوَالِ الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ حَالٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
شَيْئًا وَهِيَ قَبْلُ أَنْ يُوجَدَ .

وَحَالٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ
السَّرْمَدِيِّ فَإِنَّ لِنَفْسِكَ وُجُودَ بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا
فِي النَّارِ وَهُوَ الْخُلُودُ الدَّائِمُ وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ وَهِيَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ
فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرْ إِلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَالَتَيْنِ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ طَرَفَةٍ
عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمُرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِهَذَا التَّفَكِيرِ السَّلِيمِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَلَمْ
يُبَالِ كَيْفَ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ بِهَا فِي ضَرَرٍ وَضِيْقٍ أَوْ سَعَةٍ وَرَخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَلِهَذَا لَمْ
يَضَعِ النَّبِيُّ ﷺ لِنَبْتِهِ عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا هَذَا مَثَلٌ
وَاضِحٌ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْمَهْدُ هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ
وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِ الْقَنْطَرَةِ .
شعرا :

يَا غَافِلَ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ عَمَّا قَلِيلٍ سَتُلْقَى بَيْنَ أَمْوَاتٍ
فَاذْكُرْ مَحَلَّكَ مِنْ قَبْلِ الْخُلُولِ بِهِ وَتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْ هُوٍ وَلَذَاتٍ
إِنَّ الْحِمَامَ لَهُ وَقْتُ إِلَى أَجَلٍ فَاذْكُرْ مَصَائِبَ أَيَّامٍ وَسَاعَاتٍ
لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا قَدْ آتَى لِلْمَوْتِ يَأْذُ اللَّبِّ أَنْ يَأْتِيَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثُلُثَهَا وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ قَطَعَ الثُّلُثَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ

له إِلَّا ثَمَنُ الْمَسَافَةِ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَتَّقْ لَهُ إِلَّا خُطْوَةً وَاحِدَةً وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَ مَا كَانَ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعُبُورِ فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي عَلَى الْقَنْطَرَةِ وَيُزِينُهَا وَهُوَ يُسْتَحْتُّ عَلَى الْعُبُورِ عَلَيْهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالْحُمُقِ وَالسَّفَةِ .

وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ قَالَ بَلَغَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا مَثَلُ وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَذَرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَذُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةِ لَا زَادَ وَلَا حِمْلَةَ فَأَيَّقَنُوا بِالْهَلَكَةِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بَرِيفٍ وَمَا جَاءَ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ عَلَامَ أَنْتُمْ قَالُوا عَلَى مَا تَرَى قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رِوَاءِ وَرِيَاضٍ خَضِرٍ مَا تَعْمَلُوا قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا .

قَالَ عُهُودُكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً وَرِيَاضًا خَضِرَاءَ فَمَكَثَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ الرَّحِيلُ قَالُوا إِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كِمَائِكُمْ وَإِلَى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُ الْقَوْمِ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بَعِيشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أَلَمْ تَعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ لَا تَعْصُوهُ وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ قَالَ فَرَّاحٌ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بِقَبِيَّتِهِمْ فَتَزَلَّ بِهِمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا حَقُّ أَمْرٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ أخطاءً مُربَّعاً وَخَطَّ خَطّاً فِي
الْوَسْطِ خَارِجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطُوطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ
فَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ . وَهَذَا الَّذِي هُوَ
خَارِجُ أَمَلِهِ وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ
أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَالْمَرْءُ يُبْلِيهِ فِي الدُّنْيَا وَيُخْلِقُهُ حِرْصٌ طَوِيلٌ وَعُمْرٌ فِيهِ تَقْصِيرٌ
يُطَوِّقُ النَّحْرَ بِالْأَمَالِ كَاذِبَةً وَلَهْذُمُ الْمَوْتِ دُونَ الطُّوقِ مَطْرُورٌ

جَذْلَانِ يَتَسِمُ فِي أَشْرَاكِ مِيتَتِهِ إِنْ أَفَلَتَ النَّابُ أُرْدَتَهُ الْأَظَافِيرُ
وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ رَوَاهُ
الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَقَالَ ﷺ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا أَنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ
شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْدِ
بْنِ شَدَّادٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ
أَصْبَعَهُ فِي أَلِيمٍ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ .

وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ أَنْهَاكَ الْكَفَرَةَ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا
جَنَّتُهُمْ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ يَصِلُ حُبُّ الْمَالِ وَالْدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَى حَدٍّ أَنْ تَذْهَلَ عُقُولُهُمْ وَأَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا هِيَ شُغْلُهُمُ الشَّاعِلُ لَيْلاً وَنَهَاراً
وَهُمْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الدُّنْيَا مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَلَيْسَ كِتَابُ اللَّهِ هُوَ
الَّذِي فِيهِ « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الدُّنْيَا نُوتَتْ مِنْهَا وَمَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وَيَقُولُ ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝

وَتَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُبَيِّنَةِ لِحَقَارَةِ الدُّنْيَا وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ نَتْرَكَ الدُّنْيَا وَبَقِيَ جِيَاعًا عَارِئًا مُحْتَاجِينَ بَلْ مَعْنَاهُ أَنْ لَا نَجْعَلَهَا مَقْصِدًا كَمَا جَعَلَهَا الْكُفَّارُ بَلْ نَجْعَلِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَسِيلَةً إِلَى تِلْكَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فَتَكُونُ مِنَ الْفَرِيقِ الَّذِي يُحِبُّ الْمَالَ لِأَجْلِ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ كَانَ عَلَى هَذَا الْمَبْدَءِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُمْ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فَسَادُوا بِهَا أَهْلُ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَخَلَّفْنَا عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَبْدَءِ وَجَعَلْنَا الْمَالَ هُوَ الْمَقْصَدُ سَكَنَّا إِلَى الدُّنْيَا وَأَحْبَبْنَا الْحَيَاةَ وَلَذَائِذَهَا وَالذَّاهِيَةَ الْعَظِيمَةَ هِيَ أَنَّا ضَرَبْنَا بِالذَّلِّ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « أَنْ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَقَالَ ﷺ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

اللهم إنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهِدِنَا بِهِدَاكَ ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هِمٍّ فَرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا .

اللهم أَعِدْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فائدة نفيسة قال أحد العلماء رحمه الله تعالى إعلم أن الدنيا رأس كل خطيئة كما قال ﷺ وقد صارت عدوة لله وعدوة لأوليائه وعدوة لأعدائه ، أما عداوتها لله تعالى فلأنها قطعت الطريق بينه وبين أوليائه .
ولهذا فإنه لم ينظر إليها منذ خلقها ، وأما عداوتها لأوليائه فلأنها تزينت لهم بزینتها وغمرتهم بزهرتها وتزهت لهم بنصارتها حتى تجرعوا مرارات الصبر في مقاطعتها وتحملوا المشاق في البعد منها .

وأما عداوتها لأعدائه فلأنها استدرجتهم بمكرها ومكايدها واقتصتهم بحبائليها واقصدتهم بسهامها حتى وثقوا بها وعولوا عليها .
فخذلتهم أخوج ما كانوا إليها وغدرت بهم أسكن ما كانوا إليها فاجتروا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد . وحرمتهم السعادة الآخروية على طول الأمد فانتبه يا من اغتر بها قبل أن يصيبك مثل ما أصاب المغترين بها .
وقال بعض العارفين إذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له أسكن أنت وزوجك الجنة صدر منه ذنب واحد فأمر بالخروج من الجنة فكيف نرجوا دخولها مع ما نحن مقيمون عليه من الذنوب المتتابعة والخطايا المتواترة .
كان أبو الفتح المنهجي قد برع في الفقه وتقدم عند العوام وحصل له مال كثير ودخل بغداد وفوض إليه التدريس بالنظامية وأدركه الموت بهمدان .
فلما دنت وفاته قال لأصحابه أخرجوا فلما خرجوا عنه جعل يلطم وجهه ويقول « يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » ويقول لنفسه موبخا لها يا أبا الفتح ضيعت العمر في طلب الدنيا وتحصيل المال والجاه والتردد إلى السلاطين وينشد هذين البيتين :

عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ تَغَافَلُوا يَجْرُونَ ثَوْبَ الْحَرِصِ حَوْلَ الْمَالِكِ
يَذُورُونَ حَوْلَ الظَّالِمِينَ كَأَنَّهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَقْتَ الْمُنَاسِكِ

أَرْسَلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ عَبْدٍ لَهُ كَيْسًا مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لِعَبْدِهِ إِنَّ قَبْلَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ فَأَنْتَ حُرٌّ أَيْ عَتِيقُ فَاتَى بِالْكَيسِ إِلَى أَبِي ذَرٍّ وَالْحُجُّ عَلَيْهِ فِي قَبُولِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ فَقَالَ الْغُلَامُ لِأَبِي ذَرٍّ إِنَّهُ عَلَّقَ عَتِيقِي عَلَى قَبُولِكَ هَذَا الْكَيسَ فَقَالُوا أَبُو ذَرٍّ لَكِنَّ فِي قَبُولِهِ رَقِي .

هذه القصيدة الشيبانية عدلنا فيها بعض أبيات وكان بعضها في شيء

لا يصلح .

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدَى بِغَيْرِ بَدَايَةٍ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لِقَوْنِهَا إِلَهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى
إِذِ الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ اللَّهُ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعَيْنُهُ وَخَالَفَ كُتُبَ اللَّهِ وَالرُّسُلَ كُلَّهُمْ
وَذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِ إِهْنَا وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ
وَنَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلَ رَبِّنَا وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا إِلَيْهِ وَأَنَّهُ
كَلَامُ كَرِيمٍ مُنْزَلٌ مِنْ إِهْنَا وَأَنْزَلَهُ وَحْيًا إِلَيْهِ وَأَنَّهُ

وَأَنْظِمُ عِقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَاءِ وَتَفَرَّدَا
وَلَا بَعْدَهُ شَيْءٌ عَلَا وَتَوَحَّدَا قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
قَدِيرٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا وَيَايْنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدًا شَبِيهُ تَعَالَى رَبَّنَا وَتَوَحَّدَا
فَذَلِكَ زَنْدِيقُ طَغَى وَتَمَرَّدَا وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا
يُرَى وَجْهُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْوَدَا كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدَا
بِهِ جَاءَ جَبْرِيلُ النَّبِيِّ (مُحَمَّدًا) هُدَى اللَّهُ يَا طُوبَى بِهِ لِمَنْ اهْتَدَى
بِأَمْرِ وَنَهْيٍ وَالذَّلِيلُ تَأَكَّدَا

كَلَامُ إِلَهِ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ
 وَمِنْهُ بَدَأَ قَوْلًا وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
 فَمَنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ
 وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ كَلَامُ إِيَّانَا
 وَنُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ
 وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنَبِيَّةٌ
 فَلَا مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ نَرْضَاهُ مَذْهَبًا
 وَلَكِنَّ بِالْقُرْآنِ نَهْدَى وَنَهْتَدِي
 وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ
 فَمَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ كَانَ كَمَا يَشَاءُ
 وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّا
 وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَأَنَّهُ
 وَمُنْكَرُهُ ثُمَّ النُّكَيْرُ بِصُحْبَةٍ
 وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةٌ
 وَأَنَّ حِسَابَ الْخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ
 وَحَوْضُ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا أَعَدَّهُ
 وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ وَكُلُّ مَنْ
 أَبَارِيقُهُ عَدُوُّ النُّجُومِ وَعَرْضُهُ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ مَشَى
 وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ رَحْمَةً
 وَأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَى الْعَرْشِ رَفْعَةً
 وَخَصَّصَ مُوسَى رَبَّنَا بِكَلَامِهِ
 وَكُلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ

فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
 يَعُودُ إِلَى الرَّحْمَنِ حَقًّا كَمَا بَدَأَ
 وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدَا
 فَقَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ جَهْلًا وَالْحَدَا
 وَبِالرُّسُلِ حَقًّا لَا تُفَرِّقُ كَالْعِدَا
 وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى
 وَلَا مَقْصِدَ التَّعْطِيلِ نَرْضَاهُ مَقْصِدًا
 وَقَدْ فَازَ بِالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدْ اهْتَدَى
 مِنَ اللَّهِ تَقْدِيرًا عَلَى الْعَبْدِ عُدْدًا
 وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا كَانَ فِي الْخَلْقِ مُوجِدًا
 سَنَبَعْتُ حَقًّا بَعْدَ مَوْتِنَا غَدَا
 عَلَى الْجِسْمِ وَالرُّوحِ الَّذِي فِيهِ الْحَدَا
 هُمَا يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي الْقَبْرِ مُقْعَدَا
 وَجَنَّتُهُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا سُدَى
 كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا
 لَهُ اللَّهُ دُونَ الرُّسُلِ مَاءً مُبَرَّدَا
 سَقِي مِنْهُ كَأْسًا لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدَا
 كَبُصْرَى وَصَنَعًا فِي الْمَسَافَةِ حُدْدَا
 عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ أَوْ غَدَا
 إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مُرْشِدَا
 وَأَذْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُضْعِدَا
 عَلَى الطُّورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ النِّدَا
 وَخَصَّصَ بِالْقُرْآنِ رَبِّي مُحَمَّدَا

رُوي في الصَّحِيحَيْنِ الْحَدِيثُ وَأُسْنَدًا
شَفِيعًا لَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا وَأُسْعِدَا
لِمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ مُوَحَّدَا
وَكُلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا
وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا لَهُ كَافِرٌ فِدَا
وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الْحَرَامَ تَعَمُّدَا
بِأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ فَضْلًا وَأَيْدَا
بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَنْ اقْتَدَى

أَبُوبَكْرُ الصِّدِّيقُ ذُو الْفَضْلِ وَالنَّدَى
وَأَمَّنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحَّدَا
وَوَاسَاهُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى تَجْرَدَا
لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حِصْنًا مُشِيدَا
كَثِيرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْدَا
وَأَطْفَأَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ وَأَخْمَدَا
وَقَدْ قَامَ بِالْقُرْآنِ دَهْرًا تَهْجُدَا
وَوَسَّعَ لِلْمُخْتَارِ وَالصَّحْبِ مَسْجِدَا
مُبَايَعَةَ الرِّضْوَانِ حَقًّا وَأَشْهَدَا
فَقَدْ كَانَ حَبْرًا لِلْعُلُومِ وَسِيدَا
عَشِيَّةً لَمَّا بِالْفِرَاشِ تَوَسَّدَا
عَلَى لَهُ بِالْحَقِّ مَوْلَى وَمُنْجِدَا
كَذَا وَسَعِيدٌ بِالسَّعَادَةِ أُسْعِدَا
وَكَانَ ابْنُ جِرَّاحٍ أَمِينًا مُؤِيدَا

وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ مَا
فَمَنْ شَكَّ فِيهَا لَمْ يَنْلَهَا وَمَنْ يَكُنْ
وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفَى كُلُّ مُرْسَلٍ
وَكُلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفِّعٌ
وَيَغْفِرُ دُونَ الشُّرْكِ رَبِّي لِمَنْ يَشَا
وَلَمْ يَبْقُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ مُوَحَّدٌ
وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ رَسُولَهُ
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ

وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ)
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ قَوْلِهِ
وَفَادَاهُ يَوْمَ الْغَارِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ
وَمِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ
لَقَدْ فَتَحَ الْفَارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنُودَ
وَأَظْهَرَ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَعُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِمًا
وَجَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرِ يَوْمًا بِمَالِهِ
وَبَايَعَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى بِشِمَالِهِ
وَلَا تَنْسَ صِبْهَ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
وَفَادَى رَسُولَ اللَّهِ طَوْعًا بِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَانَ مَوْلَاهُ النَّبِيُّ فَقَدْ غَدَا
وَطَلَحَتْهُمْ ثُمَّ الزُّبَيْرُ وَسَعْدُهُمْ
وَكَانَ ابْنُ عَوْفٍ بَاذِلَ الْمَالِ مُنْفِقًا

وَلَا تَنْسَ بَاقِي صَحْبِهِ وَاهْلَ بَيْتِهِ
فَكُلُّهُمْ أَتْنَى إِلَهِ عَلَيْهِمْ
فَلَا تَكْ عَبْدًا رَافِضِيًّا فَتَعْتَدِي
وَتَسْكُتَ عَنْ حَرْبِ الصَّحَابَةِ فَالَّذِي
وَقَدْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ
فَهَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ إِمَامِنَا
فَمَنْ يَعْتَقِدْهُ كُلُّهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة

تَوَجَّهَ عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْدِيِّ الْقَاضِي إِلَى الْمَهْدِيِّ يَوْمًا فِي وَقْتِ الظُّهْرِ
لِمُقَابَلَتِهِ عَلَى عَجَلٍ .

فَلَمَّا أَدْنَى لَهُ إِذَا بِهِ يَحْمِلُ أَوْرَاقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْأَلُ الْمَهْدِيَّ أَنْ يُعْفِيَهُ مِنْ
الْقَضَاءِ وَيَسْتَأْذِنَهُ فِي تَسْلِيمِ الْأَوْرَاقِ الَّتِي فِي حَوْزَتِهِ إِلَى مَنْ يَأْمُرُ الْخَلِيفَةُ
بِتَسْلِيمِهَا لَهُ .

وظَنَّ الْخَلِيفَةُ أَنَّ الْقَاضِيَّ عَافِيَةَ قَدْ أَقْدَمَ عَلَى طَلَبِ الاسْتِعْفَاءِ مِنْ
الْقَضَاءِ لِأَنَّ أَحَدَ رِجَالِ حَاشِيَتِهِ وَمَنْ هُمْ مُحْسُونُونَ عَلَى الْخَلِيفَةِ قَدْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِ
أَوْ نَالَ مِنْهُ أَوْ أَسَاءَ مُعَامَلَتَهُ أَوْ أَبْدَى عَدَمَ إِحْتِرَامٍ لَهُ أَوْ تَدَخَّلَ فِي شَأْنٍ مِنْ
شُؤْنِ قَضَائِهِ فَأَضْعَفَ سُلْطَانَهُ فِي تَنْفِيزِ أَحْكَامِهِ وَلَشَدَّ مَا كَانَتْ دَهْشَةُ الْخَلِيفَةِ
حِينَمَا عَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَقْعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

فَأَحَبَّ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ ذَلِكَ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي دَفَعَ الْقَاضِيَّ
إِلَى الاسْتِعْفَاءِ عَلَى عَجَلٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَلْجَأُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الرَّاحَةِ
وَهُوَ وَقْتُ الظُّهْرِ .

ولما أصرَّ الخليفةُ على طلب معرفةِ السَّببِ لم يجدَ القاضي بُدّاً من أن يَرويَ لَهُ ما جرى لَهُ مما كان سَبباً في طلب الإغفاءِ حِرْصاً على دينِهِ وطَهارةٍ لِنَفْسِهِ .

فقال القاضي عافيةً مُنْذُ شَهْرَيْنِ وأنا أَتابعُ البَحْثَ في إحدى القَضَايَا المَعْضِلَةِ مُحاولاً أَنْ أَصِلَ فيها إلى وَجْهِ الحَقِّ فقد تَقَدَّمَ إلى خَصَمَانِ مُوسِرَانِ وَجِيهَانِ في قَضِيَّةٍ مُعْضِلَةٍ مُشْكَلَةٍ .

وَكُلٌّ مِنْهَا يَدَّعِي بَيِّنَةً وشُهُوداً ويُدَّلي بِحُجَجٍ تَحْتَاجُ إلى تَأَمُّلٍ وَتَبَيُّنٍ .
ولما لم يَتَبَيَّنْ لِي وَجْهُ الحَقِّ رَدَدْتُ الخُصُومَ رَجَاءً أَنْ يَصْلَحُوا أو يَتَبَيَّنَ لِي وَجْهُ فَضْلٍ بَيْنَهُمَا .

وأثناءَ ذَلِكَ وَقَفَ أَحَدُ الخَصْمَيْنِ مِن خَبْرِي على أَنِي أَحِبُّ الرُّطَبَ السُّكْرِيَّ .

فَعَمَدَ في وَقْتِنَا هَذَا وهو أَوَّلُ وَقْتِ الرُّطَبِ وَجَمَعَ رُطَباً سُكْرِيّاً لَا يَتَهَيَّأُ في هَذَا الوَقْتِ لِأَحَدٍ جَمْعُ مِثْلِهِ إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقّاً مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ .
ثم عَمَدَ إلى بَوَابِي فَرَشَاهُ جُمْلَةً دَرَاهِمَ لِيُدْخَلَ الطَّبَقَ إِلَيَّ على أَنِهِ لَا يُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَقْبَلَ الطَّبَقَ أو أَرُدَّهُ .

فلما أَدْخَلَ الطَّبَقَ إِلَيَّ أَتَكَرَّتْ أَمْرُهُ وَطَرَدْتُ بَوَابِي وَأَمَرْتُ بِرَدِّ الطَّبَقِ فَرَدَّهُ لِسَاعَتِهِ .

فلما كَانَ اليَوْمُ تَقَدَّمَ إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ مع خَصْمِهِ فَهَالَنِي أَنَّهُمَا لَمْ يَتَسَاوَيَا في قَلْبِي وَلَا في عَيْنِي .

وهذا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا لَمْ أَقْبَلْ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالِي لو قَبَلْتُ وَلَا آمَنْ أَن يَقَعَ على حِيلَةٍ في دِينِي فَأَهْلِكَ وَقَدْ فَسَدَ النَّاسَ فَأَقْلَنِي أَقَالَكَ اللهُ وَأَعْفَنِي .
ولم يَسْعَ الخليفةُ وهو يَسْتَمَعُ إلى ذَلِكَ الكَلَامِ المنبِي عن شِدَّةِ الوَرَعِ

والحرص الخالص على نزاهة الحكم وتبعد القاضي عن المؤثرات أيًا كان نوعها
إلا أن يستجيب لطلب القاضي النقي النبيل فأعفاه من القضاء .
فتأمل هذه القصة بدقة . وقارن بينه وبين كثير من قضاة هذا الزمن
يتبين لك الفرق العظيم والبون الشاسع نسأل الله العافية .
اللهم أحي قلوبنا ونورها بنور الايمان وزينها بمحبتك وحمل ألسنتنا
بذكرك وشكرك وحسن أعمالنا ووفقنا لحفظ أوقاتنا وأحيينا حياة طيبة وتوفنا
مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فضل)

٥ [موعظة]

عباد الله يجب على من لا يدري متى يبعثه الموت أن يكون
مستعداً له ولا يغتر بشبابه وصحته فإن أقل من يموت الشيوخ
الطاعين في السن .

وأكثر من يموت الشبان خصوصاً في زمننا الذي كثرت فيه
الحوادث ولهذا يندّر من يكبر وقد أنشدوا :
يَعْمُرُ واحدٌ فيَغُرُّ قوماً ويُنسى من يموت من الشباب
آخر :

لا تغترّ بشباب ناعم خطل فكّم تقدّم قبل الشيب شبان
ومأ يعينك على الجد والاجتهاد في الطاعة تصور قصر عمرك
وكثرة الأشغال ، وتصور قوة الندم على التفریط والاضاعة عند
الموت ، وطول الحسرة على البدار بعد الفوت .
وتصور عظم ثواب السابقين الكاملين وأنت ناقص ،

والمجاهدين وأنت متكاسل ، واجعل نصب عينيك ما يلي : قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ .
وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ محضراً .

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .
وقوله تعالى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فتصور الحسرة والندامة والحزن عندما ترى الفائزين .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحَّلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كِمِثْلِهِ وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا
فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالتَّسْوِيفِ
وَطُولِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ لَوْلَا طَوْلُ الْأَمَلِ مَا وَقَعَ إِهْمَالُ أَصْلًا .
وإنما يُقَدِّمُ عَلَى الْمَعَاصِي وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ لِطَوْلِ الْأَمَلِ وَتَبَادُرِ
الشَّهَوَاتِ .

وَتَنْسِي التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ لِطَوْلِ الْأَمَلِ وَتَفْقَدِ أَوْقَاتِكَ وَمَا عَمِلْتَ
فِيهَا مِنَ الذُّنُوبِ .

وَتَنْسِي التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ لِطَوْلِ الْأَمَلِ فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُ وَكُلُّنَا
كَذَلِكَ أَنْتَهَزَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ وَتَفَقَّدَ أَوْقَاتَكَ وَمَا عَمِلْتَ فِيهَا مِنَ
الذُّنُوبِ .

فبادر في محوها بالتوبة النصوح وأكثر من الدعاء والاستغفار
كل وقت خصوصاً أوقات الاجابة .

ومن أوقات الأجابة ثلث الليل الآخر . قال تعالى ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر للخطبة .
وفي آخر ساعة من يوم الجمعة وعند دخول الامام للخطبة .
وعندما تسمع الأذان إلى أن يفرغ .

وبين الأذان والاقامة .
وبعد الصلاة الفريضة وبعد النافلة .
وعند الفطر للصائم وفي أيام رمضان ولياليه .
وعند نزول الغيث .
وعشية عرفة .
وفي السجود .

وعند ختم القرآن وفي ليلة القدر .
وعند البكاء والخشية من الله .

فعلى الانسان أن يُكثِرَ من الدعاء والالحاح فيه ، فإن الدعاء له أثر عظيم ، وموقع جسيم ، وهو مخ العباداة .
لا سيما مع حضور قلب ، وإخبات ، وخشوع ، وذُل ، وانكسار ، ورقّة ، وتضرع ، وخشية ، واستقبال القبلة حال دُعائه وعلى طهارة ، ومجدّد التوبة ، ويكثر من الاستغفار ، ويبدأ بحمد الله وتنزيهه ، وتمجيده ، وتقديسه ، والثناء عليه ، وشكره ، ثم يصلي على النبي ﷺ بعد الثناء على الله .

ويدعو بالدعاء المشروع باسم من أسماء الله الحسنى ، مناسب لمطلوبه ، فإن كان يُريدُ علماً قال يَاعْلِمُ عَلِمَنِي ، وإن كان يطلب رَحْمَةً قال يَارْحَمُنْ إِرْحَمْنِي ، وإن كان يسأل رزقاً قال يَارِزَّاقُ ارْزُقْنِي ونحو ذلك ، ويوقنُ بالاجابة ، فإن الله جل وعلا أصدق

القائلين وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقال لرسوله ﷺ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وقال ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ وهو سبحانه أوفى الواعدين قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ وقال جل وعلا ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ وقال أهل الجنة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَنَا وَعْدَهُ ﴾ .

وإذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها ، فليس لك إلا الدعاء واللجوء إلى الله ، بعد أن تقدم التوبة من الذنوب ، فإن الزَّلَّ يُوجِبُ العقوبة ، قال الله جل وعلا ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ .

فَإِذَا زَالَ الذَّنْبُ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحِ ، إِرْتَفَعَ السَّبَبُ .
فَإِذَا أَثْبَتَ وَدَعَوْتَ وَلَمْ تَرَ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ أَثْرًا ، فَتَفَقَّدَ نَفْسَكَ فربما كانت التوبة ما صَحَّتْ فَصَحَّحَهَا .

ثم ادْعُ وَلَا تَضْجُرْ وَلَا تَمَلْ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ عِبَادَةٌ ، وَرَبِّمَا كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ ، وَرَبِّمَا لَمْ تَكُنِ الْمَصْلَحَةُ فِي الْإِجَابَةِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

فَأَنْتَ تُثَابُ وَتُجَابُ إِلَى مَنَافِعِكَ وَمِنْ مَنَافِعِكَ أَنْ لَا تَعْطُرَ مَا طَلَبْتَ بَلْ تَعُوضْ غَيْرَهُ .

فَإِذَا جَاءَكَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ إِلَى مَتَى تَدْعُو وَلَا تُجَابُ فَقُلْ : أَنَا أَتَعْبُدُ بِالدُّعَاءِ ، الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ وَأَنَا وَاثِقُ كُلِّ الثَّقَةِ بِالْإِجَابَةِ لِأَنَّ اللَّهَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ .

وقد قال جل وعلا وتقدس لنبيه ﷺ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

واعلم أنه رُبَّمَا كَانَ التَّأخِيرُ لِبَعْضِ الْمَصَالِحِ فَهُوَ يَجِيءُ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَإِذَا سَأَلْتَ شَيْئًا فَاقْرَنِهِ بِسُؤَالِ الْخَيْرَةِ فَرْبَمَا كَانَ الْمَطْلُوبُ سَبَبًا لِلْهَلَاكِ .

وَإِذَا كُنْتَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا لِيُبَيِّنَ لَكَ صَاحِبُكَ فِي بَعْضِ الْأَرَاءِ مَا يَعْجِزُ رَأْيُكَ عَنْهُ ثُمَّ تَرَى أَنَّ مَا وَقَعَ لَكَ لَا يَصْلَحُ فَكَيْفَ لَا تَسْأَلُ الْخَيْرَ رَبَّكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَالِاسْتِخَارَةَ مِنْ حَسَنِ الْمُشَاوَرَةِ .

كُلُّ الْوُجُودِ لِعِزِّ قَهْرِكَ خَاضِعٌ	وَالْكُلُّ فِي صَدَقَاتِ جُودِكَ طَامِعٌ
يَا مَغْشَرَ الْفُقَرَاءِ أُمُّوا بَابَهُ	فَهَنَّاكَ فَضْلُ لِّبَرِّيَّةٍ وَاسِعٌ
يُعْطِي الْعَطَاءَ فَلَا يُمَانِعُ مَا نِعُ	يَقْضِي الْقَضَاءَ فَلَا يُدَافِعُ دَافِعٌ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ	كَأَنَّ لَا سَعْيَ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَذِّهِ أَوْ نَعَّمُوا	فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ
لِزَمِ طَرِيقَ الذِّكْرِ عُمْرَكَ دَائِبًا	فَالذِّكْرُ فِي الْقَلْبِ الْمَحَبَّةَ زَارِعٌ

قَالَ أَحَدُ الْوُعَاظِ هَذَا نَذِيرُ الْمَوْتِ قَدْ عَدَا يَقُولُ الرَّحِيلُ غَدًا ، كَأَنَّكُمْ بِالْأَمْرِ وَقَدْ قُرْبَ وَدَنَا ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ اسْتَيْقَظَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَوَعَا .

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا صَاحَ إِسْرَافِيلُ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ قَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .
فَتَصَوَّرْ خُرُوجَكَ مَذْعُورًا تَسْعَى مِنْ تَحْتِ الْمَدَرِ وَقَدْ رُجَّتِ الْأَرْضُ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ لِتِلْكَ الْعِظَائِمِ وَالْأَهْوَالِ

والمزعجات ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ .
فَقَلِقَ الْحَائِفُ ، وَشَابَ الصَّغِيرُ ، وَزَفَرَتِ النَّارُ ، وَأَحَاطَتِ
الأوزار ، وَنَصَبَ الصِّرَاطُ ، وَوُضِعَ الْمِيزَانُ ، وَحَضَرَ الْحِسَابُ .
وجي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها ، قال تعالى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

وشهد الكتاب وتقطعت الأسباب ، فكم من كبير يقول
واشيتناه ، وكم من كهلٍ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَآخِيَّتَاهُ ، وكم من
شاب يصيح واشباباه .

وبرزت النار ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ
لِلْغَاوِينَ ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ .

وسمع الخلائق حسيستها إلا من سبق له الحسنى من الله
قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ
الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ ﴾ .

وأيقن بالردى والهلاك كل فاجر ، قال تعالى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ
الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ وقامت ضوضاء الجدل ، وأحاط
بصاحبه العمل قال جل وعلا وتقدس ﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ
فَظَنُوا أَنَّهُمْ مَوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

وحالت الألوان ، وتوالت المحن على الإنسان ، فأين عُدَّتْكَ
يَا غَافِلُ عَنْ هَذَا الزَّمَانِ ، أين تصحيح اليقين والايان .

أَتَرْضَى بِالْخُسْرَانِ وَالْهَوَانِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
أَمَا تَخَافُ أَنْ تَقُولَ ﴿ يَا خَسِرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ أَمَا
عَلِمْتَ أَعْظَمَ الْخُسْرَانِ .

قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ قُلْ أَنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمَبِينُ ﴾ .
كَمْ فِي كِتَابِكَ مِنْ خَطَاٍ وَزَلَلٍ ، وَكَمْ فِي عَمَلِكَ مِنْ سَهْوٍ
وِخْلَلٍ ، هَذَا وَشَمْسُ عُمْرِكَ عَلَى أَطْرَافِ الذَّوَائِبِ وَقَدْ قَرُبَ
الْأَجَلُ ، كَمْ ضَيَّعْتَ وَاجِباً وَفَرَضِيّاً ، وَكَمْ نَقَضْتَ عَهْداً مُحْكَمًا
نَقْضًا ، وَكَمْ أَتَيْتَ حَرَامًا صَرِيحاً مُحْضًا ، يَا أَجْسَاداً صِحَاحاً فِيهَا
قُلُوبٌ مَرْضَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ هَادِمًا
لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاعْفُ رَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فِصْل]

نُبْذَةُ مِمَّا جَرَى لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمَحْنِ وَالْقَتْلِ وَالضَّرْبِ مِنَ
الظُّلْمَةِ وَالطُّغَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ جَاذَاهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ .

لَمَّا قَتَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَمْرَ بَعْخَشَبَةِ

فَصَلَبَهُ عَلَيْهَا .
فَلَمَّا أَقْبَلَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

إلى الخشبة فعانقتها وجلست تبكي وتقول واغوثاه .
يا لله ما أعظم ما نزل بنا بعدك يا محمد يا رسول الله لو تُدرك
ما نزل بعدك بأصهارك وأرحامك وأبناء المهاجرين لرأيت أمراً
عظيماً .

اللهم فبلغ عنا نبيك ﷺ في عظيم ما نزل بنا فأخبر بمقالتها
عبد الله بن عمر فبكى حتى كادت نفسه تفيض .

ثم قال لابنه قُذني إليها وقد كبر وكان يرتعش من الكبر وكان
قد عمّر فقاده ابنه إليها فلما أشرف على الخشبة نظر إليه مصلوباً .

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليقتلني أمير جائر على
طاعة أحب إلي من أموت مجاهداً في سبيل الله فأتى شقي من
الأشقياء فبلغ ذلك إلى الحجاج فبلغ منه قول ابن عمر كل مبلغ .

فركب إلى خشبة بن الزبير فأصاب أمه عندها تبكى وابن
عمر وابنه سالماً فقال ليس مثله يبكي عليه فقال ابن عمر قومي
فقامت ولم تكلمه وانصرف ابن عمر إلى منزله .

فدعا الحجاج رجاله فقال إن ابن عمر بن خليفة وصاحب
رسول الله ﷺ وأخاف إن خرجنا أن يستحل منا ما استحل ابن
الزبير وعلماء العراق .

قالوا فما ترى قال هذا أعظم مما كان منا إنما عمّدنا إلى جبل
الإسلام وحاجب محمد ومن عرضت عليه الخلافة فلم يقبلها ومن
حج أربعين حجة ومن سمته قريش حمامة البيت يريد بن عمر .
وقدره في العرب كما علمتم وحب الأوس والخزرج لأبيه عمر
بن الخطاب . نعوذ بالله من الظلمة وأعوانهم .

فبعث الحجاج غلامه أن يركب فرساً جامحاً وأمره أن يطحنه بالفرس ويقتله .

فركب الغلام الفرس فنظر إلى ابن عمر وهو سائر يوم الجمعة فحمل عليه وصدمه ورضه .

فبادر الناس إليه وقالوا يا غلام أهلكك المسلمين في علمهم فطلبك الله وأقام الحجاج ينتظر موته .

فلما أبطأ عليه عمد إلى الحديد التي في الرمح فسمها سماً ناقعاً وجعلها في عصا وقال لأحد رجاله ضعه على ظهر قدمه واتكىء عليه حتى يدخل .

فإن قال أهلكتي فقل ما علمت أن رجلك ها هنا .
ففعل ذلك ثم خرج عنه فاشتعل جسد ابن عمر سماً فأقام ثلاثة أيام فمات رحمة الله عليه .

ودخل الحجاج على ابن عمر يعود قبل موته فقال ابن عمر أنت قتلتني ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن الذين أودوا في سبيل الله وقتلوا سعيد بن جبير وقصته أشهر من تذكر فلا نطيل بذكرها وكان قد دعا من قبل أن يذبحه الحجاج فقال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

وقيل إنه عاش بعد قتله لسعيد ستة عشر يوماً فقط وقعت الأكلة في بطنه .

وكان ينادي في بقية حياته مالي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي .

وقيل دعا عليه بالزمهرير البرد العظيم فكانوا يجعلون حوله الكواين تلتهب جمرًا مع ما عليه من الثياب التي يذثرونه بها .

فما زال في العذاب الأليم ثم أُرْسِلَ في طلب الحسن البصري
التابعي المشهور فأتاه واشتكى إليه ما نَزَلَ به مِنَ الألم ، فقال قَدْ
نَهَيْتَكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لَا تَتَعَرَّضُ لِلصَّالِحِينَ ، وَلَا تَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا
بَسْبِيلِ خَيْرٍ فَأَبَيْتَ وَلَجَجْتَ (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) .
وذكر في كتاب المحن أن الحجاج أُرْسِلَ إلى أبي صالح مَاهَانَ
الْمُسَبِّحِ فلما أتاه قال بَلَّغْنِي عَنْكَ صَلاَحَ وَخَيْرٍ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَوْلِيكَ
الْقَضَاءَ .

قال لَهُ أَنَا قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَا لَا أَحْسِنُ أَعْدُ عَشْرَةَ قَالَ يَا مُرَائِي
عَلِي تَبَالَه .

قال وَالْفُرَاتُ قَدْ مَدَّ فَعَدَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَمْنَحُ
حَتَّى وَقَفَ عَلَى جُرْفِ الْفُرَاتِ .

فقال اللهم إِنْ كُنْتُ مُرَائِي كَمَا زَعَمَ الْحَجَّاجُ فَعَرِّقْنِي قَالَ
فَرَمَى بِنَفْسِهِ .

فقام عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ فَلَمْ تَغِبْ قَدَمَاهُ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا نَهَنَهُ ذَلِكَ
فَأَخَذَهُ وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِهِ .

وَمِنْ ضَرْبِ مَالِكِ ابْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْحُسَّادَ
دَسُّوا إِلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ مَنْ قَالَ لَهُ إِنَّ مَالِكًا يُفْتِي النَّاسَ أَنَّ
أَيَّامَ الْبَيْعَةِ لَا تَلْزِمُهُمْ لِمَخَالَفَتِكَ وَاسْتِكَارِهِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْهَا .
فَدَسَّ عَلَيْهِ جَعْفَرُ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَفْتَاهُ مَالِكُ طُمَأْنِينَةً
إِلَيْهِ وَحُسْبَةً مِنْهُ .

فجاءَهُ رَسُولُ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَإِتَى بِهِ مُنْتَهَكَ الْحُرْمَةِ مُهَانًا
فَأَمَرَ بِهِ جَعْفَرُ فَضْرِبَهُ سَبْعِينَ سَوْطًا .

وَمِنْ مَا جَرَى عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنِ الْبَصْرِيِّ الَّذِي قِيلَ مَا
كَانَ بِالْعِرَاقِ أَعْلَمَ بِالسَّنَةِ مِنْهُ .
وَكَانَ وَرَعًا تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَرَبِيَّةً فَضْرِبَهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ عَشْرَةَ
أَسْوَاطٍ وَقَالَ لَهُ أَنْزِلْ عَنْهَا قَالَ لَا أَفْعَلُ فَقَالَ لَهُ بِلَالُ وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ
أَضْرِبُكَ حَتَّى تَطْلُقَهَا .

فَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ أَصْبِرُ وَلَا أَطْلُقُهَا حَتَّى أَعْجَزَ
قَالَ وَكَانَ رَجُلًا نَحِيفًا لَا يَحْتَمِلُ الضَّرْبَ بِالسَّوِطِ قَالَ فَضْرِبَهُ أَيْضًا
عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ وَقَالَ بِلَالُ هُوَ مَا تَرَى .
قَالَ فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ وَقَالَ يَا ابْنَ عَوْنٍ هُوَ مَا
تَرَى حَتَّى تَطْلُقَهَا قَالَ هِيَ طَالِقٌ قَالَ بَتَّتْهَا .
وَمَنْ امْتَحَنَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى مِنْ
الْحِجَابِ إِلَى مَسْجِدِ مَكَّةَ .

فَنَامَ فَكَشَفَتْ الرِّيحُ الثَّوبَ عَنْ بَطْنِهِ فَظَهَرَ جِرَابُ الْفُلُوسِ
فَمَرَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَخَافُوا عَلَيْهِ فَتَزَعَوْا الْجِرَابَ .
وَبَعْدَ قَلِيلٍ انْتَبَهَ الرَّجُلُ فَنَظَرَ فَإِذَا جِرَابُهُ مَأْخُوذٌ فَنَظَرَ يَمِينًا
وَشِمَالًا فَلَمْ يَرِ حَوْلَهُ إِلَّا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَائِمًا يُصَلِّي .
فَجَاءَهُ فَأَخَذَ بَتَلَابِيهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَعَلْتَ
الَّذِي فَعَلْتَ بِي فَلَمَّا رَهَقْتُكَ قُمْتَ تُصَلِّي .

فَقَالَ لَهُ مَا بِأَلْكَ يَا هَذَا قَالَ مَنْطَقَتِي حَلَلْتُهَا (أَيِ الْجِرَابِ)
قَالَ لَهُ وَكَمْ فِيهَا قَالَ مَائَتَانِ دِينَارٍ قَالَ فَهَلْ سَمِعَ بِهَذَا غَيْرُكَ قَالَ لَا .
قَالَ فَادْهَبْ مَعِيَ حَتَّى أُعْطِيكَ مَا ذَهَبَ لَكَ قَالَ فَذَهَبَ
فَعَدَّ لَهُ مَائَتَيْ دِينَارٍ فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ .

فقالوا له ظَلَمْتَ والله الرجل كان من قَصْتِنَا كَيْتَ وَكَيْتَ ثم
 حَلَلْنَا عَنْكَ خَوْفًا عَلَيْهَا وَهَا هِيَ هَذِهِ .
 فقاموا بأجمعهم إلى الرجل فوقفوا عليه فسألوا عنه فقيل لهم
 هو عطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة وسيدهم .
 فاعتذروا إليه وسألوه أن يجعل الرجل في حلَّ ويقبل
 الدنانير .

فقال لهم هَيْهَاتَ مَا كَانَتْ بَالِي تَرْجِعَ إِلَيَّ إِذْهَبْ فَأَنْتَ فِي
 حِلٍّ وَهِيَ لَكَ .

شَمَّرَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ	وَانْظُرْ بِفِكَرِكَ مَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
طَوَّلْتَ آمَالاً تَكْنُفُهَا الْهَوَى	وَنَسِيتَ أَنَّ الْعُمَرَ مِنْكَ قَصِيرُ
قَدْ أَفْصَحْتَ دُنْيَاكَ عَنْ غَدَرَاتِهَا	وَأَتَى مَشِيئِكَ وَالْمَشِيبُ نَذِيرُ
دَارُ لَهْوٍ بَزْهَوَاهَا مُتَمَتِّعًا	تَرْجُوُ الْمَقَامَ بِهَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ رَا حِلٌّ عَنْهَا وَلَوْ	عُمِّرْتَ فِيهَا مَا أَقَامَ ثَبِيرُ
لَيْسَ الْغِنَى فِي الْعَيْشِ إِلَّا بُلْغَةٌ	وَيَسِيرُ مَا يَكْفِيكَ مِنْهُ كَثِيرُ
لَا يَشْغَلُنْكَ عَاجِلٌ عَنْ آجِلٍ	أَبَدًا فَمُلْتَمِسُ الْحَقِيرِ حَقِيرُ
وَلَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى	فِي الْأَرْضِ مَأْمُورٌ بِهَا وَأَمِيرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[ف ص ل]

بعث أبو جَعْفَرٍ فِي طَلَبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ
 فَقِيلَ لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُتَغَيِّظٌ عَلَيْكَ فَدَخَلَ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ نَهَضَ إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ ثُمَّ عَانَقَهُ .
 وَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغُنِي عَنْكَ لَقَدْ
 هَمَمْتُ .

فقال له إن أيوب ابتلى فصبر وإن سليمان أعطى فشكر وأنت من ذلك النّسج .

قال ، فِيرْفَعُ إِلَيَّ أن الأموال تُجَبَى إِلَيْكَ بلا سُوطٍ ولا عَصَا ثم أمر بالرافع فأحضر .

فقال أبو عبدالله أَحَقًّا رَفَعْتَ إِلَى أمير المؤمنين قال نَعَمْ ، قال فاستحلفه يا أمير المؤمنين قال أبو عبدالله رد اليمين عليه .

فقال له أبو جعفر إحلف فقال والله الذى لا إله إلا هو فقال

له أبو عبدالله ليس هو كذا إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَجَّدَ اللَّهَ فِي يَمِينِهِ أَمْهَلَهُ فِي الْعُقُوبَةِ .

ولكن قُلْ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنِّي وَأَنَا خَارِجٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ رَاجِعٌ إِلَى حَوْلِ نَفْسِي وَقُوَّتِهَا .

قال فَحَلَفَ فَوَاللَّهِ مَا رُفِعَ إِلَّا مَيِّتًا فَرَأَعَ ذَلِكَ أبا جَعْفَرَ وقال انصرف يا أبا عَبْدِ اللَّهِ فَلَسْتُ أَسْأَلُكَ بَعْدَهَا .

وسئِلَ عَمَّا حَرَّكَ بِهِ شَفَتَيْهِ حِينَما دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ بِكَ اسْتَفْتَحْ وَبِكَ اسْتَنْتَجِ اللَّهُمَّ ذَلِّلْ حُزُونَتَهُ وَكُلْ حُزُونَهُ وَسَهِّلْ لِي صُعُوبَتَهُ وَكُلْ صُعُوبَةَ .

اللهم أَعْطِنِي مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَرْجُو وَاصْرَفْ عَنِّي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَا أَحْذَرُ فَإِنَّكَ تَمَحُّوْ مَا تَشَاءُ وَتُثَبِّتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

كان صفوان بن سليم قد كُفَّ بَصَرُهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالسُّوقِ يُقَادُ إِذْ دَخَلَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ فَسَمِعَ الطَّرِيقَ

والجلاوزة بين يديه .

فقال ما هذا فقيل بلال فقال سحائب صيف عن قريب
تقشع فسمعه بلال .

فقال والله لأذيقنك من بردك شؤبونا فلما نزل بهيكله بعث في
طلبه ثم ضربته بالسياط نعوذ بالله من الظلمة وأعوانهم
عن مالك بن أنس أنه قال لو قيل لصفوان بن سليم غدا
يوم القيامة ما قدر على أن يزيد على ما هو فيه من العباداة شيئا .
ومن ذلك ما امتحن به أبو مسلم الخولاني لما ألقى في النار
وذلك أن الأسود العنسي تنبأ باليمن فدعا أبا مسلم الخولاني فقال
إشهد أني رسول الله .

قال لا أسمع قال اشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فأمر
الأسود بنار فقذف فيها أبا مسلم فخرج يرشح عرقا .
فقيل للأسود إنفه عنك لا يفسد عليك الناس فأخرجوه ثم
قدم المدينة وبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
فقال له عمر من أين أقبل الرجل قال من اليمن قال ما فعل
الرجل الذي أحرقه الكذاب قال ذلك عبد الله بن ثوب .
قال له عمر أنشدك بالله أنت هو قال نعم قال فأدخله
وأجلسه بينه وبين أبي بكر .

وقال الحمد لله الذي أراني في هذه الأمة من فعل به مثل ما
فعل بإبراهيم خليل الرحمن .
وممن قتل صبورا كميل بن زياد النخعي الكوفي كان شجاعا
زاهدا قتلته الحجاج بن يوسف .

وذلك أن الحجاج نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان

مُعَامَلَتِهِ إِيَّانَا بَعْدَ لَهُ .

فَالْعَاقِلُ يَكُونُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لَكِنْ يُغَلِّبُ الرَّجَاءَ عِنْدَ

الاحتِضَارِ وَيَحْسِنُ الظَّنَّ بِالكَرِيمِ الْغَفَّارِ وَيَسْتَحْضِرُ أَنَّهُ قَادِمٌ عَلَى أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ . وَأَجُودُ الْأَجُودِينَ الْبَرَّ الرَّحِيمِ .

وَإِنْ حَصَلَ أَنْ يَتْلَى عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ آيَاتُ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثُ الرَّجَاءِ لِيَقْوَى ظَنُّهُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَجُودُ الْأَجُودِينَ وَأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ .

وَمِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ ﴾ .

وَمِنْ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ مَا وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُدِّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَالزَّقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » متفق عليه .
 وقال صلى الله عليه وسلم « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبُ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ غَلِبَتْ غَضَبِي وَفِي رِوَايَةٍ سَبَقَتْ غَضَبِي » متفق عليه .
 وروى عن الإمام أحمد أنه لما حضرته الوفاة قال لولده عبدالله :
 اَلْقِ عَلَيَّ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ .

لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَمِعَ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثَ الرَّجَاءِ قَوِيَ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاشْتَقَّ إِلَى لِقَاءِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ وَالِدِيهِ وَأَوْلَادِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَهَوَّنَ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ .

إِذَا اشْتَكَّتْ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْ عَدَهَا

وَصَلَّ الْمُحِبُّ فَتَحِيًّا عِنْدَ مِيْعَادِ

والمهم أنه يحرص كل الحرص على تقوية حسن ظنه برب العالمين ثم اعلم أن للموت سكرات قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ .

وقيل إن الأعضاء يسلم بعضها على بعض ففي تذكرة القرطبي عن أنس مرفوعا « إِنْ الْعَبْدَ لَيُعَالَجُ كُرْبَ الْمَوْتِ وَإِنْ مَقَاصِلُهُ لَيَسْلَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ تُفَارِقُنِي وَأَفَارِقُكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .
 أي يُودَّعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

خُلِقْنَا لِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي فَرَائِسًا تُزَفُّ إِلَى الْأَجْدَاثِ مِنَّا عَرَائِسًا

تُجَهِّزُ مِنَّا لِلْقُبُورِ عَسَاكِرًا وَتُرَدُّ أَعْوَادَ الْمَنَايَا فَوَارِسًا
 إِذَا أَمَلَّ أَرْخَى لَنَا مِنْ عَنَانِهِ غَدًا أَجَلٌ عَمَّا نَحَاوُلُ حَابِسًا
 أَرَى الْغُصْنَ لَمَّا اجْتَثُ وَهُوَ بِمَائِهِ رَطْبِيًّا وَمَا أَنْ أَصْبَحَ الْغُصْنَ يَابِسًا
 نَشِيدُ قُصُورًا لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً وَنَصْبِرُ مَا شَتْنَا فَتُورًا دَوَارِسًا
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا
 مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فـ ص ل)

إَعْلَمْ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ
 الْمَوْتِ تَرْدَعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَتُلَيِّنُ الْقَلْبَ الْقَاسِي ، وَتُذْهِبُ الْفَرَحَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
 وَزَخَارِفَهَا وَلَذَائِهَا .

وَتُحْكِنُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُؤْنِكَ
 وَالتَّنَسُّخِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ ، وَتَنْفِيذِ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْآمَانَاتِ
 وَالِدِيُونَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ فَضَحَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هَذَا الْمَوْتُ فَلَمْ يَتْرِكْ فِيهَا لِذِي عَقْلٍ قَرَحًا .
 وَقَالَ آخَرُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلًا قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَذِرًا مِنَ الْمَوْتِ حَزِينًا مِنْ
 أَجْلِهِ .

وَقَالَ آخَرُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .

وقا آخر : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّاهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .

وقال آخر يُوصِي أَخَاهُ لَهُ : يَا أَخِي إِخْذِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوْجَدُ .

وقال آخر : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُقَدَّرًا مَفْرُوعًا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّنَظُّرِ فِيمَا تَقْدُمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرُكَ إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ مَوْتِكَ سَهْلًا وَأَمْرُهُ قَرِيبًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْآخِرَى كُنْتَ مَأْجُورًا مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ فِيمَا تُقَاسِمُهُ ، مُثَابًا عَلَى مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْمَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَى مَا تَذْكُرُهُ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ .

وإِنَّمَا مَثَلُ الذِّكْرِ الَّذِي يَعْقِبُ التَّنْبِيهَ ، وَيَكُونُ مَعَهُ النِّفْعُ وَالْإِيقَاطُ مِنَ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ أَنَّ تُخْضِرَ الْمَذْكُورَ قَلْبَكَ وَتَجْمَعَ لَهُ ذُهْنُكَ وَتَجْعَلَهُ نَصَبَ عَيْنَيْكَ مِنْ وَلَدٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَتَعْلَمَ عِلْمًا لَا يَشُوبُهُ شَكٌّ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ إِمَّا فِي الْحَيَاةِ أَوْ فِي الْمَمَاتِ ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي خَلْقِهِ وَحُكْمُهُ الْمَطْرُودُ .

وَتُشِيعِرُ هَذَا قَلْبَكَ وَتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمْنَعُهَا بِذَلِكَ عَنِ الْمِيلِ إِلَى ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ وَالْهَلَكَةِ بِسَبَبِهِ .

فَعَقَّبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ

وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُزْمٍ يُورَّعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ
 وَفِيمَنْ لَمْ تُؤْهَلْهُمْ بِفَلَسٍ وَقِيَمَةٍ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ
 وَتَسَانَا الْأَجْبَةِ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بِأَلْيَاتِ
 كَأَنَّا لَمْ نَعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَصْل

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفَرِّغُكَ لَهُ
 وَيُكْثِرُ اشْتِغَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَخِلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ
 وَأَقْرَانِكَ وَزُمَلَائِكَ وَأَسَاتِذَتِكَ وَمَشَايِخَتِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَكَ .

كَأَنَّا يَخْرِصُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعُونَ سَعْيَكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَّتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَمَتْ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ،
 وَفَجَعَتْ فِيهِمْ أَهْلِيَهُمْ وَأَجْبَاءَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَاصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ
 وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضاً مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِعْتِنَاءِ بِالْمَلَابِسِ وَتَضَافَتِهَا وَتَضَرَّة
 بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْحَبُونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّيْبِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَعِيمٍ يَتَقَلَّبُونَ ،
 وَعَلَى الْأَسِيرَةِ يَتَكَيَّفُونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِيهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .

وَفِي أَمَانِيهِمْ يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ ، لَا يُفَكِّرُونَ بِالزَّوَالِ ، وَلَا يَهْمُونَ
 بِالنَّقَالِ ، وَلَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، قَدْ خَدَعَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزُخَارِفِهَا ،
 وَخَلَبَتْهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ بِرَوْقِهَا ، وَحَدَّثَتْهُمْ بِأَحَادِيثِهَا الْكَاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ
 بِمَوَاعِيدِهَا الْمُخْلِفَةِ الْغَرَارَةِ .

فَلَمْ تَزَلْ تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيدَهَا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ مَشِيدَهَا ، وَتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا
وَجَدِيدَهَا ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْهُمْ عَلَائِقُهَا ، وَتَحَكَّمَتْ فِيهِمْ رَوَاشِقُهَا ،
وَتَكَشَّفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُهَا ، وَرَمَقَتْهُمْ مِنَ الْمَيَّةِ رَوَاقِهَا .

فَوَثَّبَتْ عَلَيْهِمْ وَثْبَةَ الْحَنِيقِ وَأَغَصَّتْهُمْ غُصَّةَ الشَّرِيقِ ، وَقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ
الْمُخْتَبِقِ ، فَكَمَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُيُونِ بَاكِيَةٍ ، وَدُمُوعِ جَارِيَةٍ ، وَخُلُودِ دَامِيَةٍ ،
وَقُلُوبِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِفَقْدِهِمْ خَالِيَةٍ . وَأَنْشَلُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَرَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَى
يَمِيدُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَعِيدُ
تَعْلَقُ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ

خُلُوبًا لِأَلْبَابِ الرِّجَالِ تَصِيدُ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدِ وَقَائِمِ
وَاللَّمْرُ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ

خَلَا بِالْأَمَانِي وَاسْتَطَابَ حَدِيثُهَا
فَيَنْقُصُ مِنْ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ
وَأَذِنَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ وَهِيَ بَعِيدَةٌ

وَتَفْعَلُ تُذْنِي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ
أَتِيَحْتَ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْتِ رَمِيَّةٌ

فَرَاخَ بِهَا الْمَغْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ
وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا

وَعَادَ حَدِيثًا يَنْقُضُنِي وَيَبِيدُ
كَأَنَّ لَمْ يَنْلِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً

وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ

وكررها في مواضع من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض وعمرؤها أكثر مما عمرؤها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ هذا خبر أصدق القائلين وهذا قول حق وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه وعوينة في زمانه ممن رفعوا ثم وضعوا وعلوا ثم صرعوا ودارت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضه مَقْنَعٌ لمعتبر وبلاغٌ للمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ على أهل حمص فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون . إن من كان قبلكم بنوا شديداً وأملوا بعيداً وجمعوا كثيراً فأصبحت اليوم مساكنهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مصارع من كان قبلكم

كيف استلرجتهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهم وقد تَخَلَّتْ عنهم فهم في حيرة وظلمة مُذْلِمَةٌ تركوا الأهلين والأولاد والعيال والأموال .

مَسَاكِينُهُمُ الْقُبُورُ وقد خَلَتْ منهم الدور وتقطعت منهم الأوصال والصُّلُورُ وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهياً قال تعالى ﴿فَلَا تَفْرَنكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

شعرا :

نَبِيَّيْ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَغْشَرٍ أَيْنَ الْأَكْسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأُولَى
جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
رَمَنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِيهِ
كَتَبُوا الْكُتُوبَ فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقَا
خُرُسٌ إِذَا تُودُوا كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا
حَتَّى تَوَى فُحْوَاهُ لَخَذَ ضَيْقُ
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفُوسُ نَفَائِسُ
أَبْ أَلِكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
وَالْمُسْتَغْفِرُ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ

آخر :

أَجِدْكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيْمُهَا
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ فِيهَا عَجَائِبًا
وَصَاحِبِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً
وَقَدْ طَابَ عَيْشُ وَالسُّرُورُ يُجَدِّدُ
فَمَا رَأَعَهُمْ إِلَّا الرُّزَا يَا ثَوَابِتُ
عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَذَاهُمْ تُحْشِدُ
وَأَسْقَتْهُمْ كَاسًا مِنَ الذُّلِّ مُتَرَعًا
وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَائِينَ مَقْعَدُ
وَدَانَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضُ بُرْهَةٍ
عَلَى نُكْدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ

اللهم وَفَّقْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرُهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِضْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَضْلٌ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا أَنَّ اللَّهَ
أَخْرَجَ أَطَايِبَهَا مِنْ خَسَائِيسِهَا فَالِدُنْيَا سَبْعَةُ أَشْيَاءَ : مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَلْبُوسٌ
وَمَشْمُومٌ وَمَنْكُوحٌ وَمَسْمُوعٌ وَمُبْصَرٌ .
أَمَّا الْمَأْكُولَاتُ فَأَشْرَفُهَا الْعَسَلُ وَهُوَ لُعَابُ ذُبَابٍ وَأَطْيَبُ الْمَشْرُوبَاتِ الْمَاءُ
وَيَسْتَوِي فِي شُرْبِهِ الْأَدَمِيُّ وَالْكَلْبُ وَالْخِنْزِيرُ وَالْجِمَارُ .

وَأَفْضَلُ الْمَلْبُوسَاتِ الْحَرِيرُ وَالْإِبْرَنِيمُ وَهُوَ لُعَابُ دُوْدَةٍ وَأَشْرَفُ الْمَنَاجِحِ
النِّسَاءُ وَحَقِيقَتُهَا مَبَالٌ فِي مَبَالٍ وَأَشْرَفُ الْمَشْمُومَاتِ الْمِسْكُ وَهُوَ دَمٌ غَزَالٍ
وَالْمَسْمُوعُ وَالْمُبْصَرُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ .

قَدْ أَوْلَعَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بَارَبَعَةً أَكَلَ وَشَرَبَ وَمَلْبُوسٌ وَمَنْكُوحٌ
وَعَايَةُ الْكُلِّ إِنَّ فَكَّرْتَ فِيهِ إِلَى رَوْثٍ وَبَوْلٍ وَمَطْرُوحٍ وَمَفْضُوحٍ

فَإِنْ قِيلَ مَا السَّبَبُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا وَالتَّكَالُبِ عَلَيْهَا مَعَ كَثْرَةِ
هَمِّهَا وَغَمِّهَا وَأَنْكَادِهَا فَالْجَوَابُ قَلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِعِيوبِهَا فَلَوْ كَشَفَ الْغَطَاءَ لَهَرَبُوا
مِنْهَا فَإِنْ قِيلَ مَا سَبَبُ زَهْدِ الْأَمْرَاءِ فِي أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ وَرَغْبَةِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عِنْدَ
الْأَمْرَاءِ قِيلَ سَبَبُ زَهْدِهِمْ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَأَمَّا رَغْبَةُ الْعُلَمَاءِ
فَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ (فَائِدَةٌ فِي مُعَالَجَةِ حُبِّ الدُّنْيَا الْمُسْتَعْرِقِ لِلْوَقْتِ)

إِلَعْلَمُ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يَنْدُرُ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ لِأَنَّ

الانسان يَقُولُ الْآيَامُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَفْعَلُ غَدًا كَذَا وَبَعْدَ غَدٍ سَأَفْعَلُ وَأَتَمَتَّعُ بِالدُّنْيَا وَالتَّوْبَةُ مَفْتُوحٌ بِأُيُهَا وَتَتِمَّادَى بِهِ الْآيَامُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَتَتَشَعَّبُ آمَالُهُ إِلَى أَنْ يَنْسَى أَنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَ يُبْعِدُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَيُذِنِيهِ مِنَ الْآخِرَةِ .

وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذِنِي الْمَنَايَا لِلنَّفُوسِ فَتَقْرُبُ وَلَكِنْ مِنَ الْعِلَاجِ النَّافِعِ أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ لَيْسَ بِيَدِي فَكَيْفَ اعْتَمِدُ عَلَى الْحَيَاةِ قَرَبْنَا قَضَى وَالْمَوْتُ لَا يَتَأَخَّرُ بِكَرَاهَتِي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ هَبْنِي جَمَعْتُ الدُّنْيَا أَلَيْسَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَتْرُكُ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ عَنْهُ وَيَتَمَتَّعُ فِيهِ غَيْرِي فَلِمَا لَا أَفْكُرُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعُ الدُّنْيَا لَغَيْرِي وَأَبُوءُ بِحِسَابِهَا وَأَضْرَارِهَا . وَأَكُونُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

كَلُودٌ كَلُودِ الْقَرْيَ يَنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُ
آخِرُ : وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفَرًا لِوَارِثِهِ وَيَذْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيِّدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَائِرُ فَرِيَسَتِهِ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ
وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ كَانَتْ دُنْيَاهُ أَكْثَرَ حَسْرَتُهُ أَشَدَّ وَخَوْفُهُ أَعْظَمَ
بِخِلَافِ مَنْ كَانَ أَحْفَافًا مِنْهُ دُنْيَا فَأَمْرُهُ أَسْهَلُ فَصَاحِبُ الْأَلْفَيْنِ أَشَدَّ حِسَابًا مِنْ
صَاحِبِ الْأَلْفِ وَهَلُمَّ جَرًّا .

وَمِنَ الْعِلَاجِ زِيَارَةُ الْمَقَابِرِ وَالنَّظَرُ فِي مَصَارِعِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَخْوَةِ
وَالْأَخَوَاتِ وَسَائِرِ الْقَرَابَاتِ وَالْأَقْرَانِ وَالزَّمَلَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَيَزُورُ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ
وَالْمَرْضَى وَالسَّجُونَ وَالْمُسْتَوْصِفَاتِ لِيَشْكُرَ اللَّهُ عَلَى نِعْمِهِ الْعَظِيمَةِ .

تَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلٌ وَبَادِرُ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ تَأْزِلُ
آخِرُ : خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاضُهُمْ وَسَاقَهُمْ نَحْوُ الْمَنَايَا الْمَقَادِرِ

وَحَلُّوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمُّهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْحَفَائِرُ
آخِرُ: وَعَضَّتْكَ أَجْدَاثُ وَهْنٌ صُمُوتٌ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا وَمُهْمِلِ نَفْسِهِ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ يَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَى جِسْمِهِ وَانْحِلَالِ قُوَّاهُ وَاشْتِعَالِ الشَّيْبِ
الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْمَوْتِ وَضَعْفِ نَظَرِهِ وَسَمْعِهِ وَتَقَارُبِ خُطَاهُ وَسُقُوطِ أَسْنَانِهِ .

تَسَاقُطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعُفُ نَازِلٌ وَتَقْصُرُ خُطَوَاتُ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ الرُّسُلُ أَعْلَمَ مِنِّي قَنِعُوا بِالْقُوَّةِ وَرَضُوا بِالْكَفَافِ
وَمَا طَلَبُوا الدُّنْيَا فَلِمَاذَا أَتَهَمَكُ فِيهَا وَأُحْرِقُ نَفْسِي وَأَغْفُلُ عَنِ مَا قُدَّامِي مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ الَّتِي أَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ .

أَيُّ الْمُلُوكِ أَيْنَ الْجَبَابِرَةِ أَيْنَ الطُّغَاةِ وَأَعْوَانُهُمْ انْظُرِي يَا نَفْسُ هَلْ يَبْقَى
مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ نَفَرَضُ أَنَّكَ مَلَكَتِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَصَفَا لَكَ
عَذْبُهَا وَزَلَّالُهَا وَأَذَرَكْتَ الْأَمَانِي أَلَيْسَ آخِرُ ذَلِكَ الْمَوْتُ وَعَاقِبَتُهُ الْقَوْتُ فَلِمَاذَا
تُحْرِقُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ مَا هُوَ غَارِيَّةٌ وَوَدِيعَةٌ وَلَا تَذْهَبُ إِلَّا بِالْكَفَنِ فَقَطْ .
فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طَوْلُ عُمُرِهِ وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَارِفِ تَخْدَعُ
أَفِقْ وَانْظُرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَائِعَ تَرْجِعُ

آخِرُ:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

آخِرُ: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مُغْرُورٌ

وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّمْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسَ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورٌ

آخِرُ: لَمَّا تُؤَذِّنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الْوَدَاعِ سَاعَةً يُؤَلَّدُ

آخِرُ: نَصِيحَتِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّمْرُ كُلَّهُ رَدًّا أَنْ تُطَيَّرَ فِيهِمَا وَخُطُوطُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(فَصْل)

عن إبراهيم التيمي قال يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَحْزَنُ أَنْ يَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَا الْحَزْنَ » وَيَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يُشْفَقْ أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا « إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ » .

وعن الفضيل بن عياض قال قِيلَ لِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ أَنْتَ وَأَنْتَ أَيُّ يُثْنُونَ عَلَيْهِ قَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا فَإِنِّي لَا أَذَرِي مَا يَبْلُوُنِي مِنْ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ سَمِعْتُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُوَ لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ اخْتَسَبُ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أَنَّهُ جَزِعَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقِيلَ لَهُ لِمَ تَجْزَعُ فَقَالَ أَخْشَى آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْلُوَ لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ اخْتَسَبُ .

قلت وفيه آيات أخرى يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ نَضَبَ عَيْنِي الْعَاقِلِ اللَّيِّبِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَبْلُغُوا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وقال عَبْدُ الْأَعْلَى التَّيْمِيُّ شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِي لَذَّةَ الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وعن أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ أَوَى أَبُو مَيْسَرَةَ عَمْرُو بْنُ شَرْحِبِيلَ إِلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ

يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي فَقَالَتْ لَهُ إِمْرَأَتُهُ أَمَا مَيْسَرَةَ أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ هَذَاكَ
لِلْإِسْلَامِ وَفَعَلَ بِكَ كَذَا قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَا وَارِدُونَ عَلَى النَّارِ وَلَمْ يُبَيِّنْ
لَنَا أَنَا صَادِرُونَ عَنْهَا .

وَقَالَ الْحَسَنُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُصْبِحُ حَزِينًا وَيُمْسِي حَزِينًا وَيَنْقَلِبُ بِالْيَقِينِ فِي
الْحُزْنِ وَيَكْفِيهِ مَا يَكْفِيهِ الْعُنْتِزَةَ الْكَفِّ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّرْبَةَ مِنَ الْمَاءِ .

وَقَالَ حَبِيبُ ابْنِ أَبِي ثَابِتٍ مَا اسْتَقْرَضْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
نَفْسِي أَقُولُ لَهَا أَهْمِلِي حَتَّى يَجِيءَ مِنِّي حَيْثُ أَحِبُّ .

شِعْرًا :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلِّ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرٍهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَارًا إِلَى زَمَنِ الْبُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلَّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ
وَقَالَ الثَّوْرِيُّ مَا ضَرَّهُمْ مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا جَبَرَ اللَّهُ لَهُمْ كُلَّ مُصِيبَةٍ
بِالْجَنَّةِ . وَسَأَلَ رَجُلٌ سَفِيانَ الثَّوْرِيِّ فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يَعْطِيهِ فَبَكَى سَفِيانٌ فَقَالَ
لَهُ مَسْعَرُ بْنُ كُدَّامٍ مَا يُبْكِيكَ قَالَ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَغْظَمُ مِنِّي أَنْ يُؤْمَلَ فِيكَ رَجُلٌ
خَيْرًا فَلَا يُصِيبُهُ عِنْدَكَ .

وَبَكَى ثَابِتٌ حَتَّى كَادَتْ عَيْنُهُ تَذْهَبُ فَجَاؤَا بِرَجُلٍ يُعَالِجُهَا فَقَالَ الرَّجُلُ
أَعَالِجُهَا عَلَى أَنْ تَطِيعَنِي قَالَ وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ عَلَى أَنْ لَا تُبْكِيكَ قَالَ فَمَا خَيْرُهُمَا
إِنْ لَمْ تُبْكِيَا وَأَبَى أَنْ يُعَالِجَهَا .

وَكَانَ شَقِيقُ بَنِ سَلَمَةَ إِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ يَنْشُجُ - أَيُّ يَخْشَعُ وَيَبْكِي - وَلَوْ
جُعِلَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَاحِدٌ يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ مَا فَعَلَهُ - أَيُّ يَخْشَى مِنْ
الرَّيَاءِ . رَوَى شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرَّيَاءُ» .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ بْنُ فَرْقَدٍ يَخْرُجُ عَلَى فَرَسِهِ لَيْلًا إِلَى الْقَبْرِ فَيَقِفُ
عَلَى الْقَبْرِ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ قَدْ طُوِّبَتْ الصُّحُفُ وَقَدْ رُفِعَتِ الْأَعْمَالُ ثُمَّ
يَبْكِي وَيَصِفُ قَدَمَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ فَيَرْجِعَ فَيَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ .

وقالت امرأة حسان بن سنان كان يَجِيءُ فَيَدْخُلُ مَعِيَ فِي فِرَاشِي ثُمَّ يُخَادِعُنِي كَمَا تُخَادِعُ الْمَرْأَةَ صَبِيهَا فَإِذَا عَلِمَ أَنِّي نُمْتُ سَلَّ نَفْسَهُ فَخَرَجَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي قَالَتْ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَمْ تُعَذِّبُ نَفْسَكَ أَرْفُقُ بِنَفْسِكَ فَقَالَ اسْكُنِي وَنَحَلْكَ فَيُوشِكُ أَنْ أَرْقُدَ رَقْدَةً لَا أَقُومُ مِنْهَا زَمَانًا .

عن عبد الله بن المبارك قال حدثنا وهيب قال ما اجتمع قومٌ في مجلسٍ أو مَلَأَ إِلَّا كَانَ أَوَّلَاهُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَفْتَتِحُ بِذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يُفِيضُوا فِي ذِكْرِهِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلَسٍ أَوْ مَلَأَ إِلَّا كَانَ أَوَّلَهُمْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَفْتَتِحُ بِالشَّرِّ حَتَّى يَخُوضُوا فِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ طَوْبِي لِمَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَقًا لِلشَّرِّ وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَقًا لِلْخَيْرِ .

« فصل »

كتب عُمرُ بنُ عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أن اكتب إلى بشيء من رَسَائِلِ عُمرَ بن الخطاب فَكَتَبَ أَنْ يَا عُمرَ اذْكُرِ الْمُلُوكَ الَّذِينَ تَفَقَّاتُ أَعْيُنُهُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَا تَنْقُضِي لَدَائِهِمْ وَانْفَقَّاتُ بَطُونُهُمُ الَّتِي كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ بِهَا وَصَارُوا جِيفًا فِي الْأَرْضِ وَتَحْتَ أَكْنَافِهَا أَنْ لَوْ كَانَتْ إِلَى جَنْبِ مَسْكِينٍ لَتَأْذَى بِرَيْحِهِمْ .

وقال بلالُ بن سَعْدِ رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٍ وَرُبَّ مَغْبُونٍ لَا يَشْعُرُ قَوْلِي لِمَنْ لَهُ الْوَيْلُ وَلَا يَشْعُرُ يَأْكُلُ وَيَشْرِبُ وَيَضْحَكُ وَيَلْعَبُ وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ فِي قَضَاءِ اللَّهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

عن عون بن عبد الله بن عتبة أنه كان يقول يَا وَيْحَ نَفْسِي كَيْفَ أَغْفَلُ وَلَا يُغْفَلُ عَنِّي أَمْ كَيْفَ تَهْنِئَتِي مَعِيشَتِي وَالْيَوْمُ الثَّقِيلُ وَرَأْيِي أَمْ كَيْفَ يَشْتَدُّ عَجْبِي بِدَارٍ فِي غَيْرِهَا قَرَارِي .

وكان داود الطائي في دارٍ واسعةٍ خربةٍ ليسَ فيها إِلَّا بَيْتٌ وَلَيْسَ عَلَى بَيْتِهِ بَابٌ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْتَ فِي دَارٍ وَخَشَةَ فَلَوْ اتَّخَذْتَ لَبَيْتِكَ هَذَا بَابًا أَمَا

تَسْتَوِجِشْ فَقَالَ خَالَتْ وَخَشَةَ الْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ وَخَشَةِ الدُّنْيَا .
وقال محمد بن كعب : الدنيا دَارُ فَنَاءٍ مَنَزِلُ بُلُقَةٍ رَغِبَتْ عَنْهَا السُّعْدَاءُ
وَأَسْرَعَتْ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ فَأَشْقَى النَّاسَ بِهَا أَرْغَبُ النَّاسِ فِيهَا وَأَسْعَدُ النَّاسِ
فِيهَا أَرْهَدُ النَّاسِ بِهَا هِيَ الْمَعْدِبَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا الْمُهْلِكَةُ لِمَنْ أَتَّبَعَهَا الْخَائِنَةُ لِمَنْ
انْقَادَ لَهَا عِلْمُهَا جَهْلٌ وَغِنَاؤُهَا فَقْرٌ وَزِيَادَتُهَا نُقْصَانٌ وَأَيَّامُهَا دُؤُولٌ .
وعن بكر بن محمد قال : قُلْتُ لِذَاوُدَ الطَّائِي أَوْصِنِي قَالَ : عَسْكَرُ الْمُوقِ
يَنْتَظِرُونَكَ .

وقال أبو حازم : مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا لَمْ يَفْرَحْ فِيهَا بِرِخَاءٍ وَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى
بَلْوَى .

وقال ابن المبارك : أَهْلُ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَّمُوا أَطِيبَ
مَا فِيهَا قِيلَ لَهُ وَمَا أَطِيبُ مَا فِيهَا قَالَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وقال شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَسْبَابَهُ
وَلَمْ تَرَوْا مِنَ الشَّرِّ إِلَّا أَسْبَابَهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِحَذَائِفِهِ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّرُّ كُلُّهُ بِحَذَائِفِهِ فِي
النَّارِ وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرْضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْآخِرَةُ وَغَدٌ صَادِقٌ بِحُكْمِ
فِيهَا مَلِكٌ قَاهِرٌ وَلِكُلِّ بَثُونٍ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا .
وقال عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ اذْغَمُوا أَنْفُسَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ فَإِنَّ
الْمَغْبُونِ مَنْ غُيِبَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهُمَا وَإِنَّمَا جُعِلَ سَبِيلًا
لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَوَبَالًا عَلَى الْآخَرِينَ لِلْفَقْلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَأَخْبُوا لِلَّهِ
أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ .

فَإِنَّمَا تَحْيَا الْقُلُوبُ بِذِكْرِ اللَّهِ كَمْ مِنْ قَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي
خُفْرَتِهِ وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمِهِ عِنْدَ مَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَابِدِينَ غَدًا فَاعْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ .

وقال رَجُلٌ لِذَاوُدَ الطَّائِي أَوْصِنِي فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَخِي إِنَّمَا
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاجِلُ تَنْزِلُ بِالنَّاسِ مَرَحَلَةٌ مَرَحَلَةٌ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ

سَفَرَهُمْ فَإِنْ اسْتَطِيعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَحَلَةً زَاداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَافْعَلْ .
فَإِنْ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ وَالْأَمْرُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ
وَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَعَثْتَ إِيَّيَ لَأَقُولَ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ
أَحَدًا أَشَدَّ تَضَيُّعًا مِنِّي لِذَلِكَ ثُمَّ قَامَ .

وَجَاءَ دَاوُدَ الطَّائِي أَحَدُ أَصْحَابِهِ بِالْفَيِّ دِرْهَمٍ وَقَالَ هَذَا شَيْءٌ جَاءَ اللَّهُ بِهِ
لَمْ تَطْلُبْهُ وَلَمْ تُشْرَهُ لَهُ نَفْسُكَ قَالَ دَاوُدُ إِنَّهُ لَيْمَنْ أُمِثِلَ مَا يَأْخُذُونَ قَالَ فَمَا يَمْنَعُكَ
مِنْهُ قَالَ لَعَلَّ تَرْكُهُ أَنْ يَكُونَ أَتَجَنَّى .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ : لَقَدْ أَذْرَكَتُ رِجَالًا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ رَأْسُهُ مَعَ
رَأْسِ إِمْرَأَتِهِ عَلَى وَسَادَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ بَلَ مَا تَحْتَ خَدِّهِ مِنْ دُمُوعِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ إِمْرَأَتُهُ
وَلَقَدْ أَذْرَكَتُ رِجَالًا يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي الصَّيْفِ فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ
وَلَا يَشْعُرُ بِهِ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَضْحَكَنِي ثَلَاثٌ وَأَبْكَانِي ثَلَاثٌ
ضَحَكْتُ مِنْ مُؤْمِلِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَغَافِلٌ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ وَضَاحِكٌ مِلءُ فِيهِ
لَا يَنْدُرِي أَمْسُخَطَ رَبِّهِ أَمْ مُرْضِيهِ .

وَأَبْكَانِي ثَلَاثٌ فُرْقَةُ الْأَجْنِيَّةِ مُحَمَّدٍ وَحِزْبُهُ وَهُوَ الْمَطْلَعُ عِنْدَ غَمَرَاتِ
الْمَوْتِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ لَا أُدْرِي إِلَى النَّارِ أَنْصَرِفَ أَمْ إِلَى
الْجَنَّةِ .

وَقَالَ أَحَدُ السَّلَفِ لِأَنَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أَعَالَجُ أَغْلَالَهَا وَسَعِيرَهَا وَآكُلُ
مِنْ رَقُومِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ حَمِيمِهَا فَقُلْتُ يَا نَفْسُ أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِينَ قَالَتْ أَرْجِعُ
إِلَى الدُّنْيَا أَعْمَلْ عَمَلًا أَنْجُو بِهِ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ .

وَمَثَلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ مَعَ حُورِهَا أَلْبَسُ مِنْ سُنْدُسِهَا وَإِسْتَبْرَقِهَا وَحَرِيرِهَا

فَقُلْتُ يَا نَفْسُ أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِيْنَ قَالَتْ أَرْجِعْ إِلَى الدُّنْيَا فَاعْمَلْ عَمَلًا أَزْدَادُ بِهِ مِنْ هَذَا الثَّوَابِ فَقُلْتُ الْآنَ أَتَيْتِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأَمْنِيَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٧ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِفْتَاحَ سَعَادَةِ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ أَنْ يُرَاقِبَ مَوْلَاهُ بِحَيْثُ يَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ مُسْتَحْضِرًا عَظَمَةَ رَبِّهِ وَجَلَالَهُ وَلَا يَنْسَاهُ مُؤْمِنًا بِأَنَّهُ تَعَالَى يَرَاهُ أَيْنَمَا كَانَ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ فَمَنْ كَانَ هَكَذَا أَوْرَثَهُ ذَلِكَ خَشْيَةَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ، فَإِذَا خَافَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ خَوْفًا صَاحِبِيحًا وَقَفَّ وَلَا بُدَّ عِنْدَمَا حُدَّ لَهُ مِنْ حُدُودٍ يَفْعَلُ أَوْامِرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ ، لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِجْلَالُهُ لِرَبِّهِ ، وَمَنْ أَبْعَدَ الْبُعْدِ أَنْ يَقْرَبَ الْمَعْصِيَةَ مَنْ كَانَ هَكَذَا ، لِأَنَّهُ يَسْتَحْضِرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ ، وَيُوقِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجَازِيهِ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لِلَّهِ تَعَالَى بِهِمْ عِنَايَةٌ فَوْقَ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَصَوِّرُونَ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَهُ عَنْ مَبْلَغِ هَذِهِ الْعِنَايَةِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مَعَهُمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِمَّا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنْ تَقْوَى وَاحْسَانٍ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا . فَمِنْ يَغْلِبُ التَّقِيَّ وَمَعَهُ الْقَاهِرُ الْغَلَابُ وَمَنْ يُدْلُهُ وَمَعَهُ مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَنْ يُخْرِجُهُ وَمَعَهُ مَنْ كُلُّ الْعَوَالِمِ تَتَقَلَّبُ فِي بَحْبُوحَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ الْبَاهِرِ ، وَمَنْ يُشْفِقِيهِ وَمَعَهُ مَنْ لَا سَعَادَةَ إِلَّا وَهِيَ مِنْ فَيْضِ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ تَتَلَّ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

شِعْراً

غَضَارَةُ عَيْشٍ سَوْفَ يَذْوِي اخْضِرَّارُهَا
 وَقَدْ حَانَ مِنْ دُهِمِ الْمَنَايَا مَزَارُهَا
 وَقَدْ طَالَ فِيهَا عَايِنَتُهُ اعْتِبَارُهَا
 قَدْ اسْتَيْقَنَتْ أَنَّ لَيْسَ فِيهَا قَرَارُهَا
 وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيْنَ مَحَارُهَا
 أَمَا فِي تَوْقِيهَا الْعَذَابِ اِزْدَجَارُهَا
 إِلَى حَرِّ نَارٍ لَيْسَ يَطْفِئُ أَوَارُهَا
 إِلَى غَيْرِ مَا أَضْحَى إِلَيْهِ مَذَارُهَا
 وَتَقْصِدُ وَجْهًا فِي سِوَاهُ سِفَارُهَا
 وَقَدْ أُيْقِنَتْ أَنَّ الْعَذَابَ قُصَارُهَا
 لَقَدْ شَفَّهَا طُغْيَانُهَا وَاعْتَارُهَا
 وَعَمَّا لَهَا مِنْهُ النَّجَاحُ نِفَارُهَا
 وَتَتَّبِعُ دُنْيَا جَدِّ عَنْهَا فِرَارُهَا
 فَلِلَّهِ دَارٌ لَيْسَ تَحْمَدُ نَارُهَا
 دَلِيلٌ عَلَى مَحْضِ الْعُقُولِ اخْتِيَارُهَا
 وَتَسْلُكُ سُبُلًا لَيْسَ يَخْفَى عِوَارُهَا
 لِبَهْمَاءٍ يُؤْذِي الرَّجُلَ فِيهَا عِثَارُهَا
 إِذَا مَا انْقَضَى لَا يَنْقُضِي مُسْتَشَارُهَا
 وَتَبْقَى تَبَاعَاتُ الذُّنُوبِ وَعَارُهَا
 تَبَيَّنَ مِنْ سِرِّ الْخُطُوبِ اسْتِئَارُهَا
 نَوَاهِيَهُ إِذْ قَدْ تَجَلَّى مَنَارُهَا
 وَتُغْرِي بِدُنْيَا سَاءَ فِيكَ سِرَارُهَا

أَعَارَتْكَ دُنْيَا مُسْتَرْدُ مَعَارُهَا
 وَهَلْ يَتَمَنَّى الْمُحْكَمُ الرَّأْيَ عِيشَةً
 وَكَيْفَ تَلْدُ الْعَيْنُ هَجْعَةَ سَاعَةٍ
 وَكَيْفَ تَقْرُ النَّفْسُ فِي دَارِ نُقْلَةٍ
 وَأَنِّي لَهَا فِي الْأَرْضِ خَاطِرُ فِكْرَةٍ
 أَلَيْسَ لَهَا فِي السَّعْيِ لِلْفَوْزِ شَاغِلُ
 فَخَابَتْ نَفُوسُ قَادَهَا لَهَا سَاعَةٌ
 لَهَا سَائِقُ حَادٍ حَيْثُ مُبَادِرُ
 تُرَادُ لِأَمْرٍ وَهِيَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ
 أُمُورٌ فِيهَا يَسُوءُ قِيَامُهَا
 تُعْطَلُ مَفْرُوضًا وَتَعْنَى بِفَضْلَةٍ
 إِلَى مَا لَهَا مِنْهُ الْبَلَاءُ سُكُونُهَا
 وَتُعْرَضُ عَنْ رَبِّ دَعَاها لِرُشْدِهَا
 فَيَأْيُهَا الْمَغْرُورُ بَادِرُ بَرَجْعَةٍ
 وَلَا تَتَخَيَّرُ فَانِيًا دُونَ خَالِدٍ
 أَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا تَرْكُهُ
 وَتَتْرَكَ بَيْضَاءَ الْمَنَاهِجِ ضِلَّةً
 تُسَرُّ بِلَهْوٍ مُعَقَّبٍ بِنَدَامَةٍ
 وَتَفْتِي اللَّيَالِي وَالْمَسَرَّاتِ كُلُّهَا
 فَهَلْ أَنْتِ يَا مَغْبُونٌ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ
 فَعَجَّلَ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّكَ وَاجْتَنَبَ
 تَجَدُّ مُرُورِ الدَّهْرِ عَنْكَ بِلَاعِبِ

فَكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا
إِذَا حَفُّهُمْ عَفُوَ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ
يَفْزُ بَنُو الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ الَّتِي
هِيَ الْأُمُّ خَيْرُ الْبَرِّ فِيهَا عَقُوبُهَا
فَمَا نَالَ مِنْهَا الْحِطُّ إِلَّا مُهِنُهَا
تَهَافَّتَ فِيهَا طَامِعٌ بَعْدَ طَامِعٍ
تَطَامَنَ لَغَمْرِ الْحَادِثَاتِ وَلَا تَكُنْ
وِإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِمَا تَرَى
رَأَيْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ يَبْغُونَ عُدَّةً
وَحَلَّوْا طَرِيقَ الْقَصْدِ فِي مُبْتَغَاهُمْ
وَلِإِنِ الَّتِي يَبْغُونَ نَهَجَ بَقِيَّةٍ
هَلْ الْعِزُّ إِلَّا هِمَّةٌ صَحَّ صَوْنُهَا
وَهَلْ رَابِحٌ إِلَّا أَمْرٌ مُتَوَكِّلٌ
وَيَلْقَى وِلَاةَ الْمُلْكِ خَوْفًا وَفِكْرَةً
عِيَانًا نَرَى هَذَا وَلَكِنَّ سَكْرَةً
تَدْبِرُ مِنَ الْبَاقِي عَلَى الْأَرْضِ سَقْفَهَا
وَمَنْ يُمْسِكُ الْأَجْرَامَ وَالْأَرْضَ أَمْرُهُ
وَمَنْ قَدَّرَ التَّدْبِيرَ فِيهَا بِحِكْمَةٍ
وَمَنْ فَتَقَ الْأَمْوَاءَ فِي صَفْحٍ وَجْهَهَا
وَمَنْ صَيَّرَ الْأَلْوَانَ فِي نَوْرِ نَبْتِهَا
فَمِنْهُمْ مُخَضَّرٌ يَرُوقُ بِصَيِّضِهِ
وَمَنْ حَفَرَ الْأَنْهَارَ دُونَ تَكْلِيفِ

وَهَاتِيكَ مِنْهَا مُقْفَرَاتٌ دِيَارُهَا
وَأَسْكَنَهُمْ دَارًا حَلَالًا عَقَارُهَا
يُظُنُّ عَلَى أَهْلِ الْحِظْوِظِ اقْتِصَارُهَا
وَلَيْسَ بِغَيْرِ الْبَذْلِ يُحْمَى ذِمَارُهَا
وَمَا اِهْلُكُ إِلَّا قُرْبُهَا وَاعْتِمَارُهَا
وَقَدْ بَانَ لِلْبِذْلِ الذِّكْيِ اخْتِبَارُهَا
لَهَا ذَا اعْتِمَارٍ يَجْتَنِبُكَ غِمَارُهَا
فَقَدْ صَحَّ فِي الْعَقْلِ الْجَلِيِّ عِيَارُهَا
وَلَذَّةُ نَفْسٍ يُسْتَطَابُ أَجْتَارُهَا
لِمَتَّبِعَةِ الصِّفَارِ جَمِّ صِغَارِهِ
مَكِينٌ لِطُلَابِ الْخِلَاصِ اخْتِصَارُهَا
إِذَا صَانَ هِمَّاتِ الرِّجَالِ انْكَسَارُهَا
قُنُوعٌ غَنِيُّ النَّفْسِ بَادٍ وَقَارُهَا
تَضِيقُ بِهَا ذُرْعًا وَيَفْنَى اضْطِبَارُهَا
أَحَاطَتْ بِنَا مَا إِنْ يُفِيقُ خُمَارُهَا
وَفِي عِلْمِهِ مَعْمُورُهَا وَقِفَارُهَا
بِلَا عَمَدٍ يُبْنَى عَلَيْهِ قَرَارُهَا
فَصَحَّ لَدَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
فَمِنْهَا يُغْذَى حَبُّهَا وَثِمَارُهَا
فَأَشْرَقَ فِيهَا وَرْدُهَا وَبَهَارُهَا
وَمِنْهُمْ مَا يَغْشَى اللَّحَاطَ احْمَارُهَا
فَثَارَ مِنَ الصُّمِّ الصَّلَابِ انْفِجَارُهَا

وَمَنْ رَتَبَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَ ابْيَاضاً
وَمَنْ خَلَقَ الْأَفْلَاقَ فَاُمْتَدَّ جَرِيهَا
تَذَكَّرْ عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَاعْتَبِرْ بِهِ
تَحَامَى ذُرَاهَا كُلُّ بَاغٍ وَطَالِبٍ
تَوَافَتْ بَيْطُنَ الْأَرْضِ وَأَنْشَتْ شَمْلُهَا
وَكَمْ رَاقِدٍ فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَنِيَّةٍ
وَمَظْلَمَةٍ قَدْ نَالَهَا مُتَسَلِّطٌ
أَرَاكَ إِذَا حَاوَلْتَ دُنْيَاكَ سَاعِياً
وَفِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ يُقْعِدُكَ الْوَنَى
تُحَاذِرُ إِخْوَاناً سَتَفْنِي وَتَنْقُضِي
كَأَنِّي أَرَى مِنْكَ التَّبَرُّمَ ظَاهِراً
هُنَاكَ يَقُولُ الْمَرْءُ مَنْ لِي بِأَعْصَرِ
تَبَنٍّ لِيَوْمٍ قَدْ أَظْلَمَكَ وَرَدَّهُ
تَبَرّاً فِيهِ مِنْكَ كُلُّ مُخَالِطٍ
فَأُودِعْتُ فِي ظِلْمَا ضَنْكِ مَقْرُهَا
تُنَادِي فَلَا تُدْرِي الْمُنَادِي مُفْرِداً
تُنَادِي إِلَى يَوْمٍ شَدِيدٍ مُفْرَعٍ
إِذَا حُشِرَتْ فِيهِ الْوُحُوشُ وَجُمِعَتْ
وَزُيِّنَتْ الْجَنَّاتُ فِيهِ وَأُزْلِفَتْ
وَكُورَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ بِالضُّحَى
لَقَدْ جَلَّ أَمْرُكَ كَانَ مِنْهُ انْتِظَامُهَا
فَإِنَّمَا لِذَاكِ لَيْسَ يَفْنَى نَعِيمُهَا

غُدُوّاً وَيَبْدُو بِالْعَشِيِّ أَصْفَرَارُهَا
وَأَحْكَمَهَا حَتَّى اسْتَقَامَ مَدَارُهَا
فَإِنَّ الْمَذَكِّيَ لِلْعُقُولِ اعْتِبَارُهَا
وَكَانَ ضَمَاناً فِي الْأَعَادِي انْتِصَارُهَا
وَعَادَ إِلَى ذِي مُلْكَةٍ مُسْتَعَارُهَا
مُشْمَرَةً فِي الْقَصْدِ وَهُوَ سِعَارُهَا
مُدِلٌ بِأَيْدٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ثَارُهَا
عَلَى أَنَّهَا بَادٍ إِلَيْكَ أَزُورَارُهَا
وَتُبْدِي أَنَاةً لَا يَصِحُّ اعْتِدَارُهَا
وَتَنْسَى الَّتِي فَرَضَ عَلَيْكَ حِذَا رُهَا
مُبِيناً إِذَا الْأَقْدَارُ حُلَّ اضْطِرَارُهَا
مَضَتْ كَانَ مِلْكاً فِي يَدَيَّ خِيَارُهَا
عَصِيبٌ يُوَافِي النَّفْسَ فِيهِ اخْتِصَارُهَا
وَإِنَّ مِنَ الْأَمَالِ فِيهِ انْهِيَارُهَا
يَلُوحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُونِ اغْبِرَارُهَا
وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الْحَيَاةِ خَمَارُهَا
وَسَاعَةٌ حَشِرٌ لَيْسَ يَخْفَى اشْتِهَارُهَا
صَحَائِفُنَا وَانْتِثَالُ فِينَا انْتِشَارُهَا
وَإِذْ كَيَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ اسْتِعَارُهَا
وَأَسْرَعَ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ انْكِدَارُهَا
وَقَدْ عَطَلَتْ مِنْ مَالِكِيهَا عِشَارُهَا
وَإِنَّمَا لِذَاكِ لَا يُفَكُّ إِسَارُهَا

بَحْضَرَةَ جَبَّارٍ رَفِيقٍ مُعَاقِبٍ
وَيَنْدُمُ يَوْمَ الْبَعْثِ جَانِي صَغَارَهَا
سَتُغْبِطُ أَجْسَادُ وَحْيًا نَفُوسُهَا
وَمَنْ إِنْ أَلَمْتُ بِالْعُقُولِ رَزِيَّةً
تَجِدُ كُلَّ هَذَا رَاجِعٌ نَحْوَ خَالِقِ
أَبَانَ لَنَا الْآيَاتِ فِي أَنْبِيَائِهِ
فَأَنْطَقَ أَفْوَاهًا بِالْفَاطِ حِكْمَةٍ
وَأَبْرَزَ مِنْ صَمِّ الْحِجَارَةِ نَاقَةً
لِيُوقِنَ أَقْوَامٌ وَتَكْفُرَ عُصْبَةٌ
وَشَقَّ لِمُوسَى الْبَحْرَ دُونَ تَكْلُفٍ
وَسَلَّمَ مِنْ نَارِ الْأَنْوَقِ خَلِيلُهُ
وَنَجَّى مِنَ الطُّوفَانِ نُوحًا وَقَدْ هَدَّتْ
وَمَكَّنَ دَاوُدَ بِأَيْدٍ وَإِبْنَهُ
وَذَلَّلَ جَبَّارَ الْبِلَادِ بِأَمْرِهِ
وَفَضَّلَ بِالْقُرْآنِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ
وَشَقَّ لَهُ بَذَرَ السَّمَاءِ وَخَصَّصَهُ
وَأَنْقَذَنَا مِنْ كُفْرٍ أَرْبَابَنَا بِهِ
فَمَا بَالُنَا لَا نَتْرُكُ الْجَهْلَ وَنُحْنَا

فَتُخَصِّي الْمَعَاصِي كِبَرُهَا وَصَغَارَهَا
وَتُهْلِكُ أَهْلِيهَا هُنَاكَ كِبَارَهَا
إِذَا مَا اسْتَوَى أَسْرَارُهَا وَجَهَارُهَا
فَلَيْسَ إِلَى حَيٍّ سِوَاهُ اقْتِفَارُهَا
لَهُ مُلْكُهَا مُنْقَادَةٌ وَائْتِمَارُهَا
فَأَمَكْنَ بَعْدَ الْعَجْزِ فِيهَا اقْتِدَارُهَا
وَمَا حَلَهَا إِثْغَارُهَا وَاتِّغَارُهَا
وَأَسْمَعُمُ فِي الْحَيْنِ مِنْهَا حَوَارُهَا
أَتَاهَا بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ قَدَارُهَا
وَبَانَ مِنَ الْأَمْوَاجِ فِيهِ انْحِسَارُهَا
فَلَمْ يُؤْذِهِ إِحْرَاقُهَا وَاعْتِرَازُهَا
بِهِ أُمَّةٌ أَبَدَى الْفُسُوقَ شِرَارُهَا
فَتَغْسِيرُهَا مُلْقَى لَهُ وَبِذَارُهَا
وَعَلَّمَ طَيْرًا فِي السَّمَاءِ حَوَارُهَا
وَمَكَّنَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ مَغَارُهَا
بِآيَاتٍ حَقِّ لَا يُحْلُ مُعَارُهَا
وَقَدْ كَانَ مِنْ قُطْبِ الْهَلَاكِ مَنَارُهَا
لِنُسْلَمَ مِنْ نَارٍ تَرَامِي شَرَارُهَا

اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ وَتَبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْغَفَلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا
يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَاجِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

[فصل]

قال الفضيل بن عياض الدُّخُولُ فِي الدُّنْيَا هَيْنَ وَلَكِنِ الْخُرُوجُ مِنْهَا شَدِيدٌ وَقَالَ
آخِرُ عَجَبًا لِمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ كَيْفَ يَفْرَحُ وَعَجَبًا لِمَنْ عَرَفَ النَّارَ وَأَنَّهَا
حَقٌّ كَيْفَ يَضْحَكُ ، وَعَجَبًا لِمَنْ رَأَى تَقَلُّبَ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ،
وَعَجَبًا لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ حَقٌّ كَيْفَ يَنْصَبُ .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا ، فَلَا يَأْمُرُ بَعْضُنَا
بِقُضَا ، وَلَا يَنْتَهِي بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، وَلَا يَدْعُنَا اللَّهُ عَلَى هَذَا فَلَيْتَ شِغْرِي أَيْ
عَذَابُ اللَّهِ يَنْزِلُ عَلَيْنَا .

وَقِيلَ لِبِشْرِ مَاتَ فُلَانٌ فَقَالَ ، جَمَعَ الدُّنْيَا وَذَهَبَ إِلَى الْآخِرَةِ وَضِيعَ
نَفْسِهِ .

وقال آخر : الدُّنْيَا تَبْغُضُ إِلَيْنَا وَنَحْنُ نَحِبُهَا فَكَيْفَ لَوْ تَحَبَّبَتْ إِلَيْنَا .

وقال آخر : لَا يَصْبِرُ عَنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَشْغُلُهُ
بِالْآخِرَةِ .

وقال آخر : يَعِظُ أَخَا لَهُ فِي اللَّهِ وَيُخَوِّفُهُ بِاللَّهِ ، فَقَالَ يَا أَخِي إِنْ الدُّنْيَا
دَحَضَتْ مَرْزَلَةً ، وَدَارَتْ مَذَلَّةً ، عُثْرَاتُهَا إِلَى الْخَرَابِ صَائِرٌ ، وَعَامِرُهَا إِلَى الْقُبُورِ
زَائِرٌ ، شَمَلُهَا عَلَى الْفُرْقَةِ مَوْقُوفٌ ، وَغِنَاهَا إِلَى الْفَقْرِ مَصْرُوفٌ ، الْإِكْثَارُ فِيهَا
إِعْسَارٌ وَالْإِعْسَارُ فِيهَا يَسَارٌ .

فَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ وَارْضَى بِرِزْقِ اللَّهِ ، لَا تَتَسَلَّفَ مِنْ دَارِ فَنَائِكَ إِلَى دَارٍ
بِقَائِكَ فَإِنْ عَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا فِيَّ زَائِلٌ وَجِدَارٌ مَائِلٌ أَكْثَرُ مِنْ عَمَلِكَ وَأَقْلَلُ مِنْ
أَمَلِكَ .

وقال يحيى بن مُعَاذِ الْعُقَلَاءِ ثَلَاثَةٌ مِنْ تَرِكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تُتْرَكَهُ ، وَبَنَى
قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَاهُ .

وقال بُنْدَارُ إِذَا رَأَيْتَ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا يَتَكَلَّمُونَ بِالزُّهْدِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي سُخْرِيَةِ

إِبْلِيسَ .

وَذَكَرَ أَنَاسُ الدُّنْيَا وَأَقْبَلُوا عَلَى ذِمَّهَا عِنْدَ رَابِعَةِ الْعَلَوِيَّةِ ، فَقَالَتْ اسْكُتُوا
عَنْ ذِكْرِهَا فَلَوْلَا مَوْقِعُهَا مِنْ قُلُوبِكُمْ مَا أَكْثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِهَا ، إِنْ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا
أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجَيْفَةِ مَيْتَةٍ وَطُلَّابُهَا مِثْلُ الْكِلَابِ الْهَوَامِسِ
وَأَعْظَمُهُمْ ذِمًّا لَهَا وَأَشَدُّهُمْ بِهَا شَغَفًا قَوْمٌ طَوَّالُ الْقَلَائِسِ
وقال آخر : الدُّنْيَا مَزْبَلَةٌ وَمَجْمَعُ كِلَابٍ وَأَقْلَ مِنْ الْكِلَابِ مَنْ عَكَفَ
عَلَيْهَا ، فَإِنَّ الْكَلْبَ يَأْخُذُ مِنَ الْجَيْفَةِ حَاجَتَهُ وَيَنْصَرِفُ وَالْحَبَّ لِلدُّنْيَا لَا يَفَارِقُهَا
بِحَالٍ .

وقيل لأبراهيم بن أدهم كيف أنت فقال :

تُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا فَلَاحِدٌ دِينِنَا يَتَّقِي وَلَا مَا تُرْقِعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللَّهَ وَخُدَّهَ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ
وقال آخر :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُورُورًا وَأَنْعَمًا
كَبَانَ بَنَى بُنْيَانَهُ فَأَقَامَهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَا قَدْ بَنَاهُ تَهَدَّمَا
وقال لقمان لابنه : يَا بُنَيَّ بَغِ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبَحْهُمَا جَمِيعًا
وَلَا تَبْغِ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ تُخْسِرْهُمَا جَمِيعًا .

وقال محمد بن الحسين لَمَّا عَلِمَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَبِ أَنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَهَانَ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَنَّهَا عِنْدَهُ حَقِيرَةٌ ذَلِيلَةٌ .
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَهَّدَ فِيهَا ، وَحَذَرَ أَصْحَابِهِ مِنْ فِتْنَتِهَا أَكَلُوا مِنْهَا
قَصْدًا وَقَدَّمُوا فَضْلًا وَأَخْلَوْا مِنْهَا مَا يَكْفِي ، وَتَرَكُوا مَا يُلْهِي ، لَيْسُوا مِنْ

التياب ما سَتَرَ الْعَوْرَةَ ، وَأَكَلُوا مِنَ الطَّعَامِ أَذْنَاهُ مِمَّا سَدَّ الْجَوْعَةَ .
وَنَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنٍ أَنَّهَا فَانِيَةٌ وَإِلَى الْآخِرَةِ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ ، فَتَرَوُودُوا مِنَ
الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَابِ ، فَخَرُّبُوا الدُّنْيَا وَعَمَّرُوا بِهَا الْآخِرَةَ .

وَنَظَرُوا إِلَى الْآخِرَةِ بِقُلُوبِهِمْ فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ سَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِقُلُوبِهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ ،
وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمْ سَيَرْتَحِلُونَ إِلَيْهَا بِأَبْدَانِهِمْ تَعَبُوا قَلِيلًا وَتَنَعَّمُوا طَوِيلًا كُلَّ ذَلِكَ
بِتَوْفِيقِ مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمِ أَحَبُّوهُمَا مَا أَحَبَّ لَهُمْ وَكَرَهُوهُمَا مَا كَرِهَ لَهُمْ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي
جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ مَالِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا
إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

إِعْلَمِ بَأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطْلَبُ مَسَاعِيهِمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قَصَادًا
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّالُهُ قَصَلُوا فَجَلُّهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

وَحَظَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ
لَأَمْرٍ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِهِ وَهَذَا عَمَلُكُمْ فَإِنَّكُمْ حَمَقَى ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ
فَإِنَّكُمْ هَلَكَى فَمَا خُلِقْتُمْ لِلْأَيْدِ وَلَكِنْكُمْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تُنْقَلُونَ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ فِي دَارٍ لَكُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامِكُمْ غُصَصٌ وَمِنْ شَرَابِكُمْ شَرَقٌ
لَا تَصْفُوا لَكُمْ نِعْمَةً تَسْرُونَ بِهَا إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى تَكْرَهُونَ فِرَاقَهَا ، فَاعْمَلُوا لِمَا
أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ وَخَالِدُونَ فِيهِ ثُمَّ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ وَنَزَلَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ مَرَاكِحِ السُّلُوكِ : إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ
وَاسْتَحْكَمَ إِيْمَانَهُ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا خَافَ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّدَ مِنَ الْخَوْفِ الْهِيبَةُ .
فَإِذَا سَكَنَتْ غَلْبَةُ الْهِيبَةِ دَامَتْ طَاعَتُهُ لِرَبِّهِ ، فَإِذَا أَطَاعَ رَبَّهُ تَوَلَّدَ مِنَ
الطَّاعَةِ الرَّجَاءُ .

فَإِذَا سَكَنَتْ دَرَجَةُ الرَّجَاءِ فِي الْقَلْبِ تَوَلَّدَ مِنَ الرَّجَاءِ الْمَحَبَّةُ .

فإذا اسْتَحْكَمَتِ المحبةُ في قلبِ العبدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَامُ الشوقِ ، فإذا اشتاق أَذَاهُ الشَّوْقُ إلى الأُنسِ باللهِ ، فإذا أُنْسَ باللهِ اطمأنَّ إلى اللَّهِ ، فإذا اطمأنَّ إلى اللَّهِ كان لَيْلُهُ في نَعِيمٍ ونهارُهُ في نَعِيمٍ وسِرُّهُ في نَعِيمٍ وَعَلَانِيَتُهُ في نَعِيمٍ .
 وقال بعضهم يَا ابن آدم ما أَنْصَفْتَ إِذْ يَدْعُوكَ دَاعِي الدُّنْيَا بكلمةٍ واحدةٍ لِشَيْءٍ ذَاهِبٍ فَتَجِيبُهُ مُسْرِعًا ، وَيَدْعُوكَ دَاعِي الآخِرَةِ لِشَيْءٍ باقِي صَافِيٍ ثَابِتٍ فَلَا تُجِيبُهُ مُسْرِعًا ، فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تُقَدِّرِ الآخِرَةَ سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا .
 وقال آخر : العلماءُ العَامِلُونَ أَرْأَفَ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَهَاتِهِمْ وَاشْفَقَ عَلَيْهِمْ ، قِيلَ لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ ، قَالَ لِأَنَّ آبَاءَهُمْ وَأُمَهَاتِهِمْ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ نارِ الدُّنْيَا ، وَالْعُلَمَاءُ يَحْفَظُونَهُمْ مِنْ نارِ الآخِرَةِ وَأَهْوَاهَا .
 وقال آخر : مِنْ أَقْوَى الْقَوَى أَنْ تَغْلِبَ نَفْسَكَ ، مَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ نَفْسِهِ كَانَ عَنْ أَدَبِ غَيْرِهِ أَعْجَزَ ، وَقَالَ : مِنْ عِلَامَاتِ الاسْتِدْرَاجِ لِلْعَبِيدِ عَمَاهُ عَنْ عِيهِ ، وَتَطَلُّعُهُ إِلَى عِيُوبِ النَّاسِ ، وَقَالَ مِنَ النَّدَالَةِ أَنْ يَأْكُلَ الْعَبْدُ يَدَيْتِهِ .
 وقال آخر وقد سئِلَ عن الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : تَوْبَةُ نَحْلِ الإِصْرَارِ ، وَخَوْفُ يُرْيِلِ الثُّرُورِ وَرَجَاءُ يَنْهَضُ الْخَيْرَاتِ ، ثُمَّ مَرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي خَوَاطِرِ الْقُلُوبِ .
 قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ : أَنْفَعُ الْيَقِينِ مَا عَظَّمَ فِي عَيْنَيْكَ مَا بِهِ أَيْقَنْتَ وَأَنْفَعُ الْخَوْفِ مَا حَجَزَكَ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَأَطَالَ مِنْكَ الْحُزْنَ عَلَى مَا فَاتَ ، وَالزَّمَكَ الْفِكْرَ فِي بَقِيَّةِ عُمْرِكَ وَخَاتِمَةِ أَمْرِكَ .
 وَأَنْفَعُ الصَّدَقِ أَنْ تَقَرَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ ، وَأَنْفَعُ الْحَيَاءِ أَنْ تَسْتَجِي أَنْ تَسْأَلَهُ مَا تُحِبُّ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ .
 وَأَنْفَعُ الصَّبْرِ مَا قَوَّاهُ عَلَى خِلَافِ هَوَاكَ وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مُجَاهَدَتُكَ نَفْسَكَ لِتَرُدَّهَا إِلَى قَبُولِ الْحَقِّ .
 وَأَوْجَبُ الْأَعْدَاءِ مِنْكَ مُجَاهِدَةُ أَقْرَبِهِمْ مِنْكَ دُنُوًّا وَأَخْفَاهُمْ عَنْكَ شَخْصًا وَأَعْظَمُهُمْ لَكَ عَدَاوَةً وَهُوَ إِبْلِيسُ .

قُلْتُ : فما تَرَى في الأنس بالناس ؟ قال : إن وَجَدْتَ
عاقلاً مأموناً فأنس به واهرب من سائرهم كهربك من السباع .
قُلْتُ : فما أفضل ما أتقرب به إلى الله عز وجل ؟ قال : ترك
معاصيه الباطنة .

قُلْتُ : فما بال الباطنة أولى من الظاهرة ؟ قال : لأنك إذا
أجتنبت الباطنة بطلت الظاهرة والباطنة .

قُلْتُ : فما أضر الطاعات لي ؟ قال : ما نسيت بها
مساوئك ، وجعلتها نصب عينيك إذلاً لها وأمناً .

قال : وسمعتة يقول : استكثر من الله عز وجل لنفسك
قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر ، واستقل من نفسك لله عز وجل
كثير الطاعة إزراءً على النفس وتعرضاً للعفو .

واستجلب شدة التيقظ بشدة الخوف ؛ وادفع عظيم
الحرص بإيثار القناعة ، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس ؛
وسد سبيل العجب بمعرفة النفس .

وأطلب راحة البدن بأجماع القلب ، وتخلص إلى إجماع
القلب بقلّة الخلطاء ، وتعرض لركة القلب بدوام مجالسة أهل
الذكر ، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة ، وأحذر
«سوف» .

وكن صارماً كالوقت فالمت في عسى وإياك مهلاً فهي أخطر عليّ
وجذ بسيف العزم سوف فإن تجذ تجذ نفساً فالنفس إن جذت جذت

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس تقووا
بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الحرب من نار الله الموقدة التي

تطلع على الأفئدة .

فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مُؤَجَّلُونَ خَلَائِفَ
مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا مِنَ الدُّنْيَا أَنْفَهَا وَزَهْرَتَهَا .
فَهُمْ كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْيَاراً وَأَمَدَّ أَجْسَاماً وَأَعْظَمَ آثَاراً
فَخَدَّدُوا الْجِبَالَ وَجَابُوا الصُّخُورَ وَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ مُؤَيَّدِينَ بَبْطَشٍ
شَدِيدٍ وَأَجْسَامٍ كَالْعِمَادِ .

فَمَا لَبِثَ الْأَيَّامُ وَاللِّيَالِي أَنْ طَوَتْ مُدَدَهُمْ وَعَقَّتْ آثَارَهُمْ
وَأَخَوَتْ مَنَزِلَهُمْ وَأَنْسَتْ ذِكْرَهُمْ ، فَمَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزاً .

كَانُوا بَلَهُو الْأَمَلَ آمِنِينَ لِبَيَاتِ قَوْمٍ غَافِلِينَ أَوْ لَصَبَاحِ قَوْمٍ
نَادِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِي نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ بَيَاتاً مِنْ عُقُوبَةِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ وَأَصْبَحَ الْبَاقُونَ
يَنْظُرُونَ فِي آثَارِ نِقْمَةٍ وَزَوَالِ نِعْمَةٍ وَمَسَاكِنِ خَاوِيَةٍ فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى .
وَأَصْبَحْتُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي أَجَلٍ مَنْقُوصٍ وَدُنْيَا مَقْبُوضَةٍ فِي
زَمَانٍ قَدْ وَلَّى عَفْوُهُ وَذَهَبَ رِخَاؤُهُ .

فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ إِلَّا حِمَّةٌ شَرٌّ وَصَبَابَةٌ كَدْرٌ ، وَأَهَاوِيلُ عِبرَ ،
وَعُقُوبَاتٌ غَيْرُ أَرْسَالٍ فِتْنٍ ، وَتَتَابُعٌ زَلَّالٌ وَرَذَالَةٌ خَلَفَ بِهِمْ ظَهَرَ
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

فَلَا تَكُونُوا أَشْبَاهاً لِمَنْ خَدَعَهُ الْأَمَلُ وَغُرَّ بِطُولِ الْأَجَلِ وَتَبَلَّغَ
بِالْأَمَانِيِّ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ وَعَى نَذْرَهُ ، وَعَقَلَ فَمْهَدَ

لنفسه .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاخْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ يُوصِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمِرَاقَبَةِ حَيْثُ لَا يِرَاكُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالِاسْتِعْدَادَ لِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حِيلَةٌ ، وَلَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ عِنْدَ نَزُولِهِ .

فاحسِرْ عَنِ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ ، وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتَى ، وَشَمِّرْ لِلسَّبَاقِ غَدًا فَإِنَّ الدُّنْيَا مِيدَانُ الْمُسَابِقِينَ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ النَّسْكَ ، وَتَشَاغَلَ بِالْوُصْفِ ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِالْمُوصُوفِ .

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّهُ لَا بَدَّ لِي وَلَكَ مِنَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَسْأَلَنِي وَإِيَّاكَ عَنْ وَسَاوِسِ الصَّدُورِ ، وَلِحَظَاتِ الْعَيُونِ ، وَإِصْغَاءِ الْأَسْمَاعِ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَعْجِزَ مِثْلِي عَنْ صِفَتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِمَّا وُصِفَ بِهِ مَنْافِقُوا هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُمْ خَالَطُوا أَهْلَ الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ وَطَابَقُوهُمْ عَلَيْهَا بِأَهْوَائِهِمْ ، وَخَضَعُوا لِمَا طَمِعُوا مِنْ نَائِلِهِمْ ، وَدَاهَنَ بَعْضُهُمْ (بَعْضًا) فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَأَشْرُوبُطِرُ قَوْلُهُمْ ، وَمُرُّ خَبِيثٌ فِعْلُهُمْ ، تَرَكَوا بَاطِنَ الْعَمَلِ بِلَا تَصْحِيحٍ

فحرمهم الله تعالى بذلك الثمن الربيح .
واعلم يا أخي أنه لا يجزى من العمل القول ، ولا من البذل
العِدَّة ، ولا من التقوى ولا من التوقى التلاؤم .
وقد صرنا في زمانٍ هذه صفة أهله فمن كان كذلك فقد
تعرض للمقت وصدَّ عن سَوَاء السبيل . وفقنا الله عزَّ وجلَّ وإياك
لما يحب ويرضى ، إنتهى والله أعلم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلّم

[فائدة]

كُلَّمَا قَوِيَتْ حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى الشَّيْءِ وَمَعْرِفَتِهِ يَسَّرَ اللَّهُ أَسْبَابَهُ
كَمَا يُيسِّرُ مَا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ فِي أَسْبَابِهِمْ أَشَدَّ .
فلما كانت حاجتهم إلى النفس والهوى أعظم منها إلى الماء
كان مَبْذُولاً لكل أحد في كل وقت .
ولما كانت حاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى القوت كان
وجود الماء أكثر لذلك .

فلما كانت حاجتهم إلى مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ أَعْظَمَ كَانَتْ آيَاتُهُ
وَدَلَائِلُ رُبُوبِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَحُكْمَتِهِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهَا .
ولما كانت حاجتهم إلى مَعْرِفَةِ صِدْقِ الرِّسْلِ بَعْدَ ذَلِكَ
أَعْظَمَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

أَقَامَ اللَّهُ مِنْ دَلَائِلِ صِدْقِهِمْ وَشَوَاهِدِ نُبُوَّتِهِمْ وَحُسْنِ حَالِ
مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَسَعَادَتِهِ وَنَجَاتِهِ وَبَيَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَقُبْحِ حَالِ مَنْ خَالَفَهُمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ مَا يَظْهَرُ
لَنْ تَدْبِرَ ذَلِكَ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ

وختاماً فالواجب على الانسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة وأن ينتهز فرصة الامكان قبل هجوم هادم اللذات .
وأن يستعين بالله ويتوكل عليه ويسأله العون في تسير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .
ويحرص على مجالس الذكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

ويتهيأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حقوق لله كزكاة أو لخلق كإمانات أو عواري أو وصايا أداها بسرعة خشية أن يفجأه الموت وهي عنده .

فإذا لم تؤدها أنت في حياتك ، فمن بعدك من أولاد أو إخوان يبعث اهتمامهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويشتغلون بما خلفته لهم وضيقت بسببه نفسك .

فالله الله البدار بالتفتيش على النفس ، والمبادرة بالتوبة والاكتثار من الاستغفار .

ومما يحثك على ذلك ذكر مرارة الموت الذي سماه رسول الله ﷺ هادم اللذات ، وتذكر شدة النزع والتفكر في الموتى الذي حُسبوا على أعمالهم ليُجازوا بها فليس فيهم من يُقدر على نحو خطيئة ، ولا على زيادة حسنة .

وعاد بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدك ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف علمت أنه الموت ؟ قال :

أَجْدُنِي أَجْتَذَبَ أَجْتَذَابًا ، وَكَأَنَّ الْخَنَاجِرَ فِي جَوْفِي ، وَكَأَنَّ جَوْفِي
تَنُورُ مَحْمًى يَتَلَهَّبُ .

قال له : فاعْهَدْ (أي أَوْصِي) ، قال : أَرَى الْأَمْرَ أَعْجَلَ
مِنْ ذَلِكَ فَدَعَا بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَتَى بِهَا حَتَّى شَخَّصَ
بَصْرَهُ فَمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدى : أَتَانِي رِيَّاحُ الْقَيْسِيِّ فَقَالَ :
يَا أَبَا إِسْحَاقِ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أَهْلِ الْأَخْرَةِ نُحَدِّثْ بِقُرْبِهِمْ عَهْدًا .
فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَأَتَى الْمَقَابِرَ فَجَلَسْنَا إِلَى بَعْضِ تِلْكَ
الْقُبُورِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقِ مَا تَرَى هَذَا مُتَمَنِّيًا لَوْ مُنَّ ، قُلْتُ :
أَنْ يُرَدَّ وَاللَّهِ إِلَى الدُّنْيَا فَيَسْتَمْتِعَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُصْلِحَ .
قال : فَهَا نَحْنُ ، ثُمَّ نَهَضَ فَجَدَّ وَاجْتَهَدَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا
يَسْرًا حَتَّى مَاتَ .

وَمَا يَحُثُّكَ عَلَى التَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِهَادِمِ اللَّذَاتِ أَنْ تُصَوِّرَ
لِنَفْسِكَ عَرْضَهَا عَلَى رَبِّكَ وَتُخَجِّلَهُ إِيَّاكَ بِمَضِيضِ الْعِتَابِ عَلَى
فِعْلٍ مَا نَهَاكَ عَنْهُ قَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تَوْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ
الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أُجِبَتْ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ،
وَإِذَا اسْتُرْجِحَ بِهِ رَجِحَتْ ، وَإِذَا اسْتَفْرَجَتْ بِهِ فَرَجَتْ أَنْ تَغْفَرَ
سَيِّئَاتِنَا وَتَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالَّهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيُكَلِّمُهُ ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان » .

وعن صفوان بن محرز قال : كنتُ آخذاً بيد ابن عمر إذ عَرَضَ له رَجُلٌ ، فقال كيف سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة .

فقال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إن الله يُذني المؤمن فيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ، وَيَسْتُرُهُ مِنَ الناس ، وَيُقرُّهُ بِذُنُوبِهِ . وَيَقُولُ له أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا ، حَتَّى إِذَا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك .

قال : فَإني قد سَتَرْتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . ومما يَحْتُكُّ على الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تتخيل وتَتَصَوَّرُ شَهَادَةَ المكان الذي تَعْصِي فيه عليك يوم القيامة .

فعن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ فقال « أَتَدْرُونَ ما أَخْبَارُهَا ، أن تشهدَ على كل عبد بما عمل على ظهرها ، أن تقول عَمِلَ كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهو أَخْبَارُهَا » .

ومما يَحْتُكُّ على التأهب والاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تُمَثِّلَ نَفْسَكَ عند بعض زَلَلِكَ كأنه يُؤْمَرُ بك إلى النار التي لا طاقةَ لمخلوق بها .

وتصور نفاذَ اللذة وذهابَها وبَقَاءَ العارِ والعذاب .

تَفْنَى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ شَهْوَتَهُ مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْيَبَتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ناركُم هذه ما يُوقَدُ
بُنُوا آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قالوا : والله
إن كانت لكافية .

وقال بعض السلف : ربما مُثِّلَ لي رأسي بين جبلين من نار وربما
رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها فكيف تنها الدنيا من كانت هذه
صفته .

وكان عمر رضى الله عنه ربما توقد له النار ثم يذني يديه منها
ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر .
ومما يحثك على الاستعداد وتفقد شؤونك وأمرك ذكر أحوال
كثير من السلف الصالح الذي أقلقهم خوفُ الحساب والعذاب في
البرزخ والنار .

لما أهديت مُعَاذَةَ العدوية إلى زوجها صِلَةَ بن أشيم أدخله
ابن أخيه الحَمَامُ ثم أدخله بَيْتاً مُطَيَّباً فقام يصلي حتى أصبح وفعلت
زوجته مُعَاذَةُ مثله .

فلما أصبح عاتبةُ ابن أخيه على فعله ليلة الزواج فقال له :
أَدْخَلْتَنِي بِالْأَمْسِ بَيْتاً ذَكَّرْتَنِي بِهِ النَّارُ ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي بَيْتاً ذَكَّرْتَنِي بِهِ الْجَنَّةُ
فَمَا زَالَتْ فِكْرَتِي فِيهِمَا حَتَّى أَصْبَحْتُ .

ونظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجلٍ عنده مُتَغَيِّرُ اللون ، ،
فقال له ما الذي بك ؟ فقال : إني ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَصَغُرَ فِي
عَيْنِي زَهْرَتُهَا وَمَلَأَتْهَا ، واستوى عِنْدِي حِجَارَتُهَا وَذَهَبُهَا .

وَرَأَيْتُ كَانَ النَّاسُ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَسَاقُ إِلَى النَّارِ ،
فَاسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَغِيرٌ حَقِيرٌ فِي
جَنْبِ عَفْوِ اللَّهِ ، وَثَوَابِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَنْبِ عِقَابِهِ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أَكُلُ مِنْ رَقُومِهَا
وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا وَأَعَالِجُ سَلَسِلَهَا وَأَغْلَاهَا .

فَقُلْتُ لِنَفْسِي أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدِينَ ، قَالَتْ أُرِيدُ أَنْ أَرُدَّ إِلَى
الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صَالِحًا ، قَالَ : فَقُلْتُ أَنْتِ فِي الْأَمْنِيَّةِ فَأَعْمَلِي .
وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَجُلًا يَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ وَيَقْرَأُ سُورَةَ
الطَّوْرِ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ
دَافِعٍ﴾ .

قَالَ عُمَرُ : قَسَمَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ حَقٌّ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ
فَمَرَضَ شَهْرًا يَعُودُهُ النَّاسُ ، وَلَا يَذُرُونَ مَا سَبَبَ مَرَضَهُ .
وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مَرَضُوا مِنَ الْخَوْفِ وَلِزُمُوا مَنَازِلَهُمْ
وَبَعْضُهُمْ صَارَ صَاحِبَ فَرَاشٍ .

وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ فِي وَصْفِ الْخَائِفِينَ : قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ
فَهُمْ أَمْثَالُ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَقُولُ مَرَضَى وَمَا بِهِمْ مَرَضٌ
وَيَقُولُ قَدْ خَوَّلَطُوا وَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ مِنْ ذِكْرِ الْآخِرَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَدَلْنَا فِيهَا بَعْضَ الْأَبْيَاتِ :

وَحَقَّقَكَ يَا ذَا الْجُودِ مَالِي مَلَجَوْ	وَلَا لِي إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ مَطْلَبُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَاجَةً	فَكَيْفَ إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ أَذْهَبُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُعْطٍ سِوَاكَ بِمَطْلَبِي	فَكَيْفَ سِوَى مَعْرُوفِ جُودِكَ أَطْلُبُ
عَدُوُّ لِي فِيهِ مَا يَرَى مَا رَأَيْتُهُ	فَيَكْثُرُ مِنِّي لَوْمِي عَلَيْهِ وَيُطْنَبُ
سَلَكْتُ سَبِيلًا مَا اهْتَدَى لِسُلُوكِهَا	فَاعْجَبُ مِنْهُ وَهُوَ مِنِّي يَعْجَبُ

وَكَيْفَ سَلُّوا عَنْ جَمَالِ مُحَجَّبٍ إِذَا سَتَانَسَ الْحَادُونَ لِلرَّكْبِ بِاسْمِهِ
يَطِيبُ وَيَحْلُو لِلْمُحِبِّينَ ذِكْرُهُ فَإِنْ قُلْتُ شَهِدًا فَهُوَ أَحْلَى مَذَاقَةً
سَأَلْتُكَ يَا حَادِي الرِّكَّابِ حَاجَةً فَسَلِّمْ عَلَى مَنْ قَدْ حَوَتْهُ قِبَابُهَا
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْمَاجِدُ الَّذِي هُوَ الصَّادِقُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَخَدَهُ
فَصَلُّوا عَلَيْهِ دَائِمًا فَصَلَّاتُكُمْ

أَيَادِيهِ عَنْ كُلِّ الْوَرَى لَيْسَ تُحَجَّبُ فَكُلُّهُمْوَا حَتَّى الرِّكَّابِ تَطْرَبُ
فَلَا طَيْبٌ إِلَّا وَذِكْرُكَ أَطْيَبُ وَإِنْ قُلْتُ مَاءً فَهُوَ أَضْفَى وَأَعَذَّبُ
إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنَيْكَ يَشْرَبُ وَشَرَعْتُهُ فِي الْكَوْنِ تُمَلَّى وَتُكْتَبُ
إِلَى فَخْرِهِ كُلِّ الْمُنَاسِبِ تُنْسَبُ فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ فَهُوَ فِي الْحَشْرِ يُنْدَبُ
ثَوَابُكُمْوَا فِيهَا مِنْ اللَّهِ يُطْلَبُ

وختاماً فالواجب على العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة ما دام في قيد الحياة وخصوصاً الصلاة التي فرضها الله جل وعلا على عباده أكد أركان الاسلام بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد .

فكما أن لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له وهي خاتمة وصية النبي ﷺ عند آخر عهده من الدنيا .
فعن أنس رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يُغرغر بنفسه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه أحمد وأبو داود .

وهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة كما ورد بذلك الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر »

الحديث رواه الترمذي .

والصلاة أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه قال الله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ الآية .

فالصلاة سعادة وسرور للمؤمن الخاشع المحب لربه ، فقد قال رسول الله ﷺ « جعلت قرّة عيني في الصلاة » وكان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة ، فالصلاة جَسَدٌ وَرُوحٌ .

أما جسدها فهو كلام اللسان وحركات الأعضاء وأما روحها فهو الخشوع ، قال الله جل وعلا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .

والخشوع حضور الذهن وأن يَتَصَوَّرَ الإنسانُ أَنَّ رَبَّهُ أَمَامَهُ يَسْمَعُهُ ويناجيه فلا يشغل فكره بشيء من الدنيا ما دام في صلاته ويجمع فكره إلى تأمل ما يتلو وما يسمع من الإمام ويحرص كل الحرص على طرد الهواجيس .

قال أحد العلماء : إن من المعلوم أن المنتصب لخطاب ملك من ملوك الدنيا يَجْمَعُ قَلْبَهُ لِلْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَيُحَسِّنُ التَّوَدُّدَ إِلَيْهِ وَيَتَحَرَّزُ التَّحَرُّزَ الْكُلِّيَّ عَنْ أَنْ تَفْرُطَ مِنْهُ كَلِمَةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ أَوْ تَفَاتَةٌ غَيْرُ مُسْتَحْسِنَةٍ أَوْ ذُهُولٍ عَمَّا يُخَاطَبُ بِهِ أَوْ يَتَلَقَّاهُ مِنْ خِطَابِهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَخَافُ نِقْمَتَهُ وَلَا يَرْجُو نِعْمَتَهُ .

فيا عَجَباً مَنْ مُنْتَصِبٍ لِمُنَاجَاتِ مَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَاضِرٌ لَدَيْهِ وَرَقِيبٌ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَإِنْ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ إِحْسَانٍ .

وعاقبة عصيانه إنه الخلود في قعر النيران وإن عَظَمَتُهُ لَا

تَدَانِيهَا عَظْمَةُ سُلْطَانٍ وَمَعَ ذَلِكَ يَتْرُكُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَيَعْرِضُ لَهُ
الذَّهْوُلُ عَنْهُ لِحَوَاطِرِ دُنْيَوِيَّةٍ وَوَسَاوِسَ غَيْرِ نَافِعَةٍ وَلَا مَرَضِيَّةٍ حَتَّى لَا
يَشْعُرُ بِمَعَانِي مَا يَتْلُوهُ فِي صَلَاتِهِ وَلَا يَعْقِلُ مَا الْمَطْلُوبُ بِهَا وَيَسْهُو عَنْ
أَرْكَانِهَا وَأَذْكَارِهَا هَذَا مِمَّا تَحَارَّ فِيهِ الْعُقُولُ .

ولعل السبيل إلى ذلك هو التحفظ عن تلك الشواغل في
حالة الصلاة التي هي عماد الدين والفارقة بين الكفرة والمؤمنين
التي فرضها الله لِيَتَطَهَّرَ بِهَا عِبَادُهُ عَمَّا اقْتَرَفُوهُ فِيمَا بَيْنَ أَوْقَاتِهَا مِنْ
الذُّنُوبِ وَيَغْسِلُوا بِهَا أَبْدَانَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ عَنِ دَرَنِ الْحُوبِ .

كما يشعر به قوله ﷺ « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ
جَارٍ يَمُرُّ عَلَى بَابٍ أَحَدُكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ . وَفِي
رَوَايَةٍ فَمَاذَا تَرَوْنَ أَيْبَقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ بَعْدَ ذَلِكَ » .
والمهم أن يَصْرِفَ الْعَبْدُ ذَهْنَهُ إِلَى أَنْ قِيَامَهُ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ
إِنَّمَا هُوَ لِحَطَابِ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْحَيَاءِ مِنْهُ
فِي أَحْوَالِهِ السَّابِقَةِ وَلِيُطْلَبَ مِنْهُ الْعَفْوُ وَالْمَسَاحَةُ وَالْإِحْسَانُ وَلِأَدَاءِ مَا
كَلَّفَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ .

اللهم إنا نسألك نفساً مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ ، اللهم إنا نسألك بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ
الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أُجِبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ ،
وَإِذَا اسْتُرْجِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ أَنْ تَغْفَرَ
سَيِّئَاتِنَا وَتَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

[فصل]

قال شيخ الإسلام :

الْقَلْبُ لَا يَصْلَحُ وَلَا يُفْلَحُ وَلَا يَسُرُّ وَلَا يَلْتَذُّ وَلَا يَطِيبُ وَلَا يَسْكُنُ وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ .

ولو حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنِّ وَلَمْ يَسْكُنْ إِذْ فِيهِ فَقْرٌ ذَاتِي إِلَى رَبِّهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ وَمَحْبُوبُهُ وَمَطْلُوبُهُ .

وبذلك يَحْصُلُ لَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ وَاللَّذَّةُ وَالنَّعْمَةُ وَالسُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ .

وهذا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ لَهُ وَلَا يَقْدَرُ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ دَائِمًا مُفْتَقِرٌ إِلَى حَقِيقَةِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

فهو مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَحْبُوبُ الْمَعْبُودُ وَمِنْ حَيْثُ هُوَ الْمُسْتَعَانُ بِهِ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ .

فهو إِلَهُهُ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُهُ وَهُوَ رَبُّهُ لَا رَبَّ لَهُ سِوَاهُ وَلَا تَتِمُّ عُبُودِيَّتُهُ إِلَّا بِهِذِينَ .

وقال : إِعْرَاضِ الْقَلْبَ عَنِ الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ وَالرَّجَا لَهُ يُوجِبُ إِنْصِرَافَ قَلْبِهِ عَنِ الْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ لَا سِيمَا مَنْ كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوقَ وَلَا يَرْجُو الْخَالِقَ .

بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه وإما على أهله وأصدقائه وإما على أمواله أو غيرهم ممن مات أو يموت قال تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت ﴾ .

وقال على كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ ولا يتقدم بين يديه .

بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره فمن
قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم .

وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عند علم بذلك
ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس
﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وقال رحمه الله : من ابتلي ببلاءٍ قلبي أَرْعَجَهُ فَأَعْظَمُ دَوَاءٍ لَهُ
قُوَّةُ الْالتِّجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَدَوَامُ التَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ بِأَنْ يَتَعَلَّمَ الْأَدْعِيَّةَ
الْمَأْثُورَةَ وَيَتَوَخَّى الدُّعَاءَ فِي مَظَانِ الْإِجَابَةِ .

مِثْلُ آخِرِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَفِي سَجُودِهِ وَأَدْبَارِ
الصلوات وَيَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ الْاسْتِغْفَارَ .

وليتخذُ وَرْدًا مِنَ الْأَذْكَارِ طَرَفِي النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ وَلِيَصْبِرَ عَلَى
مَا يَعْرُضُ لَهُ مِنَ الْمَوَانِعِ وَالصَّوَارِفِ .

فإنه لا بُدَّ أَنْ يُؤَيِّدَهُ اللَّهُ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَكْتُبَ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ .
وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه
وظاهره فإنها عمود الدين .

وليكن هجيره لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
فإنه بها يحمل الأثقال ويكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال .

ولا يَسْأَمُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَسْتَجَابُ لَهُ مَا لَمْ
يَعْجَل .

وليعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع
العسر يسرا .

وقال ابن القيم : مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الله
على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة .

وهي ثمرة عمله بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة .

قال النبي ﷺ « ذاقَ طَعْمَ الإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللّهِ رَبًّا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا .

وقال : من قال حين يسمع النداء رَضِيتُ بِاللّهِ رَبًّا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ .

وهذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي . وقد تَضَمَّنَهَا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له .

ومن اجتمعت له فهو الصديق حَقًّا وقال : الأدبُ اجتماعُ خصال الخير في العبد وهي ثلاثة أنواع :

أدب مع الله بأن يَصُونَ قَلْبُهُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ أَوْ تَتَعَلَّقَ إِرَادَتُهُ بِمَا يَمُوتُ عَلَيْهِ ، ويصون معاملته أَنْ يَشُوْهَا بِنَقِيصِهِ .

وأدب مع الرسول بكمال الانقياد ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوجوه .

وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

وقال رحمه الله : المقبول من العمل قسمان : أحدهما أَنْ يُصَلِّيَ الْعَبْدُ وَيَعْمَلَ سَائِرَ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَاكِرُ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ فَعَمَلُهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ .

الثاني : أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ الْأَعْمَالَ عَلَى الْعَادَةِ وَالْغَفْلَةِ وَيُنَوِّي بِهَا الطَّاعَةَ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ .

فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله فهذا عمله مقبول ومثاب عليه بحسبه .

اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار وأسكننا معهم في دار القرار ، اللهم وفقنا بحسن الاقبال عليك والإصغاء إليك ووفقنا للتعاون في طاعتك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم لأمرك والرضا بقضائك والصبر على بلائك والشكر لنعمائك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

فوائد ومواعظ ونصائح

قال أحد العلماء أعلم أنه لا يسلم إنسان من النقص إلا من عصمه الله كالرسل قال الله جل وعلا عن الإنسان ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾ . وقال ﷺ « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » فمن خفيت عليه عُيُوبُهُ فَقَدْ سَقَطَ .

وصار من السخف والردالة والحسّة وضعف التمييز والعقل وقلة الفهم بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الرذائل . وعليه أن يتدارك نفسه بالبحث عن عُيُوبِهِ والسؤال عنها بدقة وأكثر من يفهم عُيُوبَ الإنسان أعداؤه لأنهم دائما ينقبون عنها .

وكذلك الأصدقاء الناصحين الصادقين المنصفين يفهمونها غالباً . فالعاقل يشتغل بالبحث عنها والسعي في إزالتها ولا يتعرّض لعُيُوبِ الناس التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا من باب النصيحة . كما لورآى إنسانا مُعْجَباً بِنَفْسِهِ فَيُبْذِرُ لَهُ النُصْحَ وَجَهًا لَوَجْهِهِ لَا خَلْفَ ظَهْرِهِ .

واحذر أن تقارن بينك وبين من هو أكثر منك عُيُوبًا فتستسهل
الرداائل وتهاون بعُيوبك .

لكن قارن بين نفسك ومن هو أفضل منك لتسلم من عُجبك
بنفسك وتفيق من داء الكبر والعُجب الذي يولد عليك الاستحقار
والاستخفاف بالناس مع العلم بأن فيهم من هو خير منك .

فإذا استخففت بهم بغير حق استحقوا بك بحق لأن الله جل وعلا
وتقدس يقول ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ .

فتسبب على نفسك أن تكون أهلاً للاستخفاف بك مع ما تجنيه من
الذنوب وطمس ما فيك من فضيلة .

فإن كنت مُعجبًا بعقلك ففكر وتأمل في كل فكرة سوء تحل بخاطرِكَ
وفي أضاليل الأمانى الطائفة بك فإنك تعلم نقص عقلك حينئذ .
وإن أعجبت بآرائك فتأمل وفكر في غلطاتك وسقطاتك واحفظها
وتذكرها ولا تنسها .

وفي رأيي كنت تراه صواباً فتبين لك خطؤك وصواب غيرك والغالب أن
خطأك أكثر من الصواب .

وهكذا ترى الناس غير الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
وإن أعجبت بعملِكَ فتفكر في معاصيك هل يبتك خال من الملامى
والمنكرات مثل الصور والتلفاز والمدياع وأغانيه والمجلات والجرائد التي فيها
صور ذوات الأرواح .

وهل هو خال من الأولاد الذي لا يشهدون الجماعة وهل أنت سالم
من الغيبة وإخلاف الوعد والكذب والحسد والكبر والرياء .

والعقوق وقطيعة الرحم والظلم والرياء والدخان وحلق اللحية

والغش وقول الزور وسوء الظن بالمسلمين والتجسس عليهم والاحتقار لهم ونحو ذلك .

فَأَنْتَ إِذَا تَفَقَّدْتَ نَفْسَكَ وَبَيَّتَكَ وَأَوْلَادَكَ وَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنَ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ مَا بَعْضُهُ يَغْلِبُ عَلَى مَا أُعْجِبْتَ بِهِ مِنْ عَمَلِكَ الَّذِي لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مَقْبُولٌ أَوْ مَرْدُودٌ .

وإن أُعْجِبْتَ بعلمك أو عَمَلِكَ فأعلم أنه موهبة من العزيز العليم وهبك إياها فلا تُقَابِلْهَا بِهَا يَسْخِطُهَا عَلَيْكَ .

قال الله جل وعلا ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وأسأل الله أن يزيد منه ، وأن يجعله حجة لك لا عليك ، قال تبارك وتعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ .

وتفكر فيما تحمله من العلم هل أنت عَامِلٌ بِهِ أَمْ لَا وَاجْعَلْ مَكَانَ عُجْبِكَ بِنَفْسِكَ اسْتِنْقَاصاً لَهَا وَاسْتِقْصَاراً فَهُوَ أَوْلَى بِكَ .

وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيراً ، ثم اعلم أن العلم الذي تفتخر فيه ربما يكون وبالاً عليك .

فَيَكُونُ الْجَاهِلُ أَحْسَنَ حَالاً وَمَالاً وَأَعْزَرَ مِنْكَ فَبِذَلِكَ التَّفَكِيرُ يُزُولُ الْعُجْبُ وَالْكِبْرُ عَنْكَ وَتَهْوَنُ نَفْسُكَ عِنْدَكَ حِينَئِذٍ .

وإن أُعْجِبْتَ بِشَجَاعَتِكَ وَقُوَّتِكَ فَتَفَكَّرْ فَيَمُنْ هُوَ أَشْجَعُ وَأَقْوَى مِنْكَ ثُمَّ أَنْظِرْ فِي تِلْكَ النُّجْدَةِ الَّتِي مَنَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَ صَرَفَتْهَا .

فَإِنْ كُنْتَ صَرَفْتَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَأَنْتَ جَاهِلٌ آثِمٌ لِأَنَّكَ بَذَلْتَ نَفْسَكَ فِيهَا لَيْسَ ثَمَناً لَهَا .

وإن كُنْتَ صَرَفْتَهَا فِي طَاعَةِ فَقَدْ أَفْسَدْتَهَا بِإِعْجَابِكَ بِعَمَلِكَ .

ثم تفكر في زوالها عَنْكَ وَقْتُ الْكِبَرِ عِنْدَمَا تَنْحَلَّ قُوَّتُكَ وَيَضْعُفُ

جِسْمُكَ .

نَسَاقَطُ أَسْنَانٍ وَيَضْعُفُ نَاضِرٌ وَتَقْصُرُ خُطَوَاتُ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
قال الله جل وعلا وتقديس ﴿الله الذي خلقكم من ضَعْفٍ ثم
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ .

وقال وصاحب التَّعَبِدِ الْمُطْلَقِ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي تَعَبِدٍ بَعَيْنِهِ يُؤَثِّرُهُ عَلَى
غَيْرِهِ .

بل غَرَضُهُ تَتَّبِعُ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى أَيْنَمَا كَانَتْ فَمَدَارُ تَعَبِدِهِ عَلَيْهَا فَلَا
يَزَالُ مُتَنَقِّلًا فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ كُلَّمَا رُفِعَتْ لَهُ مَنَزَلَةٌ عَمِلَ عَلَى سَيْرِهِ إِلَيْهَا
وَاشْتَغَلَ بِهَا .

اللهم وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَارْزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَالِاسْتِقَامَةَ
وَاعْفَاْنَا مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَأَمْنَا مِنْ فَرْعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٨ موعظة

اسْمَعْ يَا غَائِبٌ فِي صَلَاتِهِ ، يَا شَتِيتَ الْهَمِّ فِي جِهَاتِهِ
يَا مَشْغُولًا بِأَفَاتِهِ عَنْ ذِكْرِ وَفَاتِهِ ، يَا قَلِيلَ الزَّادِ مَعَ قُرْبِ مَمَاتِهِ .

يَا مَنْ يَرَحُلُ عَنِ الدُّنْيَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مَرَحَلَةً ، وَكِتَابُهُ قَدْ
حَوَى حَتَّى مِقْدَارَ الْحَرْدَلَةِ ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِالْهَذِيرِ وَالنُّذُرِ مُتَّصِلَةً .

وَمَا يَرْعَوِي لِنَصِيحٍ وَكَمْ قَدْ عَذَلَهُ ، وَدِرْعُهُ مُتَخَرِّقَةٌ وَالسِّهَامُ

مُرْسَلَةً ، ونور الهدى قد يروي وما رآه ولا تأمله وهو يأمل البقاء وقد
رأى مصير من أمله .

وأجله قد دني ولكن أمله قد شغله ، وقد عكف على العيب
بعد الشيب بصباية ووله ، ويحضر بدنه في الصلاة وأما القلب فقد
أهمله .

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَبَيْنَ يَدَيْكَ الْحِسَابُ وَالزَّلْزَلَةُ ، وَنَعْمَ
جِسْمَكَ فَلَا بُدَّ لِلدُّودِ أَنْ يَأْكُلَهُ .

يَا عَجَبًا مِنْ فَتُورِ مُؤْمِنٍ بِالْجَزَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ ، أَيْقِينُ بِالنَّجَاةِ أَمْ
غُرُورٌ وَبَلَهٌ ، بَادِرٌ مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِكَ وَاسْتَدْرِكُ أَوَّلَهُ ، فَبَقِيَّةُ عُمُرِ
الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ .

وَمُسْنَدُونَ تَعَاقَرُوا كَأْسَ الرَّدِيِّ	وَدَعَا بِشُرْبِهِمُ الْحِمَامُ فَاسْرَعُوا
بَرَكَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمُوا بِجِرَانِهِ	وَهَفَّتْ بِهِمُ رِيحُ الْخُطُوبِ الزَّعْزَعُ
خُرُسٌ إِذَا نَادَيْتَ إِلَّا أَنَّهُمْ	وَعَطُّوا بِمَا يَنْزِعُ اللَّيْبُ فَاسْمَعُوا
وَالدَّهْرُ يَفْتِكُ بِالنُّفُوسِ حِمَامَهُ	فَلِمَنْ تَعَدُّ كَرِيمَةً أَوْ تُجْمَعُ
عَجَبًا لِمَنْ يَبْقَى ذَخَائِرُ مَالِهِ	وَيَظَلُّ يَحْفَظُهَا وَهُوَ مُضَيِّعُ
وَلِغَافِلٍ وَيَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ	مُلْقَى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مُضْجَعُ
أَتْرَاهُ يُحْسِبُ أَنَّهُمْ مَا أَسَارُوا	مِنْ كَأْسِهِ أَضْعَافُ مَا يَتَجَرَّعُ
عِبَادَ اللَّهِ كَمْ أَخْلَى الْمَوْتُ دَارَ ، وَتَرَكَ الْمَعْمُورَ قَفَارًا ، كَمْ	
أَوْقَدَ مِنَ الْأَسْفِ فِي الْجَوَانِحِ نَارًا ، وَكَمْ أَذَاقَ الْغُصَصَ الْمَرَّةَ	
مَرَارًا .	

لَقَدْ جَالَ يَمِينًا وَيَسَارًا فَمَا حَابَى فَقَرًا وَلَا يَسَارًا ، أَيْنَ الْجَيْشُ
الْعَرْمَرَمُ ، أَيْنَ الْكَبِيرُ الْمُعْظَمُ ، الْحَقُّ الْأَخِيرُ بِمَنْ تَقَدَّمَ .

قال محمد بن كعب القرظي إنما الدنيا سوقٌ خَرَجَ النَّاسُ مِنْهَا
بِمَا يَضُرُّهُمْ وبِمَا يَنْفَعُهُمْ .

وكم اغترَّ ناسٌ فخرجوا مَلُومِينَ واقتَسَمَ ما جَمَعُوا مَنْ لَمْ
يَحْمَدْهُمْ وصاروا إلى مَنْ لا يعذرهم .
فَيَحِقُّ لَنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَا نَغْبِطُهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَنَعْمَلُهَا ،
وإِلَى مَا نَتَخَوَّفُ فَنَتَجَنَّبُهَا .

وَأَيَّ الْمَشِيبِ يَحِلِّمُهُ وَوَقَارِهِ	ذَهَبَ الشَّبَابُ بِجَهْلِهِ وَبِعَارِهِ
بَغُرُورِهِ وَمُبَشِّرِ بَجْوَارِهِ	شَتَانٌ بَيْنَ مُبْعَدٍ مِنْ رَبِّهِ
كَالْطَّرْفِ يَمْرُحُ مُعْجَبًا بِعِذَارِهِ	مَا زِلْتُ أَمْرُحُ بِالشَّبَابِ جَهَالَةً
وَجَرَرْتُ مِنْ بَطَرٍ فُضُولَ أَزَارِهِ	وَسَحَبْتُ أَثْوَابَ الْبَطَالَةِ لَاهِيًا
عَوْرَاتِهِ وَبَدَا قَبِيحُ عَوَارِهِ	حَتَّى تَقْلُصَ ظِلُّهُ فَتَكْشِفَتْ
وَتَنْدُمُ مِنِّي عَلَى أَوْزَارِهِ	لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ غَيْرِ الْأَسَى
بِمَوَاعِظِ الْحَقِّ فِي تَذْكَارِهِ	وَالآنَ قَدْ خَطَّ الْمَشِيبُ بِمَفْرِقِي
عَنْهُ وَلَا تُصْنِعْ إِلَى إِنْذَارِهِ	وَالنَّفْسُ تَرْكَبُ غِيَّهَا لَا تَرَعُوي
مُحْصَى عَلَى بَلِيلِهِ وَنَهَارِهِ	لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ يَمُرُّ مُضِيْعًا

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه مَيِّدَانُكُمْ نَفُوسُكُمْ فَإِنْ
انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهَا كُنْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا أَقْدَرُ ، وَإِنْ خُذِلْتُمْ فِيهَا كُنْتُمْ عَلَى
غَيْرِهَا أَعْجَزُ ، فَجَرِّبُوا مَعَهَا الْكِفَاحَ أَوَّلًا .

كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ مَا يَنَامُ إِلَّا أَوَّلَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَسْتَفْضُ فَرَعًا
مَرْعُوبًا يُنَادِي النَّارَ النَّارَ شَغَلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ وَالشَّهَوَاتِ .
ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيَقُولُ عَلَى أَثَرِ وُضُوئِهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي
غَيْرَ مُعَلِّمٌ وَمَا أَطْلُبُ إِلَّا فَكَأَنَّكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ .

قال عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يُرَادُ الطَّبِيبُ لِلْوَجَعِ الشَّدِيدِ ، أَلَا فَلَا وَجَعَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ وَلَا دَاءَ أَخْبَثَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَا خَوْفَ أَخَوْفٍ مِنَ الْمَوْتِ .

يُرَوَّى عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ قَرَأْتُ « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ » وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وَبَجَنِيِّ أَعْرَابِي فَقَالَ كَلَامٌ مِنْ هَذَا فَقُلْتُ كَلَامُ اللَّهِ .
قَالَ أَعْدُ فَأَعَدْتُ فَقَالَ لَيْسَ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ، فَانْتَبَهْتُ فَقَرَأْتُ « وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

فَقَالَ أَصَبْتَ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ، فَقُلْتُ أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، قَالَ لَا فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ .

فَقَالَ يَا هَذَا عَزَّ فَحَكَمْ فَقَطَعَ ، وَلَوْ غَفَرَ وَرَحِمَ لَمَا قَطَعَ .
كَانَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ لَهُ وَظِيفَةٌ يَأْخُذُ عَلَيْهَا رَاتِبٌ جَيِّدٌ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ يَوْمًا مَعَ أَصْحَابِهِ طَعَامًا فَجَاءَ قَطٌّ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ سَرِيعًا .

ثُمَّ رَجَعَ فَرَمَوْا لَهُ أَيْضًا شَيْئًا فَانْطَلَقَ بِهِ سَرِيعًا ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ هَذَا كُلَّهُ فَتَبَعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى قِطٍ آخَرَ أَعْمَى فِي سَطْحٍ هُنَاكَ فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ .
فَقَالَ الشَّيْخُ يَاسُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا حَيَوَانٌ بِهِمْ قَدْ سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِ رِزْقَهُ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ أَفَلَا يَرْزُقُنِي وَأَنَا عَبْدُهُ وَاعْبُدُهُ .

ثُمَّ تَرَكَ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الرَّاتِبِ وَجَمَعَ حَوَاشِيهِ .
وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْمُلَازِمَةِ فِي غُرْفَةٍ فِي جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ لَهُ إِيَّاكَ وَتَأْمِيرَ التَّسْوِيفِ عَلَى نَفْسِكَ وَإِمْكَانِهِ مِنْ قَلْبِكَ ، فَإِنَّهُ مَحَلُّ الْكَلَالِ وَمَوْئِلُ التَّلَفِ وَبِهِ تَنْقَطِعُ الْأَمَالُ وَفِيهِ تَنْقَطِعُ الْأَجَالُ وَبَادِرٌ يَا أَخِي فَإِنَّهُ مُبَادِرٌ بِكَ وَأَسْرِعُ فَإِنَّهُ مُسْرِعٌ بِكَ وَجَدُّ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدُّ وَتَيَقُّظٌ مِنْ رَقَدَتِكَ وَاتَّبِعْ مِنْ غَفْلَتِكَ .

وَتَذَكَّرْ مَا أَسْلَفْتَ وَقَصُرْتَ وَفَرَطْتَ وَجَنَيْتَ وَعَمِلْتَ فَإِنَّهُ مُثَبِّتٌ مُخَصِّى فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَعَثْتَ فَاغْتَبِطْ بِمَا قَدَّمْتَ أَوْ نَدِمْتَ عَلَى مَا فَرَطْتَ .
ثُمَّ أَعْلَمْ أَنَّ فِي التَّسْوِيفِ وَتَأْخِيرِ الْوَاجِبِ آفَاتٌ مِنْهَا أَنَّكَ لَا تَضْمِنُ أَنْ تَعِيشَ إِلَى الْغَدِ وَلَا سِيَّمًا فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْحَوَادِثُ بِرِغْمِ تَقَدُّمِ الطَّبِّ وَتَوَفُّرِ النِّعَمِ وَتَقَدُّمِ الْعِلْمِ .

وَلَكِنْ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْمَوْتَ بِسَبَبِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَا تُخَصِّى كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَسْبَابِ أَدَوَاتِ الْحَضَارَةِ : السِّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَالْآلَاتِ وَالْأَجْهَزَةِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ وَالْكَهْرِبَايَّةِ وَالْقَرْ وَالنَّفْطِ وَغَيْرَهَا بَلِ الْعِلْمُ هُوَ الَّذِي نَشَأَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بِإِذْنِ اللَّهِ حَيْثُ كَانَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ حُصُولِ هَذِهِ فِي أَمَانٍ مِنْهَا .

ثَانِيًا : إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ إِلَى الْغَدِ لَا تَأْمَنُ مِنَ الْمَعْوَقَاتِ مِنْ مَرَضٍ طَارِئٍ أَوْ شُغْلٍ عَارِضٍ أَوْ بَلَاءٍ نَازِلٍ بِهِ فَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْحَازِمِ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى اغْتِنَامِ الْفُرْصِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَكَانَ الْعَجْزُ أَنْ تُؤَخَّرَ وَتُؤَجَّلَ حَتَّى تَقُوتَكَ الْفُرْصَةُ وَتَشْكُو مِنَ الْقُصَّةِ وَقَدْ قِيلَ :

وَلَا تُؤَخِّرْ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضَتْ فَهُمْ يَقُولُونَ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٌ
أَخْر :

عَلَيْكَ بِأَمْرِ الْيَوْمِ لَا تَنْتَظِرْ غَدًا فَمَنْ لَعِدَ مِنْ حَدِيثٍ بِكَفَيْلٍ
أَخْر :

وَلَا أَخِّرْ شُغْلَ الْيَوْمِ عَنْ كَسَلٍ إِلَى غَدٍ إِنْ يَوْمَ الْعَاجِزِينَ غَدٌ

اللَّهُمَّ يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا قَيُّومُ نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى أَنْ تَنْصُرَ
 الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُعَلِّيَ بِفَضْلِكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالَّذِينَ وَأَنْ تَشْمَلَ
 بِعَنَائِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ
 يُجِبُّكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانَا
 وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ بَعْضُهُمْ أَعْجَبَ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَخْشَى لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابًا وَيَسْتَعِذُّ لَهُ
 يَخْشَى الْفَقْرَ فَيَدْخُرُ لَهُ الْمَالُ وَيَخْشَى الْبَرْدَ فَيَسْتَعِذُّ لَهُ وَالْحَرَّ كَذَلِكَ .
 وَيَخْشَى الشَّيْخُوخَةَ وَالْكِبَرَ فَيَسْتَعِذُّ فِي تَحْصِيلِ الْأَوْلَادِ لَعَلَّهُمْ
 يَخْدُمُونَهُ عِنْدَ الْعَجْزِ وَيُخْلِفُونَهُ فِي شُؤْنِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ وَهَكَذَا .
 لَكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَوْتُ الَّذِي رُبَّمَا فَاجَأَهُ فِي حِسَابِهِ فَلَا يَسْتَعِذُّ لَهُ مَعَ أَنَّهُ
 يُشَاهِدُ الْمَوْتَى يَذْهَبُونَ وَلَا يَعُودُونَ .
 وَهُوَ مُهَلِّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ خُصُوصًا فِي زَمَنَاتِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ
 أَسْبَابُ مَوْتِ الْفَجَاءَةِ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا لِلْأَسْتِعْدَادِ لَهُ .
 وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادَرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ عَنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ
 أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .
 وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا كُنْتَ فِي إِذْبَارِ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ
 الْمُلْتَقَى .

وقال آخر : الدنيا كطريق فيه شوك مُغْطًى بالتراب يُلْؤِسُهُ مَنْ لَا

يَعْرِفُ مَسْلَكَهُ فَيَنْخَسُهُ وَيَضُرُّهُ وَيُؤْلِمُهُ وَيَقْفُ عَنْهُ مَنْ اسْتَرَابَ بِهِ فَيَسْلُمُ مِنْ شَرِّهِ .

وقال مَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فِيهَا وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ فَنَائِهِ .
وقال مَا أَغْفَلَ مَنْ تَيَقَّنَ بِالرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ مُنْهَمَكٌ مُجْتَهِدٌ فِي عِمَارَتِهَا وَالْجَدِيدُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ لِلْآخِرَةِ وَلَا يَنْسَى نَصِيحَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا .

فمن جعل همه كله للدنيا ضَيَّعَ نَفْسَهُ ، وَفَعَلَ السَّبَبَ لَا يَنَافِي التَّوَكُّلَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَوْ أَنْكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بَطَانًا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

ففي الحديث دلالة على طلب الرزق الكفاف وعمارة الآخرة تفيد الراحة في الدنيا والنعيم في الآخرة وعمارة الدنيا تكسب التعب فيها والشقاء بعد مفارقتها .

وَالْآخِرَةُ صَبْرٌ قَلِيلٌ وَسُرُورٌ طَوِيلٌ .

وقال آخر : الموت راحة لمن كان عبد شهوته ومملوك هواه لأنه كلما طال حَيَاتُهُ كَثُرَتْ سَيِّئَاتُهُ وَانْبَثَّتْ فِي الْعَالَمِ جَنَائِئُهُ .

وقال : الموت محمود على كل حال لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، فَأَمَّا الْبَرُّ فَيَصِلُ إِلَى مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ وَجَمِيلِ أَعْمَالِهِ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَرْجِعُ الْعَالَمَ مِنْ فَجْورِهِ وَشُرُورِهِ وَيَقِلُّ تَزْيِيدُهُ مِنَ الْأَوْزَارِ .

وختاماً فإن الإنسان عند موته ينكشف له الحجاب فإن كان ممن رضي الله عنه ينكشف له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه كالسجن المضيق .

يفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها ويريحانها ويوسع له قبره مد بصره .

وإن كان من أهل الشقاء فيرى نفسه محفوفة بالمخازي والفضائح
والأنكال ويضيق عليه قبره . ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها
نعوذ بالله من ذلك .

والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا
بأموالنا وأهلينا وأولادنا وأصدقائنا مع العلم أننا سنفارق الجميع ولكننا في غفلة
ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكير والتأمل في خطر تلك الحالة وهول
المطلع لكان كافياً في استغراق جميع العمر ولكن ما عرف قدر العمر وعرف
الدنيا حقيقة إلا أفراد من الآلاف الذي تمسكوا بسيرة النبي ﷺ وأصحابه
الذين جعلوا الدنيا مطيةً للآخرة نسأل الله العظيم أن يوفقنا لسلوك طريقهم وأن
يجزيهم عنا وعن جميع المسلمين خيراً ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق والحسد
والكبر والعجب والرياء وأعيتنا من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي
الصدور واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وارحمنا برحمتك الواسعة يا رب
العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال بعضهم موبخاً نفسه :

دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغِزْلَانِ وَالْغَزَلَ	يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لَا دُنْيَا ظَفِرَتْ بِهَا	وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِي شُغْلٍ
تَرَكْتَ طُرُقَ الْهُدَى كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً	وَمَلْتَ عَنْهَا لِمَعْوَجٍّ مِنَ السُّبُلِ
وَلَمْ تَكُنْ نَازِطاً فِي أَمْرِ عَاقِبَةٍ	أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ فِي خَبَلٍ
يَا عَاجِزاً يَتِمَّادَى فِي مُتَابَعَةِ النَّـ	نَفْسِ اللَّجُوجِ وَيَرْجُو أَكْرَمَ النَّزْلِ
هَلَا تَشَبَّهْتَ بِالْأَكْيَاسِ إِذْ فَطِنُوا	فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ الْعَمَلِ
فَرَطْتَ يَا صَاحَ فَاسْتَدْرَكَ عَلَى عَجَلٍ	إِنَّ الْمُنِيَّةَ لَا تَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
هَلْ أَنْذَرْتُكَ يَقِيناً وَقَتَ زَوْرَتِهَا	أَوْ بَشَّرْتُكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْقَصِلٍ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ	وَلَا الزَّمَانُ بِمَا أَمَلْتَ فِيهِ مَلِي

لَا تَحْسَبَنَّ اللَّيَالِيَ سَالَتْ أَحَدًا
 وَلَا يَغُرَّنْكَ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
 كَمْ مِنْ فِتْنَى جَبَرَتْهُ بَعْدَ كُسْرَتِهِ
 إِلَامَ تَرْفُلٍ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ عَلَى
 وَالشَّيْبِ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ
 وَلَمْ تُرَعْ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحَتْ تَنْشُدُهُ
 وَسِرَتْ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَاهِهِ
 وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلًا
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا
 أَمَا عَلِمْتَ بَأَنَّ اللَّهَ مُطْلِعُ
 وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَنْتَ فَاعِلُهُ
 أَمَا اعْتَبَرْتَ بِتَزَادِ الْمُنُونِ إِلَى
 وَسَوْفَ تَأْتِي بِلا شَكٍّ إِلَيْكَ فَمَا
 لَكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ
 دَعِ الْبَطَالَهَ وَالتَّفْرِيطَ وَأَبِكْ عَلَى
 وَلَمْ تُحْصِلْ بِهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا
 وَأَبْخَلْ بِدِينِكَ لَا تَبْغِي بِهِ عِوَضًا
 وَأَنْلِ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ مُنْتَهِيًا
 وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ
 وَلَا زِمَ السُّنَّةَ الْغُرَاءَ تُحَظُّ بِهَا
 وَجَانِبَ الْخَوْضِ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ
 وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى كَسْبِ الْحَلَالِ وَلَوْ

صَفَوْا فَمَا سَالَتْ إِلَّا عَلَى دَخَلٍ
 فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُنْتَقِلٍ
 فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلٍ
 بِسَاطِ لَهْوِكَ بَيْنَ التِّيهِ وَالْجَدَلِ
 فَمَا بِهِ كُنْتَ إِلَّا غَيْرَ مُهْتَبِلٍ
 إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ
 فَبَهْجَةُ الْعُمَرِ قَدْ وَلَّتْ وَلَمْ تَصِلْ
 وَحَالَهُ عَنْ طَرِيقِ الْغَيِّ لَمْ تَحُلْ
 تَرَكْتَهَا بِاِكْتِسَابِ الْوِزْرِ فِي ثِقَلٍ
 عَلَى الضَّمَائِرِ وَالْأَسْرَارِ وَالْحِيَلِ
 يُحْصَى وَلَوْ كُنْتَ فِي الْأُسْتَارِ وَالْكَلَلِ
 هَذِي الْخَلِيقَةُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
 أَخْرَتْ عَمَّنْ مَضَى إِلَّا إِلَى أَجَلٍ
 بِالْحَزْمِ وَانْهَضْ بِعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلٍ
 شَرِّحِ الشُّبَابَ الَّذِي وَلَّى وَلَمْ يُطَلْ
 يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ
 وَلَوْ تَعَاظَمَ وَاحْذَرْ بَيْعَةَ السُّفُلِ
 عَمَّا نَهَى وَتَدَبَّرْهُ بِلا مَلَلٍ
 فَهُوَ النَّجَاةُ لَتَالِيهِ مِنَ الظُّلَلِ
 وَعَدَّ عَنْ طُرُقِ الْأَهْوَاءِ وَاعْتَزَلْ
 وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْذَرْ فِتْنَةَ الْجَدَلِ
 حَمَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ غَيْرَ مُحْتَمِلِ

واقنع تجد غنية عن كل مسألة
 واطلب من الله واترك من سواه تجد
 ولا تذهبن فتى من أجل نعمته
 واعمل بعلمك لا تهجره تشق به
 ومن أتى لك ذنباً فاعف عنه ولا
 عساک بالعفو أن تجزى إذا نشرت
 ولا تكن مضمرأ ما لست تظهره
 ولا تكن آيساً وارج الكريم لما
 وقف على باب المفتوح منكسراً
 وارفع له قصة الشكوى وسله إذا
 ولازم الباب واصبر لا تكن عجلاً
 وناد يا مالكي قد جئت معتدراً
 فإنني عبد سوء قد جنى سفهاً
 وغره الحلم والإمهال منك له
 وليس لي غير حسن الظن فيك فإن
 حاشاك من رد مثلي خائباً جزعاً
 ولم أكن بك يوماً مشركاً وإلى
 وكان ذلك فضلاً منك جدت به

ففي القناعة عز غير مرئجل
 ما تبتغيه بلا من ولا بدل
 يوماً ولو نلت منه غاية الأمل
 وانشره تسعد بذكر غير منخدل
 تحقد عليه وفي عباه لا تطل
 صحائف لك منها صرت في خجل
 فذاك يقبح بين الناس بالرجل
 أسلفت من زلة لكن على وجل
 تجزم بتسكين ما في النفس من علل
 جن الظلام بقلب غير مشتغل
 واخضع له وتذل وأدع وأبتهل
 عساک بالعفو والغفران تسمح لي
 وضيع العمر بين النوم والكسل
 حتى غدا في المعاصي غاية المثل
 رددتني فشقاء كان في الازل
 والعفو أوسع يامولاي من زلي
 دين سوى دنك الإسلام لم مل
 وليس ذاك بسعى كان من قبلي

اللهم اعتقنا من رق الذنوب ، وخلصنا من أسر النفوس ، وأذهب عنا
 وحشة الإساءة ، وطهرنا من دنس الذنوب ، وباعد بيننا وبين الخطايا
 وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيبنا للقائك ، وأهلنا لولائك وأدخلنا مع المرحومين من

أُولَئِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .
 اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ،
 وَاجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَائِدِّنَا بِجُنْدِكَ الْمُنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ وارشادات وأحكام

قال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمرٍ
 دُنياه ولا في أمرٍ دينه .
 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يَقْعُدُ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ
 وَيَقُولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمَطِّرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً .
 وكان مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ يَغْرُسُ فِي أَرْضِهِ فَقَالَ عمر رضي الله عنه أَصَبْتَ
 اسْتَغْنَى عَنْ النَّاسِ يَكُونُ اصْوَنُ لِدِينِكَ وَأَكْرَمُ لَكَ عَلَيْهِمْ .
 وَسُئِلَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ عَنِ التَّاجِرِ الصَّدُوقِ أَهْوَأُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْمُتَفَرِّغُ
 لِلْعِبَادَةِ .

قال التاجر الصدوق أحبُّ إليَّ لِأَنَّهُ فِي جِهَادٍ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ مِنْ طَرِيقِ
 الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، وَمِنْ قَبْلِ الْأَخْذِ وَالْعَطَا فَيَجَاهِدُهُ .
 وَقِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مَا تَقُولُ فِيمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ أَوْ مَسْجِدِهِ وَقَالَ لَا
 أَعْمَلُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَنِي رِزْقِي .

فقال أحمدُ هذا رَجُلٌ جَهَلَ الْعِلْمَ أَمَا سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ « إِنْ اللَّهَ
 جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي » .

وقوله ﷺ حِينَ ذَكَرَ الطَّيْرَ « تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرْوُحُ بَطَانًا » فذكر أنها تَغْدُوا

في طلب الرزق .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في
نخيلهم والقُدوة بهم .

وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم
رحمه الله وكان معهم في السفينة .

أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس .
وروي أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم وعلى رأسه حزمة حطب
فقال يا أبا اسحاق إلى متى هذا إخوانك يكفونك .

فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنه من وقف موقف مدلة في
طلب الحلال وجبت له الجنة .

وقال أبو سليمان الدارني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك ، وغيرك
يقوت لك ، ولكن إبدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد . أه .

فالإنسان البصير يتسبب ويسترزق الله ويبيع ويشترى بإخلاص
ونضح لنفسه وللمسلمين .

كان عند يونس بن عبيد حُلل مختلفة الأثمان قسم منها قيمة الحلة
أربعمئة ، وقسم قيمة الحلة مئتان .

فذهب مبادراً إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي
وطلب حلة بأربعمئة .

فعرض عليه من حُلل المئتين فاستحسنها ورَضِيها فاشتراها بأربعمئة
وذهب بها .

فلقيه يونس فقال بكم اشتريت هذه فقال بأربع مائة فقال لا تساوي
أكثر من مائتين فأرجع حتى تردّها .

فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمئة وأنا ارتضيتها فقال له يونس انصرف

فَإِنَّ النُّصْحَ فِي الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .
 ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَانِ وَرَجَعَ عَلَيْهِ مِثْقَى دِرْهَمٍ وَوَبَّخَ ابْنُ أُخِيهِ وَقَالَ لَهُ أَمَا
 اسْتَحْيَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرَبُّحُ مِثْلِ الثَّمَنِ وَتَتْرُكُ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ .
 فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا قَالَ فَهَلَّا رَضَيْتَ لَهُ مَا تَرْضَاهُ
 لِنَفْسِكَ .

وَكَانَ يُؤْتَسِرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْكُورِ التَّابِعِيِّ خَزَّازًا (أَيْ يَبِيعُ الْخَزْزَ) فَطَلَبَ مِنْهُ
 الْمُشْتَرِي خَزًّا لِلشِّرَاءِ .

فَأَخْرَجَ غُلَامَهُ سَفْطَ الْخَزِّ وَنَشَرَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْجَنَّةَ .
 فَقَالَ لِعُلَامَتِهِ رَدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ وَلَمْ يَبِعْهُ ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْغُلَامِ
 تَعْرِيفًا بِالثَّنَاءِ عَلَى السِّلْعَةِ وَمَدْحًا لَهَا فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْغِشِّ وَالْخِدَاعِ .
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
 وَنَبِّهْنَا لَا غِنَاءَ لَنَا أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا
 تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ
 الَّتِي تَعَلَّمُهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَكَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قِطْعُ قِمَاشٍ بَعْضُهَا بِخَمْسَةِ وَبَعْضُهَا بِعَشْرَةِ
 دِينَارٍ غُلَامُهُ قِطْعَةً مِنَ الْقِطْعِ الَّتِي عَلَى خَمْسَةِ دِينَارٍ .

فَلَمَّا عَلِمَ مُحَمَّدٌ بِذَلِكَ ذَهَبَ يَطْلُبُ الَّذِي اشْتَرَى مِنْ غُلَامِهِ لِيَرُدَّ عَلَيْهِ
 خَمْسَةَ فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ طُولَ النَّهَارِ حَتَّى وَجَدَهُ .

فقال لَهُ إِنَّ الْغُلَامَ قَدْ غَلَطَ بِاعِكَ مَا يُسَاوِي خَمْسَةَ بَعْشَرَةٍ .
فقال يَا هَذَا أَنَا قَدْ رَضِيتُ فقال له وَإِنْ رَضِيتَ فَإِنَّا لَا نَرْضَى لَكَ إِلَّا
مَا نَرْضَاهُ لَأَنفُسِنَا .

فاخْتَرُ إِحْدَى ثَلَاثَ خِصَالٍ إِمَّا أَنْ تَأْخُذَ بِدَلْهَا مِنَ الْقِطْعِ الَّتِي عَلَى
عَشْرَةٍ بِدَرَاهِمِكَ وَإِمَّا نَرُدَّ عَلَيْكَ خَمْسَةً وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ الْقِطْعَةَ وَتَأْخُذَ دَرَاهِمَكَ .
فقال أَعْطِنِي خَمْسَةً فَرَجَّعَ عَلَيْهِ خَمْسَةً وَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ .
فقال مَنْ هَذَا الرَّجُلُ النَّاصِحَ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ
الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ . هَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ .

وكان ليونس بن عُبيد غلام يُجَهِّزُ إِلَيْهِ السُّكَّرُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرَّةً أَنَّ قَصَبَ
السُّكَّرِ قَدْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ هَذِهِ السَّنَةِ فَاشْتَرِ السُّكَّرَ قال فاشترى سُكْرًا كَثِيرًا .
فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُهُ رَبِيعَ فِيهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَأَفْكَرَ لَيْلَتُهُ وَقَالَ
رَبِيعْتُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَخَسِرْتُ نُصَحَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى بَائِعِ السُّكَّرِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ
لَكَ فِيهَا فَقَالَ مِنْ أَيْنَ صَارَتْ لِي فَقَالَ إِنِّي كَتَمْتُكَ حَقِيقَةَ الْحَالِ وَكَانَ السُّكَّرُ
قَدْ غَلَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ .

فقال رَحِمَكَ اللَّهُ قَدْ أَعْلَمْتَنِي الْآنَ وَقَدْ طَيَّبْتُهَا لَكَ قَالَ فَرَجَّعَ بِهَا إِلَى
مَنْزِلِهِ وَتَفَكَّرَ وَنَاتَ سَاهِرًا وَقَالَ مَا نَصَحْتُهُ فَلَعَلَّهُ اسْتَحْيَا مِنِّي فَتَرَكَهَا لِي .
فبَكَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ وَقَالَ عَافَاكَ اللَّهُ خُذْ مَا لَكَ إِلَيْكَ فَهُوَ أَطْيَبُ لِقَلْبِي
فَأَخَذَ مِنْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا . هَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الْوَرَعِ وَالزَّهْدِ .
وَنُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْوَرِيعِينَ أَنَّهُ اشْتَرَى كُرًّا لَوْزٍ وَهُوَ سِتُونُ قَفِيزًا بِسِتِينَ
دِينَارًا .

وَكَتَبَ فِي دَفْتَرِهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ رِنْحُهُ .

وَكأنَّهُ رَأَى أَن يَرِجَ عَلَى الْعَشْرَةِ نِصْفَ دِينَارٍ فَصَارَ اللَّوْزُ بِتِسْعِينَ .
فَأَتَاهُ الدَّلَالُ فَطَلَبَ اللَّوْزَ فَقَالَ خُذْهُ قَالَ بِكُمْ قَالَ بِثَلَاثَةِ وَسِتِّينَ دِينَارًا .
فَقَالَ الدَّلَالُ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْوَرَعِينَ قَدْ صَارَ اللَّوْزُ بِتِسْعِينَ .
فَقَالَ قَدْ عَقَدْتُ عَقْدًا لَا أَحُلُّهُ لَسْتُ أَبِيعُهُ إِلَّا بِثَلَاثِ وَسِتِّينَ .
فَقَالَ الدَّلَالُ وَأَنَا عَقَدْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَلَا أَغْشُ مُسْلِمًا لَسْتُ أَخُذُهُ
مِنْكَ إِلَّا بِتِسْعِينَ .

فَتَفَرَّقَا بِدُونِ بَيْعٍ .
كُلُّ مَنَّهُمَا مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْسِدَ نِيَّتَهُ وَهَذَا مِنْ رَقْمٍ وَاحِدٍ فِي الْوَرَعِ .
وَبَاعَ ابْنُ سِيرِينَ شاةً فَقَالَ لِلْمُشْتَرِي إِنْ فِيهَا عَيْبًا « إِنَّمَا تَقْلِبُ الْعَلْفَ
بِرَجُلِهَا » قُلْتُ فَعَلَى الْمُسْلِمِ النَّاصِحِ أَنْ يُبَيِّنَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ كُلِّ مَا يَعْلَمُهُ فِي
الْمَبِيعِ مِنَ الْعُيُوبِ كَكَوْنِ الدَّابَّةِ تَأْكُلُ الْعَذْرَةَ أَوْ تَأْكُلُ الْخِرْقَ أَوْ مَا تَحْلِبُ إِلَّا
عَلَى نَوْعٍ مِنَ الطَّعَامِ
وَيُحْكَى أَنَّ وَاحِدًا كَانَ لَهُ بَقَرَةٌ يَحْلِبُهَا وَيَخْلِطُ لَبَنَهَا بِالْمَاءِ وَيَبِيعُهُ فَجَاءَ سَيْلٌ
فَغَرِقَتِ الْبَقَرَةُ .

فَقَالَ أَحَدُ أَوْلَادِهِ إِنَّ تِلْكَ الْمِيَاهَ الْمُتَفَرِّقَةَ الَّتِي غَشَيْنَا فِيهَا اللَّبَنَ اجْتَمَعَتْ
دُفْعَةً وَاحِدَةً فَأَغْرَقَتِ الْبَقَرَةَ .

وَعَنْ أَحَدِ التَّابِعِينَ أَنَّهُ قَالَ لَوْ دَخَلْتُ الْجَامِعَ وَهُوَ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ وَقِيلَ لِي
مَنْ خَيْرٌ هَؤُلَاءِ لَقُلْتُ أَنْصَحُهُمْ لَهُمْ ، فَإِذَا قَالُوا هَذَا قُلْتُ هُوَ خَيْرُهُمْ .
وَلَوْ قِيلَ لِي مِنْ شَرِّهِمْ قُلْتُ أَغْشُهُمْ لَهُمْ فَإِذَا قِيلَ هَذَا قُلْتُ هُوَ شَرُّهُمْ .
وَبَاعَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ جَارِيَةً فَقَالَ لِلْمُشْتَرِي
إِنَّهَا تَنْخَمَتُ عِنْدَنَا دَمًا .

وَخِتَامًا فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَنِبَ بَيْعَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَلَاهِي كَالصُّورِ وَالتِّلْفَازِ
وَالْفِيدْيُو وَجَمِيعِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَأَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَنْ يَسْتَعْمِلُهَا .

وَالذَّخَانِ وَأَوَارِقَ اللَّعِبِ وَالطُّبُولِ وَالْمَزَامِيرِ وَكُلِّ مَا يُشْغِلُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
أَوْ يُعِينُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ .

وَيَنْصَحُ مَنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ وَأَمْثَالَهَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ .
تَوَرَّعْ وَدَعْ مَا إِنْ يَرِيْبُكَ كُلُّهُ جَمِيعاً إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ تَسْلَمْ
وَحَافِظْ عَلَى أَعْضَائِكَ السَّبْعِ جُمْلَةً وَرَاعَ حُقُوقَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ
وَكُنْ رَاضِياً بِاللَّهِ رَبّاً وَحَاكِماً وَفَوِّضْ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ وَسَلِّمْ
اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْنًا مِنَ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عن أَبِي بَرَّزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيّاً كَانَ امِراً مِنَ الْأَنْصَارِ ،

وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ (أَيُّ لَا زَوْجَ لَهَا) لَمْ
يَزُوجْهَا حَتَّى يُعَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا فُلَانُ
زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ . قَالَ : نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ . قَالَ : إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي
أُرِيدُهَا قَالَ : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِحُلَيْبٍ . قَالَ : يَارَسُولَ ﷺ حَتَّى
أَسْتَأْمِرَ (أَيُّ أَشَاوَرُهَا) وَأَمَّهَا .

فَأَتَاهَا فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ . قَالَتْ :
نَعَمْ وَنِعْمَةٌ عَيْنٌ ، زَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُرِيدُهَا . قَالَتْ : فَلِمَنْ ؟ قَالَ :
لِحُلَيْبٍ . قَالَتْ : حَلَقَى الْحُلَيْبُ ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا أَزُوجُ
جُلَيْبِيّاً .

فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خذرها لأبويها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ. قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ اذفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني.

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها. فزوجها جليبيبا.

قال اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت: أتدري ما دعا لها به النبي ﷺ؟ قال: وما دعا لها به النبي عليه السلام؟ قال: اللهم صب عليها الخير صبا ولا تجعل عيشها كدا.

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا ونفقد فلانا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا.

قال: لكني أفقد جليبيبا فطلبوه في القتلى.

فانظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه.

فقال رسول الله ﷺ: هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم

قتلوه هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه.

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه ثم حفروا له ما له سرير

إلا ساعدي رسول الله ﷺ حتى وضعه في قبره.

لله در هذه الأنفس فما أعزها وهذه الهمم فما أرفعها!

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذْلَةً عَلَيْهِمْ وَعِزُّ الْمَوْتِ غَيْرُ مُحَرَّمٍ
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمُّ وَقَعَ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تَذُمَّ
وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفَرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرْبُهُ وَخَشْيُ سَقَتِ حَمْزَةَ الرَّدَى وَحَتَفُ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ
رَوَى مُسْلِمٌ فِي أَفْرَادِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :

انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر حتى سبقوا المشركين ،
وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها
السموات والأرض .

قال : عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَارَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا
السموات والأرض ؟ ! قال : نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يَارَسُولَ اللَّهِ .
فقال : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لَا] وَاللَّهِ يَارَسُولَ
اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا .
قال : فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُهُنَّ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ
أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ . فَرَمَى بِهَا كَانَ
مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجموح الخروج إلى أحد ،
منعه بنوه ، وقالوا : قد عذرك الله . فجاء إلى النبي ﷺ فقال :
إِنَّ بَنِيَّ يَرِيدُونَ حَبْسِي عَنْ الْخُرُوجِ مَعَكَ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بَعْرَجَتِي
[هَذِهِ] فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : « أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ » ثُمَّ قَالَ
لِبَنِيهِ : لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ .
فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ .

قَالَتْ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ خُزَامٍ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ
مَوْلِيًّا ، قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَى خَرْبِي وَهِيَ

منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم
ثابوا ، وهو في الرِّعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظلع في رجله وهو
يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !
ثم أنظر إلى ابنه خلاد [وهو] يَعدو [معه] في إثره حتى
قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمر
وأبو جابر في قبر واحد ، فخرَّب السيل قبورهم ، فحفر عنهم بعد
ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .
عن أنس بن مالك قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ
فقال : يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ تَنْظِفُ لِحْيَتَهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمَالُ .
فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِثْلُ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ
الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .

فلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً فَطَلَعَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحْيَتْ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ
ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ أَنْسُ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثَ
الليالي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ تَقَلَّبَ عَلَى
فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَبَّرَ حَتَّى لَصَلَاةِ الْفَجْرِ .
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ
الثَّلَاثُ اللَّيَالِي ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبد الله لم يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هُجْرَةٌ ،
ولكن سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ
الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ ، فَأَرَدْتُ
أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ .

فَأَنْظُرْ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدِيَ بِكَ ، فلم أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ
عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟
قال : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا
مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسَدُ
أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ .

فقال عبد الله : هذه التي بَلَغْتَ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على
شرط البخاري ومسلم والنسائي .

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم
رجل يقال له : حُدَيْرٌ . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة من
قِلَّةِ الطعام ، فزَوَّدَهُم رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أَنْ يُزَوِّدَ حُدَيْرًا .

فخرج حُدَيْرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله
إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله . ويقول : نعم الزَّاد هو يارب . فهو يرددها وهو في آخر
الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أَرْسَلَنِي
إِلَيْكَ يُخْبِرُكَ أَنَّكَ زَوَّدْتَ أَصْحَابَكَ ونَسِيتَ أَنْ تُزَوِّدَ حُدَيْرًا ، وهو في
آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله
فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدَيْرٍ وأمره إذا إنتهى

إليه حفظ عليه ما يُقول ، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظَ عليه ما يَقُول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله ، ويُخبرك أنه كان نَسِيَّ أَنْ يَزُودَكَ ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرني بك ، فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلني إليك بزادٍ معي ، ويقول : إني إنما نَسِيتُكَ فأرسل إليّ جبريل من السماء يُذكرني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكَرَنِي رَبِّي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَمِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ ، وَرَحِمَ جُوعِي وَضَعْفِي ، ياربُّ كما لَمْ تَنْسَ حُدَيْرًا فَاجْعَلْ حُدَيْرًا لَا يَنْسَاكَ .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مَضَتِ السُّنُونُ وَالْمَشَاهِدُ .

فقال لِعَمِّهِ : يَا عَمُّ إِنِّي قَدْ أَنْتَظَرْتُ إِسْلَامَكَ فَلَا أَرَاكَ تَرِيدُ مُحَمَّداً ، فَأَذِّنْ لِي فِي الْإِسْلَامِ .

فقال : والله لئن اتبعتَ محمداً لا أتركُ بيدك شيئاً كنتُ أعطيتُكَه إلا نزعتهُ منك ، حتى ثوبيك .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمداً وتاركُ عِبَادَةَ الْحَجَرِ ، وهذا ما بيدي فخذهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جرَّده من إزاره .
فأتى أمه فَقَطَّعَتْ بِجَادٍ لها بائنين فأتَزَرَ بواحدٍ وارْتَدَى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقانٍ فاضطَجَعَ في المسجد في السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصَفَّحُ النَّاسَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَانْتَسَبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزى .
فقال : أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبَجَادِينَ .

ثم قال : انْزِلْ مِنِّي قَرِيباً . فكان يكون في أَضْيَافِهِ حتى قرأ قرآنًا كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادْعُ لي بالشَّهَادَةِ . فَرَبَطَ النبي ﷺ على عَصِدِهِ لَحْيَ سَمُرَةٍ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ دَمَهُ عَلَى الْكُفَّارِ .

فقال : ليسَ هذا أَرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ غَازِيًا فَأَخَذْتَكَ الْحُمَى فَقَتَلْتَكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ ، أَوْ وَقَصَّتْكَ دَابَّتُكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ . فَأَقَامُوا بِتَبُوكَ أَيَّامًا ثُمَّ تَوَفَّى .

قال بلالُ بْنُ الْحَارِثِ : حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَ بِلَالُ الْمُؤَذِّنُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ عِنْدِ الْقَبْرِ وَاقِفًا بِهَا .
وَإِذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : «أَدْنِيَا إِلَيَّ أَحَاكُمَا . فلما هَيَّاهُ

لِشِقِّهِ فِي اللَّحْدِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أُمْسَيْتُ عَنْهُ رَاضِياً فَارْضَ عَنْهُ .

فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ اللَّحْدِ .

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْجَادِينَ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَقُولُ : أَذْنِيَا إِلَى أَخَاكُمَا .

وَأَخَذَهُ مِنَ الْقَبْلَةِ حَتَّى أَسْكَنَهُ فِي لَحْدِهِ ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَلِيَّاهُمَا الْعَمَلَ .

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهِ اسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ رَافِعاً يَدَيْهِ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُمْسَيْتُ عَنْهُ رَاضِياً فَارْضَ عَنْهُ » .

وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلاً فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مَكَانَهُ ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ قَبْلَهُ بِخَمْسِ عَشْرَ سَنَةً .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : أَتَى وَائِلَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى مَعَهُ الصُّبْحَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى وَانصَرَفَ تَصَفَّحَ أَصْحَابَهُ . فَلَمَّا دَنَا مِنْ وَائِلَةَ قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُ .

فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ أَبَايُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فِيهَا أَحْبَبْتُ وَكَرِهْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فِيهَا أَطَقْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَسْلَمَ وَبَايَعَهُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَجَهَّزُ يَوْمئِذٍ إِلَى تَبُوكَ فَخَرَجَ وَائِلَةُ إِلَى أَهْلِهِ فَلَقِيَ أَبَاهُ الْأَسْقَعَ فَلَمَّا رَأَى حَالَهُ قَالَ : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَبُوهُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِمُكَ أَبَداً .

فَأَتَى عَمَّهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا مَهْ أَيْسَرَ مِنْ مَلَامَةِ أَبِيهِ وَقَالَ : لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْبِقُنَا بِأَمْرِ .

فَسَمِعَتْ أُخْتُ وَائِلَةَ كَلَامَهُ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ
بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ وَائِلَةُ : أَنَّى لَكَ هَذَا يَا أُخِيَّةُ ؟ قَالَتْ :
سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَكَلَامَ عَمِكَ فَأَسَلَّمْتُ .

فَقَالَ : جَهِّزِي أَخَاكَ جَهَّازَ غَارٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى
جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهَّزَتْهُ فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَحَمَّلَ إِلَى تَبُوكَ
وَبَقِيَ غُبَرَاتٍ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ عَلَى الشُّخُوصِ .
فَجَعَلَ يُنَادِي بِسُوقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ : مَنْ يَحْمِلُنِي وَلَهُ سَهْمِي ؟
قَالَ : وَكُنْتُ رَجُلًا لَا رُحْلَةَ بِي .

قَالَ : فَدَعَانِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ : أَنَا أَحْمِلُكَ عُقْبَةً
بِاللَّيْلِ وَعُقْبَةً بِالنَّهَارِ وَيَدُكَ أَسْوَدُ يَدَيِ وَسَهْمُكَ لِي . قَالَ وَائِلَةُ :
نَعَمْ .

قَالَ وَائِلَةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا لَقَدْ كَانَ يَحْمِلُنِي وَيَزِيدُنِي وَآكُلُ
مَعَهُ وَيَرْفَعُ لِي حَتَّى إِذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى
أَكِيدِرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ .
خَرَجَ كَعْبُ فِي جَيْشِ خَالِدٍ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَأَصَبْنَا فَيْئًا كَثِيرًا
فَقَسَمَهُ خَالِدٌ بَيْنَنَا فَأَصَابَنِي سِتُّ قَلَائِصَ فَأَقْبَلْتُ أَسُوفُهَا حَتَّى
جِئْتُ بِهَا خِيْمَةَ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ فَقُلْتُ : أَخْرُجْ رَحِمَكَ اللَّهُ فَانْظُرْ إِلَى
قَلَائِصِكَ فَأَقْبُضْهَا .

فَخَرَجَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا مَا حَمَلْتِكَ وَأَنَا
أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ مِنْكَ شَيْئًا .

عَنْ بَشْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ : كُنَّا أَصْحَابَ الصَّفَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِيْنَا رَجُلٌ

لَهُ ثَوْبٌ .

وَلَقَدْ اتَّخَذَ الْعَرَقُ فِي جُلُودِنَا طُرْقًا مِنَ الْغُبَارِ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « لَيَبْشُرَنَّ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ » ثَلَاثًا .

عَنْ نَعِيمِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كُنْتُ أَخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعُ ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ .

فَاجْلَسْتُ عَلَى بَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ، أَقُولُ : لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَةً . فَمَا أَزَالَ أَسْمَعُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى أَمَلُّ فَأَرْجِعُ أَوْ تَغْلُبْنِي عَيْنِي فَأَرْقُدُ . فَقَالَ لِي يَوْمًا لَمَّا رَأَى مِنْ حَفَّتِي (أَيِ الْعِنَايَةِ وَالْخِدْمَةِ) لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ ، يَارَبِيعَةُ سَلْنِي أَعْطِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَنْظِرْ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَعْلِمْكَ ذَلِكَ .

فَقَالَ : فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا نِي ، قَالَ : فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَخِيرَتِي فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ .

فَجِئْتُهُ فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ يَارَبِيعَةُ ؟ فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ .

فَقَالَ : مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَارَبِيعَةُ ؟ فَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أَعْطَكَ وَكُنْتُ مِنَ اللَّهِ

بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيِّئًا نِي .

فَقُلْتُ أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَخِيرَتِي . قَالَ : فَصَمَتَ رَسُولُ

الله ﷻ طويلاً ثم قال لي : إني فاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ .
وأخرجنا في الصحيحين ، من حديث قيس بن عبادة قال :
كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ .

فجاء رجلٌ في وَجْهِهِ أَثَرُ خُشُوعٍ ، فقال بعضُ القوم : هذا
رجُلٌ من أهل الجنة . فصلَّى ركعتين تَجَوَّزَ فِيهِمَا . ثم خَرَجَ فَاتَّبَعْتُهُ
فدخلَ مَنْزِلَهُ فَدَخَلْتُ فَأُخْبِرْتُهُ .
فقال : لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، وسأُحَدِّثُكَ لِمَ
ذَاكَ ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ .
رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ، وَسَطَ الرُّوضَةِ عُمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ
فِي الْأَرْضِ وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ ، فِي أَعْلَاهُ عُروَةٌ .
فَقِيلَ لِي إِرْقِهِ . فَقُلْتُ : لَا أَسْتَطِيعُ . فجاءني مِنْصَفٌ ،
يَعْنِي خَادِماً ، فَقَالَ بَشَائِبِي مِنْ خَلْفِي ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ .
فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : تِلْكَ الرُّوضَةُ
الْإِسْلَامُ ، وَذَاكَ الْعُمُودُ عُمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ ، الْعُرْوَةُ
الْوَثْقَى ، وَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ ، وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ
ابن سلام .

وعن أبي بُردة بن أبي موسى قال : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُتَخَشِّعٌ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا بَنَ
أَخِي إِنَّكَ جَلَسْتَ إِلَيْنَا وَقَدْ حَانَ قِيَامُنَا ، أَفَتَأْذَنُ ؟

اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَآمِنًا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : هَذِهِ قَصِيدَةٌ وَعَظِيَّةٌ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ
إِنْتَهَى

اِنْسَتْ بِأَوَائِ الزَّمَانِ وَذِلِّهِ
إِلَى كَمْ أُعَانِي تِيْهَهَا وَدَلَالَهَا
وَقَدْ أُخْلِقَ الْأَيَّامُ جِلْبَابَ حُسْنِهَا
عَلَى جِنِّ شَيْبٍ قَدْ أَلَمَ بِمَفْرِقِي
طَلَائِعُ ضَعِيفٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى الْقَوَى
فَلَا هِيَ فِي بُرْجِ الْجَمَالِ مُقِيمَةٌ
تَقَطَّعَتْ الْأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَعَادَتْ قُلُوصُ الْعَزَمِ عَنِّي كَلِيلَةٌ
كَأَنِّي بِهَا وَالْقَلْبُ زُمْتُ رِكَابُهُ
وَسَيِّقَتْ إِلَى دَارِ الْخُمُولِ حُمُولُهُ
حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا الْبَوُّ فَانْتَشَتْ
تَوَلَّتْ لَيَالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وَانْقَضَتْ
فَسْرَعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بِالْمَسَرَّاتِ سَاعَةٌ
فَلِلَّهِ دُرُّ الْغَمِّ حَيْثُ أَمَدَّنِي
أُسَيْرٌ بِتِيْمَاءِ التَّحْيِيرِ مُفْرَدًا
وَكَمْ عِشْرَةٍ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ
فَمَا عِشْتُ لَا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ
كَمَا اعْتَادَ أَتْبَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ
خَبَتْ نَارُ أَعْلَامِ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى
وَكَانَ سَرِيرَ الْعِلْمِ صَرْحًا مُمَرَّدًا
مَتِينًا رَفِيعًا لَا يُطَارُ غُرَابُهُ

فِيَا عِزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ سَلَامٌ
أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلَوَةٌ وَسَامٌ
وَأَضَحَتْ وَدِيَا جُ الْبَهَاءِ مَسَامٌ
وَعَادَ رُهَا مِ الشَّعْرِ وَهُوَ نَعَامٌ
وَنَارَ بِمَيْدَانِ الْمِزَاجِ قَتَامٌ
وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمُجُونِ مُدَامٌ
وَلَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلَقَامٌ
وَقَدْ جَبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامٌ
وَقُوضَ أُيُوتُ لَهُ وَخِيَامٌ
يَحْنُ إِلَيْهَا وَالْدُمُوعُ رُهَا مِ
إِلَيْهِ وَفِيهَا أَنَّهُ وَضَعَامٌ
لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامٌ
تَدُومُ وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامٌ
وَيَوْمٌ تَوَلَّى بِالْمَسَاءَةِ عَامٌ
يَطُولُ حَيَاةٍ وَالْهُمُومُ سِهَامٌ
وَلِيَّ مَعَ صَحْبِي عِشْرَةٌ وَنَدَامٌ
وَرُبَّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كَلَامٌ
وَهِيَّاتُ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامٌ
عَلَيْهِ فِقَامٌ إِثْرَ ذَاكَ قِيَامٌ
وَشُبُّ لِنِيرَانِ الضُّلَالِ ضَرَامٌ
يُنَاغِي الْقِيَابَ السَّبْعَ وَهِيَ عِظَامٌ
عَزِيزًا مَنِيْعًا لَا يَكَاذُ يُرَامُ

يَلُوحُ سَنَابِرُ الْهَدَى مِنْ بُرُوجِهِ
فَجَرَتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَّاتُ ذُبُولَهَا
وَسَيِّقَ إِلَى دَارِ الْمَهَانَةِ أَهْلُهُ
كَذَا تَجْرِي الْأَيَّامُ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى
فَمَا كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَاللَّذْهَرِ ثَارَاتٌ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى
وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَغْتَبِنُهَا
أَجِدْكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا
تَشْكَلُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلٍ مَا
تَرَى التَّقْصُ فِي زِيِّ الْكَمَالِ كَأَنَّمَا
فَدَعُهَا وَنَعْمَاهَا هَنِئُماً لِأَهْلِهَا
تَعَاَفَ الْعَرَانِيْنُ السِّمَاطَ عَلَى الْخَوَى
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا
وَلَوْ أَنَّكَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفَ حَاجَةٍ
رَجَعْتَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيْكَ كُلُّهَا
هَبْ إِنَّ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا
وَمُتَّعَتْ بِاللَّدَاتِ دَهْرًا بِغِبْطَةٍ
فَبَيْنَ الْبَرَايَا وَالْخُلُودِ تَبَايُنٌ
قَضِيَّةٌ أَنْقَادَ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا
ضَرُورِيَّةٌ تَقْضِي الْعُقُولُ بِصَدْقِهَا
سَلِ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي خَلَتْ
بَابُوبِهِمْ لِلْوَافِدِينَ تَرَاكُمُ
تُجَبِّكَ عَنْ أَسْرَارِ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَتْ

كَبَرَقَ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
مَسَاقٍ أُسِيرَ لَا يَزَالُ يُضَامُ
طَرَائِقَ مِنْهَا جَائِرٌ وَقَوَامُ
وَمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حُسَامُ
نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ
وَمَاذَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهُوَ حُطَامُ
يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ عِمَامُ
وَلَا تَكُ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامُ
إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَعَامُ
لِمَا لَيْسَ فِيهِ عُرْوَةٌ وَعِصَامُ
وَقَدْ جَاوَزَ الطَّبِيبِينَ مِنْكَ حِزَامُ
يُخْفِي حُنَيْنٍ لِاتِّزَالِ تُلَامُ
وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامُ
أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ
وَبَيْنَ الْمَنَايَا وَالتُّفُوسِ لِرِزَامُ
وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامُ
سَلْ إِنْ كَانَ فِيهَا مِرْيَةٌ وَخِصَامُ
لَهُمْ فَوْقَ ، فَوْقَ الْفَرَقْدِينَ مَقَامُ
بَاعْتَابِهِمْ لِلْعَاكِفِينَ زِحَامُ
عَلَيْهِمْ جَوَابًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ

بِأَنَّ الْمَنَایَا أَقْصَدَتْهُمْ نِبَالُهَا وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهْنٍ سِهَامُ
وَسَبَقُوا مَسَاقَ الْغَابِرِينَ إِلَى الرَّدَى وَأَقْفَرَ مِنْهُمْ مَزَلٌ وَمَقَامُ
وَحَلُّوا مُحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْهَدُونَهُ فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامُ
أَلَمْ بِهِمْ رَبُّ الْمَنُونِ فَعَالَهُمْ فَهُمْ يَتَنُّ أَطْبَاقَ الرُّغَامِ رُغَامُ
إِنْتَهَى

(ف ص ل)

اعلم وفقنا الله وإيّاك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن من رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن إليها ومن استحسن حال نفسه وسكن إليها استولت عليه الغفلة .

وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد .

وليس عنده من المراقبة والملاحظة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها . فتصير الشهوة غالبية له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي .

وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن إليها .

ومن كان بهذا الوصف كان متيقظاً متنبهاً للطوارئ وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها .

وعند ذلك تحمد نيران الشهوة فلا يكون لها غلبة ولا قوة فيضعف العبد حينئذ بصفة العفة .

فإذا صار عفيفاً كان مجتنباً لكل ما نهاه الله عنه محافظاً على جميع ما أمر به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم الرضا عن

نَفْسِهِ .

فَإِذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَلْزَمَ مِنْ ذَلِكَ عَدَمَ الرِّضَا عَنْهَا وَبِقَدْرِ تَحَقُّقِ الْعَبْدِ فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ يَصْلَحُ لَهُ حَالُهُ وَيَعْلَمُوا مَقَامَهُ .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الْمُخْلِصُونَ يَذْمُونَ نَفْسَهُمْ وَيَتَهَمُّونَهَا وَلَا يَرْضُونَ عَنْهَا .
قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالِفْهَا وَلَمْ يُجَرِّهَا إِلَى مَكْرُوهِهَا فَهُوَ مَغْرُورٌ وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بَاسْتِحْسَانٍ شَيْءٌ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا .

وَكَيْفَ يَرْضَى عَنْهَا عَاقِلٌ وَهِيَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا تَسْكُنْ إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ دَامَتْ طَاعَتُهَا لَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرُ : مَا رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

وَقَالَ آخَرُ : إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسٌ لَوْ مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهِمْ مَا انْتَزَجَرَ النِّصْفُ الْآخَرُ وَلَا أَحْسَبُنِي إِلَّا مِنْهُمْ .

وَقَالَ آخَرُ : فَائِدَةُ الصُّحْبَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلزِّيَادَةِ فِي الْحَالِ وَعَدَمِ النُّقْصَانِ فِيهَا فَإِيَّاكَ وَصُحْبَةً مَنْ لَا يَنْهَضُكَ حَالُهُ وَلَا يَذُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .

فَصُحْبَةُ مَنْ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا شَرًّا مُحَضًّا وَلَا فَائِدَةَ فِيهَا لِأَنَّ عِلْمَهُ فِي الْغَالِبِ غَيْرُ نَافِعٍ لَهُ .

وَجَهْلُهُ الَّذِي أَوْجَبَ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ صَارَ غَايَةَ الضَّرَرِ لِأَنَّهُ فَاتَهُ الْعِلْمُ الَّذِي يُرِيهِ عَيْبَهُ حَتَّى لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ قَالَ مِنْهَا أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهَا جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ وَأَنَّ الْجَهْلَ وَالظُّلْمَ يَصْدُرُ عَنْهَا كُلُّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبِيحٍ .

وَمَنْ وَصَفَهُ الْجَهْلُ وَالظُّلْمَ لَا مَطْمَعَ فِي اسْتِقَامَتِهِ وَاعْتَدَالِهِ الْبَتَّةَ فَيُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ بَذْلُ الْجُهِدِ فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي يُخْرِجُهَا بِهِ عَنْ وَصْفِ الْجَهْلِ

والعمل الصالح الذي يَخْرِجُهَا به عن وَصْفِ الظُّلْمِ وَمَعَ هذا فجهلُهَا أكثر من عِلْمِهَا وظلمُهَا أعظم من عدلِهَا .

فَحَقِيقُ بَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ أَنْ يَرْغَبَ إِلَى خَالِقِهَا وَفَاطِرِهَا أَنْ يَقِيَهُ شَرَّهَا وَأَنْ يُؤْتِيَهَا تَقْوَاهَا وَيُزَكِّيَهَا فهو خير مَنْ زكّاها وَأَنْ لَا يَكِلُهُ إِلَيْهَا طَرْفَةٌ عَيْنٍ فَإِنَّهُ إِنْ وَكَلَهُ إِلَيْهَا هَلَكَ فَمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِلَّا حَيْثُ وَكَلَ إِلَى نَفْسِهِ .

وقال النبي ﷺ لِحُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ « قُلِ اللَّهُمَّ أَهْمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي » وفي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ « وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا » وقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .

فَمَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهَا مَنْعُ كُلِّ شَرٍّ وَمَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِيهَا فَفَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مَنْ بِهِ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزِينَةُ قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ فهذا الْحُبُّ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةُ لَمْ يَكُونَا فِي النَّفْسِ وَلَا بِهَا .

ولكن هو اللَّهُ الَّذِي مَنْ بِهِمَا فَجَعَلَ الْعَبْدَ بِسَبَبِهِمَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلَحُ لِهَذَا الْفَضْلِ وَيَزَكُّوا عَلَيْهِ وَبِهِ وَيُثْمَرُ عِنْدَهُ حَكِيمٌ فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِنْ تَهَيَّأَ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

فعلى العاقل اللبيب مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائِمًا وَالْمُحَاسَبَةُ هِيَ مَطَالَعَةُ الْقَلْبِ وَأَعْمَالِ اللِّسَانِ وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ .

فَأَجْعَلْ ذُنُوبَكَ نَضَبَ عَيْنَيْكَ فَإِنْ غَفَلْتَ عَنْهَا اجْتَمَعَتْ بِسُرْعَةٍ وَكَثُرَتْ .

وتأمل وفكر فلو أنك وضعت في كل معصية تُحدثها حجراً في دارك
لامتلاً بيتك في مدة يسيرة .

فمثلاً عندك غيبة أو عندك كذب أو عندك رياء أو عندك عقوق أو
قطيعة رحم أو ظلم لمسلم أو لنفسك أو لأهلك أو لأولادك أو لجيرانك أو
تعامل معاملة لا تجوز .

أو عندك كفار خدام أو سواقين أو عندك ملاهي كالتلفاز والفيديو أو
عندك صور أو تشرب الدخان أو حلق لحية أو إسبال أو تشبه بكفار أو سفر
لبلادهم .

أو لك أولاد يدرسون عندهم برضا منك أو أكلك وشربك ولبسك من
شركات تتعامل بالرِّبا أو أن عمَلَكَ لا تؤدِّيه كاملاً مُكَمِّلاً وتأخذ ما عليه
كاملاً .

أو لا تتنَّسَخ من الزكاة أو نحو ذلك مما لا يحصره العدُّ .
فَتَقِظْ وحاسب نفسك وفتش عليها بدقة وأسأل الله الحي القيوم أن
يتجاوز عنك .

فإن تنج منها تنج من ذي عظمة وإلا فلاني لا إخالك ناجياً
قال تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ
اللَّهُ ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ آيَةُ أُعْظَمَ آيَةٍ فِي الْمَوَآخِذَةِ .

ولما نزلت بكى عبدُ اللَّهِ بنُ عمر رضي الله عنهما فقال ابنُ عباس يرحمُ
أبا عبد الرحمن وإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ﴾ .

وقال ابن القيم رحمه الله فمن له بصيرة بنفسه وبصيرة بحقوق الله وهو
صادق في طلبه لم يبق له نظرة في سيئاته حسنة البتة فلا يلقي الله إلا بالافلاس
المحض والفقر الصَّرف .

لأنه إذا فَتَشَ عن عُيُوبِ نَفْسِهِ وَعُيُوبِ عَمَلِهِ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَصْلَحُ لِلَّهِ وَأَنَّ
تِلْكَ الْبِضَاعَةَ لَا تَشْتَرِي بِهَا النِّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَضْلًا عَنِ الْفَوْزِ بِعَظِيمِ
ثَوَابِهِ .

فَإِنْ خَلَصَ لَهُ عَمَلٌ وَحَالَ مَعَ اللَّهِ وَصَفًا لَهُ مَعَهُ وَقْتُ شَاهِدٍ مِنْهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ بِهِ وَجُرَّدَ فَضْلُهُ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا هِيَ أَهْلٌ لَذَاكَ .
فَهُوَ دَائِمًا مُشَاهِدٌ لِلنِّعَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلِلْعُيُوبِ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ لِأَنَّهُ مَتَى تَطَلَّبَهَا
رَأَاهَا وَهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ .

وَلِذَلِكَ كَانَ سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي
وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ
أُبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .
فَتَضُمَّنُ هَذَا الْاسْتِغْفَارُ الْاعْتِرَافَ مِنَ الْعَبْدِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ
وَتَوْحِيدِهِ وَالْاعْتِرَافَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ الْعَالَمُ بِهِ إِذْ أَنْشَأَهُ نَشْأَةً تَسْتَلِزِمُ عَجْزَهُ عَنْ أَدَاءِ
حَقِّهِ وَتَقْصِيرَهُ فِيهِ وَالْاعْتِرَافَ بِأَنَّهُ عَبْدُهُ الَّذِي نَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ وَفِي قَبْضَتِهِ لَا مَهْرَبَ
لَهُ مِنْهُ وَلَا وَلِيَّ لَهُ سِوَاهُ .

ثُمَّ التَّزَمَ الدُّخُولَ تَحْتَ عَهْدِهِ وَهُوَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ الَّذِي عَهْدُهُ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ
رَسُولِهِ ﷺ وَأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتَطَاعَتِي لَا بِحَسَبِ أَدَاءِ حَقِّكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ
لِلْبَشَرِ إِنَّمَا هُوَ جُهْدُ الْمُقِلِّ وَقَدْرُ الطَّاقَةِ .

وَمَعَ هَذَا فَأَنَا مُصَدِّقٌ بِوَعْدِكَ ثُمَّ أَنْزَعُ إِلَى الْاسْتِعَاذَةِ وَالْاعْتِصَامِ بِكَ
مِنْ شَرِّ مَا فَرَطْتُ فِيهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَذِّبْنِي مِنْ شَرِّهِ وَإِلَّا أَحَاطْتُ
بِالْهَلَكَةِ فَإِنَّ إِضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَأَنَا أَقْرَبُكَ وَالتَّزَمْتُ وَأَبْخَعُ بِذَنْبِي .
فَمِنْكَ الْمِنَّةُ وَالْإِحْسَانُ وَالْفَضْلُ وَمِنِي الذَّنْبُ وَالْإِسَاءَةُ فَاسْأَلْكَ أَنْ تَغْفِرَ
لِي بِمَحْوِ ذَنْبِي وَأَنْ تَغْفِرَنِي مِنْ شَرِّهِ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَلِهَذَا كَانَ

هذا الدعاء سَيِّدُ الاستغفار .

وهو مُتضمنٌ لمَحْضِ العُبوديةِ فأَيُّ حَسَنَةٍ تَبْقَى لِلْبَصِيرِ الصَادِقِ مع مُشَاهَدَتِهِ عُيُوبَ نَفْسِهِ وعَمَلِهِ وَمَنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فهذا هو الذي يُعْطِيهِ نَظْرَهُ إِلَى نَفْسِهِ ونَقْصِهِ أَهـ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ من مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ والشَّريكان يَتَحَاسَبَانِ بَعْدَ العمل .
وقال الحسنُ المؤمنُ قَوَّامٌ على نَفْسِهِ يُحَاسِبُهَا اللَّهُ تعالى وَإِنَّمَا خَفَّ الحِسَابُ على قومٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ في الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الحِسَابُ على قومٍ أَخَذُوا هَذَا الأَمْرَ من غيرِ مُحَاسَبَةٍ .

وفي حديث أبي طَلْحَةَ أَنَّهُ لَمَّا شَغَلَهُ الطَّيْنُ في صَلَاتِهِ فَتَدَبَّرَ شُغْلُهُ فَجَعَلَ حَائِطُهُ صَدَقَةً لِلَّهِ تعالى نَدَمًا وَرَجَاءً لِعَوْضٍ مِمَّا فَاتَهُ وَتَأْدِيًّا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أَعْدَى عَدُوِّهِ نَفْسُهُ التي بَيْنَ جَنَبَيْهِ وَقَدْ خُلِقَتْ أَمَارَةً بِالسُّوءِ أَمَارَةً بِالشَّرِّ فَرَّارَةً مِنَ الْخَيْرِ .

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِتَزَكِّيَّتِهَا وَتَقْوِيمِهَا وَقَوْدِهَا بِسَلَاسِلِ الْعِبَرِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا وَمَنْعِهَا عَنْ لَذَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُهْلِكَةِ .

فَإِنْ أَهْمَلَهَا شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ لَازَمَهَا بِالتَّوْبِخِ وَالتَّقْرِيعِ وَالْمُعَاتَبَةِ وَالْعَذْلِ وَالْمَلَامَةِ وَلَمْ يَغْفُلْ عَنْ تَذَكِيرِهَا وَعِتَابِهَا اعْتَدَلَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تعالى .

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهَمَّلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْهُ يَنْفَطِمَ وَرَاعَهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمُ كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ فَالْعَاقِلُ اللَّبِيبُ مَنْ يُؤَبِّخُ نَفْسَهُ وَيُعَاتِبُهَا وَيُوضِحُ لَهَا عُيُوبَهَا كُلَّهَا وَيُقَرِّرُ

عَنْدَهَا جَهْلُهَا وَحَمَاقَتُهَا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تُعَذِّبُ وَتَرْعَوِي وَتَرْجَعِي .
فَيَقُولُ لَهَا مَا أَعْظَمَ جَهْلَكَ تَدْعِينَ الْحِكْمَةَ وَالْفِطْنَةَ وَأَنْتِ مِنْ أَجْهَلِ
النَّاسِ وَأَحَقِّهِمْ .

وَأَكْبَرُ بَرْهَانٍ عَلَى ذَلِكَ إِهْمَالُكَ وَاسْتِهْأَانُكَ أَمَّا تَعْرِيفُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ وَالْمُزْعِجَاتِ وَالْمَخَاوِفِ .

أَمَّا تَقَرُّرَيْنِ وَتَسْمَعَيْنِ قَوْلَ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ وَأَقْدَرِ
الْقَادِرِينَ ﴿ إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ وَطَعَامٌ ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ تَرْجُفُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كُثُبًا مَهِيلاً ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ الآية .

وقوله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ
ثُبُورًا ﴾ الآية .

وقوله جل وعلا ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا
يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ
غَلِيظٌ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ .

ونحو هذه الآيات المخوفة ثم يقول لنفسه فما لك تفرحين وتضحكين
وتشتغلين باللهو وأنتِ مطلوبةٌ لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم وبين يَدَيْكَ
إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ فَكَيْفَ يَهْتَوُكَ نَوْمٌ أَوْ يَلْذُّ لَكَ مَأْكُولٌ أَوْ مَشْرُوبٌ
وَأَنْتِ لَا تَدْرِينَ فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ تَكُونِينَ « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » .
وَكَيْفُ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانَيْنِ تَنْزِلُ

وَقُلْ لَهَا أَمَّا تَعْلَمِينَ أَنَّ كُلَّ مَا هَوَاتِ قَرِيبٌ وَأَنَّ الْبَعِيدَ مَا لَيْسَ آتٍ .
 أَمَّا تَعْلَمِينَ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ تَقْدِيمِ رَسُولٍ وَمِنْ غَيْرِ مُوَاعَدَةٍ
 وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي فِي شِتَاءٍ دُونَ صَيْفٍ وَلَا فِي صَيْفٍ دُونَ شِتَاءٍ وَلَا فِي نَهَارٍ دُونَ لَيْلٍ
 وَلَا فِي لَيْلٍ دُونَ نَهَارٍ وَلَا يَأْتِي فِي الصَّبَا دُونَ الْكِبَرِ وَلَا فِي الْكِبَرِ دُونَ الصَّبَا .
 بَلْ كُلُّ نَفْسٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَأْتِيَهَا الْمَوْتُ بَغْتَةً فَإِنْ لَمْ يَأْتِ الْمَوْتُ بَغْتَةً جَاءَهُ
 الْمَرَضُ لَا مَحَالَةَ ثُمَّ الْمَرَضُ يُقْضِي إِلَى الْمَوْتِ .

فَمَا لِكَ يَا نَفْسُ لَا تَسْتَعِدِينَ وَالْمَوْتَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .
 فَهَكَذَا مُعَامَلَةُ الزُّهَادِ وَالْعُبَادِ فِي تَوْبِيخِ أَنْفُسِهِمْ وَعِتَابِهَا فَإِنْ مَطْلَبُهُمْ
 مِنَ الْمُنَاجَاةِ الْاسْتِرْضَاءِ وَمَقْصُودُهُمْ مِنَ الْمُعَاتَبَةِ التَّنْبِيهِ وَالِاسْتِرَاعَاءُ .
 فَمَنْ أَهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وَتَوْبِيخَهَا وَأَهْمَلَ مُنَاجَاتَهَا لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيًا
 فَتَسْأَلُ اللَّهُ الْعَظِيمَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ بِأَحْوَالِ أَنْفُسِنَا وَغُرُورِهَا .
 وَخِتَامًا فَالْعَاقِلُ مَنْ بَدَّلَ وَسْعَهُ فِي التَّفَكُّرِ التَّامِ وَعَلِمَ أَنَّ دَارَ الدُّنْيَا
 رِحْلَةٌ فَجَمَعَ لِلسَّفَرِ رَحْلَهُ .

فَمَبْدَأُ السَّفَرِ مِنْ ظُهُورِ الْأَبَاءِ إِلَى بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ ثُمَّ إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَى
 الْقَبْرِ ثُمَّ الْحَشْرِ ثُمَّ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ الْأَبَدِيَّةِ .
 فَدَارُ الْإِقَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ هِيَ دَارُ السَّلَامِ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَهِيَ دَارُ
 الْخُلُودِ وَالْعَدُوِّ سَبَانَا مِنْهَا إِلَى دَارِ الدُّنْيَا .

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا الْأَجْتِهَادُ فِي فَكَاكِ أَسْرِنَا ثُمَّ فِي حَثِّ السَّيْرِ إِلَى الْوَصُولِ
 إِلَى دَارِنَا الْأُولَى وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ :
 فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَذْنٍ فَإِنَّهَا
 وَلَكِنَّا سَبِيَّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى
 آخِرَ : تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسَعْدَى بِمَغْزَلِ
 وَنَادَتْ بِي الْأَشْرَاقُ مَهْلًا فَهَذِهِ
 مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخِيمُ
 نُرْدُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
 وَعُدْتُ إِلَى تَصْحِيحِ أَوَّلِ مَنْزِلِ
 مَنَازِلُ مَنْ تَهْوَى رُؤْيَاكَ فَانْزِلِ

ثم اعْلَمْ أَنَّ مِقْدَارَ السَّيْرِ فِي الدُّنْيَا يَسِيرٌ وَيُقَطَّعُ بِالْأَنْفَاسِ كَمَا قِيلَ :
وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِي الْمَنَايَا لِلنَّفُوسِ فَتَقْرُبُ
وَيَسِيرُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَيْرَ السَّفِينَةِ لَا يُحْسُ بِسَيْرِهَا وَهُوَ جَالِسٌ
فِيهَا كَمَا قِيلَ :

وَأَنَا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ تَظُنُّ وَقُوفًا وَالزَّمَانُ بِهَا يَجْرِي
ويقول الآخر :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوِّى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : إعلم أيها الأخ أن جميع مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَشُرُورُهَا وَأَحْزَانُهَا
كَأَحْلَامِ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ .

إِنْ أَضْحَكْتَ قَلِيلًا أَبْكْتَ كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا أَوْ أَيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا
أَوْ أَعْوَامًا وَإِنْ مَتَّعْتَ قَلِيلًا مَنَعْتَ طَوِيلًا .

وَمَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ إِلَّا أَعَقَبَهُ أَحْزَانٌ وَشُرُورٌ كَمَا قِيلَ :
« مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانٌ » .

وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ الملوكِ إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقِلَاحِهَا
مَنْ بُسِطَ لَهُ فِيهَا وَأُعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا .

لأنه يَتَوَقَّعُ أَفَّةً تَعْدُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاحُهُ ، أَوْ عَلَى جَمْعِهِ فَتُفَرِّقَهُ ، أَوْ تَأْتِي
سُلْطَانُهُ فَتَهْدِمُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ .

أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتُسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَنِينٌ بِهِ مِنْ
أَحْبَابِهِ .

فالدُّنْيَا أَحَقُّ بِالذِّمِّ هِيَ الْآخِذَةُ لَمَّا أُعْطَتْ ، وَالرَّاجِعَةُ لَمَّا وَهَبَتْ .

بَيْنَمَا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا هِيَ تُضْحِكُ مِنْهُ غَيْرُهُ .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْإِسْتِرْدَادِ .
تَعْقِدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ بِالتُّرَابِ غَدًا .
سَوَاءٌ عَلَيْهَا ذَهَابُ مَا ذَهَبَ وَبَقَاءُ مَا بَقِيَ تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ
خَلْفًا وَتَرْضَى بِكُلِّ بَدَلًا .
شعرا :

بَأْمَرِ دُنْيَاكَ لَا تَغْفُلْ وَكُنْ حَذِرًا فَقَدْ أَبَانَتْ لِأَرْبَابِ النَّهْيِ عِبْرًا
فَأَيُّ عَيْشٍ بَهَا مَا شَابَهُ غَيْرُ وَأَيُّ صَفْوٍ تَنَاهَى لَمْ يَصِرْ كَدِرًا
كَمْ سَالِمٍ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّدَى فَقَضَى حَتْفًا وَلَمْ يَقْضِ مِنْ لَذَاتِهَا وَطَرًا
وَمُتَرَفٍ قَلَبَتْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ لَهُ فَعَادَ بَعْدَ عُلُوِّ الْقَدْرِ مُحْتَقِرًا
فَابْعَدْنَهَا وَلَا تَحْفَلْ بِزُخْرِفِهَا وَغَضَّ طَرْفَكَ عَنْهُ قَلٌّ أَوْ كَثْرًا
فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ الْعَيْنُ مِنْ حَسَنِ كَرُ الْأَهْلَةِ لَا يُبْقِي لَهُ أَثْرًا
وَاصْحَبْ وَصَلْ وَوَاصِلْ كُلُّ أَوْنَةٍ عَلَى النَّبِيِّ سَلَامًا طَيِّبًا عَطْرًا
وَصَحْبِهِ وَمَنْ اسْتَهْدَى بِهِدْيَهُمُوا فَهُمْ أَئِمَّةٌ مَنْ صَلَّى وَمَنْ ذَكَرًا

ثم علم أيها الأخ أنَّ مَنْ بوركَ له في عُمُرِهِ أدركَ في يَسِيرِ الزَّمَنِ مِنْ مَنِ
اللَّهُ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ دَوَائِرِ الْعِبَارَةِ .

فَبِرَكَّةِ الْعُمُرِ أَنْ يَزُوقَ اللَّهُ الْعَبْدَ مِنَ الْفِطْنَةِ وَالْيَقَظَةِ مَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْجِدِّ
وَالْاجْتِهَادِ عَلَى اغْتِنَامِ أَوْقَاتِ عُمُرِهِ وَانْتِهَازِ فُرْصَةِ إِمْكَانِهِ .
فِيَا دِرْ إِلَى الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَسْتَفِرِّغْ فِي ذَلِكَ مَجْهُودَهُ
بِالْكُلِّيَّةِ وَكُلِّ ذَلِكَ فِي عُمُرٍ قَصِيرٍ وَزَمَنٍ يَسِيرٍ .

وَالْحَذْلَانِ كُلِّ الْحَذْلَانِ أَنْ تَتَفَرَّغَ مِنَ الشَّوَاغِلِ ثُمَّ لَا تَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ

وعلا .

وَمِنَ الْحَذْلَانِ أَيْضًا أَنْ تَصُدَّكَ الْعَوَائِقُ وَالشَّوَاغِلُ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ

تعالى .

والواجب عليك أن تبادر إلى التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة وأن ترمي بالعوائق والشواغل خلف ظهرك .

وقد قيل سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير ولا تنتظروا الصِّحة فإنَّ انتظار الصِّحة بطلالة والعاقِل مَنْ بَادَرَ إلى الأعمال الصالحة قال الشاعر حائثاً على اغتنام الوقت :

وَحُذِّ مِنْ قَرِيبٍ وَاسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ غَدًا وَشَمِّرْ عَنِ السَّاقِ إِجْهَادًا بِنَهْضَةٍ
وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي عَسَى وَإِيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أَخْطَرُ عَلَّةٍ
وَسِرْ زِمْنًا وَانْهَضْ كَسِيرًا فَحَظُّكَ الْـ بَطَالَةٌ مَا أَخَّرْتَ عَزْمًا لِصِحَّةٍ
وَجُدْ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُدْ تَجِدْ نَفْسًا فَالنَّفْسُ إِنْ جُدْتَ جُدْتَ

اللَّهُمَّ انْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ
دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال ابن الجوزي تباعد عن أهل السوء وبعاد أولادك عنهم لا يُعَادُونَكَ
بِأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَلَا يَزَالُ يَقْسُو قَلْبُكَ حَتَّى يَسْتَأْنِسَ بِهِمْ فَهَنَّاكَ
الهِلَاكَ .

والسوء يَتَفَاوَتْ فَمِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ اللَّهِوِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ
الْغِيَةِ وَالنِّمَمَةِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْمَلَاهِيِ وَآلَاتِ الطَّرِبِ .
فإنهم يَسْبُونُ أَهْلَ الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ حَتَّى يَنْحَلُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَمُرُوءَتِهِمْ
فَيَعْسُرُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاصُ لَمَّا يَجِدُونَهُ مِنْ لَذَّةِ النَّغْمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ .

حَتَّى يَكُونَ عَادَةً وَطَبْعًا فَرُبَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كَارِهٌ لِسَمَاعِ
لَغْوِهِمْ مُسْتَوْحِشٌ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ لَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَاهُ حَسَنًا .
من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة
ثم يصدره المصادر التي فيها عَطْبُهُ وَيَتَخَلَّى عَنْهُ وَيُسَلِّمُهُ لِلْهَلَاكِ وَيَقْفُ يَتَشَمَّتُ
به ويضحك منه .

فيأمره بالسرقه والقتل واللواط والزنا ويدل عليه ويفضحه قال الله تعالى
﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .
وقال تعالى ﴿ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .
ذكر ابن القيم رحمه الله الأسباب التي يُعْتَصِمُ بها مِنَ الشَّيْطَانِ الْأَوَّلِ
إِلِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

والمراء بالسمع هنا سَمِعَ الاجابة لا السمع العام .
الثاني قراءة الموعودتين فَإِنَّ لهما تأثيراً عَجَبِيًّا فِي الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ
الشَّيْطَانِ وَدَفْعِهِ .

ولهذا قال النبي ﷺ مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمَثَلِهَا وَكَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهَا كُلَّ
ليلة عند النوم .

وأمر عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهَا دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَذَكَرَ ﷺ أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا
مَعَ سُورَةِ الْإِحْلَاصِ ثَلَاثًا حِينَ يُمِسي وَثَلَاثًا حِينَ يُصْبِحُ كَفَتَاهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ .
الثالث قراءة آية الكرسي .

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنْ
الْبَيْتَ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ .

الخامس خاتمة سورة البقرة فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتَهُ .

السادس أول سورة حم المؤمن إلى قوله ﴿إليه المصير﴾ ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ حم المؤمن إلى قوله ﴿إليه المصير﴾ .

وآية الكرسي حين يصبح حُفِظَ بهما حتى يُمسي ، ومن قرأهما حين يُمسي حفظ بهما حتى يصبح .

السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة .

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة . كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان حرزاً له من الشيطان .

يَوْمُهُ ذَلِكَ حتى يمسي ولم يأتِ أَحَدٌ بأفضل منه إلا رجلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

الثامن وهو أنفع الجِروِزِ مِنَ الشَّيْطَانِ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وهذا بعَيْنِهِ هو الذي دَلَّتْ عَلَيْهِ سُورَةُ النَّاسِ .

فإنَّهُ وَصَفَ الشَّيْطَانَ فِيهَا بِأَنَّهُ الْخَنَّاسُ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ انْخَسَ فَإِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ التَّقَمَ الْقَلْبَ وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْوَسَاوِسَ . فما أَحْرَزَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ بِمَثَلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبدُ به ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نارٌ تَصَلَّى فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ .

كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال ألا وإن الغضب جمة في قلب ابن آدم فما أطفأ العبد جمة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة .
 فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها أذهبت أثر ذلك جملة وهذا أمر تجربته تُغني عن إقامة الدليل عليه .
 الحرز العاشر إمساك فضول الكلام فإنها تفتح أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنك تلك الأبواب .
 والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فوائد ونصائح ومواعظ وحكم وآداب ووصايا

من أخلاق المؤمن حسن الحديث ، وحسن الاستماع إذا حدث ،
 وحسن البشر إذا لقي ، ووفاء بالوعد إذا وعد ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
 سوء الخلق سبب النكد في الحياة والشرور والآثام ، فعلى العاقل اللبيب أن يعرف الأخلاق السيئة ليبتئبها ، وهي كثيرة ولا يخلوا أحد منها فتفقد نفسك وأزل ما فيها .
 فمن ذلك المكر ، والخديعة والخيانة والغش ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، والظلم والرياء والعقوق ، والقطيعة ، والكبر ، والعجب ، والزهو ، والأنفة من المسكنة .
 والنفاق ، والخيانة ، والغدر ، والحسد ، والغل ، والحقد ، والشتم ، والبغضاء ، وسوء الطن ، والتجسس على المسلمين .
 وإضمار السوء ، والترصص بالدوائر ومساعدة الهوى ، ومخالفة الحق والرضى بالهوى والحب والبغض بالهوى ، والجفاء .

وَالْقَسْوَةُ ، وَقِلَّةُ الرَّحْمَةِ ، وَالْحِرْصُ ، وَالشَّرُّ وَالطَّمَعُ وَالطَّيْرَةُ ،
وَالطُّغْيَانُ بِالْمَالِ ، وَالْفَرَحُ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا ، وَاسْتِقْلَالُ الرِّزْقِ .
وَاحْتِقَارُ النِّعَمِ ، وَالِاحْتِقَارُ بِمَصَائِبِ الدِّينِ ، وَاسْتِعْظَامُ الدُّنْيَا ،
وَالْحُزْنُ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا .

وَالِاسْتِهَانَةُ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ وَالِاسْتِهَانَةُ بِسَمَاعِهِ مَا
يَصْدُرُ مِنْكَ مِنَ الْمَعَاصِي قَوْلًا وَفِعْلًا .
وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ إِطْلَاعِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَمِنْ إِطْلَاعِ مَنْ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ
الشَّمَالِ فَعَيْدٌ .

وَأَنْتَ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْكَ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ وَأَنْتَ تَعْمَلُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ لَا
نَزَعَجْتَ .

فَتَنَّبَهُ لِذَلِكَ وَرَاقِبِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ وَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ .
تَوَارَى بِجُدْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى وَأَنْتَ بَعِينَ اللَّهُ لَا شَكَّ تُنْظَرُ
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ	بِعَقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ	فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ
وَهُوَ الْعَفْوُ فَعَفُوهُ وَسِعَ الْوَرَى	لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضُ بِالسُّكَّانِ
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَذَى أَعْدَائِهِ	شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا	شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
هَذَا وَذَاكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ	لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ	يُؤْذُونَهُ بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِخْوَانِي إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ
الظَّاهِرَةِ مِثْلَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ .

فَنَافِسُوهُمْ فِيهَا وَاجْعَلُوا أَكْثَرَ الرِّغْبَةِ فِي طَاعَةِ الْقُلُوبِ الَّتِي لَا يَطْلُعُ
عَلَيْهَا الْإِنْسُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْجِنُّ ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ .
فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ كَثِيرٌ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَجَمِيعِ الْمَكْدَرَاتِ .
أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِطَاعَةِ الْقُلُوبِ فَإِنَّ فِيهَا الْمَعْرِفَةَ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ
وَجَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرِهِ سُبْحَانَهُ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمَحَابِهِ ، وَتُبْغِضْ مَكَارِهِهِ وَالرِّضَا وَالْغَضَبَ لَهُ وَفِيهِ ،
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِشِدَّةِ الْحُبِّ لَهُ .

وَالْحُبُّ فِيهِ وَالْبُغْضُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ بِأَيَادِيهِ الْحَسَنَةِ
وَنِعْمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ .

وَمِنْهُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَلَى تَوَاتُرِ الْإِسَاءَةِ مِنَّا ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَعُودُ
بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ عَلَيْنَا .

أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْخَوْفِ مِنْ زَوَالِ النِّعَمِ ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي
الشُّكْرِ .

وَتَقَرَّبُوا بِالْوَجَلِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِشْفَاقِ عَلَى إِيمَانِكُمْ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنْهُ .

وَحَقِيقَةُ الرِّجَاءِ فِيهِ ، وَالسُّرُورُ بِذِكْرِهِ ، وَمُنَاجَاتِهِ ، وَالشُّوقُ إِلَيْهِ ،
وَالرِّغْبَةُ فِي جِوَارِهِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِصِدْقِ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالثَّقَّةِ بِهِ وَالطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ
وَالْأُنْسِ بِهِ وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْهِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْوَفَاءِ وَلِئِنْ الْجَانِبِ وَالْجَنَاحِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْخُشُوعِ
وَالْخُضُوعِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْحِلْمِ وَالْإِحْتِمَالِ وَكُظْمِ الْغَيْظِ وَتَجَرُّعِ الْمَرَارَةِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلأُمَّةِ وَكَرَاهَةِ الشَّرِّ لَهُمْ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْحَوَظَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالتَّفَضُّلِ وَالْإِحْسَانِ وَصِدْقِ الْوَفَاءِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْقَنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالْكَفَافِ وَالرِّضَى بِالْبُلْغَةِ وَالْيَأْسِ مِنْ
نَائِلِ النَّاسِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالتَّدْبِيرِ لِكِتَابِهِ وَتَفْهَمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالْإِخْلَاصِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمُجَاهَدَةِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَخُلَافَةِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ
بِالسُّوءِ وَالتَّفَقُّدِ لِأَحْوَالِكُمْ وَالتَّقْوَى فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَدَاءِ
الْأَمَانَاتِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسِيءِ وَالْإِثَارِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ كَانَ بِكُمْ
خَصَاصَةٌ .

وَارْعَبُوا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَاضُعِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَحِ بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ وَالبَعْثِ وَالنَّشُورِ وَالحِسَابِ

وَالْمِيزَانِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرءَ يَحْبِسُ مَالَهُ
وَوَرَاثَةً فِيهِ غَدًا يَتَمَتَّعُ كَأَنَّ الْحِمَاةَ

الْمَشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ غَدَوْا بِكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحًا فَأَسْرَعُوا
وَمَا هُوَ إِلَّا النُّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوْا بِهِ
ثَقُلَ فَتَلَقَّى فَوْقَهُ ثُمَّ تُرْفَعُ

وَمَا هُوَ إِلَّا حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ
عَلَيْكَ فَمِنْ أَيِّ الْحَوَادِثِ تَجْزِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لِوَقْتِهِ
فَمَا لَكَ فِي تَأْخِيرِهِ عَنْكَ مَذْفَعُ
أَلَا وَإِذَا وُدَّعْتَ تَوْدِيعَ هَالِكٍ
فَأَخِرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُودَّعُ
أَلَا وَكَمَا شِيعَتْ يَوْمًا جَنَائِزًا
فَأَنْتَ كَمَا شِيعْتَهُمْ سَتَشِيعُ
رَأَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِهَا
وَإِنَّكَ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَ الْمُرْوَعُ
وَصَفَتْ التَّقَى وَصْفًا كَأَنَّكَ ذُو تَقَى
وَرِيحُ الْخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ تَسْطَعُ
وَلَمْ تُعَنَّ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ وَاقِعُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَعْنِي بِمَا يَتَوَقَّعُ
وَإِنَّكَ لِلْمَنْقُوصِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَكُلُّ بَيْتٍ الدُّنْيَا عَلَى النِّقْصِ يُطْبَعُ
وَمَا زِلْتُ أَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بِعَبْرَةٍ
تَكَادُ لَهَا صُمُ الْجِبَالِ تَصْدَعُ
فَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تَجُودُ بِمَائِهَا
وَمَا بَالُ قَلْبِي لَا يَرِقُ وَيَخْشَعُ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ
مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ

وَأَيُّ امْرِئٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
وَيَبْغُضُ بَنِي الدُّنْيَا لِبَعْضِ ذَرِيعَةٍ
وَكُلُّ بِكُلِّ قَلَمًا يَتَمَتَّعُ
يُحِبُّ السَّعِيدُ الْعَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ
وَيَبْغِي الشَّقِيُّ الْبَغْيَ وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِزَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ
وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ ، وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْإِبْرَارِ وَاعْفِرْ
لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتِنَا مَهْمَا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزَّوَالِ ،
وَكَذَلِكَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ آتَى لِلدُّنْيَا لِلْإِخْتِيَارِ بِمَا كُلَّفْنَا بِهِ مِنْ
الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ ، وَسَيُصْبِحُ الْوَاحِدُ مِنَّا عَمَّا قَرِيبٍ فِي حُفْرَةٍ وَخِيداً
لَيْسَ مَعَهُ أَوْلَادٌ وَلَا أَمْوَالٌ ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ أَيُّهَا الْأَخُ كَأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا
وَلَا هِيَ رَأَتْكَ لَحْظَةً مِنَ اللَّحْظَاتِ .

وَيَا لَيْتَكَ إِذَا زَالَتْ الْحَيَاةُ تَزُولُ دُونَ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهَا آثَارُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ
لَا حُبَّ بَعْضُنَا الْمَوْتِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بَشِيرًا بَانْتِهَاءِ الْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ
وَالْآلَامِ ، لِكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَغْقُبُ ذَلِكَ الْمَوْتُ أَهْوَالٌ ، وَأُمُورٌ مُزْعِجَاتٌ ،
تُلَاقِي جِزَاءَ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي الْإِخْتِيَارِ .

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةً نَعِيمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا
رَأَيْتَهُ نِيرَانًا مُحْرِقَاتٍ .

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ ، وَوُضِعَتْ
الْجَنَازَةُ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
اِحْتَضَرَ ، أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَأَطْيَبَ رِيحًا ، فَجَلَسَ
عِنْدَهُ ، لِقَبْضِ رُوحِهِ ، وَأَتَاهُ مَلَكَانِ بِخَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَا مِنْهُ عَلَى بَعِيدٍ
فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ مِنْ جَسَدِهِ رَشْحًا .

فَإِذَا صَارَتْ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ ابْتَدَرَهَا الْمَلَكَانِ فَأَخَذَاهَا مِنْهُ فَحَنَطَاهَا
بِخَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَفَّنَاهَا بِكَفْنٍ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ عَرَّجَا بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَتُفْتَحُ
لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا وَيَقُولُونَ لِمَنْ هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ
الَّتِي قُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ .

وَيُسَمَّى بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيَقَالُ هَذِهِ
رُوحُ فُلَانٍ فَإِذَا صَعَدَا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ شَبَّعَهَا مُقَرَّبُوا كُلِّ سَمَاءٍ ، حَتَّى
تُوضَعَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِنْدَ الْعَرْشِ ، فَيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِنْ عِلْيَيْنَ فَيَقُولُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُقَرَّبِينَ اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَصَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ ، وَيُخْتَمُ
كِتَابُهُ فَيُرَدُّ فِي عِلْيَيْنَ .

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوحَ عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ
أَنِّي أُرُدُّهُمْ فِيهَا .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » فَإِذَا وُضِعَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ تَقُولُ لَهُ

الْأَرْضُ إِنْ كُنْتَ لَحِيْبِيًّا إِلَيَّ وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي ، فَكَيْفَ إِذْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي بَطْنِي سَارِيكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ ، فَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وُضِعَ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ أَنَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ، فَيَقُولُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ لَا دَرَيْتَ ، فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا ، ثُمَّ يُعَادُ فَيَجْلِسُ فَيَقَالُ لَهُ مَا قَوْلُكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ أَيُّ رَجُلٍ فَيَقُولَانِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا .

وَيَا لَيْتَ الْأَمْرُ يَنْتَهِي ، وَيَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، فَتَبْقَى فِي قَبْرِكَ عَلَى الدَّوَامِ ، فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِمَّا بَعْدَهُ ، فَتَكُونُ آلَامُكَ فِيهِ أَخْفَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْآثَامِ ، وَلَكِنْ تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ سَيَقَعُ ، وَهُوَ الْقِيَامُ مِنَ الْقُبُورِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَحِينَئِذٍ تَسْوِقُكَ نَتِيجَةُ اخْتِبَارِكَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى السَّعِيرِ ، مَنْ كَانَ مَكْذَبًا بِهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ ، لِإِنَّ مَالَهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَشَسَ الْمِهَادِ لِأَنَّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ الَّذِي تُفِيدُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذَا نَرَاكَ مُتَّصِفًا بِمَا يُخَالِفُ قَوْلَكَ :

يَا قَسْوَةَ الْقَلْبِ مَالِي حِيلَةٌ فِيكَ	مَلَكَتْ قَلْبِي فَأُضْحَى شَرٌّ مَمْلُوكِ
حَجَبَتْ عَنِّي إِفَادَاتِ الْخُشُوعِ فَلَا	يَشْفِيكَ ذِكْرٌ وَلَا وَعْظٌ يُدَاوِيكَ
وَمَا تَمَادِيكَ مِنْ كُتْفِ الذُّنُوبِ وَلَكِنْ	كَيْنَ الذُّنُوبَ أَرَاهَا مِنْ تَمَادِيكَ
لَكِنْ تَمَادِيكَ مِنْ أَصْلِ نَشْأَتِ بِهِ	طَعَامُ سُوءٍ عَلَى ضَعْفِ يُقْوِيكَ

وَأَنْتَ يَا نَفْسُ مَاوَى كُلِّ مُغْضِلَةٍ
أَنْتِ الطَّلِيْعَةُ لِلشَّيْطَانِ فِي جَسَدِي
لَمَّا فَسَحَتْ بِتَوْفِيرِ الحُطُوطِ لَهُ
وَالْيَتِيهِ بِقَبُولِ الزُّورِ مِنْكَ فَلَنْ
مَازِلْتَ فِي أَسْرِهِ تَهْوِينَ مَوْثِقَةً
يَا نَفْسُ ثَوْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ مُخْلِصَةً

وَكُلُّ دَاءٍ بِقَلْبِي مِنْ عَوَادِيكَ
فَلَيْسَ يَدْخُلُ إِلَّا مِنْ نَوَاجِيكَ
أُضْحَى مَعَ الدَّمِ يَجْرِي فِي مَجَارِيكَ
يُؤَالِي اللَّهَ إِلَّا مَنْ يُعَادِيكَ
حَتَّى تَلْفِتَ فَأَعْيَانِي تَلَاْفِيكَ
ثُمَّ اسْتَقِيمِي عَلَى عِزِّ يُنَجِّيكِ

وَاسْتَرِزِكِي فَارِطَ الْأَوْقَاتِ وَاجْتَهِدِي
وَاسْعِي إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى مُسَارِعَةً
وَلَنْ يَتِمَّ لَكَ الْأَعْمَالُ صَالِحَةً
حُبُّ التَّكَاثُرِ فِي الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
لَا تُكْثِرِي الْحِرْصَ فِي تَطْلَابِهَا فَلَكُمْ
بَلِّ اقْنَعِي بِكَفَافِ الرِّزْقِ رَاضِيَةً
ثُمَّ اذْكُرِي غُصَصَ الْمَوْتِ الْفَظِيعِ تَهْنُ
وِظْلَمَةَ الْقَبْرِ لَا تُخْشِي وَوَحْشَتَهُ
وَالصَّالِحَاتِ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ اذْخِرِي
وَأَحْسِنِي الظَّنَّ بِالرَّحْمَنِ مُسْلِمَةً

عَسَاكَ بِالصِّدْقِ أَنْ تَمَحِّيَ مَسَاوِيكَ
فَرُبَّمَا شَكِرْتَ يَوْمًا مَسَاعِيكَ
إِلَّا بِتَرْكِكَ شَيْئًا شَرًّا مَتْرُوكِ
فَهِيَ الَّتِي عَنْ طِلَابِ الْخَيْرِ تُلْهِيكِ
دَمَّ لَهَا بِسُوفِ الْحِرْصِ مَسْفُوكِ
فَكُلَّمَا جَازَ مَا يَكْفِيكَ يُعْطِيكَ
عَلَيْكَ أَكْذَارُ دُنْيَا لَا تُصَافِيكَ
عِنْدَ انْفِرَادِكَ عَنْ خِلِّ يُؤَالِيكَ
فِي مَوْقِفِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ يُوَاسِيكَ
فَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالرَّحْمَنِ يَكْفِيكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا
دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ ، وَإِذَا اسْتُرْجِئْتَ بِهِ رَحِمْتَ ،
وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَجْتَ أَنْ تَغْفَرَ سَيِّئَاتِنَا وَتُبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَبَّحَهُ أَجْمَعِينَ .

١٠ « موعظة »

كُتِبَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى وَلَدِهِ الْحُسَيْنِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ
عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَالِدِ الْفَانِي الدَّامِّ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى ، إِلَى
الْوَلَدِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةُ الْأَسْقَامِ
وَرَهِينَةُ الْأَيَّامِ وَأَسِيرُ الْمَنَايَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيحُ الشَّهَوَاتِ وَنُصْبُ الْأَفَاتِ
وَحَلِيفَةُ الْأُمُوتِ .

يَا بُنَيَّ إِنْ بَقِيتُ أَوْ فَنِيتُ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ
قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَلَا عِتْصَامَ بِحَبْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) الْآيَةَ وَأَيُّ سَبَبٍ يَا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ
بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أُحْيِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ وَقُوَّهُ بِالزُّهْدِ وَذَلِّلَّهُ بِالْمَوْتِ وَقَرِّهِ
بِالْفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَتَقَلُّبَ اللَّيَالِي .

وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا
وَأَيْنَ حَلُّوا فَانْكَ تَجِدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلَوْا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ وَنَزَلُوا دَارَ الْغُرْبَةِ .

وَكُنَّاكَ عَنْ قَلِيلٍ يَا بُنَيَّ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَبِعْ دُنْيَاكَ بِأَخْرَتِكَ وَلَا
تَبِعْ أَخْرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْأَمْرَ فِيمَا لَا تُكَلِّفُ وَمُرَّ
بِالْمَعْرُوفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُرْ مِنْ أَهْلِهِ وَانْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَتَأَيَّنْ
مَنْ فَعَلَهُ .

وَخُضْ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَاحْفَظْ
وَصِيَّتِي فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ حُسْنِ الْارْتِيَادِ

مَعَ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ .

فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عَنْكَ زَادَكَ فَيُؤَافِيكَ بِهِ فِي
مَعَادِكَ فَاعْتَنِمَهُ فَإِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَوُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخَفُّ النَّاسِ حِمْلًا .

وَأَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ وَأَحْسَنُ فِي الْمَكْسَبِ قُرْبٌ طَلَبٌ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ
وَأَتَمُّ الْمَحْرُوبُ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ وَالْمَسْلُوبُ مَنْ سُلِبَ يَقِينُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غِنَى
يَعْدِلُ الْجَنَّةَ وَلَا فَقْرَ يَعْدِلُ النَّارَ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قال الناظم رحمه الله :

وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ وَالرَّجَا عَامِلًا لِمَا
تَخَافُ وَلَا تَقْنُطُ وَتُوقَأُ بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَتُبْ لَهَا
وَتُبْ مُطْلَقًا مَعَ فَقْدِ عِلْمِ التَّعْمِدِ
وَبَادِرْ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ
وَتَطْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفُ التَّزَوُّدِ
فَجِيئِيذِ لَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ تَوْبَةٌ
إِذَا عَايَنَ الْأَمْلَاكَ أَوْ غَرَّغَرَ الصَّيْدِ
وَلَا تَجْعَلِ الْأَمَالَ حِضْنًا فَإِنَّهَا
سَرَابٌ يَغُرُّ الْغَافِلَ الْجَاهِلَ الصَّيْدِ

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُمْ مِنِّي تَقْصِيرًا فِي شَيْءٍ
أَنْهَوْنِي عَنْهُ بِرَفْقٍ وَلُطْفٍ لِأَنَّ النَّفْسَ تَضَعُفُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَدُّوا إِلَيَّ النَّصِيحَةَ
فِي ذَلِكَ فَإِنِّي مُعَرِّضٌ لِلْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْكَسَلِ وَالْإِهْمَالِ فَإِذَا قَصُرْتُ فَتَشْطُونِي
وَعَاوِنُونِي عَلَى التَّاهِبِ لِهَذَا السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَالتَّغَرُّبِ الْمُخِيفِ .

وَإِذَا حَضَرَهُ النَّزْعَ فَلْيَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِيَتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ
فَيَالَهُ مِنْ خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنَا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ مِثْلُ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ
ثَوْبٌ أَبْيَضٌ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ
سَرَقَ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا
وَأَكْثَرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ نُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا
كَفَّارَةً فَتَزَلْ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ الْآيَتِينَ - وَنَزَلَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةِ وَنَحْوُ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي
سَبَقَتْ .

شعراً :

وَإِذَا أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي ظُلَلٍ	وَجِيءَ بِالْأَمَمِ الْمَاضِينَ وَالرُّسُلِ
وَحَاسِبَ الْخَلْقِ مَنْ أَحْصَى بِقُدْرَتِهِ	أَنْفُسَهُمْ وَتَوَفَّاهُمْ إِلَى أَجَلٍ
وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِي غَيْرَ سَيِّئَةٍ	تَسُوءُنِي وَعَسَى الْإِسْلَامُ يَسْلُمُ لِي
رَجَوْتُ رَحْمَةَ رَبِّي وَهِيَ وَاسِعَةٌ	وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَرْجَى لِي مِنَ الْعَمَلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَا ذَرْءَكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ أَلْتَجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيقُ مَنْ رَضِيَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ

قوم تحبهم ومحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا فِي مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا آيَةً مِنَ الْآيَاتِ
وَكَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَهُمْ بِالْغَا مَبْلَغًا يَعُدُّهُ أَهْلُ الْإِنصَافِ غَايَةَ الْغَايَاتِ لِذَلِكَ
كَانُوا فِي مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِبَعْضِهِمْ عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ فِي الدَّرَجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ فِي أَشَدِّ الْجُوعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالِهِ مِنْ
طَعَامِ غَامِلَيْنِ يَقُولُهُ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ﴾ وَقُولُهُ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾
وَيَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ
لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الْخَجَلَ لَيَعْلُو وَجُوهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارِنًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا
الزَّمَانِ ، نَحْنُ فِي حَالِهِ تَصَوُّرُ حَقِيقَتِهَا فَقَطْ يُثِيرُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
الْأَحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا قَتَسْنَا ثُمَّ قَتَسْنَا لَا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ
الْآخِاءِ التَّامَّ يَكُونُ الْجَارُ فِي نِهَآيَةِ الْفَقْرِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ جَارُهُ الْمُشْرِي وَيَنْزِلُ
بِالْآخِ الشَّقِيقِ أَوْ الْعَمِّ الشَّقِيقِ أَوْ نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِنَ الْكَوَارِثِ وَلَا أَثَرُ
لِنَزُولِهَا عِنْدَ أَخِيهِ وَلَا كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ الْمَصَائِبَ الْفَادِحَةَ وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرُ
الْجَوَابِ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ فَالْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ الْيَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَالُ شَغَلَهُمْ عَمَّا عَدَاهُ
وَأَنَسَاهُمْ كُلُّ مَا سِوَاهُ مَلَأَ الْقُلُوبَ حُبُّ هَذَا الْمَالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي
الْقُلُوبِ مَتَسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الْأَعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تَرَأَى الدِّمَاءُ
وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصِّفَا وَالْمُعَادَاةُ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ
فِي هَذَا الزَّمَانِ .

فَالْقُلُوبُ فِي سُرُورٍ مَا دَامَ الْمَالُ سَالِمًا وَإِنْ انْهَارَ بِنَاءُ الشَّرَفِ وَالذِّينِ
وَالنَّفُوسُ فِي هُدُوءٍ وَطُمَأْنِينَةٍ مَا ابْتُعِدَ عَنِ الْمَالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلُهُ هَاجُوا هَيَجَانِ
الْجَمَالِ وَهُمْ فِي تَوَاضُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعَرَّضَ لَهُ انْقَطَعَتِ الصَّلَاتُ
حَتَّى بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَادٍ وَإِخْوَانٍ .

وهذا من ثمرات البخل قال بعضهم البخل يستعجل الفقر الذي
هرب منه ويفوته الغنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب
حساب الأغنياء فالبخل هو الوحيد الذي يستبشر ورثته بمرضه وموته وتجده
ليله ونهاره مستغرق في جمع المال لا يفتر خوفاً من الفقر وهذا هو الفقر كما
قيل :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
آخِر :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْقَرَمِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَتَفَعُّ
آخِر :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلِمُ وَفَرًّا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

أَمَّا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِينَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ اخْوَانِنَا فِي
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ جِيلٍ
إِلَى جِيلٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ مَرَاضِي اللَّهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ
فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِي تَتَكَدَّرُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ عَنْكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ فَلَا
تَفْرَغَ وَلَا تَتَكَدَّرَ وَوَطْنُ نَفْسِكَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاللَّهُ مَيِّتٌ وَمَمُورُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ
وَمَنْعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الْوَارِثُ الْعَاقُ أَوْ الْبَارُ وَإِنَّتِ تَسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَهُ
وَقِرْشًا قِرْشًا .

وَتَكُونُ النَّتِيجَةُ إِنْ كُنْتَ جُمُوعًا مَنُوعًا شَقَاءَ تَسْتَغِيثُ مِنْهُ فَلَا تُغَاثُ
وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا بِيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيجَةُ ذَلِكَ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمَغْرُورِينَ الْغَافِلِينَ لِذَيْنَ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَسِيرُ جَمْعَ
الْمَالِ وَتَكْدِيسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَمَلَايِينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِي وَيُيُوتِ كَدَابِ أَهْلِ
هَذَا الْعَصْرِ الْغَافِلِ الْمُظْلِمِ بِالْمَعَاصِي وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

الَّذِي اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْعُكُوفَ عَلَى الْجَرَائِدِ
حِمَالَةِ الْكَذِبِ وَالْمَجَلَاتِ الْخَلِيعَاتِ وَالْكَتُبِ الْهَدَامَاتِ وَالْجُلُوسَ حَوْلَ الْمَلَاهِمِ
وَالْمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحَسَّرُ حِينَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الْغَطَا وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ
الْخَطَأُ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَخْصَلَ لَكَ
مُنَاكَ ذَهَبَ الْآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالْحَرَمَانُ .

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَافَتُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ .
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ
مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَرِيبٍ ﴾ .

لَقَدْ أُنْسَى النَّاسَ حُبَّ هَذَا الْمَالِ مَا لَهُمْ مِنْ شَرَفٍ وَمُرُوءَةٍ وَدِينٍ
وَجَعَلَهُمْ حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُمُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِنْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُهَا اجْتَذَابُهَا
فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سِلْمًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجَنَّبَهَا نَارَ عَتِكَ كِلَابُهَا

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمَالَ مِنْ خَدَمِ الدِّينِ فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ نَكْبَةً عَلَى
أَصْحَابِهِ وَكَذَلِكَ الْأَوْلَادُ إِنْ كَانُوا غَيْرَ صَالِحِينَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلَى آبَائِهِمْ وَعَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا وَمِنْ وَلَدٍ

يَكُونُ وَبَالًا وَمِنْ زَوْجَةٍ تُشِينِي قَبْلَ الْمَشِيبِ وَمِنْ خَلِيلٍ مَا كَرِهَ عَلَيْهِ تَرْعَانِي وَقَلْبُهُ
يَسْنَانِي إِنْ رَأَى خَيْرًا أَخْفَاهُ وَأَنْ رَأَى شَرًّا أَفْشَاهُ » .

وَقِيلَ إِنَّهُ سُئِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَالِ فَقَالَ لَا خَيْرَ فِيهِ قِيلَ وَلَمْ
يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ قِيلَ فَإِنْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قَالَ لَا يُؤْدِي
حَقُّهُ قِيلَ فَإِنْ أَدَّى حَقُّهُ قَالَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخِلَاءِ قِيلَ فَإِنْ سَلِمَ
قَالَ يُشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَشْغَلْهُ قَالَ يُطِيلُ عَلَيْهِ حِسَابُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

فَتَأْمَلْ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ الْخَمْسَ وَقَلِيلٌ مَنْ يَتَجَاوَزُهَا سَالِمًا وَوَرَدَ عَنْ عَطَاءِ
بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ كَانَ بَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ فِي
الْمَسْجِدِ فَقَالَ عَمَّارُ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ لَا يُمِيتَكَ حَتَّى يُكْثِرَ
مَالَكَ وَوَلَدَكَ وَيُوطِئَ عَقَبَكَ وَوَرَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « خِيَارُكُمْ
فِي الْمَائَتَيْنِ كُلِّ خَفِيفِ الْحَاذِ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْخَفِيفُ الْحَاذِ قَالَ :
« الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ » .

شِعْرًا :

يَقُولُ الَّذِي يَرْجُو مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ
وَيَرْجُوهُ نَصْرًا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
لِمَنْ يَتَّقِي الْمَوْلَى وَيَرْجُو لِقَاءَهُ
وَعَمَّا يَقُولُ النَّاسُ لَيْسَ بِسَائِلٍ
أَقُولُ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلًا مُنْقَحًا
وَلَوْ أَنَّ فَهْمِي قَاصِرٌ فِي الْمَسَائِلِ
عَلَيْهِ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ شَوَاهِدُ
إِذَا قُلْتُهُ يَهْوِي لَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
أُسِرُّ بِمَا بَيْنِي وَالْعُيُونُ عَوَائِرُ
يَدْمَعُ عَلَى الْخَدَّيْنِ ثَجًّا بِوَائِلٍ
وَفِي مُدْعِي الْإِسْلَامِ قَلْبِي كَأَنَّهُ
عَلَى الْمُهَلِّ مِنْهُمْ لَيْسَ عَنْهُمْ بِذَاهِلٍ
فَمَا بَيْنَ دَهْرِي وَمَا بَيْنَ مُشْرِكٍ
وَلَمْ يَعْرِفِ الْإِسْلَامَ غَيْرُ الْقَلَائِلِ
وَلَوْ بَذَلُوا الْأَمْوَالَ نَفْلًا لِرَبِّنَا
إِذَا الْفَرَضُ ضَاعَ لَاغْنَى بِالنَّوَافِلِ
تَرَكْنَا الْكِتَابَ وَالْحَدِيثَ وَرَاءَنَا
لِأَجْلِ مَجَلَاتٍ أَتَتْ بِالتَّهَازُلِ
لَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَّا عُدُونَا
وَمَقْصُودُنَا مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِحَاصِلٍ
مَشِينًا جَمِيعًا فِي فَسَادِ صَلَاحِنَا
وَرُمْنَا مَرَامًا خَاسِرًا غَيْرَ طَائِلِ

وَتَسْتَغِيبُ الْأَعْدَاءُ مِنَّا لِأَنَّنَا
كَمِثْلِ الْقَطَا تَضْطَادُّنَا بِالْحَبَائِلِ
أَحَاطَتْ بِنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَأَنَّا طَعَامٌ قَدَّمُوهُ لِأَكْلِ
وَصَارُوا بِحَاراً يُغْرِقُ الْفُلَكَ مَوْجُهَا
وَنَحْنُ لَهُمْ صِرْنَا كَمِثْلِ الْجَدَاوِلِ
وَتَخْتَرِعُ الْأَعْدَاءُ لِلْحَرْبِ قُوَّةً
وَقَدْ هَدَدَتْ مَنْ لَمْ يُطِيعِ بِالْقَنَابِلِ
وَلَيْسَ لَنَا مِنَّا زَعِيمٌ مُصَادِمٌ
أَتَتْ تَتَمَطَّى مَا لَهَا مِنْ مُقَابِلِ
وَنَحْنُ هَبْطْنَا لِلتَّرَابِ تَوَاضِعاً
نُرِيدُ نَجَاحاً مِنْ خَفِيفِ الْقَسَاطِلِ
« فَبَا لِعُبَادِ الدُّنَانِ نِيرِ كُلِّهِمْ
وَتَبَا لِحَبِّ جَاهِلٍ مُتَعَايِلِ »
وَتَبَا لِعَبْدٍ مُشْرِكٍ خَانَ رَبُّهُ
وَضَيَّعَ دِيناً مَا لَهُ مِنْ مُمَائِلِ
وَتَبَا لِقَوْمٍ عَزَّ فِيهِمْ سَفِيهِهِمْ
وَصَارَ ذَلِيلًا عِنْدَهُمْ كُلُّ فَاضِلِ
وَمِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ عِزُّ عَدُوِّهِمْ
وَذَلُّهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزِّ الْأَوَائِلِ
فَيَا لَيْتَ لِلْإِسْلَامِ فِي الْحَالِ شَوْكَةٌ
ذُورُوا نَجْدَةً يَخْشَاهُمْ كُلُّ جَاهِلِ

رَجَالٌ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَجْدًا وَجَنَّةً
عَنِ الذُّلِّ مِنْ فِعْلِ الصُّقُورِ الْحَلَّاجِ
تَذَوُّدٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ بِسَيْفِهَا
وَمِنْ أَرْضِهَا تَنْفِي جَمِيعِ الْأَرَادِلِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ أَعْمَالَنَا وَاقْرَنْ بِالْعَافِيَةِ غُدُونَنَا
وَاصَالَنَا وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَالَنَا وَاضْبُتْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبَنَا
وَمَنْ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَاعْتِمَادُنَا إِلَهِنَا ثَبَّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِزَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢ مَوْعِظَةٌ

رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « تَفَرَّغُوا مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ ، فَارْقَ اللَّهُ عَلَيْهِ
أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أُمُورَهُ
وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ
قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَفْدُ إِلَيْهِ بِالْوَدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ
أَسْرَعُ » وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخِي
نَاصِحٍ فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُونُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا
لَا تَأْكُلُونَ وَتَوُمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا وَأَمَلُوا
بَعِيدًا وَجَمَعُوا عَتِيدًا فَاصْبَحَ أَمْلَهُمْ غُرُورًا وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا : وَقَالَ
بَعْضُهُمْ :

إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكُمْ يَخِمِلُ مَا ثَبَتَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ثُمَّ يَمْضِي
فَلَا يَعُودُ أَبَدًا فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَحْظُوا كُلَّ يَوْمٍ بِمَكْرَمَةٍ وَتُثْبِتُوا فِيهِ حَسَنَةً فَلَا
تُؤْخَرُوا فَإِنَّ الْأَيَّامَ صَحَائِفُ فَخَلِّدُوا فِيهَا الْجَمِيلَ فَقَدْ رَأَيْتُمْ حِفْظَهَا لِمَا
اسْتَدْعَتْ مِنَ الْمَحَامِدِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَكَارِمِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ .

شِعْرًا :

لَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامِي بِلَا نَدَمٍ
وَلَا بُكَاءٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا حَزَنِ
سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادِي لَا يُبَلِّغُنِي
وَقَسَمِي لَمْ تَزَلْ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُنِي
مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِي حَيْثُ أَمْهَلَنِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
أَنَا الَّذِي أَغْلِقُ الْأَبْوَابَ مُجْتَهِدًا
عَلَى الْمَعَاصِي وَعَيْنُ اللَّهِ تَنْظُرُنِي
يَا زَلَّةً كُتِبَتْ يَا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ فِي الْقَلْبِ تَقْتُلُنِي
دَعْ عَنْكَ عَذْلِي يَا مَنْ كَانَ يَعْدِلُنِي
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتُ تَعْذُرُنِي
دَغْنِي أَنْسُوحَ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتَّذْكَارِ وَالْحَزَنِ

دَعْنِي أَسِحْ دُمُوعاً لَا انْقِطَاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَىٰ عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي
كَأَنَّنِي بَيْنَ تِلْكَ الْأَهْلِ مُنْطَرِحاً
عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي
وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيبٍ كَيِّ يُعَالِجُنِي
وَلَمْ أَرَ مِنْ طَبِيبِ الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي
وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الْمَوْتُ يَجْذِبُهَا
مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلاَ رَفْقٍ وَلَا هَوْنٍ

وَاسْتَخْرَجَ الرُّوحَ مِنِّي فِي تَغَرُّغِهَا
وَصَارَ فِي الْحَلْقِ مُرّاً حِينْ غَرَّغْنِي
وَعَمَّضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَانْصَرَفُوا
بَعْدَ الْإِيَّاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا كَفَّنِي
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ
إِلَى الْمُغْسِلِ يَأْتِيْنِي يُغْسِلُنِي
وَقَالَ يَا قَوْمُ نَبِّغِي غَاسِلاً حَذِيقاً
حُرّاً أَدِيْباً أَرِيْباً عَارِفاً فِطْنِي
فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَدَنِي
مِنَ الثِّيَابِ وَاعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي
وَاطَّرَحُونِي عَلَى الْأَلْوَحِ مُنْفَرِداً
وَصَارَ فَوْقِي خَرِيرُ الْمَاءِ يُنْظِفُنِي
وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي
غَسْلاً ثَلَاثاً وَنَادَى الْقَوْمَ بِالْكَفْنِي

وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا لَا كُمُومَ لَهَا
وَصَارَ زَادِي حَنُوطًا حِينَ حَنَطَنِي
وَقَدَّمُونِي إِلَى الْمَحْرَابِ وَانصَرَفُوا
خَلْفَ الْأَمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
صَلُّوا عَلَيَّ صَلَاةَ لَا رُكُوعَ لَهَا
وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي
وَأَنْزَلُونِي فِي قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ
وَأَنْزَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ يُلَجِّدُنِي
وَكَشَفَ الثَّوْبَ عَن وَجْهِ لِيَنْظُرَنِي
وَأَسْبَلَ الدَّمَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَغْرَقَنِي
فَقَامَ مُحْتَرِمًا بِالْعِزِّ مُشْتَمِلًا
وَصَفَّفَ اللَّيْنَ مِنْ فَوْقِي وَفَارَقَنِي
وَقَالَ هَلُّوا عَلَيْهِ التُّرْبَ وَاغْتَنِمُوا
حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي الْمِنَّةِ
فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ لَا أُمَّ هُنَاكَ وَلَا
أَبَ شَفِيقٍ وَلَا أَخَ يُؤْنِسُنِي
وَأَوْدَعُونِي وَلَجُّوا فِي سُرِّ الْهَمُومِ
مَا لِي سِوَاكَ إِلَهِي مَنْ يُخَلِّصُنِي
وَهَالَنِي صُورَةٌ فِي الْعَيْنِ إِذْ نَظَرْتُ
مِنْ هَوْلٍ مَطْلَعٍ مَا قَدْ كَانَ أَذْهَبَنِي
مِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مَا أَقُولُ لَهُمْ
إِذْ هَالَنِي مِنْهُمَا مَا كَانَ أَفْزَعَنِي

فَامُنْ عَلَيَّ بِعَفْوِ مِنْكَ يَا أَمَلِي
فَإِنِّي مُوثِقٌ بِالذَّنْبِ مُرْتَهَنٌ
تَقَاسَمَ الْأَهْلُ مَالِي بَعْدَمَا انْصَرَفُوا
وَصَارَ وَزْرِي عَلَى ظَهْرِي فَأَثْقَلَنِي
فَلَا تَغُرَّنِكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
وَانْظُرْ إِلَى فِعْلِهَا فِي الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ
وَانْظُرْ إِلَى مَنْ حَوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الزَّادِ وَالْكَفَنِ
خُذِ الْقَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا
يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبِي
لَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
فِعْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي
اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَنِكْ وَتَجَاوِزْ عَنْ جَرَائِمِنَا
بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بِالَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا
رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

ثم أعلم أيها الأخ أنه ما من ساعة تمر على العبد لا يذكر الله فيها إلا
تأسف وتحسر على قوايتها بغير ذكر الله ولذلك ينبغي للعاقل أن يجعل معه
شيئاً يذكره لذكر الله كلما غفل عنه .
ويقال إن العبد تعرض عليه ساعات عمره في اليوم واللييلة فيراها

خَزَائِنَ مَصْفُوفَةٍ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خِزَانَةً فَيَرَى فِي كُلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ مَا يَسُرُّهُ . فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ السَّاعَاتُ الَّتِي غَفَلَ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ رَأَاهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذَلِكَ وَتَنَدَّمَ حِينَ لَا يُفِيدُهُ النَّدَمُ .

وَأَمَّا السَّاعَاتُ الَّتِي كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ سُورِهِ فِيهَا وَفَرَجِهِ بِهَا حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَقْتُلَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ . قَالَ بَعْضُهُمْ أَوْقَاتُ الْإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ لَا خَامِسَ لَهَا النِّعْمَةُ ، وَالْبَلِيَّةُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْمَعْصِيَةُ .
وَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ .
فَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ فَسَبِيلُهُ شُهُودُ الْمِنَّةِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الْمَعْصِيَةَ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ النِّعْمَةَ فَسَبِيلُهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ الْبَلِيَّةَ فَسَبِيلُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا بِرِضَى النَّفْسِ عَنِ اللَّهِ ، وَالصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ . أَهـ .

الْعُمُرُ إِذَا مَضَى لَا عِوَضَ وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لَا قِيَمَةٌ لَهُ . فَعُمُرُ الْإِنْسَانِ هُوَ مَيِّدَانُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَلَكِنْ مَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْعُمُرِ إِلَّا نَوَادِرُ الْعُلَمَاءِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ الْآيَاتِ .

وَهَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الَّتِي يَكْدَحُ الْعَبْدُ وَيَسْعَى مِنْ أَجْلِهَا وَلَيْسَ لَهَا مِنْهَا إِلَّا مَا سَعَى كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .
فَكُلُّ جُزْءٍ يَقُوتُهُ مِنَ الْعُمُرِ خَالِيًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ .

يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِقَدَرِهِ وَلَا عَوَضَ لَهُ مِنْهُ .

فَالْوَقْتُ لَا يُسْتَدْرَكُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنْهُ وَكُلُّ جُزْءٍ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ
غَيْرِ خَالٍ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُلْكٍ كَبِيرٍ لَا يَفْنَى وَلَا قِيَمَةً لِمَا
يُوصَلُ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَالنَّفَاسَةِ .

وَلِأَجْلِ هَذَا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ
لِأَنفَاسِهِمْ وَلِحَظَاتِهِمْ وَبَادَرُوا إِلَى اغْتِنَامِ سَاعَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُمْ
فِي الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ وَلَمْ يَقْنَعُوا لِأَنفُسِهِمْ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ مَا
أَبْصَرَهُمْ بِتَصْرِيفِ أَوْقَاتِهِمْ .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيمَا رُمْتَ مَغْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ قَمًا وَصَلُوا هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ أَدْرَكْتُ أَقْوَمًا كَانُوا عَلَى سَاعَاتِهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ عَلَى
دَنَائِيرِكُمْ وَدَرَاهِمِكُمْ فَكَمَا لَا يُخْرِجُ أَحَدُكُمْ دَنِيَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ
عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ السَّلَفُ لَا يُجِبُونَ أَنْ تُخْرَجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلَا دَقِيقَةٌ مِنْ أَعْمَارِهِمْ إِلَّا
فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ ضِدَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ مِنْ قَتْلِ الْوَقْتِ عِنْدَ
الْمُنْكَرَاتِ .

بَقِيَّةُ الْعُمْرِ عِنْدِي مَا لَهُ ثَمَنٌ وَإِنْ غَدَا غَيْرَ مُحْسُوبٍ مِنَ الزَّمَنِ
يُسْتَدْرَكُ الْمَرْءُ فِيهَا كُلُّ فَائِتَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ
آخِرُ :

لَا يَخْفِرُ الرَّجُلُ الرَّفِيعُ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرُ
رَأَى أَحَدُ الزَّهَادِ إِنْسَانًا يَأْكُلُ فُطُورَهُ وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى مَضْغٍ فَقَالَ هَذَا

يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا فَلَمَّا أَخْرَجَ فُطُورَهُ وَإِذَا هُوَ مَا يَسْتَغْرِقُ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا .

فقال له ما حملك على هذا فقال إني حسبت ما بين المضع والسف سبعين تسبيحة .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل باليمنى والكراس باليسرى .

وإذا دخل الحلا أمر القاريء أن يرفع صوته كل هذا محافظة على الوقت .

بلغ يا أخي قتالة الأوقات عند الملاهي والمنكرات من تلفاز ومذيع وكورات وجرائد ومجلات وقيل وقال ونحو ذلك .

ويا أخي إن كنت ممن عصمهم الله من هذه الشرور والبلايا والمنكرات فكثر من حمد الله وشكره وذكره وأسأله الثبات حتى الممات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلعلك أن تكون سبباً لهدايتهم .

ولا يذهبن العمر منك سهلاً ولا تغبن بالنعمتين بل اجهد فمن هجر اللذات نال المني ومن أكب على اللذات عض على اليد ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها وفي نيلها ما تشتهي ذل سمرمد ثم أعلم أيها الأخ إن الوقت ليس من ذهب كما يقول الناس فإنه أغلى من الذهب والفضة مهما بلغا كثرة إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة فتنبه لذلك وحافظ عليه واقتد بالسلف الصالح الذين عرفوا قيمة الوقت .

قال بن مسعود رضي الله عنه ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي .

وقال آخر كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمسِهِ .

وَقَالَ آخَرُ مَنْ أَمْضَى يَوْمًا مِنْ عُمرِهِ فِي غَيْرِ حَقِّ قَضَاهُ أَوْ فَرَضٍ أَذَاهُ
أَوْ مَجْدٍ أَثْلُهُ أَوْ حَمْدٍ حَصْلُهُ أَوْ خَيْرِ أَسْئَسِهِ أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ
نَفْسَهُ . وَلَا تَسْأَلْ عَنْ نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا حِرْصُ السَّلَفِ عَلَى الْوَقْتِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرِهِ
عِنْدَهُمْ فَإِنْ مِمَّا يُحْزَنُ الْمُسْلِمَ وَيَجْرَحُهُ وَيَدْمِي الْقَلْبَ وَيُمَزِّقُ الْكَبِدَ أَسَى وَأَسْفَا
مَا نَشَاهُدُهُ عِنْدَ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِضَاعَةِ لِلْوَقْتِ تَعَدَّتْ حَدَّ التَّبْدِيرِ
وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيدِ .

وَبِالْحَقِيقَةِ أَنَّ السَّفِيهَ هُوَ مُضَيِّعُ الْوَقْتِ لِأَنَّ الْمَالَ لَهُ عَوَظٌ أَمَّا الْوَقْتُ
فَلَا عَوَظَ لَهُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ حَفِظَ وَقْتَهُ وَتَجَنَّبَ مَا يُضَيِّعُهُ عَلَيْهِ كَالْجُلُوسِ عِنْدَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ وَمَطَالَعَةِ فِي الْكُتُبِ الْهَدْمَاتِ إِنَّ مِنْ أَخْسَرِ النَّاسِ أَعْمَارًا مَنْ
شَغَلَتْهُمْ شَهَوَاتُهُمْ عَنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَمَصَالِحِ أُمُورِهِمْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ
﴿ وَلَا تَطْعَمْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ وَقَالَ عَزَّ
مَنْ قَائِلٌ ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ .

اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصَ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنَا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: قَصِيدَةُ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ سَقَطَ بَعْضُهَا وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ :
لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا
وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجْمَعُهَا
إِعْمَلْ لِذَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنِهَا أَرْضُهَا لَهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِيبَتُهَا
أَنْهَارُهَا لَبَنٌ تَحْضُ وَمِنْ عَسَلٍ وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ
وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي الْعَدَنِ عَالِيَةً
مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الْفِرْدَوْسِ يَغْمُرُهَا أَوْ سَدَّ جَوْعَةَ مِسْكِينٍ بِشَبْعَتِهِ
النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ وَاللَّهُ لَوْ قَنَعَتْ نَفْسِي بِمَا رَزَقَتْ
وَاللَّهُ لَوْ قَنَعَتْ نَفْسِي بِمَا رَزَقَتْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَيْمَانُ مُكَرَّرَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي صَخْرَةٍ صَمًّا مُلْمَلَمَةً رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاها اللَّهُ لَانْفَلَقَتْ
أَوْ كَانَ فَوْقَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَسْلُكُهَا حَتَّى يَنَالَ الَّذِي فِي اللُّوحِ خُطُّ لَهُ
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا لَا دَارَ لِلْمَرءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرِ طَابَ مَسْكَنُهَا
بَعَضُهَا وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ :
فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا
فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَغَمٍ يُحْلِيهَا
وَيُلْغَةُ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهَا
الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا
وَالزُّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابَتْ فِيهَا
وَالْخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا
تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْرًا فِي مَغَانِيهَا
فِي ظِلِّ طُوبَى رَفِيعَاتِ مَبَانِيهَا
وَجِبْرِئِيلُ يُنَادِي فِي نَوَاحِيهَا
بِرُكْعَةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ يُخْفِيهَا
فِي يَوْمٍ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الْغَلَا فِيهَا
أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا
مِنْ الْمَعِيشَةِ إِلَّا كَانَ يَكْفِيهَا
ثَلَاثَةٌ عَنْ يَمِينٍ بَعْدَ ثَانِيهَا
فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسُ نَوَاحِيهَا
حَتَّى تَوْدِي إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
لَسَهْلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا
فَإِنْ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيهَا
وَدَارُنَا لِحَرَابِ الْبُومِ نَبْنِيهَا
إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرِّ خَابَ بَانِيهَا

وَالنَّاسُ كَالْحَبِّ وَالدُّنْيَا رَحَى نَضِيبَتْ
فَلَا الْإِقَامَةَ تُنْجِي النَّفْسَ مِنْ تَلَفٍ
وَلِلنَّفُوسِ وَأَنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ
فَالْمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبِضُهَا
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زَوْرٌ يُصَبِّحُهَا
تِلْكَ الْمَنَازِلُ فِي الْآفَاقِ خَاوِيَةٌ
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَيَلَقَى بَعْدَ عَزْتِهِ
وَلِلْمَنَآيَا تُرَبِّي كُلَّ مُرْضِعَةٍ
لَا تَبْرَحَ النَّفْسُ تَنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ
وَلَنْ تَزَالَ طَوَالَ الذَّهْرِ ظَاعِنَةً
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا عَقَلَتْ
أَفْنَى الْقُرُونِ وَأَفْنَى كُلِّ ذِي عُمُرٍ
فَالْمَوْتُ أَحْدَقُ بِالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ مَاذَا يُرَادُ بِهَا
« تَجْنِي الثَّمَارَ غَدًا فِي دَارِ مَكْرُمَةٍ
فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دَائِمًا أَبَدًا
« الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَهُ
« فَيَا لَهَا مِنْ كَرَامَاتٍ إِذَا حَصَلَتْ
« وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَغُرُّكَ زَهْرَتُهَا
« فَارْتَبًا بِنَفْسِكَ لَا يَخْدَعُكَ لَامِعُهَا
« خَدَاعَةٌ لَمْ تَدُمْ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
« فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ

لِلْعَالَمِينَ وَكَفَّ الْمَوْتُ يُلْهِئُهَا
وَلَا الْفِرَارُ مِنَ الْأَحْدَاثِ يُنْجِيهَا
مِنَ الْمَنِيَةِ آمَالُ تَقْوِيهَا
وَالْبَشَرُ يَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا
مِنَ الْمَنِيَةِ يَوْمًا أَوْ يُمْسِيهَا
أَضَحَّتْ خَرَابًا وَذَاقَ الْمَوْتَ بَانِيهَا
ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَيُكِيهَا
وَالْحِسَابُ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
حَتَّى يَقُومَ بِنَادِ الْقَوْمِ نَاعِيهَا
حَتَّى تُقْسِمَ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيهَا
حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
كَذَلِكَ الْمَوْتُ يُفْنِي كُلَّ مَا فِيهَا
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُلِّ مَا فِيهَا
مَا طَابَ عَيْشُ لَهَا يَوْمًا وَيُلْهِئُهَا
لَا مَنْ فِيهَا وَلَا التَّكْدِيرُ يَأْتِيهَا
بَلَا انْقِطَاعَ وَلَا مَنْ يُدَانِيهَا
وَلَمْ يَدْرِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مَا فِيهَا
وَيَا لَهَا مِنْ نُفُوسٍ سَوَّفَ تَحْوِيهَا
فَعَنْ قَرِيبٍ تَرَى مُعْجَبَكَ ذَاوِيهَا
مِنَ الزَّخَارِفِ وَاحْذَرِ مِنْ دَوَاهِيهَا
وَلَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ لَيَالِيهَا
وَكَمْ أَصَابَتْ بِسَهْمِ الْمَوْتِ أَهْلِيهَا»

اغْتَرَّ قَارُونَ فِي دُنْيَاهُ مِنْ سَفَاهِهِ
يَبِيتُ لَيْلَتُهُ سَهْرَانٍ مُنْشَغِلًا
وَفِي النَّهَارِ لَقَدْ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ
فَمَا اسْتَقَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَا قَبِلَتْ
« ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَعْصُومِ سَيِّدِنَا
وَكَانَ مِنْ خَمَرِهَا يَا قَوْمَ ذَاتِهَا
فِي أَمْرِ أَمْوَالِهِ فِي الْهَمِّ يَفْدِيهَا
تُحْزِرُ فِي قَلْبِهِ حَزْرًا فَيُخْفِيهَا
مِنْهُ الْوَدَادَ وَلَمْ تَرْحَمْ مُجِبِّيَهَا
أَرْكَى الْبَرِيَّةَ دَانِيَهَا وَقَاصِيَهَا »

١٣ (موعظة)

قال الله جل وعلا ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ الاعتبار : النظر في
الأمور ليعرف بها شيء من غير جنسها ، والأبصار : العقول والمعنى تدبروا .

إخواني : الدنيا دار عبدة ما وقعت فيها حبرة إلا وردفتها عبدة أين من
عاشرناه كثيراً وألفنا ، أين من ملنا إليه بالوداد وانعطفنا ، أين من ذكرناه
بالمحاسن ووصفنا ما نعرفهم لو عنهم كشفنا ، ما ينطقون لو سألناهم والحفنا .

وسنصير كما صاروا فليتنا أنصفنا ، كم أغمضمنا من أحببنا على
كرهم جفنا ، كم ذكرتنا مصارع من فني من يقنى ، كم عزيز أحببنا دفناه
وانصرفنا ، كم مؤنس أضجعناه في اللحد وما وقفنا ، كم كريم علينا إذا مررتنا
عليه انصرفنا .

ما لنا نتحقق الحق فإذا أيقنا صدقنا ، أما ضرر أهله التسويف ، وما
نحن قد سوفنا ، أما التراب مصيرنا فلماذا منه أنفنا ، ألا تم تغرنا السلامة وكان
قد تلفنا .

أين حبيبنا الذي كان وانتقل ، أما غمسه التلّف في بحرهِ وارتحل أما
خلا في لحدهِ بالعمل أين من جرّ ذيل الخيلاء غافلاً ورقل أما سافر عنا وإلى
الآن ما قفل .

أَيْنَ مَنْ تَنَعَّمَ فِي قَصْرِهِ وَفِي قَبْرِهِ قَدْ نَزَلَ ، فَكَأَنَّهُ بِالْأَدَارِ مَا كَانَ وَفِي اللَّحْدِ
لَمْ يَزَلْ ، أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ الْأَكَاسِرَةُ الْأُولُ الَّذِينَ كَنَزُوا الْكَنُوزَ الْعَتَاةُ الْأُولُ ، مَلَكُ
الْأَمْوَالِ سِوَاهُمْ وَالدُّنْيَا دُولٌ .

شِعْرًا :

تَنَامُ وَقَدْ أُعِدَّ لَكَ السُّهَادُ وَتُوقِنُ بِالرَّحِيلِ وَلَيْسَ زَادُ
وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُنْسِي مُضِيعًا كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ عَدَا هَنِيئًا وَلَمْ يَكْ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَّطْتَ فِي تَقْدِيمِ زَرْعٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ عَدَمِ حَصَادُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَا ذَ بَعْزَكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ أَلْتَجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزَّهْ قُلُوبَنَا عَنْ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
قَوْمِ تَحَبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٤ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ سَيَجِيءُ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيهِ هَذَا الْعَالَمُ تَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ وَتَنْتَبِثُ
فِيهِ الْكَوَاكِبُ وَتُطَوَّى السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ يُزِيلُهَا اللَّهُ وَيَطْوِيهَا جَلٌّ وَعَلَا
وَتُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ
أَحْيَاءَ كَمَا كَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاةَ عَرَاءٍ عُرُلًا .

وَحِينَئِذٍ يُخْشَرُ الْكَافِرُ أَغْمَى لَا يَرَى أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ
يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ أَوَّلَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَزْرَقَ
الْعَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا
يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ وَفُؤَادُهُ هَوَاءٌ وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى
أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ
دُخُولِهَا لَا يَخْرُجُ أَبَداً وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا عَذَاباً إِذَا اسْتَغَاثَ مِنَ الْعَطَشِ يُعَاثُ
بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيُذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَالْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ جَهَنَّمُ مِنْ
كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكَلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ غَيْرُهُ .

وَلَهُ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ يُعَانِيهِ وَلَا يَمُوتُ وَيَأْتِيهِ
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى
﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي هَذَا الْعَذَابِ
خُلُوداً لَا نِهَآيَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لِأَنَّهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيمَةٍ هِيَ
الْكُفْرُ بِاللَّهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ يُطِيشُ الْعُقُولَ وَيُذْهِلُ النُّفُوسَ وَيُقَتِّلُ
الْأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاسْأَلِ اللَّهَ التَّشْيِيتَ عَلَى الْإِسْلَامِ
وَحُسْنِ الْإِعْقَادِ .

شِعْرًا :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدُّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

لَهُونًا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتَ
ذُنُوبَ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
وَيَأْذَنَ فِي تَوْبَاتِنَا فَنتُوبُ
أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُدُوبُ
لِطُولِ جِنَايَاتِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي
هَلَكْتُ وَمَالِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبُ
وَيَذَكِّرُنِي عَفْوُ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَرَى
فَأَخِيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَأُنِيبُ
فَأَخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبُ سَائِلًا
عَسَى كَاشِفُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يَتُوبُ

١٥ مَوْعِظَةٌ

خَطَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اتَّقُوا اللَّهَ
عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ
عَنْكُمْ - أَيُّ اشْتَرَوْا مَا يَبْقَى مِنَ النِّعَمِ الْأَبَدِيِّ ، مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا
أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لَذَّةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَشَهَوَاتِهَا الزَّائِلَةِ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ لَكُمْ الْأَنْتِقَالُ - أَيُّ حُشِشْتُمْ وَأُزْعِجْتُمْ
إِلَى الرَّجِيلِ - وَاسْتَعِدُّوا فَانْتَبَهُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ،
فَاسْتَبْدِلُوهَا بِدَارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ

سُدَى - أَيُّ مُهْمَلَيْنِ ، بَلَا رَاعِ يَزْجُرُكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُمْ ، وَيُسَوِّقُكُمْ إِلَى مَا يَنْفَعُكُمْ - وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنَّ غَايَةَ هِيَ الْأَجَلَ ، تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجْدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ ، وَإِنْ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ ، وَإِنْ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ ، لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا ، مَا تُحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ، فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنْ أَجَلُهُ مَسْتَوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ النِّعْمَةُ ، وَلَا تُطْغِيهِ ، وَلَا تُسْدِلُ عَلَى بَصِيرَتِهِ حُجْبَ الْغَفْلَةِ عَمَّا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً ، وَلَا تَحُلْ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

هَذِهِ قَصِيدَةٌ بَلِيغَةٌ جَدًّا وَهِيَ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ
سِهَامُ الْمَنِيَا فِي الْوَرَى لَيْسَ تُنْمَعُ
فَكُلُّ لَهُ يَوْمًا وَإِنْ عَاشَ مَضْرَعُ
وَكُلُّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَوْفَ يَنْتَهِي
إِلَى قَعْرِ لَحْدٍ فِي ثَرَى مِنْهُ يُودَعُ
فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ عَاشَ بَعْدَ قَرِينِهِ
إِلَى مِثْلِهَا عَمَّا قَلِيلٍ سَتُدْفَعُ
فَكُلُّ ابْنِ أَتْنَى سَوْفَ يُفْضِي إِلَى الرَّدَى
وَيَرْفَعُهُ بَعْدَ الْأَرَاثِكِ شَرْجَعُ

وَيُذِرْكُهُ يَوْمًا وَإِنْ عَاشَ بُرْهَةً
قَضَاءَ تَسَاوَى فِيهِ عَوْدٌ وَمُرْضَعُ

فَلَا يَفْرَحُنْ يَوْمًا بِطَوَّلِ حَيَاتِهِ
لَيْبُ فَمَا فِي عَيْشِهِ الْمَرْءُ مَطْمَعُ

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مِثْلُ لَمَحَةٍ بَارِقِ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا مِثْلُ مَا الْعَيْنُ تَهْجَعُ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالنَّبَاتِ فَيَاْسُ
هَشِيمٌ وَغَضٌ إِثْرَ مَا بَادَ يَطْلَعُ

فَتَباً لِدَارٍ مَا تَزَالُ تَعْلُنَا
أَفَاوَيْتُكَ كَأْسُ مُرَّةٍ لَيْسَ تُقْنِعُ

سَحَابُ أَمَانِيهَا جَهَامٌ وَيَرْقُهَا
إِذَا شِيمَ بَرَقَ خُلْبٌ لَيْسَ يَهْمَعُ

تَغُرُّ بَيْنِيهَا بِالْمُنَى فَتَقْوُدُهُمْ
إِلَى قَعْرِ مَهْوَاةٍ بِهَا الْمَرْءُ يُوضَعُ

فَكَمْ أَهْلَكَتْ فِي حُبِّهَا مِنْ مُتِيْمٍ
وَلَمْ يَخْطُ مِنْهَا بِالْمُنَى فَيَمْتَعُ

تُمْنِيهِ بِالْأَمَالِ فِي تَيْلٍ وَضَلِيلِهَا
وَعَنْ غِيَةِ فِي حُبِّهَا لَيْسَ يَنْزِعُ

أَصَاعَ بِهَا عُمْراً لَهُ لَيْسَ رَاجِعاً
وَلَمْ يَنْلِ الْأَمْرَ الَّذِي يُتَوَقَّعُ

فَصَارَ لَهَا عَبْدًا لِيَجْمَعَ حُطَامُهَا
وَلَمْ يَهْنُ فِيهَا بِالَّذِي كَانَ يَجْمَعُ

وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَأَغْتَنَّهُ بُلْغَةُ
مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكْ يَجْشَعْ
إِلَى أَنْ تُوَافِيهِ الْمَيِّتَةُ وَهُوَ بَالٍ
قَنَاعَةٍ فِيهَا آمِنًا لَا يُرْوَعُ
مَصَائِبُهَا عَمَتْ فَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ
شُجَاعٌ وَلَا ذُو ذِلَّةٍ لَيْسَ يَدْفَعُ
وَلَا سَابِغٌ فِي قَعْرِ بَحْرِ وَطَائِرٌ
يُدَوِّمُ فِي بُحْرِ الْقَضَاءِ وَيَنْزِعُ
وَلَا ذُو امْتِنَاعٍ فِي بُرُوجِ مُشْتِدَّةٍ
لَهَا فِي ذُرَى جَوِّ السَّمَاءِ تَرْفَعُ
أَصَارَتُهُ مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ بِوَهْدَةٍ
لَهُ مِنْ نَرَاهَا آخِرَ الدَّهْرِ مَضْجَعُ
تَسَاوَى بِهَا مَنْ حَلَّ تَحْتَ صَعِيدِهَا
عَلَى قُرْبِ عَهْدٍ بِالْمَمَاتِ وَتُبْعُ
فَسِيَّانِ ذُو فَقْرٍ بِهَا وَذَوُوا الْغِنَى
وَذُو لَكْنٍ عِنْدَ الْمَقَالِ وَمِضْقَعُ
وَمَنْ لَمْ يَخَفْ عِنْدَ النَّوَائِبِ حَتْفَهُ
وَذُو جُبْنٍ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ يُسْرِعُ
وَذُو جَشَعٍ يَسْطُو بِنَابٍ وَمِخْلِبٍ
وَكُلُّ بُغَاثٍ ذِلَّةٌ لَيْسَ يَمْنَعُ
وَمَنْ مَلَكَ الْآفَاقَ بِأَسَاءٍ وَشِدَّةٍ
وَمَنْ كَانَ مِنْهَا بِالضَّرُورَةِ يَقْنَعُ

وَلَوْ كَشَفَ الْأَجْدَاثَ مُعْتَبِرًا لَهُمْ
لَيَنْظُرَ آثَارَ الْبَلَى كَيْفَ يَصْنَعُ
لشاهد أهداقاً تسيل وأوجهاً
مُعَفَّرَةً فِي التُّرْبِ شُوهاً تُفَرِّعُ
عَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مُكْفَهَرَةً
عُبُوساً وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبَشْرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ فِيهِمْ
وَلَا خَامِلاً مِنْ نَابِهِ يَتَرَفَّعُ
وَأَنَّى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا
تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
رَأَى مَا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا
رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَيُتَمِّعُ
رَأَى أَعْظَمًا لَا تَسْتَطِيعُ تَمَاسُكًا
تَهَافَّتَ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطَّعُ
مُجَرَّدَةً مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ
لِذِي فِكْرَةٍ فِيمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ
تَخَوَّنَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَأَصْبَحَتْ
أَنَابِيْبَ مِنْ أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تُسْمَعُ
إِلَى حَالَةٍ مُسْوَدَّةٍ وَجَمَاجِمٍ
مُطَاطَأَةٍ مِنْ ذِلَّةٍ لَيْسَ تُرْفَعُ
أُزِيلَتْ عَنِ الْإِغْنَاقِ فَهِيَ نَوَاقِشُ
عَلَى التُّرْبِ مِنْ بَعْدِ الْوَسَائِدِ تُوضَعُ

عَلَاهَا ظَلَامٌ لِّلْبَلَى وَلَطَالَمَا
 غَدَا نُورُهَا فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ يَلْمَعُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا عَلَا مَفْرَقًا لَهَا
 نَفَائِسُ بَيْنَجَانٍ وَدِيرٍ مُرْصَعُ
 تَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَخَشَّةٌ كُلُّ وَامِقِ
 وَعَافَهُمُ الْأَهْلُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ
 وَقَاطَعَهُمْ مَنْ كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ
 بِوَضْلِهِمْ وَجَدًا بِهِمْ لَيْسَ يَطْمَعُ
 يُبْكِيهِمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ سُوءِ حَالِهِمْ
 وَيَرْحُمُهُمْ مَنْ كَانَ ضِدًّا وَتَجَزَعُ
 فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ
 وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَارِفَ تَخْدَعُ
 أَفِقْ وَانْظُرِ الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ
 تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَائِعَ تَرْجِعُ
 فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ قَدَمًا وَمَنْ حَوَى
 مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
 حَوَاهُ صَرِيحٌ مِنْ فُضَاءٍ بَسِيطِهَا
 يُقْصِرُ عَنْ جُثْمَانِهِ حِينَ يُذْرَعُ
 فَكَمْ مَلِكٍ أَضْحَى بِهَذَا مَذَلَّةً
 وَقَدْ كَانَ حَيًّا لِلْمَهَابَةِ يُتْبَعُ
 يَقُودُ عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ فَوَارِسًا
 يَسُدُّ بِهَا رَحْبَ الْفَيَافِي وَيُتْرَعُ

فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّنْعَمِ فِي ثَرَى
تُوَارِي عِظَاماً مِنْهُ بِهِمَا بُلْقَعُ

بَعِيداً عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ إِيَابُهُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ مَرْجِعُ
غَرِيباً عَنِ الْأَخْبَابِ وَالْأَهْلِ ثَاوِيأُ
بِأَفْضَى فَلَاةٍ خَرَقُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
تُلِحُّ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ بِمَنْزِلِ
جَدِيبٍ وَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْرِعُ
رَهِيناً بِهِ لَا يُمْلِكُ الدَّهْرَ رَجْعَةً
وَلَا يَسْتَطِيعُنَ الْكَلَامَ فَيُسْمَعُ
تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبُ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى
زَمَاناً عَلَى فُرُشٍ مِنَ الْخَزْرِ يُرْفَعُ
كَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَنْ تَرَى
مِنَ النَّاسِ حَيّاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُضْدَعُ

اللَّهُمَّ أَنْهَجْ بِنَا مَنَاجِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ
الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً
رَغَداً وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوّاً وَلَا حَاسِداً وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً
وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّاً وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٦ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَكَبِّرُونَ
شِرَارَ الْخَلْقِ وَأَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ ، الْمُتَكَبِّرُ يَشْمَخُ بِأَنْفِهِ إِذَا
تَكَلَّمَ ، وَيَجَافِي مِرْفَقِيهِ عَنْ جَنْبَيْهِ لَاوِيًا عُنُقَهُ ، يُقَارِبُ خُطَاهُ إِذَا مَشَى ،
مُتَطَاوِلًا عَلَى إِخْوَانِهِ ، مُتَرَفِعًا عَلَى أَقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النَّاسَ شِرَارًا بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ ،
مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِمْ إِذَا مَشَى ، مُخْتَفِرًا لِلْعَامَّةِ ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمِيرِ
اسْتِجْهَالًا مِنْهُ لَهُمْ ، فَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلَاقِ الْمُتَّقِينَ ، وَلَا
يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقْدِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصَّدْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ
الْغَضَبِ ، وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ، وَلَا يَسْلِمُ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ بِالنَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ
وَلَا يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيَابِهِمْ ، وَتَنْقُصِهِمْ ، لِأَنَّ فِيهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكِبَرِيَاءِ ، مَا
يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ وَالْعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ ،
لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَمَا مِنْ خُلُقٍ مَحْمُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ
يَقُوتَهُ عِزُّهُ وَعَظَمَتُهُ ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» وَمِنْ تَعَالِيمِ
رَبِّنَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِقَوْلِ تَعَالَى : «وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» فَيَا أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ
الْناظِرُ فِي عِظْفِيهِ ، الْمُتَعَاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ شَأْنَكَ حَقِيرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيرٌ
وَلَسْتَ بِمَحْسُوبٍ فِي الْعِيرِ ، وَلَا فِي النَّفِيرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ،
وَلَا تَقْدِيرٍ ، لَا قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَهَوْنٌ عَلَيْكَ ، وَارْفُوقٌ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ ،

يَا مُسْكِينٍ وَتَدَبَّرَ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وَذُمَّ الْكِبَرُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا ، وَالْمُتَكَبِّرُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِنَفْسِهِ ، وَلِلنَّاسِ ، يُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبِ وَيَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ
فِي الْكَلَامِ ، وَيَتَأَلَّقُ فِي اللَّبَاسِ ، وَإِنَّهُ لَثَقِيلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وَسَكَنَاتِهِ ،
بَغِيضٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، وَمُواكَلَّتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ
لِمَنْ صَاهَرَهُ أَوْ شَارَكَهُ أَوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لِأَنَّ ذَاءَ الْكِبَرِ يُعْدِي وَيَسْرِي فَتَبْعُدُ
السَّلَامَةُ مِنَ الْمُقْتَرِبِ مِنْهُ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ
جَنْبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِرَاءٌ ، وَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ
مَذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ حَيْفَةٌ قَدِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْبَوْلَ وَالْعَذْرَةَ ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهَانٍ
عَلَى أَنَّهُ دَنَسَ جَاهِلٌ مَجْهُولٌ نِكْرَةً مُمْتَلئًا كِبَرًا وَإِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَسُمْعَةٍ ،
وَرِيَاءٍ ، وَلُؤْمًا وَشُؤْمًا وَشَرًّا فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالذُّخَانِ يَمْلَأُ الْفَضَاءَ وَيَتَنَكَّرُ
صُدُورَ النَّاسِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْقِمَامَاتِ وَالْأَوْسَاحِ الْمُبْعَثَةِ نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقَلِّلَ هَذَا
النُّوعَ الْمُنْحَطَّ وَأَنْ يُكْثِرَ ضِدَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوَاضُعِ وَاللِّينِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ :
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

نَحْ وَابْنُكَ فَاْلْمَعْرُوفُ أَقْفَرُ رَسْمُهُ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا بَدْعَةٌ فَتَانَةٌ
وَطَعَامُ سُوءٍ مِنْ مَكَاسِبِ مُرَّةٍ
فَقَشَا الرِّيَاءَ وَغِيَّةَ وَثِيْمَةٍ
لَمْ يَبْقَ زَرْعٌ أَوْ مَيْعٌ أَوْ شِرَى
فَلَكَيْفَ يُفْلَحُ عَابِدٌ وَعِظَامُهُ
وَالْمَنْكَرُ اسْتَعْلَى وَآثَرُ وَسْمُهُ
بِهْوَى مُضِلِّ مُسْتَطِيرِ سُمِّهِ
يُعْمِي الْفَوَادَ بِدَائِهِ وَيُصِئُهُ
وَقِسَاوَةً مِنْهُ وَأَثَرَ إِثْمِهِ
إِلَّا أُزِيلَ عَنِ الشَّرِيعَةِ حُكْمُهُ
نَشَأَتْ عَلَى السُّحْتِ الْحَرَامِ وَلَحْمُهُ

هذا الذي وَعَدَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى
 هذا لَعَمْرُكَ إِلَهَكَ الزَّمَنَ الَّذِي
 هذا الزَّمَانُ الْآخِرُ الْكَدِيرُ الَّذِي
 وَهِيَ الْأَمَانَةُ فِيهِ وَانْفَصَمَتْ عَرَى التَّ
 كَثُرَ الرِّيَا وَفَشَا الزُّنَا وَنَمَا الْحَنَّا
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا ظَالِمٌ هُوَ مُرْتَشٍ
 وَالصَّالِحُونَ عَلَى الذَّهَابِ تَتَابَعُوا
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَاغِبٌ هُوَ مُظْهِرٌ
 لَوْلَا بَقَايَا سُنَّةٍ وَرِجَالُهَا
 يَا مُقْبِلًا فِي جَمْعٍ ذُنِيًّا أَذْبَرَتْ
 هَذِي أَمَارَاتُ الْقِيَامَةِ قَدْ بَدَتْ
 ظَهَرَتْ طُعَاتُ التُّرْكِ وَاجْتَاخُوا الْوَرَى
 بظُهُورِهِ وَعَدَا تَوَثَّقَ حَتْمُهُ
 تَبَدُّو جَهَالَتَهُ وَيُرْفَعُ عِلْمُهُ
 تَزْدَادُ شِرَّتُهُ وَيَنْقُصُ حِلْمُهُ
 يَفْقَوِي بِهِ وَالْبِرُّ أَذْبَرُ نَجْمُهُ
 وَرَمَى الْهَوَى فِيهِ فَأَقْصَدُ سَهْمُهُ
 أَوْ حَاكِمٌ تَخْشَى الرَّعِيَّةُ ظُلْمَهُ
 فَكَأَنَّهُمْ عِقْدٌ تَنَاقَرُ نَظْمُهُ
 لِلزُّهْدِ وَالذُّنْيَا الدُّنْيَةُ هُمُ
 لَمْ يَبْقَ نَهْجٌ وَاضِحٌ نَائِمُهُ
 كِبَاءٌ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ هَذْمُهُ
 لِمُبْصِرٍ سَبَقَ الْعَوَاقِبُ فَهْمُهُ
 وَأَبَادَهُمْ هَرْجٌ شَدِيدٌ حَطْمُهُ

الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ الْكَمَالُ فِي نَفْسِهِ وَمَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ هَوَى لَأَنَّهُ لَا
 يَلْتَفِتُ إِلَى مَا بِهِ كَمَالُ الرُّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضًا آخَرَ هُوَ مَرَضُ الْكِبَرِ
 وَصَفُ الْأَنْدَالِ وَالْأَرْدَالِ وَالْجُهَالِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ بَعَيْنُ الرِّضَا وَالْكَبَرُ
 يَنْشَأُ عَنْهُ مَرَضُ الْحَسَدِ وَالْحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ خَلْقِهِ ، وَالْحَسَدُ
 يُؤَلِّدُ الْحَقْدَ الَّذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَّا مَا أَوْلَاهُ اللَّهُ
 مِنَ النِّعَمِ ، وَلَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِنَ الْأَمْرَاضِ بَلْ فِيهَا مَرَضُ الْبُخْلِ
 وَالشُّحِّ الَّذِي وَصَلَ بِنَا إِلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ أَوْ بَعْضِهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكُلُّهَا
 أَمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، وَنَحْنُ لَا نَهْتَمُّ بِقُلُوبِنَا وَلَا بِأَمْرَاضِهَا وَإِنَّمَا نَهْتَمُّ بِأَمْرَاضِ
 أَجْسَامِنَا ، وَنُبَادِرُ فِي عِلَاجِهَا إِلَى الْمُسْتَشْفِيَّاتِ ، وَأَمْرَاضُهَا يَسِيرَةٌ بِسَيْطَةِ
 بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ ، وَنَهْتَمُّ أَيْضًا بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِينِ
 مَلَابِسِنَا وَمَرَائِكِبِنَا وَمَسَاكِينِنَا وَمَجَالِسِنَا وَأَبْدَانِنَا ، أَنْظُرْ إِلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إِلَى مَقَرِّ

الْعَمَلِ لَتَتَعَجَّبَ مِنْ تَغْفِيلِنَا وَانْخِدَاعِنَا ، وَلَوْ كَانَتْ عَنَانِيَّتُنَا بِالْقُلُوبِ كَعِنَانِيَّتِنَا
بِالْمَلَأِيسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الْحَالَاتِ الْمَحْزَنَاتِ .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا
مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدُ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا
يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَنْوِرَ قُلُوبَنَا وَتَثْبِتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٧ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ دَاءَ الْحَسَدِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوَاءِ ، وَالْإِبْتِلَاءِ بِهِ مِنْ أَشَدِّ
الْبَلَوَى ، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى مَرْكَبٍ صَعِبٍ ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ التَّقْوَى ، وَيُرْكِبُهُ
الْأَهْوَاءَ فَيَظْلُ وَيَغْوَى ، يَضِيقُ صَدْرَ الْحَسُودِ وَيَنْفِطِرُ قَلْبُهُ إِذَا رَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَيَعَانِي مِنَ الْبُؤْسِ وَاللَّأْوَى ، مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِثَّ مَعَهُ مَا
يَجِدُهُ مِنَ الْحُزَنِ وَالْقَلَقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الشُّكْوَى ، إِلَّا إِلَى الشَّيْطَانِ وَنَفْسِهِ
الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ أَوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْحَسَدِ ، فَقَاتِلِ اللَّهَ الْحَسُودَ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ
وَلَا يُجِبُّهُ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، غَايَةُ أُمْنِيَّتِهِ زَوَالُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ بَعْمَلِهِ
سَالِكٌ طَرِيقَ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَمَا أَوْقَعَ الشَّيْطَانُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا حَسَدَهُ
لِأَبْنَاءِ آدَمَ وَامْتِنَاعَهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَمَا حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ
هَابِيلَ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَخِيهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الَّذِي أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ

الْآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَرَفِّفِينَ مِنْ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْكِبَرُ ، وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَصَرَفِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ الْآيَةُ ، وَقَالَ ﷺ « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » الْحَاسِدُ لَا يُضْمِرُ إِلَّا غَدْرًا وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا وَلَا يُدَبِّرُ إِلَّا مَكْرًا وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَاسِدَ مُسَرِّ لِلْعُسْرَى لَا تُجِدِي مَعَهُ الْمَوَاعِظُ وَالنَّصَائِحُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ بَضَاعَةَ إِبْلِيسَ خَمْسَةٌ أَصْنَافٍ يَبِيعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوفِينَ ، وَهِيَ الْحَسَدُ وَأَهْلُهُ الْعُلَمَاءُ ، وَأَهْلُ الْجِرْفَةِ الْوَاحِدَةِ ، أَيْ كُلُّ مَنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ مُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ ، وَالْكِبَرُ وَأَهْلُهُ الْأَنْذَالُ وَالسَّفَلَةُ وَالسُّفَهَاءُ وَالْحَمَقَاءُ وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مِنَ الْمُحْتَرِفِينَ .

وَالْجَوْرُ وَالطُّغْيَانُ ، وَأَهْلُهُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَعْوَانُهُمْ مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ ، وَالْكَيْدُ ، وَأَهْلُهُ النِّسَاءُ ، وَالنَّمَائِمِينَ وَالذَّلَالِينَ ، وَالْمُتَسَبِّبِينَ وَيُسَبِّتِ الْبِضَاعَةَ بِضَاعَةُ الشَّيْطَانِ ، وَبِأَحْسَرَةِ الْمُشْتَرِينَ ، وَبِأَنْدَامَتِهِمْ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿قِيلَ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ يَغْشَى أَحَدَ الْمُلُوكِ فَيَقُومُ بِحِذَاءِ الْمَلِكِ فَيَقُولُ أَحْسِنْ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَيَكْفِيكَهُ إِسَاءَتُهُ ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَالْكَلَامُ فَسَعَى بِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ إِنَّ هَذَا الَّذِي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيَقُولُ مَا يَقُولُ يَزْعُمُ أَنَّكَ أَبْخَرُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، قَالَ تَدْعُوهُ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ إِذَا دَنَا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ لِيَلَّا يَشُمَّ رَائِحَةَ الْبَخْرِ ، فَقَالَ لَهُ أَنْصَرِفْ حَتَّى انْظُرَ وَأَتَحَقَّقَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْحَاسِدُ ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَى مَنَزِلِهِ فَأَطَعَمَهُ

طَعَاماً فِيهِ تُومٌ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ وَذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَامَ بِجِذَاءِ الْمَلِكِ فَقَالَ أَحْسِنُ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَيَكْفِيكَهُ إِسَاءَتُهُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِذَنْ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ ، مَخَافَةً أَنْ يَشُمَّ الْمَلِكُ مِنْهُ رَائِحَةَ الثُّومِ فَقَالَ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ مَا أَرَى فَلَاناً إِلَّا صَدَقَ ، قَالَ وَكَانَ الْمَلِكُ لَا يَكْتُبُ بِخَطِّهِ إِلَّا بِجَائِزَةٍ أَوْ صِلَةٍ ، فَكَتَبَ لَهُ كِتَاباً بِخَطِّهِ إِلَى عَامِلِهِ : قَالَ فِيهِ إِذَا أَتَاكَ حَامِلٌ كِتَابِي هَذَا فَادْبَحْهُ ، وَاسْلُخْهُ ، وَأَحْشُ جِلْدَهُ تَبْنَأً وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ ، وَأَخِذْ الْكِتَابَ وَخَرَجَ فَلَقِيَهُ الرَّجُلُ الَّذِي سَعَى بِهِ إِلَى الْمَلِكِ وَكَذَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الْكِتَابُ قَالَ خَطُّ الْمَلِكِ لِي بِهِ صِلَةٌ فَقَالَ هَبْ لِي فَقَالَ هُوَ لَكَ فَأَخَذَهُ ، السَّاعِي وَمَضَى بِهِ إِلَى عَامِلِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَامِلُ : فِي كِتَابِكَ أَنِّي أَذْبَحُكَ ، وَأَسْلُخُكَ فَقَالَ إِنَّ الْكِتَابَ لَيْسَ لِي ، فَالَلَّهُ اللَّهُ ، فِي أَمْرِي حَتَّى تُرَاجَعَ الْمَلِكُ فَقَالَ لَيْسَ لِكِتَابِ الْمَلِكِ مُرَاجَعَةٌ فَذَبَحَهُ وَاسْلُخَهُ وَحَشَى جِلْدَهُ تَبْنَأً ، وَأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ ، ثُمَّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الْكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِينِي رَجُلٌ هُوَ فُلَانٌ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنِّي فَوَهَبْتُهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ قَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلِمَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى فِيكَ قَالَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَنِي طَعَاماً فِيهِ تُومٌ فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ ، قَالَ صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَى الْمُسِيءَ إِسَاءَتُهُ فَاَنْظُرْ يَا أَخِي كَيْفَ دَارَتْ عَلَى الْبَاغِي الدَّوَائِرُ وَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَاكِهَةِ الَّتِي رُبَّمَا قَضَتْ عَلَى حَيَاتِهِ وَأَوْصَلَتْهُ فِي الْآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ .

وَحِتَاماً فَعَلَى اللَّيِّبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْحَسَدَ فَإِنَّهُ مِنْ خُلُقِ الْأَذْيَاءِ وَصِفَةِ الْجُهَلَاءِ فَإِنْ أَبْصَرْتَ بِقَائِمٍ بِالْحَقِّ فَاغْضُدْهُ وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ حَسَبَ اسْتَطَاعَتِكَ وَإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ فَاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ

وَوَجَدَانِ نَفِيٍّ لَعَلَّكَ أَنْ تَبْلُغَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَعَزِّزُ النَّفْسِ إِنْ أَبْصَرَ غَيْرَهُ فِي أَمْرِ يُشْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَأَهُ فِي مَنْزِلَةٍ يُغْبَطُ عَلَيْهَا فَلَا يَجُولُ فِي وَهْمِهِ أَنْ يَحْسِدَهُ عَلَى نِعْمَتِهِ أَوْ يَحْطُ مِنْ مَنْزِلَتِهِ بَلْ يَسْعَى كُلُّ السَّعْيِ لِيَنَالَ مِثْلَ مَنْالِهِ وَيَرْقَى مِثْلَ رُقْيِهِ فَإِنْ زَادَتْ فِيهِ عِزَّةُ النَّفْسِ وَالْإِبَاءِ فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ إِلَّا بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ الْمَقَامِ :

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا . يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يَرْضِيكَ وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالسَّيِّئِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٨ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ مَا بَالُ الْكَثِيرِ الْيَوْمَ لَا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لَا يَتَنَفَّعُونَ ، أَفِي آذَانِهِمْ صَمَمٌ ، أَمْ هُمْ فِي الْأَمْرِ مُتَهَاوِنُونَ ، وَلَا يَشِيءُ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيهِمُ الْخُطْبَاءُ الْمُجِيدُونَ ، وَالْوُعَاظُ الْمُبْلَغُونَ ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ أَيَّامَ اللَّهِ فَلَا يَخْشَعُ الْوُعَاظُ وَلَا الْمَوْعُظُونَ ، وَيُرْغَبُونَهُمْ فِي الْخَيْرِ فَلَا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُمْ عَوَاقِبَ الشُّوءِ فَلَا يَتَأَثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » لَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذَا وَعَظُوا تَأَثَّرَ الْمُسْتَمِيعُ لَهُمْ تَأَثَّرًا عَظِيمًا ، وَفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَالْمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أَصْرَ عَلَيْهَا مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَأَوْلَادِهِ ، وَإِخْوَانِهِ ، وَأَبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَةَ نَصُوحًا ، عَمَّا سَلَفَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي لَا يَرْضَاهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ، فَأَيُّنَ أَوْلَئِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَلَفِ ، الَّذِينَ ضَيَّعُوا

تَعَالَيْمَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَضَيُّعُوا الْعَمَلَ بِهِ ، وَتَرَكُوا الْإِنْقِيَادَ لِكِتَابِ
اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَأَمَّلْ كَيْفَ تَرَى أَكْثَرَهُمْ
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَعَظَلُوا الْأَحْكَامَ ، وَتَسَاهَلُوا بِأَمْرِ الْحَرَامِ ، يَمُرُّونَ
بِالْمَسَاجِدِ ، وَقَتِ الصَّلَاةِ ، فَلَا يُعَيِّرُونَهَا أَيَّ اهْتِمَامٍ أَمَّا الْمَلَاحِي
وَالْمُنْكَرَاتِ فَإِلَيْهَا يُسْرِعُونَ وَعَلَيْهَا يَعْكَفُونَ وَإِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَغَانِي
وَالْمَجُورِ وَالسُّخْفِ يَتَسَابِقُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَيْنَ الْخَوْفُ مِنَ
الْجِبَارِ ، أَيْنَ الْحَيَا مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْإِعْتِصَامُ
بِالْقُرْآنِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ الْعِبَادَ الْكَرَامَ ، الَّذِينَ كَانَتْ
الْمَسَاجِدُ تَغْصُّ بِهِمْ شُيُوخًا وَشُبَّانًا ، وَكَانَتْ تَعُجُّ بِأَصْوَاتِهِمْ تَسْبِيحًا ،
وَتَحْمِيدًا وَتَهْلِيلًا ، وَتَكْبِيرًا ، وَاسْتِغْفَارًا ، وَقُرْآنًا ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ الْمَسَاجِدَ
قَبْلَ الْأَذَانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا ، وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ إِلَّا مَعْدُورٌ ، إِمَّا مَرِيضٌ أَوْ
غَائِبٌ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْمَارُّ بِبُيُوتِهِمْ لَيْلًا يَسْمَعُ زَجَلَ التَّسْبِيحِ ،
وَالْتَهْلِيلِ ، وَالْبُكَاءِ وَالْأَنِينِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَالْأَلْحَاحِ بِدُعَائِهِ ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ ، عَكْسُ مَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ
الْخَلَفِ ، الَّذِينَ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ الَّذِينَ إِنْ بَحَثْتَ
عَنْهُمْ فِي اللَّيْلِ ، وَجَدْتَهُمْ حَوْلَ الْمَلَاحِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، مُتَرَبِّعِينَ أَمَامَ
التَّلْفِيزِيِّينَ ، وَغِنَاءِ الْمُطَرَّبِينَ ، وَإِنْ بَحَثْتَ عَنْهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَجَدْتَهُمْ
فِي فُرُشِهِمْ ، إِثْرَ سَهَرِهِمْ حَوْلَ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَإِنْ بَحَثْتَ عَنْهُمْ وَقَتِ
صَلَاةِ الظُّهْرِ فَفِي شُؤْنِ الدُّنْيَا ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ أَرَدْتَهُمْ فِي صَلَاةِ
الْعَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُمْ عِنْدَ الْكُورَةِ ، وَبَعْضَ التَّلْفِيزِيِّينَ ، وَبَعْضَ
عِنْدَ الْمَذْبَاحِ ، وَأَغَانِيَةٍ وَمَلَاحِيَةٍ ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْهُمْ وَقَتِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ،

وَجَدَتْ بَعْضَهُمْ يَمْشِي مُتَرَدِّدًا، وَالْبَعْضُ فِي الْمَلْعَبِ ، وَالْبَعْضُ عِنْدَ التَّلْفِزِيِّينَ ، أَوْ الْمَذْيَاعِ ، وَأَمَّا الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ فَبِتِلْكَ هُمْ فِيهَا أَقْسَامٌ أَكْثَرُهُمْ حَوْلَ التَّلْفِزِيِّينَ أَوْ فِي الْأَسْوَاقِ ، أَوْ يَلْعَبُونَ وَرَقَةً ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْمُتَنَكَّرَاتِ وَهَكَذَا قَتَلُوا أَوْقَاتَهُمُ الثَّمِينَةَ ، وَضَيَعُوهَا ، وَقَضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ بِعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وَالْحَالَةُ هَذِهِ مُخِيفَةٌ لِذَوِي الْعُقُولِ وَالْفُهْمِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ تَوَالَتْ أَسْبَابُ الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالْأَطْمِئْنَانِ ، وَقَدْ قِيلَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَاذًا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ مَا أَخَذَ اللَّهُ قَوْمًا إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ وَغَرَّتِهِمْ ، وَنِعْمَتِهِمْ ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَغْتَرُّ بِاللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ .

١٩ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ وَيَنْصَرِفُونَ عَنْ ذِكْرِهِ وَيَجْتَرُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ بِشَدِيدِ غَضَبِهِ وَعَظِيمِ سَخَطِهِ وَحَذَرَهُمْ بِأَسْأَةِ وَانْتِقَامِهِ فَمَا بَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ الْقُرُونِ الْأُولَى عَمَدُوا إِلَى مَحَارِمِ اللَّهِ فَارْتَكَبُوهَا وَمَأْمُورَاتِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ثُمَّ عَادُوا بِمَرِّ الشُّكُورَى مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ

وَانْتِزَاعِ الْبَرَكَهٖ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَمْوَالِ .

أَحْسِبْتَ أَنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ تُهْمَلُ وَتُتْرَكُ فَلَا تُعَاقَبُ ، وَتُظْلِمُ وَتَتَّقَلَبُ
فِي النَّعِيمِ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تُحَاسِبُ أَنْسِيتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِتْهُ » كُلُّ هَذَا مِنْ
جَهَالَتِكَ وَأَنْطِمَاسِ بَصِيرَتِكَ وَلَكِنْ اْعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكَ ثُمَّ
تَرُدُّ إِلَيْهِ وَيُجَازِيكَ بِمَا تَسْتَحِقُّ ، جَهَلْتَ فِي حَالِ النَّعِيمِ وَكَانَ الْوَاجِبُ
عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ لِيَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ
تَفْعَلْ ، وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ زَوَالِهَا مِنْكَ تَشْكُو لِمَنْ ؟ تَشْكُو لِمَنْ عَصَيْتَهُ
بِالْأَمْسِ تَشْكُو لِمَنْ خَالَفْتَ أَوَامِرَهُ وَفَعَلْتَ نَوَاهِيَهُ مَعَ عِلْمِكَ إِنَّهُ الْمُتَتَّقِمُ
الْجَبَّارُ تَشْكُو لِمَنْ حَارَبْتَهُ بِالْمَعَاصِي الْمُتَنَوِّعَةِ وَقَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَلَوْ شَاءَ لَمَنْعَهَا عَنْكَ لِأَنَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ تَشْكُو لِمَنْ تَأْكُلُ نِعْمَهُ فِي
أَرْضِهِ مُسْتَعِينًا بِهَا عَلَى مَعَاصِيهِ أَلَيْسَ عَمَلُكَ هَذَا فِي مُنْتَهَى اللَّامَةِ
وَالْخَسَاسَةِ يُمِدُّكَ بِالنَّعْمِ وَتَبَارِزُهُ بِالْمَعَاصِي ، أَلَيْكَ صَبْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ
وَرَمْهَرِيرُهَا ، أَلَيْكَ طَاقَةٌ بِالْوَيْلِ وَالْغَسَاقِ وَالزَّقُومِ وَالْحَمِيمِ وَالضَّرِيعِ ،
عِبَادَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْأَنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَقَتْلُ كُلِّ الْوَقْتِ فِي
جَمْعِهَا وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْآخِرَةِ وَانْتِشَارِ الْمَعَاصِي بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ مَا هُوَ وَاللَّهُ
إِلَّا بِمَا كَسَبْتَ أَيْدِيْنَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ﴾ الْآيَةُ . عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ ، وَانْتِشَارَ
الْأَمْرَاضِ ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالتَّعْقِيدِ فِي الْمُمْتَلَكَاتِ وَالتَّقَاطُعِ
وَالْعُقُوقِ ، مَا هُوَ وَاللَّهُ إِلَّا جَزَاءُ عَمَلِنَا وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ فَقَدْ تَمَادَيْنَا
فِي الْمَعَاصِي وَاللَّهُ يَغَارُ عَلَى أَوَامِرِهِ أَنْ تُجْتَنَّبَ وَمَحَارِمِهِ أَنْ تُرْتَكَبَ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ » الْحَدِيثُ .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَاحْبِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٠ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ مَا لِلْأَلْسُنِ عَنْ شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ الْمُتَتَالِيَةِ قَاصِرَةٌ ، وَمَا لِلْعُيُونِ
إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ نَاطِرَةٌ ، وَمَا لِلْأَقْدَامِ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ
الْوَاضِحَةِ حَائِرَةٌ وَمَا لِلْعِزَائِمِ وَالْهَمَمِ عَنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَاتِرَةٌ وَمَا
لِلنُّفُوسِ لَا تَتَزَوَّدُ مِنَ التَّقْوَى وَهِيَ مُسَافِرَةٌ وَمَا لَهَا لَا تَتَأَهَّبُ وَتَسْتَعِدُّ لِلنَّقْلَةِ
إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ، أُرْكُونَا إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَرَّقَتْ الْجُمُوعَ وَكَسَرَتْ أَعْنَاقَ
الْأَكَاسِرَةِ وَقَصَّرَتْ آمَالَ الْقِيَاصِرَةِ وَأَدَارَتْ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ تَقْلِبِهَا الدَّائِرَةَ أَمْ
اغْتَرَارًا بِالْإِقَامَةِ ، وَمَطَايَا الْأَيَّامِ بِكُمْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ سَائِرَةٍ أَمْ تَسْوِفًا بِالتَّوْبَةِ
وَالْأَعْمَالِ فَهَذِهِ وَاللَّهُ الْفِكْرَةُ وَالصَّفَقَةُ الْخَاسِرَةُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى الْقُلُوبِ قَبَائِحُ
الْأَعْمَالِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهَا وَعَلَى الْمَسَامِعِ مِنَ الذُّنُوبِ أَقْفَالٌ فَيَا خَجَلَةً مَنْ
سُئِلَ فَعَدِمَ الْجَوَابَ أَوْ بِجَوَابٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَيَا حَسْرَةً مَنْ
نُوقِشَ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ فِي الْآخِرَةِ الْحِسَابِ ، وَيَا نَدَامَةً مَنْ لَمْ يَحْصُلْ
إِلَّا عَلَى الْغَضَبِ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ وَيَا خِيَّةً مَنْ مَالَهُ إِلَى نَارٍ تَلْتَهَبُ إِلَى
إِحْرَاقِهِ التَّهَابَا ، فَمَتَى تَقْبَلُونَ عَلَى اللَّهِ بِقُلُوبٍ صَادِقَةٍ لَا تَتَّهَوْنَ مِنْ مُفَارَقَةِ
الذُّنُوبِ بِعِزْمَةٍ صَادِقَةٍ ، لَا فِي الصَّادِقِينَ تَيَقَّنُونَ أَنَّهُ ثَابِتٌ لَكُمْ قَدَمٌ ، وَلَا
فِي النَّائِبِينَ صَحَّتْ لَكُمْ تَوْبَةٌ وَأَقْلَاعٌ وَعِزْمٌ وَنَدَمٌ . وَلَا عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ
تَقْشَعِرُّ مِنْكُمْ الْجُلُودُ وَلَا عِنْدَ سَمَاعِ الْمَوَاعِظِ تَرَقُّ مِنْكُمْ الْقُلُوبُ ، الَّتِي هِيَ

أَقْسَى مِنَ الْجُلُودِ فَبِمَاذَا تَرْجُونَ لِحَاقَ السُّعْدَاءِ وَكَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي الْفَوْزِ
وَالنَّجَاةِ مَعَهُمْ غَدًا وَأَنْتُمْ تُتَّبِعُونَ الْخَطَايَا بِالْخَطَايَا وَتُبَارِزُونَ .

اللَّهُ بِهَا فِي الْبُكْرِ وَالْعَشْيَا ، فَيَا حَسْرَةَ نَفُوسٍ أَطْمَأْنَنْتِ إِلَى الدُّنْيَا دَارِ
الْغُرُورِ ، وَيَا خَرَابَ قُلُوبٍ عُمِرَتْ بِأَمَانِي كُلِّهَا بَاطِلٌ وَزُورٌ ، وَيَا نَفَادَ أَعْمَارٍ
يَنْقُصُ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ وَلَا يُزَادُ وَيَا خَيِّبَةَ مُسَافِرٍ يَسِيرُ السَّيْرَ السَّرِيعَ وَهُوَ
بِلَا زَادٍ ، فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ عِبَادَ اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ الْبِدَارَ وَالْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ قَبْلَ خُرُوجِ
وَقْتِ الْاِخْتِيَارِ ، وَإِتْيَانِ وَقْتِ لَا تُقَالُ فِيهِ الْعِثَارُ :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهْنٌ مَرَّاحِلُ
وَلَمْ نَرَمْثِلِ الْمَوْتَ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَحْطَّتُهُ الْأَمَانِي بَاطِلُ
تَرْحَلُ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التَّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

اللهم يا حيُّ يا قيومُ فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا
به ، واجْعَلْنَا مِنْ يَوْمٍ بَلَقَائِكَ ، وَبِرُضَى بَقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ،
وَمُخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغْدًا ، وَلَا تَشْمِتْ بِنَا أَحَدًا .
اللهم رَغْبُنَا فيما يَبْقَى ، وَزِهْدُنَا فيما يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا
تَسْكُنُ النَفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يَرَامُ وَمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ وَبِنُورِكَ
الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا شَرَّ مَا أَهْمُنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تَعِيدَنَا مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

٢١ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ بِأَبْدَانِكُمْ عِنَايَةً عَظِيمَةً لَا تُسَامِيهَا الْعِنَايَاتُ بَلْ كُلَّ حَيَاتِكُمْ ذَاهِبَةٌ فِيمَا تَبْذُلُونَهُ لِخِدْمَةِ هَذَا الْبَدَنِ مِنْ مَجْهُودَاتِ أَلْسِنَ لَيْلُكُمْ وَنَهَارُكُمْ فِي كَدِّ مُدْنِمٍ لِيَجْمَعَ الْأَمْوَالُ وَهَلْ كُلُّ تِلْكَ الْأَمْوَالِ إِلَّا وَسِيلَةٌ تَصِلُونَ بِهَا مَا لِهَذَا الْبَدَنِ مِنْ مَلَذُودَاتٍ .

لَا بَأْسَ بِالْإِغْتِنَاءِ بِالْبَدَنِ لَكِنْ بِذُنُوبِ هَذَا الْإِفْرَاطِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ الْعَاقِلُ اللَّيْسُ لِأَنَّ الْبَدَنَ مَهْمَا أَكْرَمَ مَالُهُ إِلَى التُّرَابِ تَمْتَعُ بِلَذِيذِ لَحْمِهِ الدِّيدَانُ وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْتَمَّ بِهِ وَتَصْرِفَ عِنَايَتَكَ بِهِ نَفْسَكَ قَبْلَ جِسْمِكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مِنْ صَفْوَةِ هَذَا الْعَالَمِ وَعَلَى الْعِنَايَةِ بِهَا تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ .

وَلِهَذِهِ النَّفْسُ غِذَاءً وَلَعَلَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَهُ وَهُوَ جَدِيرٌ بِالْإِغْتِنَاءِ مِنْكَ وَالْقَدِيرُ وَالْجَدُّ لَهُ وَالتَّشْمِيرُ لِأَنَّ مَنَفَعَتَهُ دُنْيَاً وَآخَرَى وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنَفَعَةٍ هَذِهِ الْأَبْدَانِ .

ذَلِكَ الْغِذَاءُ أَوْ الْقُوَّةُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كَاخْلَاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ وَالذِّكْرِ لَهُ وَالشُّكْرِ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالْقِيَامِ التَّامِ بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ أَوْحَاهَا اللَّهُ وَأَوْدَعَهَا هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ .

وَالْإِغْتِنَاءُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيمِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ وَالَّذِي يَظْهَرُ لَنَا مِنْ حَالِكَ وَسِيرَتِكَ أَنَّكَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنِ الْإِقْبَالِ عَلَى النَّفْسِ وَتَغْذِيَّتِهَا بِمَا قُلْنَا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَكَ مُتَعَلِّقٌ بِتَحْصِيلِ غِذَاءِ الْجِسْمِ وَالْإِغْتِنَاءِ بِهِ فَهُوَ الَّذِي نَصَبَ عَيْنَيْكَ .

وَلِذَلِكَ تَشِبُّ وَتَشِيبُ وَتَمُوتُ وَأَنْتَ جَاهِلٌ بِضُرُورِيَّاتِ الدِّينِ
الإِسْلَامِيِّ وَرُبَّمَا مَرَّ عَلَيْكَ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ بِدُونِ أَنْ تَتَفَكَّرَ بِنِعَمِ اللَّهِ وَتَذْكُرَهُ
بِلِسَانِكَ وَتَشْكُرَهُ عَلَى مَا أَوْلَاكَ وَكَذَلِكَ الْآخِرَةُ رُبَّمَا أَنَّهَا تَمُضِي الْمُدَّةُ لَا
تَذْكُرُهَا وَلَا تَسْتَعِدُّ لَهَا .

وَكَمَا أَنَّ لِلْأَبْدَانِ أَمْرَاضَ كَثِيرَةً فَلِلنَّفْسِ أَمْرَاضٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ وَأَخْطَرُ
وَتِلْكَ الْأَمْرَاضُ هِيَ السَّيِّئَاتُ الَّتِي مِنْ وَقِيعِهَا رُحِمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

وَكَذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ رَذَائِلُ الْأَخْلَاقِ وَالْجَهْلُ بِالشَّرْعِ
الْحَكِيمِ وَلِهَذَا الْأَمْرَاضُ دَوَاءٌ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوحًا إِلَى اللَّهِ
وَتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الْفِعْلِ أَوْ الْخُلُقِ الذَّمِيمِ فَهَلْ لَكَ شَوْقٌ إِلَى هَذَا الدَّوَاءِ
الشَّافِي بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا أَنَّكَ تَشْتَاقُ بَلْ تُهْرَوِلُ وَتُسْرِعُ إِلَى طَبِيبِ الْأَبْدَانِ وَمَعَكَ
مَا مَعَكَ مِنَ الْمَالِ إِذَا أَحْسَسْتَ بِمَرَضٍ فِي بَدَنِكَ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي بِلَادِكَ
ذَهَبْتَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ وَلَوْ فِي بِلَادِ الْحُرِّيَةِ وَالْكَفْرِ مُحْكَمَةِ الْقَوَانِينِ أَعْدَاءُ اللَّهِ
وَرُسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

أَمَّا بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلَا أَرَاكَ تَلْتَجِي لَهُ إِلَّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ
وَهَذَا وَاللَّهُ قَبِيحٌ مِمَّنْ يَدِينُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، فَالْتَفَتْ
يَا أَخِي لِنَفْسِكَ وَذَكَّرَهَا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ لِتَتِمَكَّنَ مَحَبَّتُهُ مِنْهَا وَاقْبَلْ عَلَيْهَا
وَعَوِّدْهَا عَلَى الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ .

شعراً :

لِلَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ فَكَسَا وَجُوهَهُمُ الْوَسِيمَةَ نُورًا
ذَكَرُوا النِّعِيمَ فَطَلَّقُوا دُنْيَاهُمَا زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَلِكَ أَجُورًا

قَامُوا يُنَاجُونَ إِلَهَهُ بِأَذْمَعٍ
 سَتَرُوا وُجُوهَهُمْ بِأَسْتَارِ الدُّجَى
 عَمِلُوا بِمَا عَلَّمُوا وَجَادُوا بِالَّذِي
 وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعَتْ حَنِينَهُمْ
 تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحَبُّوهُمْ
 صَبَرُوا عَلَى بُلُوهِمْ فَجَزَاهُمُ
 يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْحَزِينُ إِلَى مَتَى
 بَادِرْ زَمَانَكَ وَاغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ
 وَاضْرِعْ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ وَنَادِهِ
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ
 وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ
 وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا
 بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بِلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٢ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ طَلَبُ الرِّزْقِ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتِمَسْ
 الرِّزْقَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مِنْ جِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا
 قَلِيلٌ ؛ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ جِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ
 إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ ، وَاحْذَرْ مِنْ
 تَرْكِ الْعَمَلِ ، وَافْعَلْ الْأَسْبَابَ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ

أَنْ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلًا عَلَى الْخَلْقِ يَعُدُّهُ
 أَهْلُهُ ثِقْلًا وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيضًا ، وَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرِهًا لُقِيَاهُ قَالَ تَعَالَى
 حَائِثًا عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ﴾ وَالْمُؤْمِنُ الْمُخْتَرِفُ الْكَسُوبُ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ
 مَحْبُوبٌ مُخْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالْأَوْلَادُ ، وَكَانَ نُوحٌ وَدَاوُدُ يَخْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ
 وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَعَى الْغَنَمَ ، وَمُوسَى كَانَ أَجِيرًا عِنْدَ
 صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ آدِرِيْسُ خِيَاطًا ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الشَّرِيفَةِ عَنْ
 الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَمَلًا مُكْتَسِبِينَ ، فَكُلُّهُمْ
 مَا بَيْنَ غَنِيٍّ شَرِيفٍ وَفَقِيرٍ شَرِيفٍ عَفِيفٍ ، لَا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا عَنْ الْآخِرَةِ
 وَلَا يَمْنَعُهُمُ الدِّينُ عَنْ طَلَبِ الْكَسْبِ ، وَالْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا
 مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ وَرِضَى بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفَلَةِ
 وَنَبِّهْنَا لِاعْتِمَادِ أَوْقَاتِ الْمَهَلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
 وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْنُتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
 وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٣ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لِلْعِلْمِ الدِّينِيِّ آثَارٌ جَلِيلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيرٌ وَكُلَّمَا كَانَ
 الرَّجُلُ أَعْلَمَ بِالْعِلْمِ الدِّينِيِّ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْعُقَلَاءِ جَلِيلٌ مَضَى

السُّلْفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ يَطِيبُ الْمَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدَرِهِمُ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ
 كَأَنوَارِ رِجَالٍ مِثْلَنَا وَلَكِنْ يَبْرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ وَأَثَارِهِ
 الْجَلِيلَةِ كَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ كَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ لَأَنَّهُمْ رَضُوا
 بِقِسْمَةِ مَوْلَانَا الْحَكِيمِ الْخَيْرِ وَكَانُوا أَشْجَعَ النَّاسِ لَأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَجَلَ
 لَا يُطِيلُهُ الْجُبْنُ الدَّمِيمُ فَكَمْ مِنْ قَتْلَةٍ قُورَتْ بِالْجُبْنِ كَمَا قِيلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاَ فِي خَوْضٍ مَهْلَكَةٍ
 وَقَتْلَةٍ قُورَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ

وَكَانُوا فِي الْجِلْمِ وَالْعَقْلِ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِي وَكَانُوا مَحْطَّ رِحَالِ
 الْجُودِ وَالْكَرَمِ لَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ وَأَنَّ
 الَّذِي يَرْضَى بِالْبُخْلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ ابْنُ لَيْسَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْبَلَايَا
 مَهْمَا قَسَتْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَصْرُفُ الْحَكِيمِ الْخَيْرِ وَكَانُوا
 يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِحُزْمِهِمْ أَنَّهَا لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ
 الشَّاكِرِينَ وَيَرْضَى عَنِ الْحَامِدِينَ وَكَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الشَّرِّ وَلَا يُجِبُونَ
 أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وَكَانُوا يُجِبُونَ الْخَيْرَ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ
 وَكَانُوا لَا يَضْمِرُونَ حَسْداً وَلَا شراً لِأَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ
 اللَّهَ يُحِيطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ مَا
 يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَكَانُوا لَا يَشْهَدُونَ الْمُنْكَرَ وَالزُّورَ
 بَلْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُونَ وَكَانُوا يَحْتَنُونَ إِلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ حَيْنَ
 الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِشَارَةِ
 الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ
 وَالْغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رَضَى رَبُّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا كَانُوا يَبْرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ
 اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ إِعْجَابٍ مِنْ نَاحِيَةِ أَنْ هَدَفْنَا

فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْحُطَامُ الْفَانِي لَا غَيْرَ لِهَذَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنَّا إِذَا رَسَبَ يَكَادُ
يَنْتَحِرُ وَيَقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْضُولٌ رَوَاتِبُهَا لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةِ آلَافٍ وَلَوْ
كَانَ قَصْدُهُ الْعِلْمَ بِمَا جِهَلَهُ وَتَوَجُّعُهُ عِبَادَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كَانَ عِنْدَهُ
يَتَسَاوَى السَّرْعَةُ وَالْبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمَهَّرَ فِي الْمَعْلُومَاتِ لِهَذَا الْقَصْدِ مَاتَتْ
الْفَضَائِلُ وَانْتَزَعَتْ بَرَكََةُ الْعِلْمِ وَفَقِدَتْ هَيْئَةُ الْعَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ
كُلُّ يَفْتِيٍّ وَكُلُّ يُرْشِحٍ نَفْسَهُ لِلْفِتْيَا فَوْرًا وَلَكِنَّ النَّاسَ الْوَرَعِينَ لَا يَطْمَئِنُّونَ
إِلَّا إِلَى النَّوَادِرِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَيَتَرَكُونَ الْمُرَائِينَ وَالْمُجِبِّينَ
لِلظُّهُورِ وَالشُّهُرَةِ الَّذِينَ ضَاعُوا وَضَيَّعُوا عِبَادَ اللَّهِ .

وَخِتَامًا فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا طَرِيقَةً سَلَفْنَا فِي الْعِلْمِ الْمُنَاطِقِ لِلْعَمَلِ لِأَصْبَحْنَا
وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمُ الدِّفِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الْعَامِلَةِ بِمَا
عَلِمَتْ .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبِكِ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ غَيَّبَتْهَا فِي الشُّرَابِ لِحُودٍ
فَأَنْتَ بِهِيْمِي الطَّبَاعِ وَإِنَّمَا
قُصَارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيدٌ
سَتَبْكِي الْعُلَا قَوْمًا تَسَامَوْا لِنَيْلِهَا
كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ الْعُيُونِ هُجُودٌ
يُعِيدُونَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُومُهُ
فَتُضْجِي عَلَيْهَا لِالْفَخَارِ بُرُودٌ
كَفَى غُرْبَةً لِلدِّينِ هَذَا الَّذِي نَرَى
فَلَيْسَ عَلَى ذَا الْاِغْتِرَابِ مَزِيدٌ

اللَّهُمَّ يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِمَحَبَّةِ
 أَوْلِيَائِكَ وَيُغْضِ أَعْدَائِكَ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَبِّتْنَا الْعُسْرَى وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
 مُهْتَدِينَ وَبِكَتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ مُقْتَدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

٢٤ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي عَصْرِ بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ بَرَكَةٌ عَمَّتِ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ
 وَكُلَّ مَا لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءٍ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلَى مَا
 أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ أَسْرَارٍ نَفُوتِ الْأَحْصَاءِ وَيَسَّرَ لَهُمُ السَّبِيلَ فَوَصِّلُوا مِنْ
 التَّرَاقِي فِي الْإِخْتِرَاعِ وَالْإِطْلَاعِ إِلَى مَا يُدْهِشُ الْأَفْكَارَ وَتَزْدَادُ بِهِ عَقِيدَةُ
 الْمُؤْمِنِ قُوَّةً فَلَا يَعْتَرِيهِ أَذْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَعَ بُعْدِ
 الْمَسَافَةِ وَيُسَافِرُونَ بَرًّا وَبَحْرًا فَيَقْطَعُونَ بِالْمَرَائِبِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ فِي مَدَّةٍ
 يَسِيرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ الْمَرَائِبُ الَّتِي خَلَقَهَا
 اللَّهُ لَنَا مِنَ الْأَثْقَالِ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الْأَلْبَابُ حَاثِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوا
 مُسَابَقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوهُ بِالطَّائِرَاتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ
 أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
 وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وَانْظُرْ إِلَى الْكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ

بأنواره وكأنه نهار وما فيه من أسباب الراحة والمنافع العظيمة التي لم تحصل لمن قبلنا أليس هذا من أعظم البراهين والأدلة على صدق ما أخبر الله به بقوله «سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» .

وعلى صدق ما أخبر به الصادق المصدوق من أن الزمان يتقارب وها أنت لا تمشي شرقاً ولا غرباً إلا وأنت ترى وتسمع من تلك الأسرار ما تحارب به الأفكار فنحن اليوم نتقلب في كل أحوالنا في نعيم لم يظفر به عصر من الأعصار حتى إنك ترى حيوان هذا العصر في راحة وإكرام لم تتمتع بها بنو العصور الماضية إن حقاً علينا إزاء كل هذا أن نكون أسبق الأجيال في ميدان شكر الله ليبرهن كل منا أنه يحس ويشعر بما اختصه به مولاه أ - ه .

ولكن يا للأسف لم يكن منا شكر هذه النعم واستعمالها في طاعة الله ومراضيه ودليل ذلك ما ترى وتسمع من المعاصي والمُنكرات التي تكاد أن تبكي من فشوها وازديادها الجمادات .

فيا لله للمسلمين إنها لتجرح قلب المؤمن السالم منها جرحاً يوشك أن يوصله إلى القبر اللهم وفق ولاتنا لإزالة هذه المنكرات ولتأييد الإسلام والمسلمين في جميع الجهات ووفقهم للرفق في رعاياهم والنصح لهم وسدد خطأيهم والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه

٢٥ موعظة

عباد الله انما حرم الله عليكم الخمر، لما فيه من الأضرار والأخطار ، وما منعكم من شربها إلا لما ينشأ عن ذلك من المفاسد والشُرور والأضرار، فشارب الخمر ملعون على لسان نبيكم محمد صلى

الله عليه وسلم ، وبائِئُهَا ، وشارِئُهَا ، وعاصِرُهَا ومُعْتَصِرُهَا ، وسَاقِئُهَا ،
 وحَامِلُهَا ، والمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ ، ومُذْمِنُ شُرْبِهَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَلْ يَدْخُلُ
 النَّارَ وَيُسْقَى مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ، عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ ، وَوَرَدَ أَنَّ مُذْمِنَ الْخَمْرِ
 كَعَابِدٍ وَثْنٍ فَشَارِبُ الْخَمْرِ مُفْسِدٌ لِدِينِهِ ، وَمُفْسِدٌ لِحِسْمِهِ ، وَصِحَّتِهِ ،
 وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَقَارِبِهِ ، وَأَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَمُفْرَطٌ فِي مَالِهِ
 وَمُسْرِفٌ فِيهِ وَعَابِثٌ بِكَرَامَتِهِ ، وَسَاعٍ إِلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ بِيَدِهِ ، وَرِجْلُهُ ،
 وَلِسَانُهُ ، وَصَائِلٌ ، خَبِيثٌ ، عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْأَذْيَانِ شَارِبُ الْخَمْرِ غَضُوبٌ
 مَسْمُومٌ فِي جِسْمِ مُوَاطِنِيهِ ، إِذَا لَمْ يُبَادِرُوهُ بِالْعِلَاجِ أَوْ يَقَطْعُوهُ أَصَابَهُمْ
 ضَرَرُهُ ، شَارِبُ الْخَمْرِ يُزَيِّنُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُهُ ، لِنَبِيِّهِ ، وَبَنَاتِهِ ، وَأَصْدِقَائِهِ
 وَيَدْعُوهُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دَاعِيَ الْفَسَادِ مُجَابٌّ فِي
 كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَنْصَارُهُ بِلَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانٍ ، وَإِذَا دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي رَأْسِ
 شَارِبِهَا فَقَدْ شُعُورُهُ ، وَزَنَى ، وَلَا طَ ، أَوْ لِيَطَّ بِهِ ، وَجَاءَ بِأَنْوَاعِ الْفُحْشِ ،
 وَالْفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشْتَمَ ، وَقَذَفَ ، وَلَعَنَ ، وَطَلَّقَ وَسَبَّ الدِّينَ
 وَالْمُسْلِمِينَ ، بَلْ رُبَّمَا وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ ، أَوْ بَنْتِهِ أَوْ أُخْتِهِ أَوْ عَلَى نِسَاءِ
 جِيرَانِهِ ، أَوْ عَلَى بَهَائِمِهِ ، وَرُبَّمَا كَفَرَ بِاللَّهِ وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَتَرَكَ
 الصَّلَاةَ ، وَأَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ ، وَسَبَّ الْقُرْآنَ ، وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ مَنْ تَعَاطَى
 الْخَمْرَ سَقَطَ مِنْ شَاهِقِ مَجْدِهِ إِلَى مُسْتَوَى الْخَنَازِيرِ ، وَالْقِرْدَةِ يُصَدَّقُ بِهَذَا
 مَنْ عَايَنَ شَارِبَ الْخَمْرِ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الشَّرَابُ وَغَطَّى عَقْلَهُ فَتَرَى مَنْ
 يَقُودُهُ مُتَعَبٌ ، يَجْرُهُ كَمَا يَجْرُ الدَّابَّةُ الْحَرُونَ بَلْ الدَّابَّةُ تَمْشِي أحياناً هَادِئَةً
 إِذَا جُرَّتْ لَا تُتْعَبُ الْقَائِدُ دَائِماً ، وَأَمَّا السَّكْرَانُ فَيَمِيلُ بِقَائِدِهِ هَكَذَا
 وَهَكَذَا ، حَتَّى يَكْلِفُهُ مَتَاعِبَ عَظِيمَةٍ ، وَالدَّابَّةُ إِذَا رَأَتْ حُفْرَةً اِمْتَنَعَتْ عَنْهَا
 وَتَبَاعَدَتْ عَنْهَا ، أَمَّا شَارِبُ الْخَمْرِ فَتَكُونُ الْحُفْرَةُ أَمَامَهُ ، وَيَسْقُطُ فِيهَا ،
 وَالدَّابَّةُ رُبَّمَا دَافَعَتْ عَنْ طَعَامِهَا وَشَارِبُ الْخَمْرِ تُسَلِّبُ مِنْهُ النُّقُودَ ، وَلَا

يَحْصُلُ مِنْهُ أَذْنَى مُمَانَعَةٍ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْبَهِيمَةَ أَرْجَحُ وَأَحْسَنُ حَالًا مِنْهُ ، وَقَدْ قَالَ الْخَبِيرُ بِأَحْوَالِ شُرَابِ الْخَمْرِ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ السَّكِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى قَهْقَهْتِهِ ، وَضَحِكِهِ ، وَالْخَمَّارُ يُوَالِي الصَّفْعَاتِ عَلَى قَفَاهُ ، وَلْيَنْظُرْ رَقْصَهُ أَمَامَ الْبُزُورِ ، كَأَنَّهُ قِرْدٌ يُرْقِصُهُ صَاحِبُهُ ، لِيَضْحَكَ مَنْ يَرَاهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وَهُوَ يَجْرِي وَرَاءَ أُمِّهِ ، أَوْ بَنْتِهِ ، لِيَقْضِي مِنْهَا حَاجَتَهُ ، وَمُنَاهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وَأَمْرَأَتُهُ تَكْنُسُ مَلَا بَسَهُ ، وَتَمْسُحُهَا مِنَ الْأَوْسَاحِ ، الَّتِي يَقْدِفُهَا عَلَى ثِيَابِهِ ، وَالْقَادُورَاتِ ، هَذَا قَدْرُ شَارِبِ الْخَمْرِ عِنْدَنَا ، أَمَّا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ كَعَابِدٍ وَثْنٍ مَلْعُونٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَعْصِمَنَا وَآخَوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَمَنْ سَاطِرِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُلْطَفَ بِنَا وَيُوقِفَنَا لِمَا يَرْضِيهِ عَنَّا وَيَغْفِرَ لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

نَبِيْنِي وَنَجْمَعُ وَالْآثَارُ تَنْدَرِسُ
وَنَأْمَلُ اللَّبْثُ وَالْأَعْمَارُ تُخْتَلَسُ
ذَا اللَّبِّ فَكِرَ فَمَا فِي الْعَيْشِ مِنْ طَمَعٍ
لَا بَدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرُ وَيَنْعَكِسُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَنْ
كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيْئَةً جَلَسُوا
وَمَنْ سَيُوفُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
تُخْشَى وَدُونَهُمُ الْحُجَابُ وَالْحَرَسُ
أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
صَرَغَى وَصَارُوا يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَانْطَمَسُوا

وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمُّهُمْ جَدَتْ
 بَاتُوا فَهُمْ جُثَّتْ فِي الرَّمْسِ قَدْ حُسُوا
 كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا
 وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا
 وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ
 أَيْدِي الْبَلَى بِهِمُوا وَالْدُّودُ يَفْتَرِسُ
 لَعَايَنْتَ مَنْظَرًا تُشْجَى الْقُلُوبُ لَهُ
 وَأَبْصَرْتَ مُنْكَرًا مِنْ دُونِهِ الْبَلَسُ
 مِنْ أَوْجِهِ نَاطِرَاتٍ حَارَ نَاطِرُهَا
 فِي رَوْنَقِ الْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ

(فصل)

قال بعض العلماء لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُنْذُ كَانَ إِلَى يَتَنَاهَى أَحَدٌ يَسْتَحْسِنُ
 الْهَمَّ وَلَا يُرِيدُ إِلَّا طَرَحَهُ عَنْ نَفْسِهِ .
 فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِي هَذَا الْعِلْمُ الرَّفِيعُ وَانْكَشَفَ لِي هَذَا السِّرُّ الْعَجِيبُ
 وَأَنَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِكْرِي هَذَا الْكَتْرَ الْعَظِيمَ .
 بَحَثْتُ عَنْ سَبِيلٍ مُوَصِّلَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى طَرْدِ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ
 النَّفِيسُ الَّذِي اتَّفَقَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ مِنْهُمْ وَالْعَالِمِ وَالصَّالِحِ
 وَالطَّالِحِ عَلَى السَّعْيِ لَهُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا التَّوَجُّعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَمَلِ
 لِلْآخِرَةِ .
 وَإِلَّا فَإِنَّمَا طَلَبَ الْمَالِ طُلَّابُهُ لِيَطْرُدُوا بِهِ هَمَّ الْفَقْرِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ .

وإنما طَلَبَ الصَّيْتَ مَنْ طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ الاسْتِعْلَاءِ عَلَيْهَا .

وإنما طَلَبَ الْعِلْمَ مَنْ طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ الْجَهْلِ .
وإنما هَشَّ إِلَى سَمَاعِ الْأَخْبَارِ وَمُحَادَثَةِ النَّاسِ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ لِيَطْرُدَ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ التَّوَحُّدِ وَمُغَيِّبِ أحوالِ الْعَالَمِ عَنْهُ .
وإنما أَكَلَ مَنْ أَكَلَ وَشَرَبَ مَنْ شَرَبَ وَنَكَحَ مَنْ نَكَحَ وَلَبَسَ مَنْ لَبَسَ وَلَعِبَ مَنْ لَعِبَ وَاكْتَنَزَ مَنْ اكْتَنَزَ وَرَكِبَ مَنْ رَكِبَ وَمَشَى مَنْ مَشَى وَتَوَدَّعَ مَنْ تَوَدَّعَ .

لِيَطْرُدُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَضْدَادَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَسَائِرِ الْهُمُومِ .
وفي كل ما ذَكَّرْنَا لِمَنْ تَدَبَّرَهُ هُمُومُ حَادِثَةٍ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عَوَارِضٍ تَعْرِضُ فِي خِلَالِهَا وَتَعْتَدِّرُ مَا يَتَعَدَّرُ مِنْهَا .
وقال رحمه الله وَجَدْتُ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ سَالِمًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ خَالِصًا مِنْ كُلِّ كَدَرٍ مُوَصِّلًا إِلَى طَرْدِ الْهَمِّ عَلَى الْحَقِيقَةِ .
وَوَجَدْتُ الْعَامِلَ لِلْآخِرَةِ إِنْ اِمْتَحَنَ بِمَكْرُوهِهِ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ لَمْ يَهْتَمِ بَلْ يُسِرُّ .
إِذْ رَجَاؤُهُ فِي عَاقِبَةِ مَا يَنَالُ بِهِ عَوْنٌ عَلَى مَا يَطْلُبُ وَزَائِدٌ فِي الْغَرَضِ الَّذِي إِيَّاهُ يَقْصُدُ .

وَوَجَدْتُه إِنْ عَاقَهُ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ عَائِقٌ لَمْ يَهْتَمِ إِذْ لَيْسَ مُوَآخِذًا بِذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مُؤَثِّرٍ فِيهَا يَطْلُبُ وَرَأَيْتُهُ إِنْ قُصِدَ بِالْأَذَى سُرُّ .

وإنْ نَكَبَتْهُ نَكْبَةٌ سُرٌّ وَإِنْ تَعَبَ فِيهَا سَلَكَ فِيهِ سُرٌّ فَهُوَ فِي سُرُورٍ مُتَّصِلٍ أَبَدًا وَغَيْرِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَبَدًا .

وقال رحمه الله تعالى : وَلَوْ تَدَبَّرَ الْعَالِمُ فِي مُرُورِ سَاعَاتِهِ مَاذَا كَفَّاهُ الْعِلْمُ مِنَ الدَّلِّ بِتَسْلِيْطِ الْجُهَالِ .

وَمِنَ الْهَمِّ بِمَغِيبِ الْحَقَائِقِ عَنْهُ وَمِنَ الْغِبْطَةِ بِمَا قَدْ بَانَ لَهُ وَجْهُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِ .

لَزَادَ حَمْدًا وَشُكْرًا وَذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَغِبْطَةً بِمَا لَدَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَرَغْبَةً فِي الْمَزِيدِ مِنْهُ .

أَجَلَّ الْعُلُومِ مَا قَرَّبَكَ إِلَى خَالِقِكَ جَلَّ وَعَلَا وَمَا أَعَانَكَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى رِضَاهُ .

الْعُلُومُ الْغَامِضَةُ كَالِدَوَاءِ الْقَوِيِّ يُصْلِحُ الْأَجْسَادَ الْقَوِيَّةَ وَيُهْلِكُ الْأَجْسَادَ الضَّعِيفَةَ .

وكَذَلِكَ الْعُلُومُ الْغَامِضَةُ تَزِيدُ الْعَقْلَ الْقَوِيَّ جَوْدَةً وَتُصَفِّيهِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَتُهْلِكُ ذَا الْعَقْلِ الضَّعِيفِ .

الْعَاقِلُ فِي الدُّنْيَا مُتَعَبٌ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مُسْتَرِيحٌ .

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ مُتَعَبٌ وَمُتَكَدِّرٌ فِيمَا يَرَى مِنْ انْتِشَارِ الْبَاطِلِ وَغَلَبَةِ دَوْلَتِهِ وَبِمَا يُحَالُ بَيْنَهُ مِنْ إِظْهَارِ الْحَقِّ .

وَأَمَّا وَجْهُ رَاحَتِهِ فَمِنْ كُلِّ مَا يَهْتَمُّ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا .
إِذَا حَقَّقْتَ أَمْرَ الدُّنْيَا لَمْ تَجِدْهَا إِلَّا الْآنَ الَّذِي هُوَ فَضْلٌ بَيْنَ زَمَانَيْنِ
فَقَطْ .

وَأَمَّا مَا مَضَى وَمَا لَمْ يَأْتِ فَمَعْدُومَانِ كَمَا لَمْ يَكُنْ .

فَمَنْ أَضَلَّ مَنْ يَنْتَبِهُ بَاقِيًا خَالِدًا بِمُدَّةٍ هِيَ أَقَلُّ مِنْ كَرِّ الطَّرْفِ .

مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُومِ وَتَرَكَ أَعْلَاهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ كَانَ كَغَارِسٍ

الْأَثَلِ وَالسِّدْرِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَجُودُ وَيَزْكُوا فِيهَا النَخِيلُ وَالتِّينُ وَالْمَوْزُ وَالْعِنَبُ .

نَشْرُ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كِإِطْعَامِكَ الْعَسَلِ

وَالسُّكَّرِ وَالتَّمَرِ مَنْ بِهِ مَرَضُ السُّكَّرِ وَمَنْ بِهِ اخْتِرَاقٌ وَخُمَى .

وَكَتَشْمِيمِكَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ لَمْ يَبِهِ صُذَاعُ الصَّفَرَاءِ ، أَوْ بِهِ شَقِيقَةُ وَهُوَ
وَجَعُ نِصْفِ الرَّأْسِ .

مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا وَعَدَلَ السَّيْرَةَ وَالْإِحْتَوَاءَ عَلَى مَحَاسِنِ
الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ كُلِّهَا وَاسْتَحَقَّاقَ الْفَضَائِلِ بِأَسْرِهَا فَلْيَقْتَدِ
بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلْيُسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيرَهُ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنَفَعَةَ الْعِلْمِ فِي اسْتِعْمَالِ الْفَضَائِلِ عَظِيمَةٌ وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ
حُسْنَ الْفَضَائِلِ فَيَاتِيهَا وَيَعْلَمَ قُبْحَ الرَّذَائِلِ فَيَجْتَنِبُهَا وَيَسْتَمِعَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ
فَيَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ وَالثَّنَاءَ الرَّدِّيَّ فَيَنْفُرُ مِنْهُ .

فَعَلَى هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِلْعِلْمِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَلِلْجَهْلِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ رَذِيلَةٍ .

وَقَالَ وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ غِمَارِ الْعَامَّةِ مَنْ يَجْرِي مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَحَمِيدِ
الْأَخْلَاقِ إِلَى مَا لَا يَتَقَدَّمُ فِيهِ حَكِيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جَدًّا .

وَرَأَيْتُ مَنْ طَالَعَ الْعُلُومَ وَعَرَفَ عُهْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَوَصَايَا الْحُكَمَاءِ وَهُوَ لَا يَتَقَدَّمُ فِي خُبِّ السَّيْرَةِ .

وَفَسَادِ الْعِلَاقِيَةِ وَالسَّيْرَةِ شِرَارُ الْخَلْقِ وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
مَوَاهِبٌ وَحِرْمَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ مَنْ جَالَسَ النَّاسَ لَمْ يَعْدِمِ إِثْمًا وَهُمَا يُؤْلِمُ نَفْسَهُ وَغَيْظًا يُنْضِجُ كَبْدَهُ
وَذُلًّا يُنْكَسُ هِمَّتُهُ .

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ بَمَنْ خَالَطَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَانْدَمَجَ مَعَهُمْ .

وإنما يَنْدُمُ وَيَحْزَنُ وَيَتَحَسَّرُ على ذلك في مَعَادِهِ .
فالعِزُّ والسُّرُورُ والأُنْسُ والراحَةُ والسلامَةُ في الانفراد عنهم .
ولكن اجْعَلْهُمْ كالنار تَدْفَأُ بها ولا تُخَالِطُهَا .
وقال آخَرُ مِنْ مَضَارِ مُجَالَسَةِ النَّاسِ وَمُخَالَطَتِهِمْ الانْهِمَّاكَ فِي الْغَيْبَةِ .
ثانياً ضَيَاعُ الْوَقْتِ فِي الْأَثَامِ .

ثالثاً فَوَاتُ الْأَعْمَالِ النّافِعَةِ فِي الْآخِرَةِ أَوْ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا فِي الْآخِرَةِ وَلَا سَبِيلُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْانْفِرَادِ عَنْ مَجَالَسَتِهِمْ جُمْلَةً .

مَنْ جَنَّبَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانِ
وقال لا تَحْقِرَنَّ شَيْئاً مِنْ عَمَلٍ عَدِ بِأَنْ تُخَفِّفَهُ وَتَعْجِلَهُ الْيَوْمَ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّ
مِنْ قَلِيلِ الْأَعْمَالِ يَجْتَمِعُ كَثِيرُهَا .

لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْأُمُورِ صِغَارَهَا فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخِلْجَانِ

وربما أن الأعمال إذا لم تُخَفَّفْ يُعْجِزُ أَمْرُهَا فَيَبْطُلُ الْكُلُّ .
ولا تَحْقِرْ شَيْئاً مِمَّا تُثْقِلُ بِهِ مِيزَانَكَ يَوْمَ الْبَعْثِ أَنْ تُعْجِلَهُ الْآنَ وَإِنْ قَلَّ .
فإنَّهُ يَحْطُ عَنْكَ كَثِيراً لَوْ اجْتَمَعَ لَقَدَفَ بِكَ فِي النَّارِ .
اجْتَهِدْ فِي أَنْ تَسْتَعِينَ فِي أُمُورِكَ بِمَنْ يُرِيدُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْهَا
لِنَفْسِكَ .

أَبْلَغُ فِي ذِمَّتِكَ مِنْ مَدْحِكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ لَأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى نَقْصِكَ .
وَأَبْلَغُ فِي مَدْحِكَ مِنْ ذِمَّتِكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ لَأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى فَضْلِكَ وَلَقَدْ
انْتَصَرَ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَبِاسْتِهِدَافِهِ إِلَى الْإِنْكَارِ وَاللَّائِمَةِ .

ولو علم الناقصُ نَقْصَهُ لَكَانَ كَامِلاً إِذَا عَدَّلَهُ .
مِنْ عَيْبِ حُبِّ الذِّكْرِ أَنَّهُ رَبُّمَا يُحْبِطُ الْأَعْمَالُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُذَكَّرَ بِهَا لَأَنَّهُ

يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وَهُوَ يَطْمِسُ الْفَضَائِلَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَكَادُ يَفْعَلُ الْخَيْرَ حُبًّا لِلْخَيْرِ لَكِنْ
لِيَذْكُرَ بِهِ .

مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُحِبَّ إِلَيْهِ الْعَدْلَ وَيُوقِّعَهُ لِلْعَمَلِ بِهِ
وَيُحِبَّ إِلَيْهِ الْحَقَّ وَإِثَارَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ .
وَمِنْ قِلَّةِ تَوْفِيقِ الْعَبْدِ وَخُدْلَانِهِ أَنْ يُطَبَعَ عَلَى الْجَوْرِ وَاسْتِسْهَاءِ لَهُ وَعَلَى
الظُّلْمِ وَاسْتِخْفَافِهِ .

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَتَّشِسْ مِنْ أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ أَوْ يُقَوِّمَ طِبَاعَهُ أَبَدًا إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ .

إِذَا حَضَرْتَ مَجْلِسَ عِلْمٍ فَلَا يَكُونُ حُضُورُكَ إِلَّا حُضُورَ مُسْتَزِيدٍ عِلْمًا
وَأَجْرًا لَا طَالِبًا لِعَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ تُشْنَعُهَا أَوْ غَرِيْبَةٍ تُشْيَعُهَا .
فَإِنَّ تَتَبَعَ الْعَثَرَاتِ وَالزَّلَاتِ أَفْعَالُ الْأَرَادِلِ وَالسُّفُلِ الَّذِينَ لَا يُفْلِحُونَ
فِي الْعِلْمِ فَإِذَا حَضَرْتَهَا عَلَى طَلَبِ الْإِسْتِرْشَادِ فَقَدْ حَصَلَتْ خَيْرًا .
وَأِنْ لَمْ تَحْضُرْهَا عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ فَجُلُوسُكَ فِي مَنْزِلِكَ أَحْسَنُ وَأَرْوَحُ
لِبَدْنِكَ وَآكْرَمُ لِحُلُقِكَ وَأَسْلَمُ لِدِينِكَ .

فَإِذَا حَضَرْتَهَا فَالْتَزِمْ أَحَدَ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِمَّا أَنْ تَسْكُتَ فَتَحْصُلَ
عَلَى أَجْرِ النِّيَّةِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَعَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْكَ بِقِلَّةِ فُضُولِ الْكَلَامِ وَعَلَى كَرَمِ
الْمُجَالَسَةِ وَمَوَدَّةِ مَنْ تُجَالِسُ .

وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ سُؤَالَ الْمُتَعَلِّمِ عَمَّا لَا تَدْرِي فَإِنَّ السُّؤَالَ عَمَّا تَدْرِي
سَخَفٌ وَقِلَّةُ عَقْلِ وَلَا تَخْلُ مِنْ الْعُجْبِ .
وَفِيهِ شُغْلٌ عَمَّا هُوَ أَوْلَى وَفِيهِ قَطْعٌ لِرِمَانِكَ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَا لَكَ وَلَا
لِغَيْرِكَ وَرُبَّمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَوْ مَفَاسِدٌ .

وإذا أردت أن تراجع فراجع مُرَاجَعَةَ الْعَالَمِ .
 وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ تُعَارِضَ جَوَابَهُ بِمَا يَنْقُضُهُ نَقْضًا بَيِّنًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ
 إِلَّا تَكَرُّارُ قَوْلِكَ أَوْ لِمُعَارَضَةٍ بِمَا لَا يَرَاهُ خِصْمُكَ مُعَارَضَةً فَأَمْسِكْ .
 لِأَنَّكَ لَا تَحْصُلُ بِتَكَرُّارِ ذَلِكَ عَلَى أَجْرِ زَائِدٍ وَلَا عَلَى تَعْلِيمٍ بَلْ رُبَّمَا
 حَصَلَتْ عَلَى مَا يَسُوءُكَ مِنَ الْغَيْظِ وَالْعَدَاوَةِ .
 وَاخْذَرْ سُؤَالَ التَّعَنُّتِ وَمُرَاجَعَةَ الْمَكَابِرِ الَّذِي يَطْلُبُ الْغَلْبَةَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 فَهِيَ خَلْقًا سَوِيًّا دَلِيلَانِ عَلَى قِلَّةِ الدِّينِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَقُوَّةِ السَّخْفِ وَكَثْرَةِ
 الْفُضُولِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

صَلَاحُ الْقَلْبِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَوْحِيدِهِ وَاخْتِلَاصِ
 الْعَمَلِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ .

وَفَسَادُ الْقَلْبِ بِعَدَمِ التَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ وَطَاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالاخْتِلَاصِ .
 وَمَا يُوْرِثُ فِسَادَ الْقَلْبِ وَانْتِكَاسُهُ وَفَسَادُ الْأَخْلَاقِ مَجَالِسَةُ أَمْوَاتِ
 الْقُلُوبِ وَأَهْلِ الْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ كَالْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ وَالرَّافِضَةِ
 وَالْفَسَقَةِ كَأَهْلِ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

عَلَيْكَ بِمَجَالِسَةِ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ فَإِنَّهُمْ هُمُ النَّاسُ لِأَنَّ أَعْقَلَ
 خَلْقِ اللَّهِ مَنْ أَمْتَلَّ أَمْرُهُ وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُ .
 وَأَجْهَلُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ عَصَى اللَّهَ .

الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ الْمُخْلِصُونَ هُمُ السَّالِكُونَ طَرِيقَةَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِمُ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ أَجْرًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ بَلْ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ عِزًّا
 وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

والعِشِّي يُريدون وجهه ﴿ وقال جل وعلا ﴾ ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ .

قُلُوبٌ صَافِيَةٌ طَاهِرَةٌ مُعْرِضَةٌ عَنِ الْخَلْقِ مُقْبِلَةٌ عَلَى الْخَالِقِ ذَاكِرَةٌ لَهُ نَاسِيَةٌ لِلدُّنْيَا ذَاكِرَةٌ لِلْآخِرَةِ .

الجلوس مع الذين يطيعون الله نعمةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ والجلوسُ مَعَ المنافقين والمكذِبين نِقْمَةٌ عَلَى الْعَبْدِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْبَدْعِ والأخلاق المنحرفة وأهل الملاهي والمنكرات .

فالواجبُ هِجْرَانُهُمْ وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهُمْ وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُمْ .

وَاهْجُرْ أَيْضاً أَقْرَانَ السُّوءِ واقطع المودَّةَ والصِّلَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وواصلها بينك وبين الصالحين .

قال بعضهم لا تَغْتَرَّ بِمَوْضِعٍ صَالِحٍ فَلَا مَكَانَ أَصْلَحَ مِنَ الْجَنَّةِ فَلَقِي فِيهَا آدَمَ مَا لَقِي وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ فَإِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ بَعْدَ طُولِ تَعْبُدِهِ لَقِي مَا لَقِي .

وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ فَإِنَّ بُلْعَامَ كَانَ يُحْسِنُ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ فَانْظُرْ مَاذَا لَقِي .

وَلَا تَغْتَرَّ بِرُؤْيَا الصَّالِحِينَ فَلَا شَخْصَ أَكْبَرَ مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَبِعَظْمِ أَقَارِبِهِ .

وقال إذا سَمِعْتَ بحال الكفار وخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ فَلَا تَأْمَنَ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَى الْخَطَرِ وَلَا تَدْرِي مَاذَا يَكُونُ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَمَاذَا سَبَقَ لَكَ فِي حَكْمِ الْغَيْبِ .

وَلَا تَغْتَرَّ بِصَفَاءِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ تَحْتَهَا غَوَامِضَ الْآفَاتِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

كتب أبو حامد العزالي إلى أبي الفتح بن سلامة فقال : قرع سمعي
بأنك تلتبس مني كلاماً وجيزاً في معرض النصح والوعظ وإني لست أرى
نفسي أهلاً له .

فإن الوعظ زكاة نصابه الاتعاض فمن لانصاب له كيف يخرج الزكاة
وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج .

وقد أوصى الله جلّ وعلاً عيسى بن مريم عليهما السلام يا ابن مريم
عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني .

وقال نبينا ﷺ تركت فيكم ناطقاً وصامتاً فالناطق هو القرآن والصامت
هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ فمن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره .

ولقد وعظت نفسي بهما وقبلت وصدقت قولاً وعلماً وأبت وتمردت تحقيراً
وفعلاً .

فقلت لنفسي أما أنت مُصدّقة بأن القرآن هو الواعظ وأنه كلام الله
المنزل الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فقالت بلى فقلت
لها قد قال الله تعالى ﴿ من كان يريد الحياة وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما
صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

فقد وعد الله جلّ وعلاً بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد
الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها .

ولو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو بالمرض على تناول الدّ الشهوات
لتحاميتيها وأنفت منا وجنبتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله
جلّ وعلاً .

فإن كان كذلك فما أَكْفَرَكَ أم كان المرض أشدَّ عَلَيْكَ مِنَ النارِ فإن كان كذلك فما أَجْهَلَكَ فَصَدَّقْتَ ثم ما انْتَهَتْ بل أَصْرَتْ على الميل إلى العاجلة واستمرَّت .

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا فَوَعَّظْتُهَا بِالْوَاعِظِ فَقُلْتُ لَهَا قَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِينَ تَفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَائِكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقُلْتُ لَهَا هَبِي أَنْتِ مَلْتِ إِلَى الْعَاجِلَةِ أَفَلَسْتِ مُصَدِّقَةً بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا مَحَالَةَ يَأْتِيكَ قَاطِعًا عَلَيْكَ مَا أَنْتِ مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ وَسَالِبًا مِنْكَ كُلِّ مَا أَنْتِ رَاغِبَةٌ فِيهِ .

وَأَنْ كُلِّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ .

وَقَالَ مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَمَا وَعَظَهَا وَلَمْ تَجْتَهِدْ فِي التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ كَاجْتِهَادِهَا فِي تَذْيِيرِ الْعَاجِلَةِ وَلَمْ تَجْتَهِدْ فِي رِضَا اللَّهِ كَاجْتِهَادِهَا فِي طَلَبِ رِضَاهَا وَطَلَبِ رِضَا الْخَلْقِ .

وَلَمْ تَسْتَجِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَسْتَجِي مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَلَمْ تُشَمِّرْ لِلِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ كَتَشْمِيرِهَا فِي الصَّيْفِ لِأَجْلِ الشِّتَاءِ وَفِي الشِّتَاءِ لِأَجْلِ الصَّيْفِ فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ فِي أَوَائِلِ الشِّتَاءِ مَا لَمْ تَتَفَرَّغْ عَنْ جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ مَعَ أَنَّ الْمَوْتَ رَبُّهَا يَخْطِطُفُهَا وَالشِّتَاءُ لَا يُدْرِكُهَا .

فَقُلْتُ لَهَا أَلَسْتَ تَسْتَعِدِّينَ لِلصَّيْفِ بِقُدْرِ طَوْلِهِ وَتَصْنَعِينَ لَهُ آلَةَ الصَّيْفِ

بِقُدْرِ صَبْرِكَ عَلَى الْحَرِّ قَالَتْ نَعَمْ .

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا وَلَمَّا رَأَيْتُهَا مُتَمَادِيَةً فِي الطُّغْيَانِ غَيْرَ مُنْتَفِعَةٍ

بِمَوْعِظَةِ الْمَوْتِ وَالْقُرْآنِ رَأَيْتُ أَهَمَّ الْأُمُورِ التَّفَتُّيشَ عَنْ سَبَبِ تَمَادِيهَا مَعَ
اعْتِرَافِهَا وَتَصَدِّيقِهَا فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَجَائِبِ الْعَظِيمَةِ .

فَطَالَ تَفَتُّيشِي عَنْهُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى سَبَبِهِ وَهَا أَنَا ذَا مُوصٍ نَفْسِي وَإِيَّاكَ
بِالْحَذَرِ مِنْهُ فَهُوَ الدَّاءُ الْعَظِيمُ وَهُوَ السَّبَبُ الدَّاعِي إِلَى الْغُرُورِ وَالْإِهْمَالِ .

وَهُوَ اعْتِقَادُ تَرَخِي الْمَوْتِ وَاسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ عَلَى الْقُرْبِ فَإِنَّهُ لَوْ أُخْبِرَ
صَادِقٌ فِي بَيَاضِ نَهَارِهِ أَنَّهُ يَمُوتُ فِي لَيْلَتِهِ أَوْ يَمُوتُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ أَوْ شَهْرٍ
لَا اسْتِقَامَ وَاسْتَوَى عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَانْكَشَفَ لِي تَحْقِيقًا أَنَّ مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ يُؤْمِلُ أَنَّهُ يُمْسِي أَوْ أَمْسَى وَهُوَ
يُؤْمِلُ أَنَّ يُصْبِحَ لَمْ يَخْلُ مِنَ الْفُتُورِ وَالتَّسْوِيفِ .

فَأَوْصَيْكَ وَنَفْسِي بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ « صَلِّ صَلَاةَ
مُودَعٍ » وَلَقَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَصَلَ الْخُطَابِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِوَعْظٍ إِلَّا بِهِ .
وَمَنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنَهَا آخِرُ صَلَاتِهِ حَضَرَ مَعَهُ خَوْفُهُ مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى وَخَشْيَتُهُ مِنْهُ .

بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَخْطُرَ بِخَاطِرِهِ قِصْرُ عُمُرِهِ وَقُرْبُ أَجَلِهِ وَغَفَلَ قَلْبُهُ عَنْ
صَلَاتِهِ وَسَيِّمَتْ نَفْسُهُ فَلَا يَزَالُ فِي غَفْلَةٍ دَائِمَةٍ وَفُتُورٍ مُسْتَمِرٍّ وَتَسْوِيفٍ مُتَتَابِعٍ
إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَهَلِكُهُ حَسْرَةُ الْفُوتِ .

فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْذَرَ مَوَاقِعَ الْغُرُورِ وَيَحْتَرِزَ مِنْ خِدَاعِ النَّفْسِ
فَإِنْ خَدَاعَهَا لَا يَقِفُ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِكْيَاسُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَالْمَذْكُورَاتُ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً فَوَصِيَّةُ اللَّهِ
أَكْمَلُهَا وَأَنْفَعُهَا وَأَجْمَعُهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا أَسْعَدَ مَنْ قَبْلَ وَصِيَّةِ اللَّهِ
وَعَمِلَ بِهَا وَادَّخَرَهَا لِيَجْدهَا يَوْمَ مَرَدِّهَا وَمُنْقَلَبِهَا .

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ
سَبِيلَ الرُّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَتِمُّ الرُّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
وَلَا يَسْتَقِيمُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بَعْدَ نَظَرَيْنِ صَحِيحَيْنِ : نَظَرٌ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةٌ
زَوَالُهَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلَالُهَا وَنَقْصُهَا وَخُسْفَانُهَا وَالْمُزَاحَمَةُ عَلَيْهَا وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا
وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْغُصَصِ وَالنَّغْصِ وَالْأُنْكَادِ .

وَأَخِرَ ذَلِكَ الزَّوَالُ وَالْأَنْقِطَاعُ مَعَ مَا يُعْقِبُ ذَلِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسْفِ
فَطَالِبُهَا لَا يَنْفَكُ مِنْ هَمٍّ قَبْلَ حُصُولِهَا وَهَمٍّ فِي حَالِ الظُّفْرِ بِهَا وَغَمٍّ بَعْدَ فَوَاتِهَا
فَهَذَا أَحَدُ النَّظَرَيْنِ .

(النَّظَرُ الثَّانِي) النَّظَرُ فِي الْآخِرَةِ وَأَقْبَالِهَا وَجَمِيعِهَا وَلَا بُدَّ وَدَوَامِهَا وَبَقَائِهَا
وَشَرَفِ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَسَرَّاتِ وَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا هَهُنَا فَهِيَ
كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ فَهِيَ خَيْرَاتٌ كَامِلَةٌ دَائِمَةٌ ،
وَهَذِهِ خَيَالَاتٌ نَاقِصَةٌ ، مُنْقَطِعَةٌ مُضْمِحِلَّةٌ .

فَإِذَا تَمَّ لَهُ هَذَانِ النَّظَرَانِ آثَرَ مَا يَقْتَضِي الْعَقْلُ إِثْرَهُ وَزَهْدَ فِيمَا يَقْتَضِي
الزُّهْدَ فِيهِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَطْبُوعٌ عَلَى أَنْ لَا يَتْرَكَ النَّفْعَ الْعَاجِلَ وَاللَّذَّةَ الْحَاضِرَةَ إِلَى
النَّفْعِ الْآجِلِ وَاللَّذَّةِ الْغَائِبَةِ الْمُنْتَظَرَةِ إِلَّا إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ فَضْلُ الْآجِلِ عَلَى
الْعَاجِلِ وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْأَعْلَى الْأَفْضَلِ فَإِذَا آثَرَ الْفَنَاءِ النَّاqِصَ ، كَانَ ذَلِكَ
إِمَّا لِعَدَمِ تَبَيُّنِ الْفَضْلِ لَهُ وَإِمَّا لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي الْأَفْضَلِ .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ
وَالْبَصِيرَةِ فَإِنَّ الرَّائِبَ فِي الدُّنْيَا الْحَرِيصَ عَلَيْهَا الْمُؤَثِّرَ لَهَا إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ مَا
هُنَاكَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ وَأَبْقَى وَأَمَّا أَنْ لَا يُصَدِّقَ فَإِنَّ لَمْ يُصَدِّقْ بِذَلِكَ وَلَمْ يُؤَثِّرْهُ
كَانَ فَاسِدَ الْعَقْلِ سَيِّئَ الْأَخْتِيَارِ لِنَفْسِهِ .

وَهَذَا تَقْسِيمٌ حَاضِرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَنْفَكُ الْعَبْدُ مِنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ مِنْهُ
فَإِثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ إِمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الْإِيمَانِ وَإِمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الْعَقْلِ
وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنْهَا وَلِهَذَا نَبِّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ هُوَ وَاصْحَابُهُ ، وَضَرَفُوا عَنْهَا قُلُوبَهُمْ وَاطَّرَحُوهَا وَلَمْ يَأْلُفُوهَا
وَهَجَرُوهَا وَلَمْ يَمِيلُوا إِلَيْهَا وَعَدُّوهَا سِجْنًا لَا جَنَّةَ فَرَّهَدُوا فِيهَا حَقِيقَةَ الزُّهْدِ
وَلَوْ أَرَادُوهَا لَنَالُوا مِنْهَا كُلَّ مَحْبُوبٍ وَلَوْ صَلُّوا مِنْهَا إِلَى كُلِّ مَرْغُوبٍ .

فَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ كُنُوزِهَا فَرَدَّهَا وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَأَثَرُوا
بِهَا وَلَمْ يَبِيعُوا بِهَا حَظَّهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌ
لَا دَارَ مَقَامٍ وَمُسْتَقَرٍّ وَأَنَّهَا دَارُ غُيُوبٍ لَا دَارَ سُرُورٍ وَأَنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ تَنْقَشِعُ
عَنْ قَلِيلٍ وَخَيَالٌ طَيِّفٍ مَا اسْتَتَمَ الزِّيَارَةَ حَتَّى آذَنَ بِالرُّجُلِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا كَرَائِبٍ مَالٍ
فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » وَقَالَ « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَدْخُلُ
أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي أَلِيمٍ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ » .

وَقَالَ خَالِقُهَا سُبْحَانَهُ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ
يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فَأَخْبَرَ عَنْ خِصَّةِ الدُّنْيَا وَزَهْدٍ فِيهَا وَأَخْبَرَ عَنْ دَارِ السَّلَامِ وَدَعَا إِلَيْهَا
وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا نُزِّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ مُقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ
عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝

وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةُ وَتَفَاخُرُ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝

وَقَالَ ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمَقْتَنَطَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿قُلْ أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَازْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ۝

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
مَتَاعٌ ﴿وَقَدْ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ الْوَعِيدِ لِمَنْ رَضِيَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ
بِهَا وَغَفَلَ عَنْ آيَاتِهِ وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ فَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا - وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَغَيْرَ سُبْحَانَهُ مَنْ رَضِيَ بِالْدُّنْيَا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝

وَعَلَى قَدْرِ رَغْبَةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بِهَا يَكُونُ تَنَاقُلُهُ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ وَطَلَبِ الْآخِرَةِ وَيَكْفِي فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمْتَعُونَ﴾ وَقَوْلُهُ .

﴿وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾
وَقَوْلُهُ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ
يَخْشَاهَا . كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾
وَقَوْلُهُ ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
فَاسْأَلِ الْعَادِينَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَقَوْلُهُ
﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا
يَوْمًا﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

خُلِقْنَا لِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي فَرَائِسًا
تَزَفُّ إِلَى الْأَجْدَاثِ مِنَّا عَرَائِسًا
تُجَهَّزُ مِنَّا لِلْقُبُورِ عَسَاكِرًا
وَتُرَدُّفُ أَعْوَادُ الْمَنَايَا فَوَارِسًا
إِذَا أَمَلُ أَرْخَى لَنَا مِنْ عِنَانِهِ
غَدَا أَجَلٌ عَمَّا نَحَاوُلُ حَابِسًا
أَرَى الْغُضْنَ لَمَّا اجْتُنَّتْ وَهُوَ بِمَائِهِ
رَطِيبًا وَمَا إِنْ أَصْبَحَ الْغُضْنَ يَابِسًا

نَشِيدُ قُصُوراً لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً
وَنَصِيرُ مَا شِئْنَا فُتُوراً دَوَارِساً
وَقَدْ نَعَتِ الدُّنْيَا إِلَيْنَا نَفُوسَنَا
بِمَنْ مَاتَ مِنَّا لَوْ أَصَابَتْ أَكَايِساً
لَقَدْ ضَرَبْتَ كِسْرَى الْمُلُوكِ وَتُبَّعَا
وَقِيَصَرَ أَمْثَالاً فَلَمْ نَرَ قَائِساً
نَرَى مَا نَرَى مِنْهَا جَهَاراً وَقَدْ غَدَا
هَوَاهَا عَلَى نُورِ الْبَصِيرَةِ طَامِساً
وَقَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا لَنَا الْمَوْتُ وَاعِظاً
وَهَيْهَاتَ مَا نَزْدَادُ إِلَّا تَقَاعُساً

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا
فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ انْقَسَمُوا قِسْمَيْنِ قِسْمٌ
جَعَلُوا غَايَتَهُمُ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالتَّمَتُّعُ بِمِلَادِ الدُّنْيَا مِنْ مَسَاكِنَ وَمَلَابِسَ
وَقَضَاءِ وَطَرٍ وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الْغَايَةِ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أُخْرَى فَهُمْ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ
يَصْرُمُونَ أَعْمَارَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا مَا وَسِعَهُمُ التَّمَتُّعُ فَمَا بَعْدَ نَظَرِهِمُ الْكَلِيلِ الْحَسِيرِ
وَقُلُوبِهِمُ الْمَيِّتَةِ إِلَّا الْعَدَمَ وَالْفَنَاءَ .

وَهَؤُلَاءِ هُمْ جُنْدُ الشَّيْطَانِ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ وَأَشَقَّاهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَذَرْنِي
وَالْمَكْذِبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَهَلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ فَهُمْ صَارُوا كَالْأَنْعَامِ لَا يَخْتَلِفُونَ
عَنْهَا إِلَّا فِي الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَالْأَفْئِدَةِ فِي دُخُولِهِمُ النَّارَ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا

﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

تِلْكَ هِيَ غَايَةُ هَذَا الصَّنْفِ أَمَّا مَرْكَزُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَهُوَ مَرْكَزُ الْأَفْسَادِ وَالْأَضْلَالِ وَمَا لَهُمْ جَمِيعًا دُخُولُ النَّارِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادِ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ .

الصَّنْفُ الثَّانِي الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقِيقَةَ وَالْغَايَةَ الَّتِي خُلِقُوا لَهَا عَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أَيْقَنُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ فَعَايَتُهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ عِبَادَةُ اللَّهِ .

وَمِنْهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَعِمَارَةُ الْأَرْضِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَهِدَايَةُ الْخَيَارِ إِلَى الْحَقِّ وَقِيَادَتُهُمْ فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَرَاءَهَا الْغَايَةُ الْعُظْمَى وَالْعُلْيَا وَهِيَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحْدَهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينُ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

هَذِهِ مُهِمَّةُ الْمُسْلِمِ وَغَايَتُهُ فِيهَا عِبَادَةُ اللَّهِ وَحَدَهُ وَجَهَادُهُ فِي سَبِيلِهِ يُجَاهِدُ
نَفْسَهُ حَتَّى يَحْمِلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْعِدَهَا عَنِ الْمَعْصِيَةِ جُهْدَهُ وَيُجَاهِدُ بِقَلَمِهِ
وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَبَدَنِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ وَيَسْتَنِيرَ الْبَشَرُ بِنُورِ
الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ لِهَذِهِ الْمُهْمَّةِ الْخَطِيرَةِ مُهِمَّةٌ دَلَالَةُ النَّاسِ وَقِيَادَتُهُمْ
وَلِإخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَلَا جَبَالَ لِلتَّخْلِي عَنْ هَذِهِ الْمُهْمَّةِ الشَّرِيفَةِ
هَذِهِ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَلَا يُعْذَرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ .

فَالَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ مُسْلِمٌ عَلَيْهِ أَنْ يُبَلِّغَ وَيَدْعُو وَيُؤَدِّي هَذِهِ الشَّهَادَةَ لِهَذَا
الدِّينِ شَهَادَةً تُؤَيِّدُ حَقَّ هَذَا الدِّينِ فِي الْبَقَاءِ وَيُؤَيِّدُ الْخَيْرَ الَّذِي يَحْمِلُهُ هَذَا
الدِّينُ لِلْبَشَرِ .

وَهُوَ لَا يُؤَيِّدُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ تَمَامًا حَتَّى يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ خُلُقِهِ
وَمِنْ سُلُوكِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ صُورَةً لِهَذَا الدِّينِ صُورَةً يَرَاهَا النَّاسُ فَيَرُونَ فِيهَا
مَثَلًا رَفِيعًا يَشْهَدُ لِهَذَا الدِّينِ الْأَسْلَامِيِّ بِالْأَحْقَاقِ فِي الْوُجُودِ بِالْخَيْرِ
وَبِالْأَفْضَلِيَّةِ عَلَى سَائِرِ مَا فِي الْأَرْضِ .

فَالشَّهَادَةُ فِي النَّفْسِ أَوَّلًا بِمُجَاهَدَتِهَا حَتَّى تَكُونَ تَرْجَمَةً لَهُ تَرْجَمَةً
حَيَّةً فِي شُعُورِهَا وَسُلُوكِهَا حَتَّى صُورَةُ الْإِيمَانِ فِي هَذِهِ النَّفْسِ فَيَقُولُوا مَا
أَطْيَبَ هَذَا الْإِيمَانِ وَمَا أَحْسَنُهُ وَمَا أَرْكَاهُ .

وَهُوَ يَصْنَعُ أَصْحَابَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْخُلُقِ وَالْكَمَالِ فَتَكُونُ
هَذِهِ شَهَادَةٌ لِهَذَا الدِّينِ فِي النَّفْسِ يَتَأَثَّرُ بِهَا الْآخَرُونَ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِدَعْوَةِ
النَّاسِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَزِيَّتِهِ بَعْدَ تَمَثُّلِ هَذَا الْفَضْلِ .

وَهَذِهِ الْمَزِيَّةُ فِي نَفْسِ الدَّاعِيَةِ فَمَا يَكْفِي أَنْ يُؤَدِّيَ الْمُؤْمِنَ الشَّهَادَةَ
لِلْإِيمَانِ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا النَّاسَ وَمَا يَكُونُ قَدْ أَدَّى
الدَّعْوَةَ وَالتَّبْلِيغَ وَالْبَيَانَ قَالَ تَعَالَى ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ الْآيَةُ .

ثُمَّ الشَّهَادَةُ لِهَذَا الدِّينِ بِمُحَاوَلَةِ إقْرَارِهِ فِي الْأَرْضِ مِنْهَجًا لِلْجَمَاعَةِ
الْمُؤْمِنَةِ وَمِنْهَجًا لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا وَالْمُحَاوَلَةُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ الْفَرْدُ مِنْ وَسِيلَةٍ
وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ الْجَمَاعَةُ مِنْ وَسِيلَةٍ .

فَإِقْرَارُ هَذَا الْمَنْهَجِ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ هُوَ كُبْرَى الْأَمَانَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ
الذَّاتِيِّ وَلَا يُعْفَى مِنْ هَذِهِ الْأَمَانَةِ الْأَخِيرَةِ فَرْدٌ وَلَا جَمَاعَةٌ وَمِنْ ثَمَّ فَالْجِهَادُ
مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أ هـ .

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ
الْأَشْرَارِ وَاعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيمُ
يَا سَتَّارُ يَا حَلِيمُ يَا جَبَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

لَقَدْ عَفَتْ مِنْ دِيَارِ الْعِلْمِ آثَارُ
فَأَصْبَحَ الْعِلْمُ لَا أَهْلُ وَلَا دَارُ

يَا زَائِرِينَ دِيَارِ الْعِلْمِ لَا تَفِدُوا
فَمَا بِذَاكَ الْجَمَى وَالْدَّارِ دِيَارُ
تَرْحَلِ الْقَوْمُ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّ بِهِم
مُشَمِّرٌ مِنْ حُدَاةِ الْبَيْنِ سَيَّارُ
قَدْ أَوْرَدَ الْقَوْمَ حَادِيَهُمْ حِيَاضُ رَدَى
فَمَا لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَرْدِ اضْطَارُ
لَهْفِي عَلَى سُرْجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِئَتْ
وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَّاسِ أَنْوَارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا صَبَرُوا
وَهَكَذَا طَالِبُ الْعِلْمِ صَيَّارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا عَدَلُوا
بَيْنَ الْأَنَامِ وَمَا حَابُوا وَلَا جَارُوا
مَالُوا يَمِينًا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا
لِأَنَّهَا فِي عُيُونِ الْقَوْمِ أَقْدَارُ
وَصَاحِبُوهَا بِأَجْسَادِ قُلُوبِهِمْ
طَيَّرَ لَهَا فِي ظِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ
هُمُ الَّذِينَ رَعَوْا لِلْعِلْمِ حُرْمَتَهُ
لِلْعِلْمِ بَيْنَهُمْ شَأْنٌ وَمِقْدَارُ
صَانُوهُ طَاقَتَهُمْ عَنْ مَا يُدْنِسُهُ
كَمَا يَصُونُ نَفِيسَ الْمَالِ تُجَارُ
وَأَحْسِنُوا فِيهِ تَضَرُّيفًا لِأَنَّهُمْ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَوْفِيقٌ وَإِقْدَارُ
رَأَوْهُ كَالنَّجْمِ بَعْدًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ
بَاعٌ قَصِيرٌ وَفَهُمْ فِيهِ إِقْصَارُ

اللهم اَلْهِمْنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَاقَاضِي الْحَاجَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيهَا تَمْنِيَانِهِ وَأَمْلِنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ ، أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٦ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ الزَّانَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ فِيهِ فَسَادًا لِلزَّانِي وَالزَّانِيَةِ أَمَّا فَسَادُهُ لِلزَّانِيَةِ فَهُوَ وَاضِحٌ لِأَنَّهَا بِذَلِكَ الْجُرْمِ الْعَظِيمِ - جُرْمِ الزَّانَا - تَجِدُ حَلَاوَةً ، فَتَفْسِدُ كُلُّ مَنْ اتَّصَلَ بِهَا ، فَيُضْبِحُونَ فِي تَعَلُّقِهِمْ بِالنِّسَاءِ كَالْكَلْبِ الْمَسْعُورِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُفْسِدُ فِرَاشَ زَوْجِهَا إِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَرُبَّمَا ادْخَلَتْ عَلَيْهِ أَوْلَادًا مِنَ الزَّانَةِ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ طَوْلَ حَيَاتِهِ وَيَرْتُونَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَتَفَوِّطُونَ حَرَمَ الزَّوْجِ ، وَرُبَّمَا تَوَلَّوْا عَقْدَ نِكَاحٍ لَهُنَّ ، أَوْ صَارُوا مَحَارِمَ لَهُنَّ فِي حَجٍّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ نَسَأُلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَمِنْ جِهَةٍ فَسَادِ الزَّانِي ، فَإِنَّهُ بِالزَّانَا يَنْكَلِبُ ، وَيَتَوَلَّعُ فِيهِ ، وَكُلُّ أَنْثَى يَتَعَدَّى عَلَيْهَا يَحْلُو لَهَا هَذَا السَّفَاحُ فَتَفْسِدُ كَالْأُولَى كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ تَنْبَهُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا غَافِلِينَ فَيَفْسِدُونَ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرَاتٍ وَهَكَذَا فَالزَّانِي لِيَصُرَّ يَسْرِقُ ثَرَوَةَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادٍ يَعُولُونَهُمْ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَعَدَّى عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَقَدْ أَفْسَدَ حَيَاتَهَا ، بِهَتِكِ عِرْضِهَا ، وَصَرَفَ أَنْظَارَ رَاغِبِي الزَّوْاجِ عَنْهَا ، فَتَعِيشُ بَعْدَ جُرْمِ الزَّانَا عَيْشَةً ذُلٍّ وَهَوَانٍ لَا زَوْجَ يُحْصِنُهَا وَلَا عَائِلَ يَعُولُهَا هَذَا مُضَافًا إِلَى سُوءِ السُّمْعَةِ وَالْإِلَى الْجَنَائَةِ عَلَى شَرَفِهَا وَأَهْلِهَا فَيَقْفُونَ مِنْهُ

مَوْقِفَ الْأَنْتِقَامِ غَالِبًا وَرُبَّمَا قَضَوْا عَلَيْهِ أَوْ عَلَى إِبْتِهَامٍ وَأَنْ لَمْ يَقْضُوا وَثَبَتْ
ذَلِكَ بِطَرِيقِ الشَّرْعِ فَإِمَّا جَلْدُ مِائَةٍ ، وَإِمَّا رَجْمٌ يُؤَدِّي بِالنَّفْسَيْنِ ، هَذَا
عَاقِبَةُ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ عَصَمَنَا اللَّهُ وَإَيَّاكُمْ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي فَعَلَى
الْأَنسَانِ أَنْ يُفَكِّرَ وَيَعْرِفَ عَوَاقِبَ الْجَنَائِيَّاتِ عَلَى الْأَعْرَاضِ لِيَحْذَرَ
وَيَحْذَرَ عَنْهَا أَجْنَبِيَّةً أَوْ قَرِيبَةً وَلَا أَذْرِي كَيْفَ يُقَدِّمُ الزَّانِي عَلَى الزَّانَا وَهُوَ
يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ وَأَنَّ جَزَاءَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ
تَوْبَةً نَصُوحًا الْهَاسِيَّةُ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْهَا وَلَا أَذْرِي كَيْفَ يَزْنِي وَهُوَ لَا
يَشُكُّ أَنَّهُ سَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ كَانَ الزَّانَا مِنْ
أَعْمَالِهِ فَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى عَلَى مَحَارِمِهِ وَلَا يُرْغَبُ فِي مُصَاهَرَتِهِ وَلَا مُجَاوَرَتِهِ
وَلَا مُشَارَكَتِهِ وَلَا مُعَامَلَتِهِ وَلَا الْأَجْتِمَاعَ مَعَهُ فِي مَحَلٍّ عَمَلِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ، وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ﴿ إِذَا ظَهَرَ الزَّانَا وَالرَّبَا فِي قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ ﴾
رَوَاهُ الْحَاكِمُ اللَّهُمَّ احْمِنَا مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ صِفَاتِ الشَّرِّ وَخِصَالَ السُّوءِ مَا وَجَدَتْ فِي قَوْمٍ إِلَّا كَانُوا أَهْلًا لِعُزَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ فَاسْتَحَقُّوا الشَّقَاءَ وَالذِّلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنَّ مِنْ أَفْبَحِ الْخِصَالِ وَأَشْنَعِ الْخِلَالَ الْغِيْبَةَ وَالنَّمِيْمَةَ وَقَدْ انْهَمَكَ النَّاسُ فِيهِمَا وَصَارَتْ مَجَالِسُهُمْ لَا تَعْمُرُ إِلَّا بِهِمَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ الْكَلِمَةَ لِيُفْرِجَ بِهَا مِنْ كُرْبِهِ وَيُخَفِّفَ بِهَا مِنْ آلامِهِ فَيَنْقُلُهَا إِلَى صَاحِبِهَا قَصْدَ الْإِقَاعِ بِهِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ يَا عِبَادَ اللَّهِ غَايَةُ الدَّنَاءَةِ ، وَمُنْتَهَى الْخِسَّةِ وَالنَّدَالَةِ وَاللَّامَةِ ، الْأَشْهَامَةُ تَحْمِلُ النَّمَامَ عَلَى كِتْمَانِهِ سِرُّ أَخِيهِ إِلَّا مَرْوَةً تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْمَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، إِنَّ النَّمَامَ لَا يَعْرِفُ لِلشَّهَامَةِ سَبِيلًا ، وَلَا لِلْمَرْوَةِ طَرِيقًا ، إِنَّ مَنْ يَنْمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِيُبَدِّلَ الْوَدَّ جَفًا وَيُبْغِضَ وَالصَّفْوَ كَذْرًا وَحَقْدًا وَيَفْتَحَ أَبْوَابَ الشُّرُورِ وَالْجَنَائِيَّاتِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ ، وَاشْدِ الرِّزَايَا عَلَى هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي ، وَكَذَلِكَ الْغِيْبَةُ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ فِي أَخِيكَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَأَنْتَ لَهُ بِهَا مُغْتَابٌ وَهُوَ لَا يَكْرَهُ كَلِمَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً عَيْبًا ، ذَلِكَ الْعَيْبُ الَّذِي أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُكْشِفَهُ لِلنَّاسِ تُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يَحْقِرُوهُ وَيَزْدَرُوهُ وَيَحْتَرِسُوا مِنْهُ أَنْ يَكُونَ يَوْمًا لَهُمْ مِنَ الْأَصْحَابِ أَنْتَ تُرِيدُ مِنْهُمْ أَنَّهُ أَنْ خَطَبَ مِنْهُمْ مَنَعُوهُ لِتَحْقِيقِكَ إِيَّاهُ عِنْدَهُمْ تُرِيدُ مِنْ غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يُبْعَدَ مِنْهُمْ وَيَكُونَ مُنْطَوِيًّا عَنْهُمْ لِمَا لَقِيتَهُمْ مِمَّا ذَكَرْتَهُ فِيهِ وَيَكُونَ فِي وَخْشِيَةٍ مِنْهُمْ وَتُرِيدُ مِنْ غِيْبَتِكَ أَنَّهُ إِذَا احْتَاجَ لَا يُدْلِي عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يَقْضِي فِيهِ حَاجَتَهُ بَلْ تُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ إِذَا سَلَّمَ لِمَا عِنْدَهُمْ لَهُ مِمَّا لَقِيتَهُمْ مِنَ الْأَزْدِرَاءِ وَالْإِحْتِقَارِ وَإِنْ كَانَ صَانِعًا فَيَسْبَبُ

غَيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يَجْهُوا صَنْعَتَهُ فَتَقِفْ ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا فَتَرِيدُ بِعَيْبَتِكَ أَنْ تَخْسَرَ
تِجَارَتَهُ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، وَتَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ أَوْ بَنَاتٌ يُرْغَبُ فِي
تَزْوِجِهِمْ أَنْ يَأْنَفَ النَّاسُ مِنْهُمْ فَيُؤْرُونَ ، هَذَا وَاللَّهِ شَيْءٌ يُؤْلِمُ النَّفْسَ
الزَّكِيَّةَ لَأَنَّهَا مَضَارٌّ عَظِيمَةٌ جَدًّا تَنْزِلُ بِمَنْ تَغْتَابُهُ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ
الْمُغْتَابَ وَأَنْ يَرُدَّهُ خَائِبًا وَلَا يَظُنُّ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَّا خَيْرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شِعْرًا :

حَيَاتِكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ بَقَاؤُهَا
وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيدٌ عَنَاؤُهَا
وَلَا خَيْرَ فِيهَا غَيْرَ زَادٍ مِنَ التَّقَى
يُنَالُ بِهِ جَنَاتٌ عَذْنٍ وَمَاؤُهَا
بَلَى إِنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطِيَّةٌ
عَلَيْهَا بُلُوغُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَاؤُهَا
وَمَنْ يَزْرَعِ التَّقْوَى بِهَا سَوْفَ يَجْتَنِي
ثَمَارًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا
نُؤْمِلُ أَنْ نَبْقَى بِهَا غَيْرَ أَنَّنَا
عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الْمَمَاتَ انْتَهَاؤُهَا
فَكُنْ أَهْلًا لِلْإِنْسَانِ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
يَلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بَهَاؤُهَا
وَجَانِبَ سَبِيلِ الْغِيِّ وَاتْرِكْ مَعَاصِيًا
يُذِيكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَهَاؤُهَا

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٨ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيهِ الْفَسَادُ مَبْلَغًا مَا كَانَ يَدُورُ فِي خَلْدِ
إِنْسَانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى الْمَعَاصِي مُطْمَئِنِّينَ
وَخَفَتْ عَلَيْهِمْ جِدًّا أَنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هَيَّائِينَ وَسَهْلَ كُلِّ
السُّهُولَةِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْتَحِمُوا حَتَّى مُوَبَقَاتِ الْأَوْزَارِ غَيْرَ خَائِفِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَلَا مُبَالِغِينَ بِنَوَاهِيهِ .

وَلَعَلَّ زَمَنَنَا هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الْقَابِضِ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجَمْرِ وَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « بَدَأَ
الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ بْنِ مَسْعُودٍ بزيادةٍ فِي
أَخْرَجَهُ وَهِيَ - قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ قَالَ « التَّرَاْعُ مِنَ الْقَبَائِلِ »
وَأَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرِ الْأَجْرِيُّ وَعِنْدَهُ - قِيلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « الَّذِينَ
يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ » .

وخرجه غيره وعنده قال « الَّذِينَ يَقْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ » وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ « إِنَّ الَّذِينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَرَجُعُ غَرِيبًا فطوبى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُتْتِي » وفي حديثه قيل ومن هم يا رسول الله قال « الَّذِينَ يُصْلِحُونَ حِينَ فَسَادِ النَّاسِ » .

أما الحديث الأول فهو واضح ومنطبق كل الانطباق على هذا الزمان فيما أرى والله أعلم وذلك أنك ترى الشر والفساد في كل مكان منتشرًا والخير نادر الوجود فالفتن في البيوت والأسواق والدكاكين والسيارات والقطارات والطائرات فتن شهوات نساء سافرات وفتن شكوك وإلحاد وشبهات من أناس منحرفين وكتب ضلال ومجلات تحمل في طيها البلايا والشرور وفذيوات تعلم الفساد أبلغ تعليم وتهيج عليه ، حدث فتن يرقق بعضها بعضاً وحوادث الأخرى أعظم من الأولى ومن أعظم ما حدث كثرة الخدامين والخدمات والسواقين والطباخين والمرسين فإن ضررهم عظيم على الدين والأخلاق والدنيا . فأنتبه يا من زين له سوء عمله وأتى بكفار أعداء الله ورسوله والمؤمنين وأمنهم على محارمه خدامين أو سواقين أو مربين أو نحو ذلك عياداً بالله من ذلك .

يا غافلاً عن ساعة مقرونة بنواذب وصواريخ وثواب
 قدّم لنفسك قبل موتك صالحاً
 فالموت أسرع من نزول الهاطل
 ختام سمعك لا يعي لمذكر
 وصميم قلبك لا يلين لعادل

تُبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا
يَكْفِيكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الرَّاحِلِ
أَيُّ الْكِتَابِ يَهْزُ سَمْعَكَ دَائِمًا
وَتَصُمُّ عَنْهَا مُعْرِضًا كَالْغَافِلِ
كَمْ لَلَّالِهِ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمٍ تُرَى
وَمَوَاهِبٍ وَفَوَائِدٍ وَفَوَاضِلِ
كَمْ قَدْ أَنَالَكَ مِنْ مَوَانِحِ طَوْلِهِ
فَأَسْأَلُهُ عَفْوًا فَهُوَ غَوْثُ السَّائِلِ
اللَّهُمَّ مَكَّنْ حُبَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِثَالِ
طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢٩ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ تَكَبَّرَ أَذَلُّهُ وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَالْمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمْ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَكَبِّرُونَ
شِرَارَ الْخَلْقِ وَأَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْفَرِيٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ ، الْمُتَكَبِّرُ يَسْمَعُ بِأَنْفِهِ إِذَا
تَكَلَّمَ ، وَيُجَافِي مِرْقِيَهُ عَنْ جَنْبِيهِ لَاوِيًا عُنْقَهُ ، يَقَارِبُ خُطَاهُ إِذَا مَشَى ،
مُتَطَوِّلًا عَلَى إِخْوَانِهِ ، مُتَرَفِّعًا عَلَى أَقْرَانِهِ ، يَنْظُرُ النَّاسَ شِرْرًا بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ ،
مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِمْ إِذَا مَشَى ، مُخْتَقِرًا لِلْعَامَّةِ ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمِيرِ
اسْتَجْهَالًا مِنْهُ لَهُمْ ، فَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ لَا

يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَهُوَ رَأْسُ أَخْلَاقِ الْمُتَّقِينَ ، وَلَا
يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقْدِ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصَّدْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ
الْغَضَبِ ، وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ، وَلَا يَسْلِمُ مِنَ الزُّدْرَاءِ بِالنَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ
وَلَا يَسْلِمُ مِنْ اغْتِيَابِهِمْ ، وَتَنْقُصِهِمْ ، لِأَنَّ فِيهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَبَرِيَّاءِ ، مَا
يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ وَالْعَظَمَةِ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ ،
لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ ، وَمَا مِنْ خُلُقٍ مَحْمُودٍ إِلَّا وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ
يَقُوتَهُ عِزُّهُ وَعَظَمَتُهُ ، وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ، وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وَمِنْ تَعَالِيمِ
رَبِّنَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِقَوْلِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ فَيَا أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ
النَّاظِرُ فِي عِظْفَيْهِ ، الْمُتَعَاطِظُ فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ شَأْنَكَ حَقِيرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيرٌ
وَلَسْتَ بِمَحْسُوبٍ فِي الْعِيزِ ، وَلَا فِي النَّفِيرِ ، وَمَا لَكَ عِنْدَ عَاقِلٍ مِنْ حِسَابٍ ،
وَلَا تَقْدِيرٍ ، لَا قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَهَوْنٌ عَلَيْكَ ، وَارْفُوقٌ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ ،
يَا مُسْكِنٍ وَتَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وَذُمَّ الْكِبَرُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ ، وَالْمُتَكَبِّرُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِنَفْسِهِ ، وَلِلنَّاسِ ، يُقَصِّرُ فِي الْوَاجِبِ وَيَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ
فِي الْكَلَامِ ، وَيَتَأَلَّقُ فِي اللَّبَاسِ ، وَإِنَّهُ لَثَقِيلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وَسَكَنَاتِهِ ،
بَغِيضٌ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، وَمُؤَاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ
لِمَنْ صَاهِرُهُ أَوْ شَارَكَهُ أَوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لِأَنَّ دَاءَ الْكِبَرِ يُعْدِي وَيَسْرِي فَتَبْعُدُ
السَّلَامَةُ مِنَ الْمُقْتَرَبِ مِنْهُ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَعَمَزَ

وَمِنْ آثَارِ الْكِبَرِ تَصْغِيرُ الْخَدِّ ، وَالنَّظَرُ شَزْرًا ، وَاطْرَاقُ رَأْسِهِ ، وَجُلُوسُهُ مُتَرَبِّعًا أَوْ مُتَكِنًا .

وَتَظْهَرُ الْكِبَرُ أَيْضًا فِي أَقْوَالِ الْمُتَكَبِّرِ حَتَّى فِي صَوْتِهِ وَنَعْمَتِهِ وَصِيغَةِ كَلَامِهِ فِي الْإِيرَادِ وَقِيلَ لِإِحْمَقَ تَكَبَّرَ وَقَامَ سَاخِطًا عَلَى اسْتَاذِهِ لِمَاذَا قُمْتَ فَقَالَ دَخَلْتُ وَلَمْ يَحْتَرَمْنِي وَجَلَسْتُ فَلَمْ يُكْرِمْنِي وَلَمْ يَذَرِ مَنْ أَنَا وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ جَنْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةٌ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِرَاءٌ ، وَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِنْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْبَوْلَ وَالْعَذْرَةَ ، هَذَا أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّهُ دَنَسَ جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكْرَةً مُمْتَلِكًا كِبْرًا وَإِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَسُمْعَةٍ ، وَرِيَاءٍ ، وَلُؤْمًا وَشُؤْمًا وَشَرًّا فَهُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالذُّخَانِ يَمَلَأُ الْقَضَاءَ وَيَتُّكُ صُدُورَ النَّاسِ وَأَضْلُهُ مِنَ الْقَمَامَاتِ وَالْأَوْسَاحِ الْمُبْعَثَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُقَلِّلَ هَذَا النُّوعَ الْمُنْحَطَّ وَأَنْ يَكْثُرَ ضِدُّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوَاضُعِ وَاللِّينِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمَتَّقِينَ ﴾ : اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْآخِيَارَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنَا الْجَنَّةَ مَعَ أَوْلِيَائِكَ الْأَبْرَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَالْكَبَرُ آثَارُ تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ كُلِّهَا تَدُورُ حَوْلَ ذَلِكَ النَّظَرِ ، فَتَرَى الْمُتَكَبِّرَ إِنْ سَمَحَ بِمَمَشَاهُ مَعَ النَّاسِ يَكُونُ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِمْ ، حَرِيصًا جِدًّا أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ خَلْفَهُ ، وَتَرَاهُ إِنْ جَلَسَ مَعَهُمْ وَرَضِيَ أَنْ يَكُونُوا جُلَسَاءَهُ ، مُحْتَفِظًا بِصَدْرِ الْمَجْلِسِ مُسْتَقِيلًا بِهِ وَيَسْرُهُ أَنْ يُصْغَوْا إِلَى كَلَامِهِ ، وَيُؤَلِّمُهُ كَلَامُ غَيْرِهِ وَتَجِدُهُ يَنْتَظِرُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَتَلَقَّوْا كَلَامَهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ .

(وَلَوْ كَانَ إِذْرَاكَ الْهُدَى بِتَذَلُّلٍ
رَأَيْتَ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى)

وَيَظْهَرُ أَيْضًا أَثَرُ الْكِبَرِ فِي مَشْيِهِ وَتَبَخُّرِهِ وَقِيَامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ
وَسَكَنَاتِهِ وَفِي تَعَاطِيهِ لِأَفْعَالِهِ ، وَفِي سَائِرِ تَقْلُبَاتِهِ فِي أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ
وَأَعْمَالِهِ .

وَفِي كِتَابِ الْخُمُولِ وَالتَّوَاضُّعِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ
قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ الْحَسَنِ ، إِذْ مَرَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْأَهْتَمِ يُرِيدُ الْمَنْصُورَ وَعَلَيْهِ
جُبَابٌ خَزْ ، قَدْ نَصَدَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى سَاقِهِ ، وَانْفَرَجَ عَنْهَا قَبَاؤُهُ وَهُوَ
يَمْشِي وَتَبَخُّرٌ ، إِذْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ نَظْرَةً فَقَالَ : أَفَبُ أَفَبُ ، شَامِخٌ بِأَنْفِهِ ثَانِي
عِطْفِيهِ ، مُصَعَّرٌ خَدَّهُ ، يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ أَيُّ حِمِيْقٍ يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ فِي نَعَمٍ غَيْرِ
مَشْكُورَةٍ وَلَا مَذْكُورَةٍ ، غَيْرِ الْمَاخُوذِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَا الْمُؤَدِّيَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا
وَاللَّهُ أَنْ يَمْشِيَ أَحَدُهُمْ طَبِيعَتَهُ يَتَلَجَّلَجُّ تَلَجَّلَجُّ الْمَجْنُونِ فِي كُلِّ عَضُومِهِ نَعْمَةٌ
وَلِلشَّيْطَانِ بِهَا لَعْنَةٌ ، فَسَمِعَهُ ابْنُ الْأَهْتَمِ ، فَرَجَعَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَا تَعْتَذِرْ إِلَيَّ
وَتُبَّ إِلَى رَبِّكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ
تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ .

اللهم أَمْنُنْ عَلَيْنَا بِأَصْلَاحِ غُيُوبِنَا وَاجْعَلْ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ
اجْتِهَادَنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاعْتَمَادُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ الْقُلُوبُ مَوْضِعَ الْعِنَايَةِ التَّامَّةِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ » وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَبْدَأُ الْحَرَكَاتِ الْبَدَنِيَّةِ ، وَالْإِرَادَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ، فَإِنْ صَدَرَتْ مِنَ الْقُلُوبِ إِرَادَةٌ صَالِحَةٌ تَحَرَّكَ الْبَدَنُ حَرَكَةً طَاعَةٍ ، وَإِنْ صَدَرَتْ عَنْهَا إِرَادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحَرَّكَ الْبَدَنُ حَرَكَةً فَاسِدَةً ، فَهُوَ كَمَلِكٍ وَالْأَعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةَ تَصْلَحُ بِصَلَاكِ الْمَلِكِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وَكَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ كَمَا كَانَ سَلَفُنَا فِي الْعِنَايَةِ بِهَاتِيكَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ بِهَا سَعَادَتُنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ وَالَّذِي كَانَ مِنَّا أَنَّنَا أَهْمَلْنَا قُلُوبَنَا إِهْمَالًا تَتَجَرَّحُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَتَذُوبُ لَهُ الْأَكْبَادُ وَلِذَلِكَ نَشَأُ فِينَا نَتِيجَةُ الْإِهْمَالِ كَثْرَةُ الْأَمْرَاضِ فِي الْقُلُوبِ وَتَشَعُّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعَبَ شِفَاؤُهَا ، وَانْعَدَمَ أَطْبَاؤُهَا وَمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَهُوَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ .

فَمِنْ الْأَمْرَاضِ الَّتِي أَرْمَنْتَ فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الرِّيَاءِ الَّذِي لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا النَّوَادِرُ ، وَمِنْ الْأَمْرَاضِ الَّتِي أُصِيبْنَا بِهَا مَرَضُ الْعُجْبِ ، وَلِهَذَا يَعْتَقَدُ الصَّغِيرُ مِنَّا وَالْكَبِيرُ الْكَمَالَ فِي نَفْسِهِ وَمَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ هَوَى لَأَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضًا آخَرَ هُوَ مَرَضُ الْكِبَرِ وَصِفُ الْأَنْدَالِ وَالْأَرْدَالِ وَالْجُهَالِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ بَعَيْنِ الرِّضَا وَالْكَبِيرُ يَنْشَأُ عَنْهُ مَرَضُ الْحَسَدِ وَالْحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ خَلْقِهِ ، وَالْحَسَدُ يُؤَلِّدُ الْحَقْدَ الَّذِي رُبَّمَا حَمَلَ صَاحِبُهُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَّا مَا أَوْلَاهُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ ، وَلَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِنَ الْأَمْرَاضِ بَلْ فِيهَا مَرَضُ الْبُخْلِ

وَالشَّحُّ الَّذِي وَصَلَ بِنَا إِلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ أَوْ بَعْضِهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكُلُّهَا
 أَمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، وَنَحْنُ لَا نَهْتَمُّ بِقُلُوبِنَا وَلَا بِأَمْرَاضِهَا وَإِنَّمَا نَهْتَمُّ بِأَمْرَاضِ
 أَجْسَامِنَا ، وَنُبَادِرُ فِي عِلَاجِهَا إِلَى الْمُسْتَشْفَيَاتِ ، وَأَمْرَاضُهَا يَسِيرَةٌ بَسِيطَةٌ
 بِالنُّسْبَةِ إِلَى أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ ، وَنَهْتَمُّ أَيْضًا بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِينِ
 مَلَابِسِنَا وَمَرَائِكِبِنَا وَمَسَاكِينِنَا وَمَجَالِسِنَا وَأَبْدَانِنَا ، أَنْظُرْ إِلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إِلَى مَقَرِّ
 الْعَمَلِ لِنَتَعَجَّبَ مِنْ تَغْفِيلِنَا وَانْخِدَاعِنَا ، وَلَوْ كَانَتْ عَنَانَتُنَا بِالْقُلُوبِ كَعَنَانَتِنَا
 بِالْمَلَابِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الْحَالَاتِ الْمَحْزَنَاتِ .

اللَّهُمَّ يَا جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ
 وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
 وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانَ وَالْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ
 وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيدِ وَالرِّزْقِ الْهَيِّئِ الَّذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي
 الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ وَلَا سُؤَالَ وَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
 فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
 تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصَ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ،
 فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣١ (مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ بَمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَنْ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ ، فَإِنَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ تُحِبُّوا رَسُولَهُ ﷺ الَّذِي لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُ لَكُنْتُمْ مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ تَلْتَهُبُ بِكُمْ أَبَدَ الْأَبَدِينَ ، وَأَنْ تُحِبُّوا أَحِبَّابَ اللَّهِ ، وَأَحِبَّابَهُ هُمُ الَّذِينَ لَزِمُوا طَاعَةَ مَوْلَاهُمْ وَتَبَاعَدُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ كَمَا يَتَبَاعَدُ الْإِنْسَانُ عَمَّا يَقْتُلُهُ مِنْ سُمٍّ وَنَحْوِهِ بَلِ السُّمُّ أَهْوَنُ وَأَخَفُّ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاصِي كَيْفَ لَا وَالْمَعَاصِي لَا تَسْلِمُ فَاعِلُهَا إِلَّا إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ إِنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ مَوْلَاهُ ، مَضَى فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْاسٌ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا بَارِئِينَ عَنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجُودُونَ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْجُودِ وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا

كَانُوا لِذَلِكَ يَحْزَنُونَ وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ يُحِبُّونَ رَسُولَهُمْ فَوْقَ مُحَبَّتِهِمْ لَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ حُبُّ أَحَدِهِمْ لِأَخِيهِ أَعْظَمَ مِنْ حُبِّهِ لِأَثَانِهِ وَمَالِهِ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ كَانُوا فِي كُلِّ الْمَنَافِعِ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خُلُقَ الْإِيثَارِ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ سَلَّ التَّارِيخُ عَنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَخْبَارًا مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يُخْبِرُكَ أَنَّهُمْ كَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ اعْتَرَفَ إِقْرَارًا وَإِذْعَانًا يُخْبِرُكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اتَّجَهُوا لِعَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزُ أَهْلُهَا وَيَنْهَزُ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةٌ عَظِيمَةٌ وَكَيْفَ لَا يُعْزَهُمْ رَبُّهُمْ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقَفًا عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ وَحُبِّ كُلِّ مَا يُرْضِيهِ مِنْ مَبَارٍّ ، هَؤُلَاءِ كَانُوا عِبِيدَ اللَّهِ عَبْدِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا عَبْدِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ الْعَبِيدِ عَدَا الرُّسُلَ الْكَرَامَ لِذَلِكَ كَانُوا يُحْنُونَ لَطَاعَتِهِ حِينًا لَا يَنْقُضِي عَجْبَهُ وَهُوَ مُخْلِصٌ وَشَدِيدٌ كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ بِالنَّهَارِ

فَيَسْتَقْبِلُونَ اللَّيْلَ بِعَزَائِمِهِمْ بَعَثَهَا هَمُّمْ عَالِيَةً ، لَا تَكِلُ وَلَا تَمَلُّ مِنَ الْعِبَادَةِ ،
 بَلْ هِيَ فِي الْعِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي الْبَحْرِ ، وَاللَّيْلُ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ وَمَنْ الَّذِي
 يَقُولُ إِنَّ الْحَيِّبَ يَشْبَعُ مِنْ خَدْمَةِ حَبِيبِهِ وَسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ
 خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ ،
 فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ الْفَائِقَةِ
 وَالطَّاعَةِ الْفَرِيدَةِ لِمَوْلَانَا .

اللهم يا عظيم العفو يا واسع المغفرة يا قريب الرحمة يا ذا
 الجلال والاکرام فرغنا لما خلقتنا له ، ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ،
 وهب لنا العافية في الدنيا والآخرة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه
 أجمعين .

٣٢ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ فَشُوا قُلُوبَكُمْ بِنَّانٍ وَائْتَادٍ ، وَابْحَثُوا عَمَّا تَغْلَغَلَ فِيهَا مِنْ
 الْأَضْغَانِ وَالْأَحْقَادِ ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَاجْتَهِدُوا وَاعْمَلُوا عَلَى
 سُرْعَةٍ إِرَازَاتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَأَعْرِضُوا بِكُلِّيَّتِكُمْ عَنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ
 وَوَسَاوِسِهِ ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ الْقَوِيِّ الْقَدِيرِ مِنْ هَمَزَاتِهِ وَهَوَاجِسِهِ ، فَإِنَّهُ لَا
 يُرِيدُ إِلَّا إِيقَاعَكُمْ فِي الْبَلَاءِ ، وَتَعْرِضُكُمْ لِسَخَطِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا
 يَضُرُّكُمْ إِنْ تَنَازَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُمْ ، وَتَجَاوَزْتُمْ وَصَفْحْتُمْ عَنْ أَسَاءِ
 إِلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ فِي صَفْحِكُمْ وَتَنَازُلِكُمْ ،
 وَبِذَلِكَ تَكُونُونَ قَدْ أَرْضَيْتُمْ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَابْعَدْتُمْ شَبَحَ الشَّرِّ
 عَنْكُمْ . وَعَنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ وَكُتُمُ أَصْحَابِ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ ، يَشْكُرُ

الله والناس لكم هذا الخلق الطيب الحميد ، ألا فاحرصوا عباد الله على
 الفضل العظيم ، وأقبلوا سراعاً إليه ، واكظموا غيظكم ، وابذلوا جهدكم
 في التغلب عليه ، واعلموا أن الجزاء من جنس العمل ، فالله يغفر من
 ذنوب العافين عن الناس ، ويمجد الكاطمين الغيظ ، ويتولاهم بالفضل
 والكرامة ، ويوزجهم من حور الجنان ما يشاؤون يوم القيامة ، ويدعوهم
 يوم القيامة على رؤوس الخلائق إلى تلك الكرامة ، ليعلم فضلهم ،
 ويشهد مجدهم القريب والبعيد . فإذا ما علمتم هذا فقارنوا بينه وبين ما
 يعامل الله به المشاحن الحقوق الحسود ، الذي أجاب داعي الشيطان ،
 وأعرض عن نصيحة ربه الذي خلقه ورزقه ، وسر له أموره ، وأصر على
 ما هو عليه من التقاطع والشحناء والصدود ، وسرّون أنه بعنايه وإبائه
 واستكباره قد خسر الدنيا والآخرة عرض نفسه في الدنيا ليقم الله
 المتعاقبة ، وأبقى لها بعد الموت جهنم يلقي فيها العذاب الأليم ، وقد
 ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن المتهاجرين المتشاحنين ،
 يعرض الله عنهما ، وإذا أفاض على خلقه رحمته كان الحرمان
 نصيبهما ، ولا يزالان هكذا . حتى يزيلا ما بينهما من الخصام ، ويعودا
 إلى ما كانا عليه من قبل من الصفاء والوئام ، والله سبحانه وتعالى غفور
 غفور : تفهموا يا إخواني جيداً ، وقرعوا قلوبكم بما سمعتم من الزواجر
 والعظات ، واعلموا أن أقرب المتصافين إلى الله أسبقهما إلى
 الصفح ، وتناسي ما فات ، وأعظمهما أجراً من بدأ بالسعي إلى إزالة
 الأضغان والأحقاد ، فإن استجاب خصمه للصّـلح ، ولم يتأخر ، فيها
 ونعمت ، واستحق نصيبه من الأجر والثواب ، وإن أبى وامتنع فقد
 احتمل الاثم والعقاب فاتقوا الله عباد الله ، واعملوا بهذه النصيحة ،

وَسَارِعُوا بِالْإِعْتِزَالِ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَجِيبُوا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَالرَّشَادِ ،
وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَهَلِّمُوا سِرَاعاً إِلَى مُصَافَاةٍ مِّنْ خَاصَمْتُمْ مِنْ
إِخْوَانِكُمْ ، وَبِذَلِكَ تَصُونُونَ يُّبُوتَكُمْ مِنَ الْخَرَابِ ، وَتَحْفَظُونَ أَمْوَالَكُمْ مِنْ
التَّلَاشِيِّ وَالذَّهَابِ ، وَتَرْجُونَ رِضَا رَبِّكُمْ وَعَفْوَهُ يَوْمَ الْبُعْثِ وَالْحِسَابِ ،
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، ﴿ إِنْ فِي
ذَلِكَ لَذِكْرَى ، لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ رَوَى أَبُو
دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلَاثٍ ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ
فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ ، وَإِنْ لَمْ
يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهَجْرِ » وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ
جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ .

« تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْنِ ، فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ ،
وَمِنْ تَائِبٍ فَيَتَابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضُّغَائِنِ بِضُغَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا » وَوَرَدَ
عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُفْقِدَهُ ،
دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ
مَا شَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٣٣ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ شَأْنَ الصَّلَاةِ عَظِيمٌ جِدّاً فِي دِينِنَا مَعِشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي
كُلِّ دِينٍ وَأَسْرَارُهَا الْعَظِيمَةُ وَبَرَكَاتُهَا الْعَمِيمَةُ وَفَوَائِدُهَا الْكَثِيرَةُ لَا تَخْفَى عَلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَلَيْسَتْ الصَّلَاةُ مُجَرَّدُ أَقْوَالٍ يَلُوكُهَا اللِّسَانُ وَحَرَكَاتُ تُؤَدِّيهَا الْجَوَارِحُ
بِلَا تَدَبُّرٍ مِنْ عَقْلِ وَلَا تَفْهَمٍ وَلَا خُشُوعٍ مِنْ قَلْبٍ لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِي يَنْقُرُهَا
صَاحِبُهَا نَقَرَ الدِّيَكَةِ وَيَخْطِفُهَا خَطْفَ الْغُرَابِ وَيَمُرُّ بِهَا مَرُّ السَّحَابِ كَأَنَّ وَرَاءَهُ
طَالِبٌ حَيْثُ وَيَلْتَفِتُ فِيهَا التِّفَاتُ الثَّغْلِبِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَفَوْقًا وَتَحْتَ .

كَلَّا فَالصَّلَاةُ الْمُقَامَةُ تَمَامًا هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ وَالْخَشْيَةِ
وَالْخُضُوعِ وَالسُّكُونِ وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ الْمَعْبُودِ جَلَّ جَلَالُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصْدَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ هُوَ تَذَكُّيرُ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ
الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .

وَالصَّلَاةُ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ تَقْوَى بِهَا مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ
قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي
طَاعَتِهِ وَكُلَّمَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ أَكْمَلُ فَلْيَزِنِ
الْعَبْدُ إِيمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ بِهَذَا الْمِيزَانِ وَالْيَنْظُرْ هَلْ هُوَ مُلْتَذِّذٌ بِخِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ أَوْ
مُتَكَرِّهٌ لَهَا يَأْتِي بِهَا عَلَى السَّامَةِ وَالْمَلَلِ وَالْكَرَاهَةِ فَهَذَا مَحَكُّ إِيمَانِ الْعَبْدِ
وَمَحَبَّتِهِ لِلَّهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي أَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَأَحْمِلُ هَمَّ خُرُوجِي مِنْهَا
وَيَضِيقُ صَدْرِي إِذَا فَرَعْتُ لِأَنِّي خَارِجٌ مِنْهَا وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُعِلَتْ قُرْتُ
عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَوَدُّ أَنْ يُفَارِقَهُ وَلَا يَخْرُجَ
مِنْهُ فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ الْعَبْدِ نَعِيمُهُ وَطِيبُ حَيَاتِهِ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي لَا فَرْحَ بِاللَّيْلِ حِينَ يُقْبَلُ لِمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ عِشْتِي
وَتَقْرُبُهُ عَيْنِي مِنْ مُنَاجَاةٍ مَنْ أَحَبُّ وَخَلَوْتِي بِخِدْمَتِهِ وَالتَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاعْتَمُ

لِلْفَجْرِ إِذَا طَلَعَ لِمَا اشْتَغَلَ بِهِ بِالنَّهَارِ عَنْ ذَلِكَ فَلَا شَيْءَ أَلْذُّ لِلْمُحِبِّ مِنْ خِدْمَةِ مَحْبُوبِهِ وَطَاعَتِهِ أَيْنَ هَؤُلَاءِ مَنْ لَذَّتْهُمْ وَأَنْسَهُمْ عِنْدَ الْمُنْكَرَاتِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَعَذَّبْتُ بِالصَّلَاةِ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَنَعَّمْتُ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً وَهَذِهِ اللَّذَّةُ وَالتَّنَعُّمُ بِالْخِدْمَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالمُصَابَرَةِ عَلَى التَّكْرَرِ وَالتَّعَبِ أَوَّلًا فَإِذَا صَبَرَ عَلَيْهِ وَصَدَّقَ فِي صَبْرِهِ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ سَقَتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَهِيَ تَبْكِي فَمَا زِلْتُ أَسْوِفُهَا حَتَّى أَنْسَأْتُ إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ أ . ه .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » .

وَقَالَ ﷺ إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ وَأُمِرَ بِالْحَجِّ وَأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَلِهَذَا كَانَتْ عُنْوَانًا عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ تَعَالَى « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ الْآيَةُ » .

وَالْمُرَادُ بِعِمَارَتِهَا بِالصَّلَاةِ وَالْقُرْبَاتِ وَقَالَ ﷺ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

وَجَاءَ ذِكْرُ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَأَثْنَى جَلًّا وَعَلَا عَلَى الْمُقِيمِينَ لَهَا وَالْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَمِنْ دُعَاءِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيمًا لَهَا قَالَ تَعَالَى : « رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » .

وَمَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيلَ قَالَ تَعَالَى « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » وَأَمَرَ جَلًّا وَعَلَا مُوسَى بِإِقَامَتِهَا أَوَّلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي سَاعَاتِ

الْوَحْيِ الْأَوَّلَى قَالَ تَعَالَى « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » وَقَالَ لَهُ وَلِهَارُونَ « أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ » .

وَفِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْآيَةُ وَيُنْطِقُ اللَّهُ عِيسَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُولُ « وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا » .

وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وَخَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا « اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ » وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » .

وَيَبْتَغُوا بِهَا أَوْصَافَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْتِمُ بِهَا فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ « وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ » .

وَيُؤَكِّدُ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَضْرًا وَسَفْرًا وَفِي الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ وَالسَّلَامِ وَالْحَرْبِ « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا » .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا عَمَّنْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ أَنَّ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ وَسُوءَ مَالِهِمْ شَرٌّ وَخُسْرَانٌ فَقَالَ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » .

وَجَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ الشُّعَارَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ فَقَالَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ وَقَالَ الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ

تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلَاةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ اهْتِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِتَوَجُّهِهِ الْمُحْتَظَرِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَكَذَلِكَ وَضَعُهُ فِي قَبْرِهِ مُتَّجِهَاً إِلَى الْقِبْلَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا الْجِهَةُ الَّتِي يَتَّجِهُ إِلَيْهَا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَى رَبِّهِ وَيَدْعُوهُ وَيُجَدِّدُ الصَّلَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي الصَّلَاةِ .

على الصوت الخمس حافظ فإنها لا كَذْ مَفْرُوضٍ على كل مُهْتَدٍ فلا رُخْصَةَ في تركها لِمُكَلِّفٍ وأول ما عنه يُحَاسَبُ في غَدٍ بإهمالها يَسْتَوْجِبُ الْمَرَّةَ قَرْنُهُ بِفِرْعَوْنَ مَعَ هَامَانَ فِي شَرِّ مَوْرِدٍ وَمَارَالَ يُوصِي بِالصَّلَاةِ نَبِيُّنَا لَدَى الْمَوْتِ حَتَّى كَلَّ عَنْ نُطْقٍ مِذْوُودٍ وَاللَّهُ أَعْلَمَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

٣٤ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ مَا بَالُ الْكَثِيرِ الْيَوْمَ لَا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لَا يُنْتَفِعُونَ ، أَفِي آذَانِهِمْ صَمَمٌ ، أَمْ هُمْ فِي الْأَمْرِ مُتَهَاوِنُونَ ، وَلَا يَشِيءُ شَيْءٌ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيهِمُ الْخُطْبَاءُ الْمُجِيدُونَ ، وَالْوُعَاظُ الْمُبْلَغُونَ ، وَيَذْكُرُونَهُمْ أَيَّامُ اللَّهِ فَلَا يَخْشَعُ الْوُعَاظُ وَلَا الْمَوْعِظُونَ ، وَيُرْغَبُونَهُمْ فِي الْخَيْرِ فَلَا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُمْ عَوَاقِبَ الشُّوْءِ فَلَا يَتَأَثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » لَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذَا وَعَظُوا تَأَثَّرَ الْمُسْتَمِعُ لَهُمْ تَأَثَّرًا عَظِيمًا ، وَفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَالْمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أَصْرَ عَلَيْهَا مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَأَوْلَادِهِ ، وَإِخْوَانِهِ ،

وَأَبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَةَ نَصُوحًا ، عَمَّا سَلَفَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، الَّتِي لَا
يَرْضَاهَا الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ ، فَأَيْنَ أَوْلَئِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَلَفِ ، الَّذِينَ ضَيَّعُوا
تَعَالِيمَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ بِهِ ، وَتَرَكُوا الْإِنْقِيَادَ لِكِتَابِ
اللَّهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَأْمَلْ كَيْفَ تَرَى أَكْثَرَهُمْ
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَعَطَّلُوا الْأَحْكَامَ ، وَتَسَاهَلُوا بِأَمْرِ الْحَرَامِ ، يَمُرُّونَ
بِالْمَسَاجِدِ ، وَقَتِ الصَّلَاةِ ، فَلَا يُعَيِّرُونَهَا أَيَّ اهْتِمَامٍ أَمَّا الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ فَلِئِذَا يُسْرِعُونَ وَعَلَيْهَا يَعْكَفُونَ وَإِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَغَانِي
وَالْمُجُونِ وَالسُّخْفِ يَتَسَابِقُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَيْنَ الْخَوْفُ مِنْ
الْجَبَّارِ ، أَيْنَ الْحَيَا مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالْإِعْتِصَامُ
بِالْقُرْآنِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ الْعُبَادُ الْكَرَامُ ، الَّذِينَ كَانَتْ
الْمَسَاجِدُ تَغْصُّ بِهِمْ شُيُوخًا وَشُبَّانًا ، وَكَانَتْ تَعُجُّ بِأَصْوَاتِهِمْ تَسْبِيحًا ،
وَتَحْمِيدًا وَتَهْلِيلًا ، وَتَكْبِيرًا ، وَاسْتِغْفَارًا ، وَقُرْآنًا ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ الْمَسَاجِدَ
قَبْلَ الْأَذَانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا ، وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ إِلَّا مَعْدُورٌ ، إِمَّا مَرِيضٌ أَوْ
غَائِبٌ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْمَارُ بِبُيُوتِهِمْ لَيْلًا يَسْمَعُ رَجُلَ التَّسْبِيحِ ،
وَالْتَهْلِيلِ ، وَالْبُكَاءِ وَالْأَنِينِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَالْأَلْحَاحِ بِدُعَائِهِ ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ ، عَكْسُ مَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ
الْخَلَفِ ، الَّذِينَ صَدَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ الَّذِينَ إِنْ بَحِثْتَ
عَنْهُمْ فِي اللَّيْلِ ، وَجَدْتَهُمْ حَوْلَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، مُتَرْبِعِينَ أَمَامَ
التِّلْفِزِيِّينَ ، وَغِنَاءِ الْمُطْرِبِينَ ، وَإِنْ بَحِثْتَ عَنْهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَجَدْتَهُمْ
فِي قُرُشِهِمْ ، إِثْرَ سَهَرِهِمْ حَوْلَ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَإِنْ بَحِثْتَ عَنْهُمْ وَقَتِ
صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي شُؤْنِ الدُّنْيَا ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ، وَإِنْ أَرَدْتَهُمْ فِي صَلَاةِ

العَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُمْ عِنْدَ الْكُورَةِ ، وَالْبَعْضُ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ ، وَالْبَعْضُ عِنْدَ الْمَذْيَاعِ ، وَأَغَانِيَهُ وَمَلَاهِيهِ ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْهُمْ وَقْتَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُمْ يَمْشِي مُتَرَدِّدًا، وَالْبَعْضُ فِي الْمَلْعَبِ ، وَالْبَعْضُ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ ، أَوْ الْمَذْيَاعِ ، وَأَمَّا الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ فَبِكَثْرَةِ أَقْسَامِ أَكْثَرِهِمْ حَوْلَ التَّلْفِيزِيُونِ أَوْ فِي الْأَسْوَاقِ ، أَوْ يَلْعَبُونَ وَرَقَّةً ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْمُنْكَرَاتِ وَهَكَذَا قَتَلُوا أَوْقَاتَهُمُ الثَّمِينَةَ ، وَضَيَعُوهَا ، وَقَضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَهُ بِعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وَالْحَالَةُ هَذِهِ مُخِيفَةٌ لِذَوِي الْعُقُولِ وَالْفُهْمِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ تَوَالَتْ أَسْبَابُ الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالْأَطْمِئْنَانِ ، وَقَدْ قِيلَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُسْتَدْرَجٌ وَرَوَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَاذًا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ مَا أَخَذَ اللَّهُ قَوْمًا إِلَّا عِنْدَ سَكْرَتِهِمْ وَغِرَّتِهِمْ ، وَنِعْمَتِهِمْ ، فَلَا تَعْتَرُوا بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَغْتَرُّ بِاللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٥ « موعظة »

إِخْوَانِي إِنَّ فِي مَوَاعِظِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِدَوِي الْبَصَائِرِ رَكَائِبُ
أَمْوَاتٍ تُزْعَجُ عَنْ مَقْصُورَاتِ الْقُصُورِ ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى مَضَائِقِ الْقُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ
شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ فِي الْأَرْضِ ، قَدْ وُضِعَتْ ، وَكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أَبْدَانٍ
نَاعِمَةٍ فِي الْأَكْفَانِ قَدْ لُفَّتْ وَإِلَى مَضِيقِ الْأَلْحَادِ قَدْ زُفَّتْ فَيَا لَهَا مِنْ غَايَةِ يَسْتَبِقُ
إِلَيْهَا الْعِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَوَّبُهُ جَوَادُ بَعْدَ جَوَادٍ وَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيدٍ يَعْقِبُهُ
أَهْوَالُ شِدَادٍ فِتْنَةُ قُبُورٍ وَحَشَرٌ فِي مَوْقِفٍ مَهِيلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الْأَنْسَابُ
وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وَتَنْسَكِبُ فِيهِ الْعَبْرَاتُ وَتَتَصَاعَدُ فِيهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفُ
تَنْشُرُ فِيهِ الدَّوَابِ وَأَوْنُ ، وَتَنْصَبُ فِيهِ الْمَوَازِينُ ، وَيُمَدُّ فِيهِ الصَّرَاطُ ، وَحِينَئِذٍ يَقَعُ
الْإِمْتِيَازُ فَتَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ .

دَخَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى سَابِقِ الْبَرَبْرِ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ
بِالْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ قَصِيدَةِ الْأَعَشَى .

أَجِدْكَ لَمْ تَذْكُرْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ
نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَلِي

بِسْمِ الَّذِي أَنْزَلْتَ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تُبْقِي وَمَا تَذَرُ
 فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرَ
 وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَارْضَ بِهِ
 وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدَرُ
 فَمَا صَفَى لَأَمْرِي عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ
 إِلَّا وَأَعْقَبَ يَوْمًا صَفْوُهُ كَدَرُ
 قَدْ يَرْعَوِي الْمَرْءُ يَوْمًا بَعْدَ هَفْوَتِهِ
 وَتُحْكَمُ الْجَاهِلُ الْأَيَّامُ وَالْعِبَرُ
 إِنْ التَّقَى خَيْرٌ رَادٍ أَنْتَ حَامِلُهُ
 وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
 مَنْ يَطْلُبُ الْجَوْرَ لَا يَظْفَرُ بِحَاجَتِهِ
 وَطَالِبُ الْعَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَهُ الظُّفَرُ
 وَفِي الْهُدَى عِبْرٌ تُشْفِي الْقُلُوبَ بِهَا
 كَالْغَيْثِ يَخْتِى بِهِ مِنْ مَوْتِهِ الشَّجَرُ
 وَلَيْسَ دُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا
 وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَالَهُ بَصَرُ
 نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ
 وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا
 فَغَشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَلِي
 بِسْمِ الَّذِي أَنْزَلْتَ مِنْ عِنْدِهِ السُّورُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمَّا بَعْدُ يَا عُمَرُ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تُبْقِي وَمَا تَذَرُ
 فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَاضْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَارْضَ بِهِ
 وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدَرُ
 فَمَا صَفَى لَأَمْرِي عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ
 إِلَّا وَأَعْقَبَ يَوْمًا صَفْوُهُ كَذَرُ
 قَدْ يَرْعَوِي الْمَرْءُ يَوْمًا بَعْدَ هَفْوَتِهِ
 وَتُحَكِّمُ الْجَاهِلُ الْأَيَّامُ وَالْعِبَرُ
 إِنْ التَّقَى خَيْرٌ رَادٍ أَنْتَ حَامِلُهُ
 وَالْبِرُّ أَفْضَلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
 مَنْ يَطْلُبُ الْجَوْرَ لَا يَظْفَرُ بِحَاجَتِهِ
 وَطَالِبُ الْعَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَهُ الظَّفَرُ
 وَفِي الْهُدَى عِبْرٌ تُشْفِي الْقُلُوبُ بِهَا
 كَالغَيْثِ يَخْيِي بِهِ مِنْ مَوْتِهِ الشَّجَرُ
 وَلَيْسَ ذُو الْعِلْمِ بِالتَّقْوَى كَجَاهِلِهَا
 وَلَا الْبَصِيرُ كَأَعْمَى مَالَهُ بَصَرُ
 وَالذُّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا
 تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ
 وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ
 كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
 لَا يَنْفَعُ الذُّكْرُ قَلْبًا قَاسِيًا أَبَدًا
 وَهَلْ يَلِينُ لِقَوْلِ الْوَاعِظِ الْحَجَرُ

مَا يَلْبِثُ الْمَرْءُ أَنْ يَيْلَى إِذَا اخْتَلَفَتْ
 يَوْمًا عَلَى نَفْسِهِ الرُّوحَاتُ وَالْبِكْرُ
 وَالْمَرْءُ يَصْعَدُ رِيْعَانُ الشَّبَابِ بِهِ
 وَكُلُّ مُضْعِدَةٍ يَوْمًا سَتَنْحَدِرُ
 وَكُلُّ بَيْتٍ سَيَيْلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ
 وَمِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِ الْمَوْتُ وَالْكِبَرُ
 وَالْمَوْتُ جَسْرٌ لِمَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
 إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
 فَهُمْ يَمْرُونَ أَفْوَاجًا وَتَجْمَعُهُمْ
 دَارٌ يَصِيرُ إِلَيْهَا الْبَدْوُ وَالْحَظَرُ
 كَمَ جَمْعُ قَوْمٍ أَشَتْ الدَّهْرُ شَمْلَهُمْ
 وَكُلُّ شَمْلٍ جَمِيعٍ سَوْفَ يَنْتَشِرُ
 وَرُبَّ أَصِيدٍ سَامَ الطَّرْفِ مُقْتَضِبًا
 بِالتَّاجِ نِيرَانُهُ لِلْحَرْبِ تُسْتَعْرُ
 يَظَلُّ مُفْتَرِشَ الدِّيَاجِ مُحْتَجِبًا
 عَلَيْهِ تُبْنَى قِيَابُ الْمُلْكِ وَالْحُجَرُ
 إِلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُمْ
 مَصِيرُ كُلِّ بَنِي أَتْنَى وَإِنْ كَبُرُوا
 إِذَا قَضَتْ زُمَرُ آجَالِهَا نَزَلَتْ
 عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ بَعْدِهَا زُمَرُ
 أَصْبَحْتُمْ جُزْرًا لِلْمَوْتِ يَأْخُذُكُمْ
 كَمَا الْبَهَائِمُ فِي الدُّنْيَا لَكُمْ جُزُرُ

أُبْعِدَ آدَمَ تَرْجُونَ الْخُلُودَ وَمَلْ
تَبْقَى الْفُرُوعُ إِذَا مَا الْأَصْلُ يَنْعَقِرُ
وَلَيْسَ يَزْجُرُكُمْ مَا تُوعَظُونَ بِهِ
وَالْبَهْمُ يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ
لَا تَبْطُرُوا وَاهْجُرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهَا
غِبَاءً وَخِيَمًا وَكُفْرَ النُّعْمَةِ الْبَطْرُ
ثُمَّ اقْتَدُوا بِالْأَوَّلَى كَانُوا لَكُمْ غُرَرًا
وَلَيْسَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا غُرْرُ
مَتَى تَكُونُوا عَلَى مِنْهَاجِ أَوْلَكُمُ
وَتَضَيَّرُوا عَنْ هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا
مَالِي أَرَى النَّاسَ وَالدُّنْيَا مُوَلِيَّةُ
وَكُلُّ حَبْلٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْتَبِرُ
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِينُهُمْ نُقِصُوا
يَوْمًا وَإِنْ نُقِصَتْ دُنْيَاهُمْ شَعِرُوا
حَتَّى مَتَى أَكُ فِي الدُّنْيَا أَخَا كَلَفٍ
فِي الْخَدِّ مِنِّي إِلَى لَذَائِهَا صَعُرُ
وَلَا أَرَى أَثْرًا لِلذِّكْرِ فِي جَسَدِي
وَالْحَبْلُ فِي الْحَجَرِ الْقَاسِي لَهُ أَثْرُ
لَوْ كَانَ يُسْهِرُ لَيْلِي ذِكْرُ آخِرَتِي
كَمَا يُؤَرِّقُنِي لِلْعَاجِلِ السَّفَرُ
إِذَا لَدَاوَيْتُ قَلْبًا قَدْ أَضُرَّ بِهِ
طَوْلُ السَّقَامِ وَكَسْرُ الْعَظْمِ يَنْجِيرُ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَغْصُومِ سَيِّدِنَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَاهْتَزَّتْ بِهَا الشَّجَرُ

اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات واشرح صدورنا للإسلام
وثبتنا عليه واجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ : سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِبًا بِذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ ، أَوْ
جَرِيمَةً اجْتَرَمَهَا ، أَوْ جَرِيرَةً ارْتَكَبَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقُوهُ
مِنْ مَحَارِمِهِ ، وَيَجْتَنِبُوهُ مِنَ الْمُوبِقَاتِ ، الْمُؤَدِّيَةِ بِهِمْ إِلَى هُوَةِ الْهَلَاكِ
وَالدَّمَارِ ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ فِيهِ
هُدًى ، وَتَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ ،
فَاسْتَمْسَكَ الْمُسْلِمُونَ مَدَّةً مِنَ الدَّهْرِ بِهَدْيِهِ ، وَتَخَلَّقُوا بِآدَابِهِ ، فَكَانُوا فِي
ذَلِكَ الْحَيْنِ أَهْلَ الْحَوْلِ وَالطُّولِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، تَعْنُو لَهُمُ الْوُجُوهُ ،
وَتَخْضَعُ لَهُمُ الرِّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ مُنَازِعٌ إِلَّا ابْتَزُّوا مُلْكَهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكَانَ
الْعِزَّةِ مِنْهُ ، وَآخَذُوا بِطَرْفِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، كَانُوا

فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ يَعْمَلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَإِلَى عِبَادِهِ ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مَعَاصِيهِ ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ ، فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُمْ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَسْلِيْدِهِ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ كَانَ كِبَرَاءُ النَّاسِ وَسَادَتُهُمْ فِي الصُّدْرِ الْأَوَّلِ أَشَدُّ النَّاسِ ظُهُوراً بِالتَّمَسُّكِ بِالذِّينِ تَقْتَدِي بِهِمُ الْعَامَّةُ فِي تَوْجِيْدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، فَانْعَكَسَتْ عَلَيْنَا الْآنَ الْقَضِيَّةُ ، وَصَارَ الْعَامَّةُ أَشَدُّ تَمَسُّكاً بِالذِّينِ ، وَأَرْسَى عَقِيْدَةً ، مِنْ أَوْلَئِكَ ، وَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَّقُونَ ، يَحْمِلُونَ الْمُؤَهَّلَاتِ الْمَعْرُوفَةِ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدِّينِ ، وَابْعَدَهُمْ عَنْ تَعَالِيْمِهِ ، نَبَذَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَمَا تُنْبِذُ النَّوْءُ ، لَا لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى غَيْبٍ فِي الدِّينِ ، أَوْ هَفَوُا فِي أَصُولِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ مُقْلِدُونَ فِي هَذَا الضَّلَالِ لِقَوْمٍ عَرَفُوا ﴿ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ وَرَأَوْا تَكَالِيفَ الدِّينِ وَتَعَالِيْمَهُ لَا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَوَاتِهِمْ وَمَلَاذِيْهِمْ ، فَاتَّخَذُوا الْخُرُوجَ عَنْ تَكَالِيفِهِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَلَاذِ الْحَيَاةِ ، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

اللهم أرزقنا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحُبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقْرِبُنَا إِلَى حُبِّكَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَخَلِّصْنَا مِنْ حَقْوِي خَلْقِكَ وَرَضْنَا بِالْيَسِيرِ مِنْ رِزْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَمَجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٧ « موعظة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنيانا ،
وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز
الكبر والتجبر هوانا وأخرجوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما
استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِدَاً أَنْ تُطَوِّى فِيهِمَا وَحْنُوطُ
آخر : فما تزود مما كان يجمعه سِوَى حَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خَرَقِ
وغير نفحة أعوادٍ تشبُّ له وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ
يَحْمَلُونَ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَلَا يُسَمَّوْنَ رُكْبَانًا ، وَيَنْزَلُونَ بِطُونِ الْأَحَادِ وَلَا
يُسَمَّوْنَ ضَيْفَانًا ، مُتَقَارِبِينَ فِي الْقُبُورِ وَلَا يُسَمَّوْنَ جِرَانًا .

أو ليس قد رأينا كيف يُنْقَلُونَ وَلَا كَفَانًا ، فَيَا مَنْ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ
الْقَلِيلُ وَلَا يَذَرِي مَتًى يَقَعُ الرَّحِيلُ ، كَأَنَّكَ بِطَرْفِكَ حِينَ الْمَوْتِ يَسِيلُ
وَالرُّوحُ تَنْزَعُ وَالْكَرْبُ ثَقِيلُ ، وَالثَّقَلَةُ قَدْ قَرَبَتْ وَأَيْنَ الْمَقِيلِ ، أَفِي الْجَنَّةِ
وَنَعِيمِهَا وَالسَّلْسَبِيلِ أَمْ فِي الْجَحِيمِ وَأَنكَالِهَا وَأَغْلَالِهَا وَبُئْسَ الْمَقِيلِ .

يَا مَنْ تَعَدُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُهُ اسْتَدْرَكُهَا ، يَا مَنْ سَتَفُوتُهُ أَيَّامُهُ أَذْرَكُهَا ، إِنْ
أَعَزَّ الْخَلْقَ عَلَيْكَ نَفْسُكَ فَلَا تُهْلِكُهَا كَمْ أَغْلَقْتَ بَاباً عَلَى قَبِيحٍ ، وَكَمْ
أَعْرَضْتَ عَنْ قَوْلِ الْمَخْلَصِ النَّصِيحِ ، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي عَمَرٍ قَدْ مَضَى
مَا رَزَقْتَ فِيهِ الْعَفْوَ وَلَا الرِّضَى .

إنقضت فيه اللذات كمن قضى ، وصارت الحشرات من الشهوات
عوضا ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ

وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴿ وقال تعالى ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين ﴿ والله أعلم وصلى الله على محمد .

٣٨ « موعظة »

عباد الله ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون وما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون ، أين من كان قبلكم ألا تتفكرون أما رأيتم كيف نازلهم المنون ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿ .

عباد الله لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون فكأنكم بالآلام قد إِعْتَرَضَتْ ، وبالأجسام قد إنقضت ، وبالأوصال قد فصلت ، فرحم الله عبدا أعتق نفسه من رق شهواتها ونظر لها قبل مماتها وأخذ من جدته عَتَاداً لفقره وإدخر من صحته زاد لقبره قبل أن يفوت زمن الاستدراك بوقوع الهلاك .

فكأنكم بالموت قد حل العراض ، وأنشب مخاليبه في الأرواح للاقتناص ، وأين لكم الفلات فلا تحين مناص ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص .

وإذا الخلائق قد حشرت ، وإذا الصحف قد نشرت ، وإذا جهنم قد سيقت ومرارة الندم قد ذيقت ، فستنطق عليكم الجوارح وتنشر حين القضاء الفضائح .

فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين ويا سوء منقلب الظالمين ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن الله عافلا عما

يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي
رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴿ ٣٨ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

خَفِ اللَّهُ فِي ظِلْمِ الْوَرَى وَاحْذَرْتَهُ وَخَفَ يَوْمَ عَضِ الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ

اللهم سلمنا من شرور أنفسنا التي هي أقرب أعدائنا وأعدنا من عدوك
واعصمنا من الهوى ومن فتنة الدنيا ومكن محبتك في قلوبنا وقوها وأهملنا ذكرك
وشكرك وفرح قلوبنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم واغفر لنا
ولوالدنيا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين .

٣٩ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ اغْتَنِمُوا مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ فَأَيَّامُ الْمَوَاسِمِ مَعْدُودَةٌ وَانْتَهَزُوا فُرْصَ
الْأَوْقَاتِ فَسَاعَاتُ الْإِسْعَادِ مَحْدُودَةٌ وَجُدُّوا فِي طَلَبِ الْخَيْرَاتِ فَمَنَاهِلُ الرِّضْوَانِ
مَرُورُودَةٌ وَقُومُوا عَلَى قَدَمِ السَّدَادِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ قَالَ تَعَالَى
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * أَفَمَنْ
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ .

فَيَا سَعَادَةَ أُولَى الطَّاعَاتِ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ مَوْلَاهُمْ لِدَارِ السَّلَامِ
وَاصْطَفَاهُمْ لِحَضِيرَةِ قُدْسِهِ وَأَوْرَدَهُمْ مَنَاهِلَ الْإِنْعَامِ وَأَوَّلَاهُمْ حَلَاوَةَ الْأَنْسِ
وَوَالَاهُمْ بِمَوَاهِبِ الْإِكْرَامِ وَسَقَاهُمْ مِنْ رَحِيقِ نَحْتِمْ خِتَامَهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

وَيَا مَسْرَّةَ مَنْ شَاهَدَ مَعَالِمَ الرُّشْدِ فَسَلِّكَ مَسَالِكَهُ وَكَانَ مِنَ الْمُسْتَبْشِرِينَ
الَّذِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وُجُوهُهُمْ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

فَتَدَبَّرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْأَمْرَ وَانْظُرُوا بَعَيْنَ النَّاقِدِ الْبَصِيرِ وَتَذَكَّرُوا الْعَرْضَ يَوْمَ
الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الظَّالِمِينَ مَا لَهُمْ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ « يَوْمٌ يُقَالُ » ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

شعرا :

وإبك ليوم تسكن الحافرة	لَا تَبْكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا
فاجتمعوا في ساعة السَّاهِرَةِ	وإبك إذا صيَّحَ بأهل الثرى
آمال من يسكنك الآخرة	وإلك يا دُنْيَا لَقَدْ قَصَّرْتُ

آخر :

لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ	وَأَذْكَرُ مُنَاقَشَةِ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ	لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِيَتْهُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ
أُمُورَنَا وَاهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَيْسَ مِنْ حَيَاتِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ
تَأَكُّدُ أَنْ يُكْثَرَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ وَيُكْرَهُ لَهُ الْجَزَعُ وَسُوءُ الْخُلُقِ وَالشَّتْمُ

وَالْمَخَاصِمَ وَالْمُنَازَعَةَ فِي غَيْرِ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِهِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِنَ الدُّنْيَا فَيَجْتَهِدُ عَلَى خَتْمِهَا بِخَيْرٍ وَيَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيُبَادِرُ إِلَى آدَاءِ الْحُقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَالْعَوَارِي وَالْوَدَائِعِ وَالْعُصُوبِ وَيَسْتَحِلُّ أَهْلَهُ وَزَوْجَتَهُ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادَهُ وَغِلْمَانَهُ وَجِرَانَهُ وَأَصْدِقَائَهُ وَزُمَلَاءَهُ وَكُلَّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ أَوْ مَصَاحَبَةٌ فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الصَّامِتِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةُ قَالَ أَخْرَجُوا إِلَيَّ مَوَالِيَّ وَخَدَمِي وَجِرَانِي وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ إِنَّ يَوْمِي هَذَا لَا أَرَاهُ إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الْآخِرَةِ .

وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكُمْ بَيْدِي أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ وَهُوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ الْقِصَاصُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْرَجَ إِلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَرَ مِنِّي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي فَقَالُوا بَلْ كُنْتَ وَالِدًا وَكُنْتَ مُؤَدِّبًا قَالَ وَمَا قَالَ لَخَادِمٍ سُوءًا قَطُّ فَقَالَ اعْفَوْتُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ . . . الخ .

وَوَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ انْظُرُوا فَلَنَا فَإِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَهُ فِي ابْتِنِي قَوْلًا كَشِبَهُ الْعِدَّةُ فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بثلثِ النَّفَاقِ فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُوصِيَ بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَدَّ يَصْلَحُ لِلْوِلَايَةِ وَيُوصِي بِمَا لَا يَتِمَّكُنُ مِنْ فِعْلِهِ فِي الْحَالِ مِنْ قِضَاءِ الدُّيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ حَسَنُ

الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى رَاجِياً عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَإِحْسَانَهُ .

وَيَسْتَحْضِرُ فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ حَقِيرٌ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَنِيٌّ
عَنْ عَذَابِهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَلَا يَطْلُبُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ وَالصَّفْحَ وَالْامْتِنَانَ
إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَاهِداً نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فِي
الرَّجَاءِ وَكَذَلِكَ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ يَقْرُؤُهَا أَوْ يَجْعَلُ مَنْ يَقْرُؤُهَا عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرَهُ
مُتَزَايِداً وَمُحَافِظاً عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي أَوْقَاتِهَا .

وَيَجْتَنِبُ النَّجَاسَاتِ وَيَحْرِصُ عَلَى التَّطَهَّرِ وَيَصْبِرَ عَلَى مَشَقَّةِ ذَلِكَ وَكَذَا
بَاقِي وَطَائِفِ الدِّينِ يَحْرِصُ عَلَى أَدَائِهَا كَامِلَةً مُكَمَّلَةً وَلِيَحْذَرُ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي
ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ الْقَبَائِحِ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ
التَّفْرِيطُ فِيهَا وَجَبَ عَلَيْهِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ .

وَلِيَجْتَهِدَ فِي خْتِمِ عُمْرِهِ بِأَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوصِيَ أَهْلَهُ
وَأَصْحَابَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ وَاحْتِمَالِ عَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُ وَيُوصِيهِمْ أَيْضاً بِالصَّبْرِ
عَلَى مُصِيبَتِهِمْ بِهِ وَيُوصِيهِمْ بِالرَّفْقِ بِمَنْ يَخْلُفُهُ مِنْ طِفْلِ وَغُلَامٍ وَجَارِيَةٍ
وَيُوصِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَيُعَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ مِنْ أَبْرِ الْبِرِّ
أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّائِهِ .

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْرِمُ صَوَاحِبَاتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَيُوصِيهِمْ بِتَعَاهُدِهِ بِالذُّعَاءِ وَفِعْلِ مَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ وَيَنْوِي الثَّوَابَ لَهُ
وَذَلِكَ كَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَالْأَضْحِيَّةِ وَطَبْعِ الْمَصَاحِفِ وَالْكِتَابِ الدِّينِيِّ الْقَوِيَّةِ
لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ .

وَالْعَيْنِ الْجَارِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُوصِيهِمْ بِأَنْ لَا يَنْسُوهُ بَلَّ يَتَعَاهَدُوهُ بِالذُّعَاءِ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتَى رَأَيْتُمْ مِنِّي تَقْصِيرًا فِي شَيْءٍ أَنُهَوْنِي عَنْهُ بِرَفْقٍ وَلُطْفٍ لِأَنَّ النَّفْسَ تَضَعُفُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَدُّوا إِلَيَّ النَّصِيحَةَ فِي ذَلِكَ فَإِنِّي مُعَرِّضٌ لِلْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْكَسَلِ وَالْإِهْمَالِ فَإِذَا قَصَرْتُ فَسَطُونِي وَعَاوِنُونِي عَلَى التَّاهِبِ لِهَذَا السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَالتَّغَرُّبِ الْمُخِيفِ .

وَإِذَا حَضَرَهُ النَّزْعُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِيَتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ فَيَالَهُ مِنْ خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقِينُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيُسْتَحْضَرُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ مِثْلُ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضٌ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا فَاتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَدْعُوا إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً فَتَزَلْ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ الْآيَتِينَ - وَنَزَلَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةِ وَنَحْوُ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي سَبَقَتْ .

شعراً :

إِذَا أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي ظُلَلٍ وَحَاسَبَ الْخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بِقُدْرَتِهِ وَجِيءَ بِالْأَمَمِ الْمَاضِينَ وَالرُّسُلِ أَنْفَاسُهُمْ وَتَوَفَّاهُمْ إِلَى أَجَلٍ

وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِي غَيْرَ سَيِّئَةٍ تَسُوُّنِي وَعَسَى الْإِسْلَامُ يَسْلَمَ لِي
رَجَوْتُ رَحْمَةَ رَبِّي وَهِيَ وَاسِعَةٌ وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَرْجَى لِي مِنَ الْعَمَلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَا ذَرْكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزَّ قُلُوبُنَا عَنْ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٠ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ قَوَارِعَ الْأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أَذُنٌ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّ
فَجَائِعَ الْمَوْتِ صَائِبَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنَّ مَطَالِعَ الْأَمَالِ
إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلَا فَانْظُرُوا بِثَوَاقِبِ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ فِي
نَوَاحِي الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ فِي حُسُودِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إِلَّا الشَّتَاتِ
وَلَا تَسْمَعُوا فِي رُبُوعِكُمْ إِلَّا فُلَانٌ مَرِيضٌ وَفُلَانٌ مَاتَ أَيْنَ الْآبَاءُ الْأَكَابِرُ أَيْنَ
الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ الْمُنَاصِحُونَ
لِوَلَاتِهِمْ وَأَمَّتِهِمُ الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَيْنَ الْكُرَمَاءُ الْأَفَاضِلُ
الَّذِينَ يَغَارُونَ إِذَا انْتَهَكَتِ الْمَحَارِمُ أَيْنَ الْهَاجِرُونَ الْمُصَارِمُونَ لِلْفَاسِقِ
وَالْفَاجِرِ أَيْنَ الْمُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ
الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الْمُحِبُّونَ فِي اللَّهِ الْمُبْغِضُونَ لِأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ الْمُتَّقُونَ لِمَا كَلِمَتِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهِ وَهُوَ
مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُخَاطَرَةِ
فِي صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْنِهِمْ فِي الْأَمْلَاقِ الْمَسْكُونَةِ قَهْرًا
وَغَضَبًا .

أَيْنَ الْمُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ .
عَثَرَتْ وَاللَّهِ بِهِمُ الْعَوَائِرُ وَأَبَادَتْهُمْ السَّيِّئُ الْغَوَائِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُمُ
الْحَادِثَاتُ الْبَوَائِرُ وَاخْتَطَفَتْهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِرُ . وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَشَاهِدُ
وَالْمَحَاضِرُ وَعُدِمَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وُجُوهِهِمُ الْأَنْوَارُ
الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الْحُفَرُ وَالْمَقَابِرُ إِلَى يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ
أَعْطِيَةُ الْقُبُورِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتِ الْأَحْدَاقَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً
وَالْأَوْصَالَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيدَانِ الْأَرْضِ فِي نَوَاعِمِ تِلْكَ
الْأَبْدَانِ جَائِلَةً وَالرُّؤُوسَ الْمَوْسَدَةَ عَلَى الْإِيمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفًا
بِهَا وَيَنْفُرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آلِفًا بِهَا .

فَلَا يُعْرِفُ السَّيِّدُ مِنَ الْمَسُودِ وَلَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَلَا الذَّكِيُّ مِنَ
الْبَلِيدِ وَلَا الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالْأَفْلَاحِ عَنْ السَّيِّئَاتِ
وَوَاصَلَ الْإِسْرَاعَ وَالْمَبَادِرَةَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ
الْأَوْقَاتِ وَطَيَّ صَحَائِفَ الْمُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشَرَ فُضَائِحَ الْاِقْتِرَافَاتِ وَالْجِنَايَاتِ
فَلَا تَغْتَرُّوا بِحَيَاةِ تَقُودَ إِلَى الْمَمَاتِ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَا تِ فَالْبِدَارِ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوْا الْمُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

نَمْضِي عَلَى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلَفُنَا وَهُمْ لِلدِّينِ قَدْ شَادُوا

لَنَا بِهِمْ أُسْوَةٌ إِذْ هُمْ أَئِمَّتُنَا
وَنَحْنُ لِلْقَوْمِ أَبْنَاءُ وَأَحْفَادُ
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبُ كُلِّهَا نَجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرِكُ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلَنَ آمَادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَنْ مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
دُنْيَا تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدَرُ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلَّوْهَمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدُنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُدَّتُهُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ الْأَحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَاماً بِهَا حَشَرٌ وَمِيعَادُ
وَجَنَّةٌ أُزْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْ
لُ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالُ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَهَادُ
لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الْقَوْتَ وَاضْطَدَّ قَبْلَ تَضْطَادُ
وَالْمَوْتَ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَابِ تُخَفِّتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ الَّذِي يَتَغَيَّرُ وَيَرْتَادُ

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا
مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدُ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا
يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَنُورَ قُلُوبَنَا وَتَثْبِتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤١ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَعْلَى عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ وَأَنْتُمْ تُضَيِّعُونَهَا فِيمَا لَا
فَائِدَةَ فِيهِ . وَلَا عَدُوَّ أَعْدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَهُ ، وَلَا أَضُرَّ
عَلَيْكُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَأَنْتُمْ تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِنْ
أَعْمَارِكُمُ الْإِطَائِبُ ، فَمَا بَقِيَ بَعْدَ شَيْبِ الذَّوَائِبِ .

يَا حَاضِرَ الْجِسْمِ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ ، اجْتِمَاعُ الْغَيْبِ مَعَ الشَّيْبِ مِنْ
أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، يَمْضِي زَمَنُ الصَّبَا فِي لَعِبٍ وَسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يَا لَهَا مِنْ
مَصَائِبَ ، كَفَى زَاجِرًا وَعَظْمًا تَشْيِبُ مِنْهُ الذَّوَائِبُ ، يَا غَافِلًا فَاتَهُ الْأَرْبَاحُ
وَأَفْضَلُ الْمَنَاقِبِ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ وَالْقَلْقُ لِخَوْفِ الْعَظِيمِ الْطَالِبِ أَيْنَ
الزَّمَانُ الَّذِي فَرُطَتْ فِيهِ وَلَمْ تَخْشَ الْعَوَاقِبَ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ دَمًا عَلَى أَوْقَاتِ
قُتِلَتْ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ وَالْمِذْيَاعِ وَالْكُرَّةِ وَالسِّيْنِمَاءِ وَالْفِيدِيُو وَالْخَمْرِ وَالذُّخَانِ
وَالْمَلَاعِبِ وَاللَّعِبِ بِالْوَرَقِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ .

كَمْ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مِنْ دَمْعٍ سَاكِبٍ عَلَى ذُّنُوبٍ قَدْ حَوَّاهَا
كِتَابُ الْكَاتِبِ ، مَنْ لَكَ يَوْمَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤُكَ فِي مَوْقِفِ
الْمَحَاسِبِ ، إِذَا قِيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي كُلِّ وَاجِبٍ ، كَيْفَ تَرْجُو النِّجَاةَ
وَأَنْتَ تَلْهُو بِأَسْرِ الْمَلَاعِبِ ، لَقَدْ ضَيَّعْتَكَ الْأَمَانِي بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ ، أَمَا

عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ صَغَبٌ شَدِيدٌ الْمَشَارِبُ ، يُلْقِي شَرَّهُ بِكَاسٍ صُدُورِ
الْكَتَائِبِ ، وَأَنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبٍ فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيمًا
مِنَ النَّوَائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنْسَجَ الْعَنْكَبُوتِ بَيْتًا آيُنَ الَّذِينَ عَلَوْا فَوْقَ السُّفَنِ
وَالْمَرَاقِبِ آيُنَ الَّذِينَ عَلَوْا عَلَى مُتُونِ النَّجَائِبِ ، هَجَمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَائَا
فَاصْبَحُوا تَحْتَ النَّصَائِبِ وَأَنْتَ فِي أَثَرِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ عَاطِبٍ ، فَاَنْظُرْ وَتَفَكَّرْ
وَاعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قَبْلَ هُجُومٍ مَنْ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ خَرَسٌ وَلَا بَابٌ وَلَا يَقُوتُهُ هَرَبٌ
هَارِبٌ .

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ
الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِإِلِيمِ عِقَابِكَ يَا
أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ
وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٢ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُكَلَّفًا بِالسُّعْيِ وَالْعَمَلِ لِطَلَبِ الرُّزْقِ مِنْ
وُجُوهِهِ الْمَشْرُوعَةِ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .

وَأَنْ لَا يَمُدَّ يَدَهُ لِسُؤَالِهِمْ وَلَا يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ لِطَلَبِ حُطَامِ الدُّنْيَا إِلَّا عِنْدَ
الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ لِأَنَّهُ إِذَا قَعَدَ عَنِ الْعَمَلِ وَلَزِمَ الْبَطَالَةَ وَالْكَسَلَ
وَنَظَرَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَوْسَاجِهِمْ سَاءَتْ حَالُهُ ، وَضَاعَتْ أَمَالُهُ ،

وَضَعُفَ تَوَكُّلِهِ ، وَضَاقَ عَيْشُهُ ، وَانْحَطَّتْ نَفْسُهُ ، وَاعْتَادَ السُّؤَالَ الَّذِي لَا يَنْفَكُ عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ مُحَرَّمََةٍ :

الأول : اظهَارُ الشُّكْوَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، إِذِ السُّؤَالُ اظْهَارٌ لِلْفَقْرِ وَذِكْرٌ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْهُ ، وَهُوَ عَيْنُ الشُّكْوَى ، وَكَمَا أَنَّ الْعَبْدَ الْمَمْلُوكَ لَوْ جَعَلَ يَسْأَلُ وَأَنَّهُ مَا يَجِدُ شَيْئًا لَكَانَ سُؤَالُهُ تَشْنِيعًا عَلَى سَيِّدِهِ وَلَا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى .

وَلَا سِيِّمًا إِذَا أَتَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ جِئْنِ مَا يَسْلَمُ الْإِمَامَ وَجَعَلَ يَشْرَحُ حَالَهُ وَفَقْرَهُ وَأَوْقَفَ النَّاسَ عَنْ تَهْلِيلِهِمْ ، وَتَسْبِيحِهِمْ ، وَتَكْبِيرِهِمْ ، وَالْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ إِلَّا لِذِكْرِ اللَّهِ ، وَالصَّلَاةِ فِيهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ . وَهَذَا الْمُنْكَرُ قُلٌّ مَنْ يَنْتَبِهْ لَهُ .

الأمر الثاني : أَنَّ فِي سُؤَالِ النَّاسِ إِذْلالَ لِنَفْسِ السَّائِلِ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ وَيُخَضِّعَهَا إِلَّا لِلَّهِ ، الَّذِي فِي إِذْلالِهَا عِزُّهُ ، فَأَمَّا سَائِرُ الْخَلْقِ فَإِنَّهُمْ عِبَادُ أَمْثَالِهِ فَلَا يُذِلُّ لَهُمْ نَفْسَهُ .

ثالثاً : أَنَّ فِيهِ ظُلْمٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ وَفِيهِ أَيْضاً إِذْءَاءٌ لِلْمَسْئُولِ خُصُوصاً إِذَا كَانَ مَعَ الْإِحَاحِ ، وَالْإِذْءَاءُ حَرَامٌ ، فَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الْحَالَةِ التَّعَسُّةِ ، بَلْ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عُضْواً أَشْلاً فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَا يَقَامُ لَهُ وَزَنٌ وَلَا تَقَامُ لَهُ قِيَمَةٌ .

وَقَدْ أَتَنَى اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدُهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

فَفِي زَمَنَّا الَّذِي اخْتَلَطَ فِيهِ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ وَصَارَ عِنْدَهُمُ الْحَلَالُ مَا
وَصَلَ إِلَى الْيَدِ وَذَهَبَ عَنْهُمْ الْوَرَعُ وَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ
يَبْذُلَ جُهِدَهُ وَيَتَشَبَّثَ وَلَا يَبْذُلَ زَكَاتَهُ إِلَى كُلِّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ ، بَلْ يَسْأَلُ بِدَقَّةٍ ،
وَيَتَحَقَّقُ مِنَ الْإِوْرَاقِ الَّتِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، الَّتِي صَارَتْ تُصَوِّرُ وَتُبَاعُ وَتُشْتَرَى .
وَرَبَّمَا حَصَلَ الْمُتَسَوِّلُ عَلَى أَضْعَافٍ مَا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَسَوِّلِينَ
الشُّحَّادِينَ اسْتَعْمَلُوا فِي طَرِيقِ مُنْتَجٍ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَا يَصِلُ إِلَى أَيْدِيهِمْ
مِنَ الصَّدَقَاتِ لَمَا بَقِيَ فِي الْأُمَّةِ مِنْهُمْ مُتَسَوِّلٌ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَلْفُوا هَذَا
الْعَيْشَ وَرَكَنُوا إِلَيْهِ لَا يَدْفَعُهُمْ إِلَيْهِ فَقْرٌ وَلَا يَرُدُّهُمْ عَنْهُ غِنَى ، وَكَمْ مِمَّنْ اكْتَشَفَ
فَصَارَ عِنْدَهُ ثَرَوَةٌ ، وَهَذَا سَبَبُهُ عَدَمُ التَّثَبُّتِ وَاجْتِرَاءُ الْعَادَاتِ بِدُونِ سُؤَالٍ هَلْ
اِغْتَنَى أَمْ لَا .

وَقَدْ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَالُ وَذَلِكَ فِيهَا وَرَدَ عَنْ
قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهَلَالِيِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَأَمَرَكَ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ
إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : رَجُلٍ تَحْمِلُ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ
حَتَّى يُصَيِّبَهَا ثُمَّ يُنْسِكَ ، أَوْ رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَانِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ
الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ .

وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَى مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ
لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ
سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتُ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا
سُحْتًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ التَّغْلِيظَ الشَّدِيدَ فِي السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ

ضَرُورَةٌ وَذَلِكَ فِي مَوْضُوعٍ « مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ » .

شِعْرًا :

غَفَلْتُ وَحَادِي الْمَوْتِ فِي أَثَرِي يَحْدُو
فَإِنْ لَمْ أُرْخِ يَوْمِي فَلَا بُدَّ أَنْ أَعْدُو
أُنَعِّمُ جِسْمِي بِاللِّبَاسِ وَلِيْنِهِ
وَلَيْسَ لِي جِسْمِي مِنْ لِبَاسِ الْبَلَى بُدُّ
كَأَنِّي بِهِ قَدْ مَرَّ فِي بَرْزَخِ الْبَلَى
وَمِنْ فَوْقِهِ رَدَمٌ وَمِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ
وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الْمَحَاسِنُ وَأَنْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ الْعَظْمِ لَحْمٌ وَلَا جِلْدُ
أَرَى الْعُمَرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أَذْرِكِ الْمُنَى
وَلَيْسَ مَعِيَ زَادٌ وَفِي سَفَرِي بُعْدُ
وَقَدْ كُنْتُ جَاهِزْتُ الْمُهَيِّمَ عَاصِيَا
وَأَحْدَثْتُ أَحْدَاثًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرْخَيْتُ خَوْفَ النَّاسِ سِتْرًا مِنَ الْحَيَا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سَرَّيْ غَدًا عِنْدَهُ يَبْدُو
بَلَى خِفْتُهِ لَكِنْ وَثِقْتُ بِحِلْمِهِ
وَأَنْ لَيْسَ يَغْفُو غَيْرُهُ فَلَهُ الْحَمْدُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ وَالْبَلَى
عَنِ اللَّهِ لَكِنْ زَالَ عَنِ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَافِرُ الزَّلَّاتِ يَغْفِرُ زَلَّتِي
فَقَدْ يَغْفِرُ الْمَوْلَى إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ
أَنَا عَبْدُ سُوءٍ خُنتُ مَوْلَايَ عَهْدَهُ
كَذَلِكَ عَبْدُ السُّوءِ لَيْسَ لَهُ عَهْدُ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْرَقْتَ بِالنَّارِ جُثَّتِي
وَنَارُكَ لَا يَقْوَى لَهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الْفَرْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْفَرْدُ فِي الْبَلَى
وَأَبْعَثُ فَرْدًا فَارْحَمِ الْفَرْدَ يَا فَرْدُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارْزُقْنَا الْإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِكَ
وَالْإِنَابَةَ وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجِرْ لَنَا الْأَجَرَ وَالْآثَابَةَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المسلمين برحمتك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أَجْمَعِينَ .

٤٣ (مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ ، إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَرَّبَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ ، وَأَزِفَتِ الْأَرْفَةُ
وَلَيْسَ هُنَاكَ حَيِّمٌ وَلَا نَصِيرٌ وَكُتِبَتِ الصَّحِيفَةُ فَلَا نِسْيَانَ لِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ﴿ وَمَا
مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
تَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتِ الْأَمَانِي أَكْثَرَ خَلْقِ اللَّهِ فَتَرَكُوا سَبِيلَ الْهُدَى وَأَعْرَضُوا
عَنْ دَارِ التَّهَانِي وَالْقَرَارِ فَوَقَعُوا فِي شَرِّكَ الرَّدَى وَمَتَادَوْا عَلَى التَّوَانِي وَظَنُّوا أَنَّ

يَتْرَكُوا سُذُى وَنَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّهُ نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالُكُمْ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَى حُفَاةً عُرَاءَ غُرُلَا ، وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ وَلَزِمَتِ الصُّحُفُ الْأَغْنَاقَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّارِ ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِلْهَنَمِ هَلْ أَمْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيمِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الْمَعَاصِي جَرَاءَةٌ وَإِقْدَامٌ .

وَيَمْرَحُ بِالنَّعِيمِ مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَاتِ لِدَارِ السَّلَامِ وَعَمِلَ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَنَحَظَى بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا أَعْوجَاجَ فِيهِ وَقُومُوا بِأَوَامِرِ الْمَنَانِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا الزَّائِلَةِ وَزِينَتِهَا الْعَاطِلَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي أَجَالَهُمْ وَهُمْ لَا هَوْنَ وَتَجَرِي بِهِمُ الْأَعْوَامُ إِلَى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُونَ وَتَتَخَفَّفُهُمُ الْمَنَايَا وَهُمْ لَا عِوُونَ وَتُنَادِيهِمُ الْعِبْرُ وَالْمَوَاعِظُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ وَيَرَوْنَ مَا وَقَعَ بِالْأَمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بِآبَائِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُوْنَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا لَهُمْ

وَمَا إِلَيْهِ صَائِرُونَ ، إِذَا هُمْ وَصَلُوا إِلَى الْغَايَةِ الْمَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ .

شِعْرًا :

يَا غَافِلًا عَمَّا خَلَقْتَ لَهُ انْتَبِهْ جَدَّ الرَّحِيلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَفُوكَ مَعَ الْأَوَّلَى قَنِعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالْحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطْبَتِي عَجَزَ وَجْهَ لَلْبَعْدِ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُو دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

اللَّهُمَّ أَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَنَانِكَ وَتَجَاوُزَ عَنْ جَرَائِمِنَا
بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَالْحَقْنَا بِالذِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا
رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَدُنْكَ مُنَاجَاتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٤ موعظة

عبادَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَارِ وَأَدَيْمُوا شُكْرَهُ يَدُمَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ وَيَزِدَّهَا ، وَهُوَ
الْكَرِيمُ الْجَوَادُ . وَمِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ تَنْسُخُوا مِنَ الزَّكَاةِ بِإِخْرَاجِهَا كَامِلَةً
إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفُوزُوا بِالْخَلْفِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْ فَاطِرِ
الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَرَاعُوا
عِنْدَ الْإِحْسَانِ الْأَدَبَ فَلَا تَمْنُوا عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحِبِّطٌ

لِلْأَعْمَالِ وَاسْتُرُوا عَطَاءَكُمْ مُخْلِصِينَ مُتَيَقِّنِينَ أَنْ حَاجَتَكُمْ إِلَى الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَةِ الْفَقِيرِ إِلَى مَا تُخْرِجُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ إِحْسَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِكُمْ وَاعْصُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَى عَنِ الْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخِيفُكُمْ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَصِيحَةَ الْعَدُوِّ مَهْلَكَةٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَخَالِفَةِ وَالْعَصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٥ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ وُجُودَ الْمَوْتِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ فَانْهَ بِلِسَانِ الْحَالِ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا : سَأَنْزِلُ بِكَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَمَا تَرَى النَّاسَ بِعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وَقَدْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَالْجِوَارِ وَالْقُوَّةِ وَالْجَمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْمَرْكَزِ الدُّنْيَوِيِّ مَا يَدْهَشُ النَّاظِرِينَ لَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَطَالَ أَمَلُهُ حَتَّى مَلَّ وَمُلَّ مِنْهُ . وَبَيْنَ مَا هُوَ فِي حَالٍ مِنَ النُّشَاطِ قَوِيٍّ مُشْدُودٍ أَسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضِيقُ بِهَا الدُّنْيَا ، قَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَزَهَتْ لَهُ ، إِذَا تَرَاهُ جُنَّةً هَامِدَةً أَشْبَهَ بِأَعْجَازِ النَّخْلِ الْخَاوِيَةِ لَا جِسَّ لَهُ وَلَا حَرَكَةَ وَلَا أَقْوَالَ وَلَا أَعْمَالَ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ وَإِذَا لَمْ يُسْرِعُوا بِهِ إِلَى الدَّفْنِ يَكُونُ جَنَفَةً مِنَ الْجَنَفِ تُؤْذِي رَائِحَتُهَا الْكَرِيهَةَ كُلَّ مَنْ قَرَّبَ مِنْهَا ، هَذَا كُلُّهُ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ النُّشَاطِ

وَالْقَوَى لِأَنْ هَادِمَ اللَّذَاتِ نَزَلَ بِهِ .

وَبَعْدَ نَزْوِلِهِ لَا تَسْأَلُ كَانَ لَهُ مَا كَانَ ، وَفِي الْحَالِ تُصْبِحُ زَوْجَتُهُ
أَرْمَلَةً وَيُصْبِحُ أَوْلَادُهُ أَيْتَامًا . وَفِي الْحَالِ تُقَسِّمُ أَمْوَالَهُ الَّتِي جَمَعَهَا وَقَاسَى
عَلَى جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأَنَّ الْمَوْتَ يُزِيلُ مُلْكَهُ وَيَنْقُلُهُ إِلَى مُلْكٍ وَرَثَتِهِ نَقْلًا
تَعْجِزُ عَنْ نَقْضِهِ الْأَيَّامُ ، نَعَمْ إِنَّهُ بِالْمَوْتِ يَزُولُ مَالُهُ كُلُّهُ وَهِيَ أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ
مَالِيَةٍ .

وَأَكْبَرُ مِنْهَا أَنَّهُ يُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ دَاخِلًا وَخَارِجًا مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ
وَبَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ يُنْسَى هُوَ وَيُنْسَى مَالُهُ وَيُنْسَى جَاهُهُ وَيُنْسَى مَرْكَزُهُ وَمَكَانَتُهُ
وَلَوْ كَانَ مَلِكًا أَوْ وَزِيرًا وَمَا كَانَ رَأَتْهُ الْعُيُونُ وَلَا سَمِعَتْ كَلَامَهُ الْأَذَانُ

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا ،
اللَّهُمَّ أَفْضِرْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى
السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأُفْ بِنَا رَأْفَةً الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنَزُولِهَا ،
وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ،
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا قَسَتْ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا حُبُّ الدُّنْيَا دَوَّارُهَا
النَّافِعُ بِأَذْنِ اللَّهِ ذَكَرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَزِيَارَةُ الْمَقَابِرِ لِتَرَى

فِيهَا بِعَيْنِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ تَرَى فِيهَا الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَءَ
وَالْوُجَهَاءَ وَالْجَبَابِرَةَ وَالظُّلْمَةَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْفُسْقَةَ صَرَخَى فِي ضَيْقِ تِلْكَ
الْحَفَائِرِ وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا تَضِيقُ عَمَالَهُمْ مِنْ آمَالٍ وَأُمَانِي .

وَتَرَى هُنَاكَ أَجْبَاءَ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْكُلَّ حَكَمَ عَلَيْهِ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْقَهَّارُ بِالْمَوْتِ فَلَبَّوْا طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ وَأَصْبَحَ الْكُلُّ
مُنْفَرِدًا لَا أُنْسَ لَهُ إِلَّا مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فَالْمَطِيعُ لِلَّهِ الَّذِي امْتَثَلَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ وَانْتَهَى عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَعِنْدَهُ عَمَلُهُ
الصَّالِحُ .

وَأَمَّا الْآخِرُ فَلَوْ أَنْطَقَهُ اللَّهُ لَقَالَ لَكَ كَلَامًا تَقْطَعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَاتٍ
يَقُولُ إِنَّ الْحَكَمَ الْعَدْلُ جَازَانِي بِمَا اسْتَحَقُّ وَإِنِّي بِعَذَابٍ لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَالُ
الرَّاسِيَّاتِ وَإِنِّي مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ لِأَنِّي اغْتَرَزْتُ بِالدُّنْيَا وَزَخَّارِفِهَا فَلَمْ أَغْبَأْ
بِأَوَامِرِ رَبِّي وَلَا نَوَاهِيهِ وَاقْتَحَمْتُ الْمُوبِقَاتِ لِذَا صِرْتُ إِلَى مَا لَوْ رَأَيْتُهُ
لِصَبِقْتُ وَذَهَلْتُ وَغَشِيَّ عَلَيْكَ ، وَمُلِئْتُ رُغْبًا وَاشْتَعَلَ شَعْرُكَ شَيْبًا وَلَمْ
تَنْتَفِعْ بَعْدَ قَوْلِهِ بِأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَرَأَيْتُ أَخَذَاقًا عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً ، وَرَأَيْتُ
أَعْظَمًا غَيْرَ مُتَمَاسِكَةٍ وَأَوْصَالَ مُتَقَطَّعَةً وَرَأَيْتُ جَمَاجِمًا قَدْ عَلَاهَا الدُّودُ
وَالْخَشَاشُ كَأَنَّهَا الْأَنَابِيْبُ وَرَأَيْتُ مَا كَانَ مُجْتَمِعًا مُتَفَرِّقًا رَمِيمًا وَرَأَيْتُ
الصَّدِيدَ وَالْقَنِيحَ يَجْرِي فَيَالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَفْرَعُهُ وَيَالَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا أَطْوَلُهُ .

وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَزُورُ الْقُبُورَ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيُصَدِّقُ بِهِ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ
وَيَنَامُ مُطْمَئِنًّا مَا كَأَنَّهُ سَيَسَاكِنُهُمْ عَنْ قَرِيبٍ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ فَاصْبَحَتْ لَا
تَنْتَفِعُ بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَلَا بِزَاجِرِ الْمَوْتِ وَهُوَ أَبْلَغُ زَاجِرٍ لِلْأَحْيَاءِ فَرَزَ يَا
أَخِي الْقُبُورَ مُعْتَبِرًا وَانْتَبَهَ مِنْ هَذِهِ الْعَقْلَةِ فَالْمَوْتُ مَهْمَا مُدَّ فِي عُمرِكَ لِأَبَدٍ

أَنْ يَأْتِيَكَ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنْ يَفْجَأَكَ وَأَنْتَ سَارِحٌ فِي
أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا . وَمَا أَكْثَرَ مَوْتِ الْفُجْأَةِ فِي زَمَنِنَا بِوَاسِطَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقُرْ
وَالْكَهْرَبَاءِ وَالطَّائِرَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا ،
اللَّهُمَّ أَفْضِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى
السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأَفْ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنَزُولِهَا ،
وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ،
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٧ موعظة

أَيُّهَا الْغَافِلُ رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّرْ سِرِّكَ فَهَوَ عَلِيمٌ
بِمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، إِلَى مَتَى تَمِيلُ مَعَ الزَّخَارِفِ وَإِلَى كَمْ تَرَعْبُ لِسَمَاعِ
الْمَلَائِكَةِ وَالْمُعَازِفِ وَالْمُحَرَّمَاتِ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ الدِّينِ
وَالصَّلَاحِ الْعَاكِفِ عَلَى عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ حَتَّى الصُّبَّاحِ وَنَهَارَهُ
بِالصَّيَامِ لَا يَمِيلُ وَلَا يَتَوَانَى رَجَاءُ الْقُوزِ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْتَ فِي غَمْرَةٍ هَوَاكَ

مَفْتُونًا فِي الْأَنْهَمَاكِ بِدُنْيَاكَ وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ
وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَخْلَاثِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ
خَلِيلُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا فَاَنْتَبِهْ مَا
دَامَ جِسْمُكَ صَحِيحًا وَالْعَمَلُ مِنْكَ فِي إِمْكَانٍ .

وَأَذْكُرْ وَقُوفَكَ فِي الْمَعَادِ وَأَنْتَ فِي
سَوَّفَتٍ حَتَّى ضَاعَ عُمْرُكَ بَاطِلًا
فَانْهَضْ وَتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وَقُمْ إِلَى
وَادْعُوهُ فِي الْأَسْحَارِ دَعْوَةَ مُذْنِبٍ
وَاضْرَعْ وَقُلْ يَا رَبِّ جِئْتُكَ أَرْتَجِي
فَلَعَلَّ رَحْمَتَهُ تَعْمُ فَلَانَهَا
وَإِذَا أَرَدْتَ بِأَنْ تَفُوزَ وَتَنْتَقِي
أَخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَاعْتَلَى
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

كَرَّبَ الْحِسَابِ وَأَنْتَ عَبْدًا مُفْرَدًا
وَأَطَعْتَ شَيْطَانَ الْغَوَايَةِ وَالْعِدَا
بَابَ الْكَرِيمِ وَلِذَلِكَ بِهِ مَتَفَرِّدًا
وَاعْزِمِ وَتُبْ وَاحْذَرِ تَكُنْ مُتَرَدِّدًا
عَفْوًا وَمَغْفِرَةً بِهَا كَيْ أَسْعِدَا
تَسْعُ الْعِبَادَ وَمَنْ بَغَى وَمَنْ اعْتَدَى
نَارَ الْجَحِيمِ وَحَرَّهَا الْمُتَوَقِّدَا
فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَتَفَرِّدَا
خَيْرَ الْوَرَى نَسَبًا وَأَكْرَمَ مُحْتَدَا

٤٨ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَوْمٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرَاءَ ، يَقَعُ فِيهِ
الْفِرَاقُ وَتَنْفَصِمُ فِيهِ الْعُرَى ، فَتَذَبُّرُوا أَمْرَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَحْضُرُوا ، وَانْظُرُوا
لَأَنْفُسِكُمْ نَظْرَ مَنْ قَدْ فَهِمَ وَدَرَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ يَشِيبُ فِيهِ الْوِلْدَانُ ، وَتَسِيرُ فِيهِ
الْجِبَالُ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا ، وَتَنْطِقُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ ، شَاهِدَةٌ
بِالْأَعْمَالِ ، فَانْتَبِهْ يَا مَنْ قَدْ وَهَى شَبَابُهُ ، وَامْتَلَأْ بِالْأَوْزَارِ كِتَابُهُ ، عِبَادَ
اللَّهِ ، أَمَا بَلَّغْتُكُمْ أَنَّ النَّارَ لِلْكَفَّارِ وَالْعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إِنَّهَا لَتُحْرَقُ كُلُّ مَا
يُلْقَى فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ
صُفْرٌ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ ، أَمَا بَلَّغْتُكُمْ أَنَّ طَعَامَ أَهْلِهَا الزَّقُّومُ ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ،
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ
لَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ » فَكَيْفَ بَمَنْ هُوَ طَعَامُهُ ، لَا طَعَامَ لَهُ

غَيْرُهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ شَجَرَةَ الرِّقَومِ طَعَامُ الْإِثْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي
الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا
بَشِيرُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الدَّرِيكِ عَنْ يَعْلَى بْنِ مُنِيَّةٍ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يُنْشَرُّ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ
مُظْلِمَةٌ ، فَيَقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ ، فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةً
الْدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا الشَّرَابَ ، فَتُمْطَرُ أَغْلَالًا تَزِيدُ فِي أَغْلَالِهِمْ ،

وَسَلَاسِلَ تَزِيدُ فِي سَلَاسِلِهِمْ ، وَجَمْرًا يَلْتَهُبُ عَلَيْهِمْ » .

اللَّهُمَّ توفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٤٩ مَوْعِظَةٌ

أَبْنُ آدَمَ كَانَكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ فَجَأَكَ وَالْحَقَّكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقَكَ مِنَ الْأُمَمِ
وَنَقَلَكَ مِنَ الْفُلَلِ وَالْعَمَائِرِ إِلَى بَيْتِ الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالظُّلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ
إِلَى عَسْكَرِ الْمَوْتَى مُحَيَّمَةً بَيْنَ الْخِيَمِ مُفْرَقًا مِنْ مَالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ
شَمْلِكَ مَا انْتَضَمَ وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَلَا بِقُوَّةِ الْخَدَمِ
وَنَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ وَلَاتِ سَاعَةِ نَدَمٍ .

فَيَا عَجَبًا لِعَيْنِ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدُّ فِي طَلِبِهَا لَمْ يَنْمَ، مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا
تُوَعِّدُ وَتَهْدُدُ، وَمَتَى تَضُرُّمُ نَارَ الْخَوْفِ فِي قَلْبِكَ وَتَتَوَقَّعُ، إِلَى مَتَى حَسَنَاتُكَ
تَضْمَحِلُ وَسَيِّئَاتُكَ تَتَجَدَّدُ، وَإِلَى مَتَى لَا يَهْوُ لَكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَإِنْ شَدَّدَ وَإِلَى

مَتَى وَأَنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوَانِي تَرُدُّ مَتَى تَحْذَرُ يَوْمًا تَنْطِقُ فِيهِ الْجُلُودُ
وَتَشْهَدُ وَمَتَى تُقْبِلُ عَلَى مَا يَبْقَى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَى وَيَنْفَدُ .

مَتَى تَهْبُ بِكَ فِي بَحْرِ الْوُجْدِ رَيْحُ الْخَوْفِ وَالرُّجَا مَتَى تَكُونُ فِي
الْأَيْلِ قَائِمًا إِذَا سَجَى أَيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلَاهُمْ بِالْإِخْلَاصِ وَانْفَرَدُوا وَقَامُوا
فِي الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إِلَى بَابِهِ فِي الْأَسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا
هَوَاجِرَ النَّهَارِ فَصَبَرُوا وَاجْتَهَدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخَلَّفَتْ وَفَاتَكَ مَا وَجَدُوا
وَبَقِيَتْ فِي أَعْقَابِهِمْ وَإِنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَّبَهُ وَتَيَقَّظَ يَا مُسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَادِمُ اللَّذَاتِ فَلَا تَقْدِرْ عَلَى
اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَا ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴾ .

اللهم وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَأَمِنَّا مِنْ
الْفَزَعِ وَالرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مَنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فائدة عظيمة النفع

وقال رحمه الله لَيْسَ فِي الوجودِ شَرٌّ إِلَّا الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا وَكَوْنُهَا ذُنُوباً
تَأْتِي مِنْ نَفْسِ الْعَبْدِ فَإِنَّ سَبَبَ الذَّنْبِ الظُّلْمُ وَالْجَهْلُ وَهُمَا مِنْ نَفْسِ الْعَبْدِ كَمَا
أَنَّ سَبَبَ الْخَيْرِ الْحَمْدُ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْغِنَى .

وهي أمورٌ ذاتيةٌ للرب وذاتُ الرب سبحانه ، مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْحِكْمَةِ وَالْخَيْرِ
وَالْجُودِ .

وذاتُ العبدِ مُسْتَلْزِمَةٌ لِلْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ فَإِنَّمَا
حَصَلَ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنْ نَفْسِهِ .

فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَعْطَاهُ هَذَا الْفَضْلَ فَصَدَرَ مِنْهُ الْإِحْسَانُ وَالْبِرُّ
وَالطَّاعَةُ .

وَمَنْ أَرَادَ بِهِ شَرًّا أَمْسَكَهُ عَنْهُ وَخَلَّاهُ ، وَدَوَّاعِي نَفْسِهِ وَطَبِيعِهِ وَمُوجِبَاتِهَا
فَصَدَرَ مِنْهُ مُوجِبُ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيحٍ .

وَلَيْسَ مَنْعُهُ لِذَلِكَ ظُلْمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ فَضْلُهُ وَلَيْسَ مَنْعَ فَضْلِهِ
ظُلْمًا لَا سِيَّمَا إِذَا مَنْعَهُ عَنْ مَحَلٍّ لَا يَسْتَحِقُّهُ وَلَا يَلِيقُ بِهِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفَضْلَ هُوَ تَوْفِيقُهُ وَإِرَادَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَلْطَفَ بَعْدَهُ
وَيُوفِّقَهُ وَيُعِينَهُ وَلَا يُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهَذَا مُحَضٌّ فَعِلِهِ وَفَضْلِهِ .

وهو سبحانه أَعْلَمُ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يَصْلَحُ لِهَذَا الْفَضْلِ وَيَلِيقُ بِهِ وَيُثْمِرُ
بِهِ وَيَزْكُو . وقد أشارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾
الانعام (٣٥) .

فأخبر سبحانه أنه أعلم بمن يعرف قدر هذه النعمة ويشكره عليها فإن أصل الشكر هو الاعتراف بأنعام المنعم على وجه الخضوع والذل والمحبة . فمن لم يعرف النعمة . بل كان جاهلاً بها لم يشكرها .

ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدّها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها .

ومن عرف النعمة والمنعم وأقرّ بها ولم يجحدّها ولكن لم يخضع له ومحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضاً .

ومن عرفها وعرف المنعم بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشكر لها .

فلا بدّ في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبه والخضوع له .

كما في صحيح البخاري عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ﷺ :
« سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

« مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

فَقَوْلُهُ : « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ » يَتَضَمَّنُ الْأَقْرَارَ وَالْإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ بِعِبُودِيَّتِهِ . فَالْعَبْدُ يَبُوءُ إِلَى اللَّهِ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَيَبُوءُ بِذَنْبِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالْاعْتِرَافِ بِهَذَا وَبِهَذَا رُجُوعٌ مُطْمَئِنٍّ إِلَى رَبِّهِ مَنِيبٌ إِلَيْهِ لَيْسَ رُجُوعٌ مِّنْ أَقْبَلٍ عَلَيْهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ .

فهو مَعْبُودُهُ وَهُوَ مُسْتَعَانُهُ لَا صَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِعِبَادَتِهِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدَهُ إِلَّا بِأَعَانَتِهِ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَجَلَ نِعَمِهِ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةُ الْإِيمَانِ بِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَالرِّضَا بِهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالتَّزَامُ عِبُودِيَّتِهِ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَيْضاً أَنَّ الْأَرْوَاحَ مِنْهَا الْخَبِيثُ الَّذِي لَا أُخْبِتَ مِنْهُ وَمِنْهَا الطَّيِّبُ . وَبَيْنَ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ مِنْهَا الْقَلْبُ الشَّرِيفُ الزَّكِيُّ وَالْقَلْبُ الْخَسِيسُ الْخَبِيثُ .

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْقُلُوبِ الزَّكَاةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَصْلُحُ لِمَسْتَقَرِّ هَذِهِ النِّعَمِ وَإِدَاعِهَا عِنْدَهَا وَيَزَكُّو بِذُرِّهَا فِيهَا فَيَكُونُ تَخْصِيصُهَا لَهَا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ كَتَخْصِيصِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْقَابِلَةِ لِلْبَذْرِ بِالْبَذْرِ .

فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَبْذُرَ الْبَذَرَ فِي الصَّخُورِ وَالرِّمَالِ وَالسِّبَاخِ وَفَاعِلُ ذَلِكَ غَيْرُ حَكِيمٍ فَمَا الظَّنُّ بِبَذْرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ وَنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْمَحَالِّ الَّتِي هِيَ أُخْبِتُ الْمَحَالِّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ أَصْلاً وَمِيرَاثاً .

فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَصْلُحُ لِتَحْمُلِ رِسَالَتِهِ فَيُؤَدِّيَهَا إِلَى عِبَادِهِ بِالْأَمَانَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَتَعْظِيمِ الْمُرْسَلِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ وَالصَّبْرِ عَلَى أَوَامِرِهِ وَالشُّكْرِ لِنِعْمِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ . وَمَنْ لَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَصْلُحُ مِنَ الْأُمَمِ لِيُورِاثَةَ رُسُلِهِ وَالْقِيَامَ بِخِلَافَتِهِمْ وَحَمْلَ مَا بَلَغُوهُ عَنْ رَبِّهِمْ .

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِذَا عَلَّمَ مِنْ مَحَلِّ أَهْلِيَّةٍ لِفَضْلِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ حُبَّ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَوَضَعَهُ فِيهِ وَكَتَبَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَفَّقَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ وَيَسَّرَ لَهُ طَرُقَهُ وَأَغْلَقَ دُونَهُ الْأَبْوَابَ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

ثُمَّ تَوَلَّاهُ بُلُطْفَهُ وَتَدَبَّرَهُ وَتَبَسَّيْرَهُ وَتَرْبِيَّتَهُ أَحْسَنَ مِنْ تَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ
الرَّحِيمِ الْمَحْسَنِ لَوْلَدِهِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ .

فَلَا يَزَالُ يُعَامِلُهُ بُلُطْفَهُ وَيَخْتَصُّهُ بِفَضْلِهِ وَيُؤَثِّرُهُ بِرَحْمَتِهِ وَيَمْدَهُ بِمَعُونَتِهِ
وَيُؤَيِّدُهُ بِتَوْفِيقِهِ وَيُرِيهِ مَوَاقِعَ احْسَانِهِ إِلَيْهِ وَيُرِّيه بِهِ فَيَزِدُّهُ الْعَبْدَ بِهِ مَعْرِفَةً وَلَهُ مَحَبَّةٌ
وَإِلَيْهِ إِنَابَةٌ وَعَلَيْهِ تَوَكُّلاً . وَلَا يَتَوَلَّى مَعَهُ غَيْرَهُ وَلَا يَعْبُدُ مَعَهُ سِوَاهُ .
وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَرَفَ قَدَرَ النِّعْمَةِ وَعَرَفَ الْمُنْعَمَ وَأَقْرَبَ نِعْمَتِهِ وَصَرَفَهَا فِي
مَرْضَاتِهِ .

وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الرَّبِّ وَجُودُهُ وَكَرَمُهُ وَاحْسَانُهُ أَنْ يَذَرَّ فِي هَذَا الْقَلْبِ
نُورَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسِقَاهُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ
نُورِهِ شَمْسَ الْهُدَايَةِ وَصَرَفَ عَنْهُ الْآفَاتِ الْمَانِعَةَ مِنْ حُصُولِ الثَّمَرَةِ .

فَأَنْبَتَتْ أَرْضُهُ الزَّاكِيَّةُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ فَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ قَلْبُهُ شَيْئاً مِنْ
الْخَيْرِ الْبَتَّةِ فَهَذَا مِنْ أَشَقَى الْأَشْقِيَاءِ .

فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ هُدِيَ وَالْبَيَانُ وَالشِّفَاءُ وَالْعَصْمَةُ فِي
كَلَامِهِ وَفِي أَمثَالِهِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَعْلِمُ بِمَوَاقِعِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَمَنْ
يَصْلَحُ لَهَا وَمَنْ لَا يَصْلَحُ وَأَنَّ حِكْمَتَهُ تَأْبَى أَنْ يَضَعَ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَا
تَأْبَى أَنْ يَمْنَعَهُ مَنْ يَصْلَحُ لَهُ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَلَّ صَالِحاً وَجَعَلَهُ أَهْلاً وَقَابِلاً فَمِنْهُ
الْإِعْدَادُ وَالْإِمْدَادُ وَمِنْهُ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا أَنَّ الْعَبْدَ وَصْلَاحُهُ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مِنْ إِحْدَى جِهَتَيْنِ إِمَّا
أَنْ تَكُونَ طَبِيعَتُهُ يَابِسَةً غَيْرَ لَيِّنَةٍ وَلَا مُنْقَادَةً وَلَا قَابِلَةً لِمَا بِهِ كَمَا هِيَ وَفَلَا حُجَّتَ .

وإما أن تكون لينةً مُنْقَادَةً سَلِسَلَةً الْقِيَادَةِ لَكِنهَا غَيْرَ ثَابِتَةٍ عَلَى ذَلِكَ بَلْ
سَرِيعَةً الْإِنْتِقَالِ عَنْهُ كَثِيرَةُ التَّقَلُّبِ .

فَمَتَى رَزَقَ الْعَبْدُ انْقِيَادًا لِلْحَقِّ وَثَبَاتًا عَلَيْهِ فَلْيَبْشِرْ فَقَدْ بُشِّرَ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَقَالَ صَدُوقُ التَّأَهُبِ لِلِقَاءِ اللَّهِ مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْعَبْدِ وَأَبْلَغِهِ فِي حُصُولِ
اسْتِقَامَتِهِ فَإِنْ مَنْ اسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ انْقَطَعَ قَلْبُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَطَالِبُهَا
وَحَذَّتْ مِنْ نَفْسِهِ نِيرَانُ الشَّهَوَاتِ وَأَخْبَتَ قَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ وَعَكَفَتْ هَمَّتُهُ عَلَى اللَّهِ
وَعَلَى مَحَبَّتِهِ وَآيثارِ مَرْضَاتِهِ .

وَاسْتَحْدَثَتْ هِمَّةٌ أُخْرَى وَعُلُومًا أُخْرَى وَوُلِدَ وَلَادَةٌ أُخْرَى نِسْبَةُ قَلْبِهِ فِيهَا
إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ كَنِسْبَةِ جِسْمِهِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَيُولَدُ
قَلْبُهُ وَلَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ كَمَا وُلِدَ جِسْمُهُ حَقِيقَةً وَكَمَا أَنَّ بَطْنَ أُمِّهِ حِجَابًا لِجِسْمِهِ عَنِ
هَذِهِ الدَّارِ فَهَكَذَا نَفْسُهُ وَهَوَاهُ حِجَابٌ لِقَلْبِهِ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ .

فَخُرُوجُ قَلْبِهِ عَنْ نَفْسِهِ بَارِزًا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ كَخُرُوجِ جِسْمِهِ عَنْ بَطْنِ
أُمِّهِ بَارِزًا إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُذَكَّرُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
إِنْكُمْ لَنْ تَلْجُوا مَلَكُوتَ السَّمَاءِ حَتَّى تُوَلِّدُوا مَرَّتَيْنِ .

وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يُوَلِّدُوا هَذِهِ الْوَلَادَةَ الثَّانِيَةَ وَلَا تَصَوُّرُوهَا فَضْلًا
عَنْ أَنْ يُصَدِّقُوا بِهَا فَيَقُولُ الْقَائِلُ كَيْفَ يُوَلَدُ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ أَوْ كَيْفَ يُوَلَدُ الْقَلْبُ
لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَيْهَا هِمَّةٌ وَلَا عَزِيمَةٌ إِذْ كَيْفَ يَعْزِمُ عَلَى الشَّيْءِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَلَا
يُصَدِّقُهُ وَلَكِنْ إِذَا كُشِفَ حِجَابُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْقَلْبِ صَدَّقَ بِذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ
يُولَدْ قَلْبُهُ بَعْدُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ صَدُوقَ التَّأَهُبِ لِلِقَاءِ اللَّهِ هُوَ مِفْتَاحُ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِيمَانِيَّةِ وَمَقَامَاتِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ وَمَنَازِلِ السَّائِرِينَ

إليه من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم
وسائر أعمال القلوب والجوارح .

فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد
الفتاح العليم لا إله غيره ولا رب سواه .

وقال رحمه الله طوبى لمن أنصف فأقر له بالجهل في علمه ، والآفات في
عمله ، والعيوب في نفسه ، والتفريط في حقه ، والظلم في معاملته .

فإن أخذه بذنوبه رأى عدله ، وإن لم يؤخذه رأى فضله .
وإن عمل حسنة رآها من منته عليه ، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية ،
وإن ردّها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به .

وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه ، وخذلانه له ، وإمساك عصمته ،
وذلك من عدله فيه .

فيرى في ذلك فقره إلى ربه وظلمه في نفسه ، فإن غفر له فبمخض
إحسانه وجوده وكرمه .

ونكتة المسألة وسرها أنه لا يرى ربه إلا محسناً ولا يرى نفسه إلا مُسيئاً
ومفترطاً أو مقصراً .

فيرى كل ما يسره من فضل ربه عليه وإحسانه إليه ، وكل ما يسؤه
من ذنوبه .

وقال من لم يعرف نفسه كيف يعرف خالقه ؟ فاعلم أن الله خلق في
صدرك بيتاً وهو القلب . ووضع في صدره عرشاً لمعرفته يستوي عليه المثل
الأعلى ، فهو مُستَوٍ على سرير القلب ، وعلى السرير بساط من الرضا .

ووضع عن يمينه وشماله مرافق شرائعه وأوامره ، وفتح إليه باباً من
جنة رحمته ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه .

وأَمْطَرَهُ مِنْ وابل كَلَامِهِ مَا أَنْبَتَ فِيهِ مِنْ أَصْنَافِ الرِّيحِ وَالْأَشْجَارِ
الْمُثْمِرَةِ ، مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ .
وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الْبُسْتَانِ شَجَرَةً مَعْرِفَتِهِ ، فَهِيَ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِنَابَةِ ، وَالْخَشْيَةِ وَالْفَرَحِ بِهِ ، وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ ،
وَأُجْرَى إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، مَا يَسْقِيهَا مِنْ تَدَبُّرِ كَلَامِهِ وَفَهْمِهِ ، وَالْعَمَلِ
بِوَصَايَاهُ .

وَعَلَّقَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ قِنْدِيلًا أَسْرَجَهُ بِضِيَاءِ مَعْرِفَتِهِ ، وَابْتِهَانٍ بِهِ
وَتَوْحِيدِهِ ، فَهُوَ يَسْتَمِدُّ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسُهُ نَارُ .

ثُمَّ أَحَاطَ عَلَيْهِ حَائِطًا يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ وَالْمُفْسِدِينَ وَمَنْ يُؤْذِي
الْبُسْتَانَ ، فَلَا يَلْحَقُهُ أَذَاهُمْ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ فِي
يَقْظَتِهِ وَمَنَامِهِ .

ثُمَّ أَعْلِمَ صَاحِبَ الْبَيْتِ وَالْبُسْتَانِ بِالسَّاكِنِ فِيهِ فَهُوَ دَائِمًا هُمٌّ إِصْلَاحُ
السَّكَنِ وَلَمْ شَعْنِهِ لِيَرْضَاهُ السَّاكِنُ مَنْزِلًا .

وَإِذَا أَحَسَّ بِأَدْنَى شَعْنٍ فِي السَّكَنِ بَادَرَ إِلَى إِصْلَاحِهِ وَلَمْ ، خَشْيَةً
إِنْتِقَالِ السَّاكِنِ مِنْهُ ، فَنِعَمَ السَّاكِنُ ، وَنِعَمَ الْمَسْكَنُ فَسَبَّحَانَ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ .

كَمْ بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَيْتٍ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ ، وَصَارَ مَأْوًى
لِلْحَشَرَاتِ وَالْهُوَامِ ، وَمَحَلًّا لِلِلِقَاءِ الْأَنْتَانِ ، وَالْقَادُورَاتِ فِيهِ .

فَمَنْ أَرَادَ التَّخْلِيَّ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ وَجَدَ خَرَبَةً لَا سَاكِنَ وَلَا حَافِظَ لَهَا .
وهي مُعَدَّةٌ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ، مُظْلِمَةٌ الْأَرْجَاءِ ، مُتَنَتِّةُ الرَّائِحَةِ ، قَدْ
عَمَّهَا الْخَرَابُ ، وَمَلَأَتْهَا الْقَادُورَاتُ . فَلَا يَأْنَسُ بِهَا وَلَا يَنْزِلُ فِيهَا إِلَّا مَنْ
يُنَاسِبُهُ سُكْنَاهَا مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالْدِيدَانِ وَالْهُوَامِ .

الشَّيْطَانُ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهَا وَعَلَى السَّرِيرِ بَسَاطُ الْجَهْلِ وَتُحَفِّقُ فِيهِ
الْأَهْوَاءُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مَرَافِقُ الشَّهَوَاتِ .
وقَدْ فُتِحَ إِلَيْهِ بَابٌ مِنْ حَقْلِ الْخُذْلَانِ وَالْوَحْشَةِ ، وَالرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا ،
وَالطَّمَأْنِينَةِ بِهَا ، وَالزُّهْدِ فِي الْآخِرَةِ .

وَأَمِطَرَ مِنْ وَابِلِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى وَالشَّرِكِ وَالْبَدْعِ ، مَا أُثْبِتَ فِيهِ
أَصْنَافُ الشُّوكِ وَالْحَنْظَلِ ، وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمَرَةِ بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِيِ وَالْمَخَالَفَاتِ ،
مِنْ الزَّوَادِ وَالْإِنْتِدَابَاتِ ، وَالنَّوَادِرِ وَالْهَزْلِيَّاتِ وَالْمُضْحِكَاتِ ، وَالْأَشْعَارِ
الْغَزْلِيَّاتِ ، وَالْخَمْرِيَّاتِ الَّتِي تُهَيِّجُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَتُزْهِدُ فِي
الطَّاعَاتِ .

وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الْحَقْلِ شَجَرَةَ الْجَهْلِ بِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، فَهِيَ تُؤْتِي
أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِيِ ، وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْمُجُونِ ، وَالذَّهَابِ
مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، وَاتِّبَاعِ كُلِّ شَهْوَةٍ .

وَمِنْ ثَمَرِهَا الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ ، وَالْأَحْزَانُ وَالْآلَامُ ، وَلَكِنَّهَا مُتَوَارِيَةٌ
بِاشْتِغَالِ النَّفْسِ بِلَهْوِهَا وَلَعِبِهَا . فَإِذَا أَفَاقَتْ مِنْ سُكْرِهَا أَحْضَرَتْ كُلَّ هَمٍّ
وَعَمٍّ وَحُزْنٍ وَقَلْتٍ ، وَمَعِيشَةٍ ضَنْكٍ .

وَأُجْرِيَ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ مَا يَسْقِيهَا مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى ، وَطُولِ الْأَمَلِ
وَالْغُرُورِ .

ثم تَرَكَ ذَلِكَ الْبَيْتَ وَظَلَمَاتُهُ وَخَرَابُ حَيْطَانِهِ بِحَيْثُ لَا يُمْنَعُ مِنْهُ مُفْسِدٌ
وَلَا حَيَوَانٌ ، وَلَا مُؤَذٌّ وَلَا قَدَرٌ .

فَسَبَّحَانَ خَالِقِ هَذَا الْبَيْتِ وَذَلِكَ الْبَيْتِ ، فَمَنْ عَرَفَ بَيْتَهُ وَقَدَّرَ
السَّاكِنَ فِيهِ ، وَقَدَّرَ مَا فِيهِ مِنَ الْكُنُوزِ وَالذِّخَائِرِ وَالْآلَاتِ انْتَفَعَ بِحَيَاتِهِ
وَنَفْسِهِ .

وَمَنْ جَهِلَ ذَلِكَ ، جَهِلَ نَفْسَهُ وَأَضَاعَ سَعَادَتَهُ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَقَالَ أَقَامَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذَا الْخَلْقَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ
فَافْتَرَقُوا فِرْقَةً قَابَلَتْ أَمْرَهُ بِالْتَّرْكِ ، وَنَهْيَهُ بِالْارْتِكَابِ ، وَعَطَاءَهُ بِالْغَفْلَةِ عَنْ
الشُّكْرِ ، وَمَنْعَهُ بِالسُّخْطِ ؛ وَهَؤُلَاءِ أَعْدَاؤُهُ ، وَفِيهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ بِحَسَبِ مَا
فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ .

وَقَسَمُ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدُكَ فَإِنْ أَمَرْتَنَا سَارَعْنَا إِلَى الْإِجَابَةِ ، وَإِنْ
نَهَيْتَنَا أَمْسَكْنَا أَنْفُسَنَا وَكَفَفْنَاهَا عَمَّا نَهَيْتَنَا عَنْهُ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَنَا حَمْدَنَاكَ
وَشُكْرَنَاكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَنَا تَضَرَّعْنَا إِلَيْكَ وَذَكَرْنَاكَ .

فَلَيْسَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا سِتْرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا مَزَقَهُ عَلَيْهِمُ
الْمَوْتُ ، صَارُوا إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَقُرَّةِ الْأَعْيُنِ كَمَا أَنَّ أَوْلَئِكَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا سِتْرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

فَإِذَا مَزَقَهُ الْمَوْتُ صَارُوا إِلَى الْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ . فَإِذَا تَصَادَمَتْ جُيُوشُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ فِي قَلْبِكَ وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْتَ فَانْظُرْ مَعَ مَنْ تَمِيلُ
مِنْهَا ، وَمَنْ تُقَابِلُ ؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُكَ الْوُقُوفُ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ ، فَأَنْتَ مَعَ أَحَدِهِمَا
لَا مَحَالَةَ .

فَقَسَمُ اسْتَغْشَوْا الْهَوَى فَخَالَفُوهُ ، وَاسْتَنْصَحُوا الْعَقْلَ فَشَاوَرُوهُ .
وَفَرَّغُوا قُلُوبَهُمْ لِلْفِكْرِ فِيمَا خُلِقُوا لَهُ وَجَوَارِحَهُمْ لِلْعَمَلِ بِمَا أَمَرُوا بِهِ ، وَأَوْقَاتَهُمْ

لِعِمَارَتِهَا بِمَا يَعْمُرُ مَنَازِلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَأَسْتَظْهَرُوا عَلَى سُرْعَةِ الْأَجَلِ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ وَسَكَنُوا الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ مُسَافِرَةٌ عَنْهَا .

وَأَسْتَظَنُوا الْآخِرَةَ قَبْلَ انْتِقَالِهِمْ إِلَيْهَا ، وَاهْتَمُّوا بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَزَوَّدُوا لِلْآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِمْ فِيهَا .

فَجَعَلَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَرَوْحَهَا ، أَنْ أَنْسَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَهَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَشَوَّقَهُمْ إِلَى لِقَائِهِ ، وَنَعَّمَهُمْ بِقُرْبِهِ .

وَفَرَّغَ قُلُوبَهُمْ مِمَّا مَلَأَ بِهِ قُلُوبَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ عَلَى قُوَّتِهَا ، وَالْغَمِّ مِنْ خَوْفِ ذَهَابِهَا .

فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُّونَ ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ ، وَالْمَلَأَ الْأَعْلَى بِأَرْوَاحِهِمْ .

فائدة : وقال رحمه الله إذا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَأَمْسَى وَلَيْسَ هُمُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ تَحَمَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ وَلِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ .

وَأَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالِدُنْيَا هُمُّهُ حَمَلَهُ اللَّهُ هُمُومَهَا وَغُمُومَهَا وَأَنكَادَهَا وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ .

فَشَغَلَ قَلْبَهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ بِخِدْمَتِهِمْ وَأَشْغَاهِهِمْ .

فَهُوَ يَكْدَحُ كَدْحَ الْوَحْشِ فِي خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفَخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ أَضْلَاعَهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ .

فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبَادِيَّةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ بُلِيَ بِعُبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ
وَمَحَبَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ ﴾ .

قال سُفيان بن عُيَيْنَةَ لَا تَأْتُونَ بِمَثَلٍ مَشْهُورٍ لِلْعَرَبِ إِلَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ
الْقُرْآنِ .

فقال له قَائِلٌ فَأَيْنَ فِي الْقُرْآنِ أُعْطِيَ أَخَاكَ ثَمَرَةً فَإِنِ أَبِي فَجَمْرَةٌ .

فقال في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾

اللهم وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ
وَأَرْزُقْنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبَحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا
بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغَبَتَنَا فِيمَا
لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا .
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

٥٠ (مَوْعِظَةٌ)

فِي الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبِيلٌ مُوَصِّلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ
ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَخُصْنٌ حَصِينٌ

لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَمْ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَيْرَاتٍ عَظِيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الْمُقْتَضِيَّةُ لِلْحِفْظِ وَالْعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةُ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزَنِ عَنِ الْمُتَّقِي الْمُصْلِحِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْفِرْقَانُ عِنْدَ الْإِشْتِبَاهِ وَوُقُوعِ الْأَشْكَالِ وَالْكَفَارَةِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرُجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ مَنْ

كَانَ تَقِيًّا .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

وَمِنْ ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِنَالُ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا يُقْدِمُونَ عَلَى مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُجِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذَّلِّ وَالْأَهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يُكَذِّبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونُ وَلَا يَحْسَدُونَ وَلَا يُرَاؤُونَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفٍ ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

اخواني ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لَحَسَنَ عَمَلُهُ ، وَخَلَصَتْ نِيَّتُهُ ،
وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّدَى ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مِنَ النَّاجِينَ .

وَصَفُ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ
وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ
عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي
الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصْغَرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ
كَأَنَّ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَأَنَّ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذِّبُونَ
قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ
وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَغْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ وَتِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ
يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ
فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ
وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءً دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا
شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيَنُهُمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا

مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَيْبَرَ جَهَنَّمُ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَهْلُ أَرْبَارٍ أَتَقِيَاءُ .

قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؟ لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زَكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لَيْبٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ ، وَجَرَصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ وَقَصْدًا فِي غِنَى وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمِيسِي وَهْمَهُ الشُّكْرُ ، وَيُضْبِحُ وَهْمَهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا ، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنْ الْعَفْلَةِ ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ ، قَلِيلًا زَلَلُهُ ، خَاشِعًا قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنزُورًا أَكَلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ ، حَرِيزًا دِينُهُ ، مَيَّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا

غَيْظُهُ ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيْناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ .

لَا يَحْفِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْتُمُ بِالْمُصَابِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ .

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَجَّكَ لَمْ يَعْ لُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، أَتَعَبَ نَفْسُهُ لِأَخِرَتِهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِنْ دَنَائِهِ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِالْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَيْحَكَ ، إِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ أَهـ .

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَشْرُكُونَهَا
فَإِنَّ التَّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ

لِبَاسُ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا
وَأُنْهَى لِبَاساً فِي الْوُجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا
بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التَّقَى
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمَهَّلُ
وَأَكْثِرْ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمِدَ غَبَّهَا
بِدَارِ الْجَزَاءِ دَارٍ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ
وَقَدِمَ لِمَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
غَدَاً سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ
وَأَحْسِنْ وَلَا تُهْمِلْ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
فَدَارُ بَيْنِي الدُّنْيَا مَكَانُ التَّرَحُّلِ
وَأَذِ فُرُوضَ الدِّينِ وَاتَّقِنِ أَدَاءَهَا
كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفِلِ
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمِلْنَهَا
فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ عَامِلُ
وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا فَرُبُّكَ ظَامِنُ
لِرِزْقِ الْبَرَايَا ظَامِنُ مُتَكَفِّلُ
وَدُنْيَاكَ فَاعْبُرْهَا وَآخِرَاكَ زِدْ لَهَا
عَمَارًا وَإِثَارًا إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ

فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبْغِ
لِأَخْرَافِهَا بِالدُّنْيَا أَضَلُّ وَأَجْهَلُ
وَلَذَاتُهَا وَالْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْغِنَى
بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ
فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِمًا سَوْفَ يُثْقَلُ
وَيُنْزَلُ دَارًا لَا أُنَيْسَ لَهُ بِهَا
لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلُ
وَيَبْقَى رَهِينًا بِالتَّرَابِ بِمَا جَنَى
إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسَلُ
يُهَالُ بِأَهْوَالٍ يَشِيبُ بِبَعْضِهَا
وَلَا هَوْلَ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ
وَفِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفٍ
وَمِيزَانُ قِسْطٍ طَائِشٍ أَوْ مُثْقَلُ
وَحَشْرُ يَشِيبُ الْطِفْلُ مِنْهُ لِهَوْلِهِ
وَمِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ تَزْلُزَلُ
وَنَارٌ تَلْطِئُ فِي لُضَاهَا سَلَاسِلُ
يُغْلُ بِهَا الْفُجَارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ
شَرَابُ ذَوِي الْإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
وَزُقُومُهَا مَطْعُومُهُمْ حِينَ يُؤْكَلُ
حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخِرُ مِثْلُهُ
مِنْ الْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ وَيَشْعَلُ

يَزِيدُ هَوَاناً مِنْ هَوَاهَا وَلَا يَزَلُ
إِلَى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَاماً وَيَنْزِلُ
وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَاماً مُعَذَّباً
يَصِيحُ ثُبُوراً وَيَحَهُ يَتَوَلَّوْ
عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَذْحَضٌ وَمَزْلَةٌ
عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ تَعْلُقُ بِالْوَرَى
فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُخْرَدَلُ
فَلَا مُذْنِبٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
وَإِنْ يَعْتَذِرُ يَوْماً فَلَا الْعُذْرُ يُقْبَلُ
فَهَذَا جَزَاءُ الْمَجْرِمِينَ عَلَى الرَّدَى
وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْصُلُ
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ لَظَى وَعَذَابِهَا
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوِي بِهَا يَتَجَلَّجَلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمْهَرِيرٍ مُعَذَّبُ
وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ
وَجَنَاتُ عَذْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَاماً تَبْتَلُ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحُلُ
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا خَرِيرٌ وَسُنْدُسُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَغْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ

وَمَا كُولُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ
وَمِنْ سَلْسَبِيلٍ شَرِبُهُمْ يَتَسَلَّلُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ جِسَانٌ كَوَاعِبُ
على مثل شكل الشمس بل هو أشكل
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بُدِّلُوا
فَوَاكِهَهَا تَذُنُّوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
وَسُكَّانَهَا مَهْمَا تَمَنَّوْهُ يَخْضُلُ
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَعْسَلُ
تَنَاوُلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
وَحَمْرٌ وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ مُعَسِّلُ
يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي
يُحِبُّ إِلَى جَنَّاتٍ عَذْنٍ تَوْصَلُوا
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَاءُ
فَحَقُّ عَلَى الْعَيْنِينَ بِالْذَّمِّعِ تَهْمِلُ
وَحَقُّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ التَّقَى
وَلَا يَسَامُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّمُ

وإنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ
وَيَوْمٌ طَوِيلٌ أَلْفَ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَيَاكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
فَضِيعٌ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُغْضِلُ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنُ
كَثِيباً مَهِيلاً أَهِيلاً يَتَهَلَّلُ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحَدَهَا
وَلَا غَيْرُهَا مِنْ أَيِّ دِينٍ فَيَبْطُلُ
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسُ مَاذَا عِبَدْتُمَا
وَمَاذَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَاوَهُوَ مُرْسَلُ
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضُ مُحَقَّقُ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَاداً حِسَابُ مُثْقَلُ
أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
وَأَسْأَلُكَ التَّشْيِيتَ أُخْرَى وَأَوَّلُ
إِلَهِي فَتَشَيْتَنِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي
رَضِيتَ بِهِ دِيناً وَإِيَّاهُ تَقْبَلُ
وَهَبْ لِي مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْراً مُشِيداً
وَمَنْ بِخَيْرَاتٍ بِهَا أَتَعَجَّلُ
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى وَلَا الْحَمْدُ يَكْمُلُ
يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
وَأَرْجَحُ مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَثْقَلُ

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي
وَأُنْهِي بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأَبْتَدِي
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأُزَكِّي تَحِيَّةً
تَعْمُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَتَشْمَلُ
وَأُزَكِّي صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى الْمُصْطَفَى أَزَكِّي الْبَرِيَّةَ تَنْزِيلُ

اللهم وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ
وَأَرْزُقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا
بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيَمَا
لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا .
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا فِي الْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَالْغَيْبَةِ
وَالنَّمِيمَةِ ، وَالْمَدَاهِنَةِ ، وَالْأَنْهَمَاكِ فِي الدُّنْيَا ، إِلَى أَنْ اسْتَلْحَقَ كَثِيرٌ مِنْ
النَّاسِ جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ مُضَافًا إِلَى النَّهَارِ ، وَكَأَنَّنَا لَمْ نُخْلَقْ إِلَّا لِهَذِهِ
الْأَعْمَالِ ، أَفَلَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتَنَا عَنْ نَهْشِ أَغْرَاضِ
الْغَوَافِلِ ، وَالطُّغْنِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ، وَنَصْرِفَ جُلَّ الْأَوْقَاتِ ، إِلَى
الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ، وَنَذْكُرُ

مَوْلَانَا الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَيْنَا مَذَرَارًا ، فَإِنَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكَرَامَةِ
وَالْقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبَّنَا الَّذِي دُونَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُمْ قِيَمَةَ هَذِهِ
التَّصِيحَةِ لَبَادَرْتُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلِّ الْبَدَارِ ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذْكُرُ اللَّهَ أَفْضَلَ
مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْأَمْوَالِ ، وَأَفْضَلَ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ الْعَدُوَّ
فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ ، أَوْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْأَبْرَارِ ، كَيْفَ لَا
وَالذِّكْرُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا ، وَأَرْفَعُهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الْوَهَّابِ
حَسَبُ الذَّاكِرِ : أَنْ تَحْفَظَهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ، وَتَغْشَاهُ
الرَّحْمَاتُ ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الذَّاكِرِ ، وَهُوَ وَقْتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ يَذْكُرُهُ
بَارِئُ الْكَائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بِالذِّكْرِ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ ،
يَحْفَظُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ الْفَاتِنَاتِ ، وَمَنْزِلَةُ الذَّاكِرِ بَيْنَ الْغَافِلِينَ
كَمَنْزِلَةِ الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ ، ذَكَرَ اللَّهُ يُنِيرُ الْقَلْبَ ، وَيُوقِظُهُ وَيُحْيِيهِ ، وَيُزِيلُ
رَانَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ .

٥٢ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإِنَّ أَعْمَارَكُمْ
سَرِيعَةٌ الْانْصِرَامِ ، وَالْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي تَمُرُّ بِكُمْ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالدُّنْيَا إِذَا
تَأَمَّلَهَا اللَّيِّبُ رَأَاهَا كَالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٍ وَابْنُ هَالِكٍ
وَدُوٌّ نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقُ
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

أَعْوَامَ سَرِيعَةِ الْمُرُورِ ، وَشُهُورَ تَقْتَفِي إِثْرَ شُهُورٍ وَعَبْرَ بَيْنَ ذَلِكَ تَتَرَى ، فَعَلَامَ الْغُرُورِ ، فَلَا تَعْتَرُوا بِالدُّنْيَا فَقَدْ نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِهَا ، وَضَرَبَتْ لَكُمْ بِأَخِذِ امْتَالِكُمْ الْاِمْتَالُ ، أَرْتَكُمُ عِيَانًا كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِأَهْلِهَا الْأَحْوَالُ ، وَخَدَعَتْهُمْ الْأَمَالُ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمَنُّونَهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِكُمْ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا اكْتَسَبْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الثَّقَالِ ، فَأَيُّ نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلْمًا ، وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا لَمْ تَقْتَرِفْ إِثْمًا ، وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا يَلِيقُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَأَيُّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا تَمَحَّضَ لِلطَّاعَةِ وَخَلَا مِنَ الْإِثَامِ ، لَقَدْ جَنَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِالذُّنُوبِ جَنَايَةً عَظِيمَةً ، فَلْيَنُورُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِينُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ فَإِنَّهُمَا لِحَقُّ الْيَقِينِ ، وَذَكِّرُوهَا ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهْلَيْتَهُمْ لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُمْ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥٣ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، وَجَادَ عَلَيْنَا بِخَيْرَاتٍ وَفِيرَةٍ غَفَلْنَا عَنْهَا ، وَعَنْ ضِيْدَهَا ، وَجَهَلْنَا حِكْمَتَهَا ، أَعْطَانَا جُلَّ وَعَلَا

العقل ، وميّزنا به عن الحيوانات ، وأرسل إلينا الرُّسل ، يُرشدوننا للحقِّ
وخالص الإيمان ، منحنا القوة والعافية ، وصحَّه البدن ، وسلامة
الأعضاء .

وجعل لنا السَّمْع ، والبَصَر ، واللِّسان ، والشَّفَتَيْن ، وعلمنا البيان
والإفصاح ، عن ما نقصُّد بالكلام ، خلقنا في أحسن تقويم ، وجعل لنا
الأرض فراشاً ، والسماء بناءً ، وأنبت لنا في الأرض النخيل ، والأعناب
والزَّرْع وسائر ما نحتاج إليه من الثِّمار ، ونستخرج منها المعادن ،
والخامات .

وأجرى لنا فيها الأنهار ، وأنبع لنا الماء الزلال ، وخلق الشمس
والقمر ، والنجوم ، مسخرات بأمره تمدُّنا بالأنوار ، والمنافع ، للأبدان
والثِّمار ، والنباتات ، وفيها من الاتقان ، والجمال ، والاتزان في سيرها
مدى الليالي والأيام ، ما يشهد لله بالوحدانية ، والحكمة ، والقدرة
الباهرة ، والعلم ، وسائر صفات الكمال .

ولله نعم أخرى لا تعدُّ ، ولا تحصى ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إذا يجب علينا
شكره تعالى على نعمه ، وهو الغني الحميد ، غني عن العالمين ،
والخلق هم الفقراء إليه ، كما قال جلَّ وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، وليس لله في شكرنا منفعة تعود إليه ،
وليس في كفر نعمه ضرر عليه ، إنما تعود منفعة الشكر إلى الشاكر كما
قال تعالى ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

إنما الذي يتنظر الشكر مخلوق مثلنا وأنت إذا شكرت الله إنما

تُبْرَهْنُ عَلَى فَهْمِكَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ ، وَتَقْدِيرِكَ لَهُ إِنْ شَكَرْتَ فَقَدْ وَجَّهْتَ النِّعْمَةَ
وَجْهَةَ الْخَيْرِ ، وَالنَّفْعِ ، وَاسْتَعْمَلْتَهَا فِيمَا يُسَعِدُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ
كَفَرْتَ فَقَدْ بَرَهَنْتَ عَلَى سُوءِ فَهْمِكَ ، وَعَدَمِ تَقْدِيرِكَ لِرَبِّكَ ، وَعَلَى
تَعَمُّقِكَ فِي اللُّؤْمِ وَالرَّدَاءَةِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ وَجَدْتَهُ مُهْمِلًا لِلشُّكْرِ الَّذِي هُوَ صَرْفُ
النِّعَمِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ ، وَاسْتَعْمَالُهَا فِيمَا شُرِعَتْ لِأَجَلِهِ ، لِنَظَرِهِ فَائِدَتُهَا
وَتَتِمُّ حِكْمَتُهَا ، وَيَجْنِي الْعِبَادُ مَنَافِعَهَا ، فَالشَّاكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، وَعَمَلِهِ
مِنَ الْفَائِزِينَ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾
الْأَكْثَرُ كَمَا تَقَدَّمَ صَرْفُهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَى أَوْلَادِهِمْ ، وَأَهْلِهِمْ ،
وَأُمَّتِهِمْ بِالضَّرَرِ .

أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ بِالْمَالِ فَقَسَمَ خَزَنَتَهُ وَمَنْعُوا حُقُوقَهُ فَلَمْ يَخْرِجُوا زَكَاتَهُ ،
وَلَمْ يُسَاهِمُوا فِي مَشَارِيعِ دِينِيَّةٍ ، كِبْنَاءِ مَسَاجِدَ ، وَقَضَاءِ دَيْنٍ عَنْ مَدِينٍ
وَمُسَاعَدَةِ فَقِيرٍ ، وَإِجْرَاءِ مِيَاهٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى نَشْرِ الْإِسْلَامِ
وِطْبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدَةً وَتَوَازِيْعَهَا عَلَى التَّالِيْنَ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَطِبَاعَةِ
الْكَتُبِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَوِّيةِ لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَبِنَاءِ بُيُوتٍ لِمَنْ لَا مَسَاكِينَ
لَهُمْ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

وَقَسَمَ أَنْفَقُوا الْمَالَ فِي الْمَلَاذِ وَالْمَلَاهِي ، وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَسَائِرِ
الْمُحَرَّمَاتِ ، أَذْهَبُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاسْتَمْتَعُوا بِهَا ، وَلَمْ يُرَاقِبُوا اللَّهَ
فِيهَا ، أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَرَاغِ الْمَفْرُوضِ أَنْ تُغْتَنَمَ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ .

وَلَكِنْ يَا لِلْإِسْفِ صُرِفَتْ فِي السَّهْرِ ، وَفِي الْفَسَادِ ، وَفِي الْمُجُونِ

وَالْكَسَلَ وَالتَّكْسُعَ ، وَالْخُمُولَ أَوْ التَّطَاوُلَ بِالْقُوَّةِ عَلَى الضُّعْفَاءِ ،
وَالْمَسَاكِينَ ، وَإِعَانَةِ الظُّلْمَةِ وَالْفَاسِقِينَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مِنْ الْمَفَاسِدِ
وَالشَّرُورِ .

وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِيَ النِّعَمِ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ وَالرَّجْلِ
فَلَمْ يَتَّقِ نِعْمَةً إِلَّا وَقَلَّبُوهَا ، وَلَا هِبَةً مِنَ اللَّهِ إِلَّا وَجَحَدُوهَا فَتَزَلُّوا بَعْدَ
الرِّفْعَةِ وَذَلُّوا بَعْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا
صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ الْمَعَاصِي وَوَفَّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥٤ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا فِي مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا آيَةً مِنْ الْآيَاتِ
وَكَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَهُمْ بِالْإِغَا مَبْلَغًا يَعُدُّهُ أَهْلُ الْإِنصَافِ غَايَةَ الْغَايَاتِ لِذَلِكَ
كَانُوا فِي مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِبَعْضِهِمْ عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ فِي الدَّرَجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ فِي أَشَدِّ الْجُوعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالِهِ مِنْ
طَعَامِ غَامِلِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾
وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ

لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الْخَجَلَ لَيَعْلُو وَجُوهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا
الزَّمَانِ ، نَحْنُ فِي حَالَةٍ تَصَوُّرٍ حَقِيقَتِهَا فَقْطُ يُثِيرُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
الْأَحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّشْنَا ثُمَّ فَتَّشْنَا لَا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ
الْآخِائِ التَّامِّ يَكُونُ الْجَارُ فِي نِهَآيَةِ الْفَقْرِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ جَارُهُ الْمُثْرَى وَيَنْزِلُ
بِالْآخِ الشَّقِيقِ أَوْ الْعَمِّ الشَّقِيقِ أَوْ نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِنَ الْكَوَارِثِ وَلَا أَثَرُ
لِنُزُولِهَا عِنْدَ أَخِيهِ وَلَا كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ الْمَصَائِبَ الْفَادِحَةَ وَلَعَلَّكَ مُتَنْظِرٌ
الْجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ فَالْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ الْيَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَالُ شَغَلَهُمْ عَمَّا عَدَاهُ
وَأَنَسَاهُمْ كُلُّ مَا سِوَاهُ مَلَأَ الْقُلُوبَ حُبُّ هَذَا الْمَالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي
الْقُلُوبِ مُتَسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الْأَعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقِ الدِّمَاءُ
وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصِّفَا وَالْمُعَادَاةُ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ
فِي هَذَا الزَّمَانِ .

فَالْقُلُوبُ فِي سُرُورٍ مَا دَامَ الْمَالُ سَالِمًا وَإِنْ انْهَارَ بِنَاءُ الشَّرَفِ وَالذِّينِ
وَالنُّفُوسُ فِي هُدُوءٍ وَطُمَأْنِينَةٍ مَا ابْتَعَدَ عَنِ الْمَالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلُهُ هَاجُوا
هَيْجَانِ الْجَمَالِ وَهُمْ فِي تَوَاصُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تُعَرَّضَ لَهُ
انْقَطَعَتِ الصَّلَاتُ حَتَّى بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَادٍ وَإِخْوَانٍ .

أَمَّا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِينَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ إِخْوَانِنَا فِي
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ

جِيلٍ إِلَى جِيلٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْيَنَّا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ فِي مَرَاضِي اللَّهِ
وَشَقِيَّ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِي تَتَكَدَّرُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيُنْقَلُ عَنْكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ
فَلَا تَفْزَعْ وَلَا تَتَكَدَّرْ وَوِطْنَ نَفْسِكَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاللَّهِ مَيِّتٌ وَمَمْرُوثٌ عَنْكَ مَا
جَمَعْتَ وَمَنْعْتَ رَغَمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الْوَارِثُ الْعَاقُ أَوْ الْبَارِ وَأَنْتَ
تُسَالُ عَنْهُ هَلَلَةٌ وَقِرْشًا وَقِرْشًا .

وَتَكُونُ النَّتِيجَةُ إِنْ كُنْتَ جَمُوعًا مَنُوعًا شَقَاءَ تَسْتَغِيثُ مِنْهُ فَلَا تُغَاثُ
وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا بِيَدِكَ وَاقْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيجَةُ ذَلِكَ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمَغْرُورِينَ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيرُ جَمْعِ
الْمَالِ وَتَكْدِيسُهُ عِنْدَكَ آلَافًا وَمَلَائِينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلٍ وَأَرَاضِي وَيُيُوتِ كَذَابِ
أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ الْغَافِلِ الْمُظْلِمِ بِالْمَعَاصِي وَالْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

الَّذِي اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْعُكُوفَ عَلَى
الْجَرَائِدِ حَمَالَةَ الْكَذِبِ وَالْمَجَلَاتِ الْخَلِيعَاتِ وَالْكَتُبِ الْهَدَامَاتِ وَالْجُلُوسِ
حَوْلَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدُمُ وَتَتَحَسَّرُ حِينَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الْغَطَا
وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الْخَطَا وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ
وَهِيَاهَاتُ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الْآوَانِ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالْجُرْمَانُ .

لَقَدْ أَنْسَى النَّاسَ حُبَّ هَذَا الْمَالِ مَا لَهُمْ مِنْ شَرَفٍ وَمُرْءَةٍ وَدِينٍ
وَجَعَلَهُمْ حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُمُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِنْفَةٌ مُسْتَحْجِلَةٌ
عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُهُنَّ اجْتِذَابُهَا

فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا
وَإِنْ تَجَنَّبَهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمَالَ مِنْ خَدَمِ الدِّينِ فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ نَكْبَةً عَلَى أَصْحَابِهِ
وَكَذَلِكَ الْأَوْلَادُ إِنْ كَانُوا غَيْرَ صَالِحِينَ فَهُمْ ضَرَرٌ عَلَى آبِيهِمْ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ وَبَالًا وَمِنْ
زَوْجَةٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ الْمَشِيِّبِ وَمِنْ خَلِيلٍ مَآكِرِ عَيْنِهِ تَرَعَانِي وَقَلْبُهُ يَشْنَانِي إِنْ رَأَى
خَيْرًا أَخْفَاهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَفْشَاهُ.

وَقِيلَ إِنَّهُ سُئِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَالِ فَقَالَ لَا خَيْرَ فِيهِ قِيلَ وَلَمْ يَأ
نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ قِيلَ فَإِنْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قَالَ لَا يُؤْدِي حَقُّهُ
قِيلَ فَإِنْ أَدَّى حَقَّهُ قَالَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ قِيلَ فَإِنْ سَلِمَ قَالَ
يُشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَشْغَلْهُ قَالَ يُطِيلُ عَلَيْهِ حِسَابُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ الْخَمْسَ وَقَلِيلٌ مَنْ يَتَجَاوَزُهَا سَالِمًا
اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا
لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجعلنا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
فَكَفَيْتُهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتُهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتُهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين

٥٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَاحْمَدُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي جَرَّاسَةِ النِّعَمِ عَنِ الزَّوَالِ فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ قَدْ عَمَّتِ الْبَوَادِي وَالْأَمْصَارَ وَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَلَا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .

قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فَكَمْ أَسَدَى مَعْرُوفًا وَكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوفًا فَاشْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَاذْكُرُوهُ كَثِيرًا قَالَ تَعَالَى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

وَهُبُّوا مِنْ هَذِهِ الرِّقْدَةِ وَالْمَقَامِ وَاحْذَرُوا الْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَهَالِكَ وَالْمَذَامَ ، وَأَلْزَمُوا طَاعَةَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وَاعْتَنِمُوا بَقِيَّةَ الْعُمْرِ وَالْأَيَّامِ ، وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْإِجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ تَشَقُّقُ فِيهِ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا وَالذَّوَاهِي وَالْأَهْوَالُ الطَّوَامِ ، وَتُنْكَسُ فِيهِ الظُّلْمَةُ رُؤُوسَهَا وَيَعْلُوها الذُّلُّ مِنَ الرُّؤُوسِ إِلَى الْأَقْدَمِ وَيَتَجَلَّى لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ الْحُكَامِ .

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ وَنُودِيَ أَيْنَ الظُّلْمَةُ وَأَعْوَانُ الظُّلْمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَثُوبٌ وَإِقْدَامٌ فَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلُهُ وَمِنْ بَلَاءٍ مَا أَهْوَلُهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَثْقَلُهُ وَمِنْ عَذَابٍ مَا أَعْصَلُهُ وَمِنْ جَزَاءٍ مَا أَجْزَلُهُ وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلُهُ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيدُ وَحَقَّ الْوَعِيدُ وَعَظُمَ الْهَوْلُ الشَّدِيدُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٥٥﴾ وَخَضَعْتَ الرِّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ
فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الْأَشْقِيَاءُ بِالْخُسْرَانِ وَالتُّبَابِ فَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَعْمَلَ نَفْسَهُ
فِي طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْوُرُودِ .

فَانْتَبِهْ أَيُّهَا الْعَبْدُ لِأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَأَحْفَظْ أَيَّامَ عُمْرِكَ
قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ وَاعْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فَإِنَّ الْعُمَرَ بِالسِّنِينَ يُنْهَبُ
وَالْأَجَلَ بِمُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ يَذْهَبُ .

٥٦ (مَوْعِظَةٌ)

عِبَادُ اللَّهِ أَحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ مَا أَمَكَنَ لَكُمْ الْأَحْسَانُ ، وَإِنْ حَسِبْتُمْ
أَنْكُمْ كَافَأْتُمُوهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُسْبَانِ ، وَكُونُوا مَعَهُمَا فِي غَايَةِ الْأَدَبِ
وَالْأَحْتِرَامِ ، وَاحْذَرُوا سُوءَ الْأَدَبِ عِنْدَهُمَا وَإِلَّا هَوَيْتُمْ فِي هَوَا شَقَاءٍ مَا لَهَا
مِنْ قَرَارٍ وَكُونُوا مَعَهُمَا فِي إِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتَقْدِيرٍ تَامٍ وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُمَا
لَكَ ظُلْمٌ .

لَأَنْتُمَا اللَّذَانِ لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُمَا لَمْ تَخْرُجْ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ
وَلَأَنْتُمَا اللَّذَانِ سَخَّرَهُمَا اللَّهُ لَكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا رَأَى مِنَ الْأَهْوَالِ ،
وَسَخَّرَهُمَا لِتَرْبِيَّتِكَ وَالْعِنَايَةِ بِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ . تَذَكَّرْ زَمَنَ حَمَلِ أُمِّكَ
بِكَ وَأَنْتَ فِي بَطْنِهَا عِلَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْعِلَلِ ، وَتَذَكَّرْ وَقْتَ أَنْ كَانَتْ تَلِدُكَ وَهِيَ
مِمَّا بِهَا لَا مِنْ الْأَحْيَاءِ وَلَا مِنَ الْأَمْوَاتِ وَتَذَكَّرْ مَا خَرَجَ عَقِبَ وَلَادَتِكَ مِنَ
النَّزِيفِ الدَّمِ الَّذِي هُوَ نَفْسُهَا .

وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ كُنْتَ تَمُصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرِّضَاعِ ، وَسُرُورُهَا بِكَ تَقْصُرُ
عَنْ شَرْحِهِ الْعِبَارَاتُ . وَتَذَكَّرْ تَنْظِيفَهَا لِبَدَنِكَ وَمَلَابِسِكَ مِنَ الْأَقْدَارِ ،

وَتَذَكَّرُ فَرْعَهَا عِنْدَمَا يَغْتَرِبُكَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرُ دِفَاعَهَا عَنْكَ إِذَا اعْتَدَى عَلَيْكَ مُعْتَدِي .

وَتَذَكَّرُ جِرْصَهَا الشَّدِيدَ عَلَى أَنْ تَعِيشَ لَهَا وَلَوْ حُرِمَتْ لَذَّةُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَتَذَكَّرُ سَهَرَهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا يُؤْلِمُكَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِكَ ، وَتَذَكَّرُ كَدَّ وَالِدِكَ عَلَيْكَ فِي تَحْصِيلِ مَا بِهِ تَحْيَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لَا يَهْدُو عَنْ ذَلِكَ وَالِدُكَ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوعَ تَقْحَمَ الشَّدَائِدَ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا لَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَنْ يَرَكَ فِي يَسَارٍ .

وَتَذَكَّرُ عِنَايَتَهُ بِكَ فِي تَعْلِيمِكَ وَتَوْجِيهِكَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَتَذَكَّرُ حِيَاطَتَهُ وَنُصْحَهُ لَكَ وَمُقَاسَاةَ الشَّدَائِدِ لِرَاحَتِكَ ، وَتَذَكَّرُ فَرْحَهُ وَاسْتِيشَارَهُ بِمَحَبَّتِكَ وَنَجَاحِكَ ، وَتَذَكَّرُ دِفَاعَهُ عَنْكَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَتَذَكَّرُ دُعَاءَهُ لَكَ فِي مَظَنَّةِ أَوْقَاتِ الْأَجَابَةِ أَنْ يُصْلِحَكَ اللَّهُ وَيُوفِّقَكَ .

وَتَذَكَّرُ قَلَقَهُمَا وَالْأُدْلَاجَ فِي الْبَحْثِ عَنْكَ إِذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ وَقْتِ الْمَجِيءِ ، وَتَأَمَّلْ وَتَذَكَّرْ بِشَاشَتَهُمَا فِيمَنْ يَعِزُّ عَلَيْكَ لِسُرُورِهِمَا بِمَا يَسُرُّكَ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَكَّدَ اللَّهُ وَشَدَّدَ عَلَيْكَ بِالْوَصِيَّةِ بِهِمَا .

وَأَخْبَرَ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا جَنَّتَكَ وَنَارُكَ ، وَقَدَّمَ بِرَّهُمَا عَلَى الْجِهَادِ ، وَدَعَا أَنْ يُرْغَمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، وَأَخْبَرَ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ فَذَكَرَ عُقُوبَهُمَا بَعْدَ الْأَشْرَافِ بِاللَّهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالْدُّنْيَا وَالْهَوَى وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥٧ مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ يَعْيشُ ابْنُ آدَمَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعْيشَ ، وَيَمْشِي الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَتَقَلَّبُ فِيهَا ، وَيَرَى حُلُوهَا وَمُرَّهَا وَسُرُورَهَا وَأَحْزَانَهَا ، وَيَأْخُذُ فِيهَا حَظَّهُ مِنَ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، بِمَقْدَارِ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ هَذَا نِهَايَةٌ ، وَلِكُلِّ ذَلِكَ غَايَةٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فَسَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ، وَالْخُلُودُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحِبِّ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ .

شعرا :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
وَكَيْفَ بَقَاءُ النَّاسِ فِيهَا وَإِنَّمَا
يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

اخر :

سَلَامٌ عَلَى دَارِ الْغُرُورِ فَإِنَّهَا
مُنْعَصَةٌ لَذَاتِهَا بِالْفَجَائِعِ

فَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْمُجِبِّينَ سَاعَةً
فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالْمَوَانِعِ

فَالْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا جَسْرٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا مَمَرٌ وَمَعْبَرٌ
وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَبَّطُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ وَيَتَعَثَّرُ فِيهَا
وَلَا يَهْتَدِي ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُوفِّقُهُ اللَّهُ فَيَسْلُكُهَا مُسْتَقِيمًا لَا يَلْوِي عَلَى
شَيْءٍ إِلَّا عَلَى زَادِ الْآخِرَةِ ، وَأَمَلٍ يَهْدَفُ إِلَيْهِ ، فِي تِلْكَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ،
ذَلِكَ الْهَدَفُ هُوَ رِضَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ نَعِيمٍ ، الَّذِي
فِيهِ الْهُدُوءُ وَالْأَطْمَئِنَّانُ ، وَالَّذِي فِيهِ الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ
حَالُ مَنْ اتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنَفَعَتْهُ الْعِبْرَةُ ، وَلَمَسَ الْمَوْعِظَةَ مِنْ دُرُوسِ الْحَيَاةِ
وَأَحْدَاثِهَا فَاهْتَدَى ، وَزَادَهُ اللَّهُ هُدًى ، تِلْكَ حَالُ مَنْ اعْتَبَرُوا ، فَفَعَلَتْهُمْ
الْعِبْرَةُ ، وَجَعَلُوا التَّقْوَى إِلَى اللَّهِ أَمَامَهُمْ لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ
وَيَخْشَوْنَ سُوءَ الْحِسَابِ . ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَاتٍ ، وَسَتَّهَيْتَ إِلَى ظُلُمَاتٍ
خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَتَنَظَّرَكَ ظُلُمَاتُ الْقُبُورِ ، خَرَجْتَ مِنْ
أَحْشَاءِ أُمِّكَ ، وَاسْتَقْبَلَكَ أَحْشَاءُ أُخْرَى ، أَقْوَى وَأَعْظَمُ ، قَالَ تَعَالَى
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ دَفَعَكَ
جَوْفٌ بِيحْنٍ عَلَيْكَ ، إِلَى جَوْفِ الْأَرْضِ ، وَبَيْنَ الْجَوْفَيْنِ أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، فِيهِ
الدُّنْيَا السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ إِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ شِدَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ ،
وَمِنْ رَخَاءٍ إِلَى بَلَاءٍ ، وَتُصَادِفُكَ عَقَبَاتٌ فِي طَرِيقِكَ ، بَعْدَ عَقَبَاتٍ ،
وَتَتَغَيَّرُ أَحْوَالُكَ مِنْ حَالَاتٍ إِلَى حَالَاتٍ ، فَمِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ ، وَمِنْ عِزٍّ إِلَى
ذُلٍّ ، وَمِنْ غِنًى إِلَى فَقْرٍ وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى يُسْرٍ ، وَمِنْ صِحَّةٍ إِلَى مَرَضٍ ،

وَمِنْ مَرَضٍ إِلَى عَافِيَةٍ ، وَمِنْ رَاحَةٍ إِلَى تَعَبٍ ، هَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَهَذِهِ
أَحْوَالُهَا ، عِزُّهَا لَا يَدُومُ ، وَرَخَاوُهَا لَا يَبْقَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ
اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ،
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
فَحَاسِبْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ ، وَزِنْ أَعْمَالَكَ قَبْلَ أَنْ
تُوزَنَ عَلَيْكَ ، وَرَاقِبْ مَوْلَاكَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي السَّمَاءِ ، وَتُبْ إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ
وَارْزُقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا
بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ دُلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيَمَا
لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥٨ « مَوْعِظَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ »

اخْوَانِي أَيْنَ رُفَقَاؤُنَا وَاخْوَانُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَجِيرَانُنَا أَيْنَ
أَصْدِقَاؤُنَا أَيْنَ زُمَلَاؤُنَا وَأَقْرَانُنَا أَيْنَ عُلَمَاؤُنَا الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ أَيْنَ آبَاؤُنَا
وَأَجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَلَّ وَاللَّهِ بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا . هَذِهِ مَسَاكِنُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ قَدْ
نَسِينَاهُمْ وَنَسِيَهُمْ مُجِبُهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَيْنَ أَصْحَابُ الْقُصُورِ الْحَصِينَةِ ،

وَالْأَنْسَابِ الْعَالِيَةِ الرَّصِينَةِ وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِينَةِ ، قَبِضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ
 الْمَنَآيَا فَظْفِرَتْ ، وَنُقِلُوا إِلَى أَجْدَاثٍ مَا مُهَدَّتْ إِذْ حُفِرَتْ وَرَجَلُوا بِذُنُوبٍ
 لَا يَذْرُونَ هَلْ غُفِرَتْ أَوْ بَقِيَتْ فَالصَّحِيحُ مِنْهُمْ بِالْحَزَنِ قَدْ سَقِمَ وَالْمَدْعُو
 إِلَى دَارِ الْبَلَى أَسْرَعَ وَلَمْ يُقَمِّمِ وَالْكِتَابُ قَدْ سَطَرَ بِالذُّنُوبِ فَرَقَمَ . وَلِذِيذُ
 عَيْشِهِمْ بِالتَّغْنِيصِ قَدْ خُتِمَ وَفِرَاقُهُمْ لِأَحْبَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ قَدْ خُتِمَ وَالْوَلَدُ قَدْ
 ذَلَّ وَتَيْمٌ ، فَتَفَكَّرُوا فِي الْقَوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا ، وَتَذَكَّرُوا دِيَارَهُمْ أَيْنَ نَزَلُوا ،
 وَاسْأَلُوا مَنَازِلَهُمْ عَنْهُمْ مَاذَا فَعَلُوا فَاتَّبَعَهُ مِنْ رُقَادِكَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ مَا
 وَصَلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى .

اللَّهُمَّ لَا تُشْغِلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْتَنَا بِهِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ
 خَوَلًا لِغَيْرِكَ ، وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلْوَالدِّينَا
 وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٥٩ مَوْعِظَةٌ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
 حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَتْ الْأُمَّةُ الْأَسْلَامِيَّةُ فِيمَا مَضَى
 مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللَّهِ ، عَامِلَةً بِسُنَّةِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَحِيحَةً
 فِي عَقَائِدِهَا ، صَالِحَةً فِي أَعْمَالِهَا حَسَنَةً فِي مُعَامَلَاتِهَا وَعَادَاتِهَا ، كَرِيمَةً
 فِي أَخْلَاقِهَا بِصِيرَةٍ فِي دِينِهَا رَاقِيَةً فِي آدَابِهَا وَعُلُومِهَا ، فَكَانَتْ عَزِيزَةً
 الْجَانِبِ ، قَوِيَّةَ الشُّوْكَةِ ، جَلِيلَةَ مَهِيئَةِ ، صَاحِبَةَ السُّلْطَانِ وَالصَّوْلَةِ عَلَى
 مَنْ عَادَاهَا ، وَالْيَوْمَ تَغْيَرُ أَمْرُهَا ، وَتَبْدُلُ حَالَهَا ، اخْتَلَّتْ عَقَائِدُهَا وَفَسَدَتْ
 أَعْمَالُهَا ، وَسَاءَتْ مُعَامَلَاتُهَا وَعَادَاتُهَا ، وَتَذَهَوْرَتْ أَخْلَاقُهَا ، وَجَهِلَتْ أَمْرُ

دِينَهَا وَدُنْيَاهَا ، وَتَأَخَّرَتْ عُلُومُهَا وَصَنَائِعُهَا فَصَارَتْ ذَلِيلَةَ الْجَانِبِ ، ضَعِيفَةَ
 الشُّوْكَ ، سَاقِطَةَ الْكَرَامَةِ ، فَاقْدَةُ الْهَيْبَةِ مَغْلُوبَةً عَلَى أَمْرِهَا ، مُتَأَخِّرَةً فِي
 مَرَاقِقِ حَيَاتِهَا تَتَخَبَّطُ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ ، وَتَتَقَادُّ لِلْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهَا خَالَفَتْ كِتَابَ رَبِّهَا ، وَأَنْحَرَفَتْ عَنْ طَرِيقِ الْهَادِي نَبِيِّهَا ،
 وَسَارَتْ وَرَاءَ هَوَاهَا ، وَفُتِنَتْ بِزُخَرِيفِ الْحَضَارَةِ الْمُزَيَّفَةِ ، وَالْمَدَنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ
 وَظَنَّتْ الْإِبَاحِيَّةَ حُرِّيَّةً وَالْخَلَاعَةَ رُقِيًّا ، فَتَعَدَّتْ حُدُودَ الدِّينِ وَالْعَقْلِ .
 وَأَغْضَبَتْ خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَسَاءَتْ حَالُهَا ، وَسُلِطَ عَلَيْهَا عَدُوُّهَا ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
 يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذَاقَتِ الْأُمَّةُ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَعُوقِبَتْ
 بِشَرِّ أَمَالِهَا ، وَتَجَرَّعَتْ مَرَارَةَ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ ، وَالتَّفَرُّقِ وَالْأَنْجِلَالِ ، كُلُّ
 ذَلِكَ نَتِيجَةُ لَازِمَةِ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الْأُمَّةِ ، وَأَنْحِرَافِهَا عَنِ الصِّرَاطِ
 الْمُسْتَقِيمِ ، ﴿ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا
 إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ كُلُّ ذَلِكَ نَازِلٌ بِنَا وَوَاقِعٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ لَا نَفْقَهُ مِنْ
 سَكْرَتِنَا ، وَلَا نَنْتَبِهُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَلَا نَنْزَجِرُ بِالْمِحَنِ وَالْبَلَايَا ، وَلَا نَعْتَبِرُ
 بِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ فَلَوْ كَانَتْ لَنَا نَفُوسٌ حَيَّةٌ وَقُلُوبٌ يَقِظَةُ
 وَشُعُورٌ حَيٌّ وَاحْتِسَاسٌ قَوِيٌّ ، لَنَبْهَتَنَا الْبَلَايَا ، وَأَيَّقَظَتْنَا الْمُؤَلِّمَاتِ ،
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُ : الدِّينُ عَقِيدَةٌ صَحِيحَةٌ ، وَعِبَادَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَمُعَامَلَاتٌ حَسَنَةٌ
 عَادِلَةٌ ، وَأَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ، فَانْظُرُوا وَفَكِّرُوا ، وَفَقِّشُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ
 أَنْتُمْ سَائِرُونَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ عَلَى مَنْهَجِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، أَمْ
 أَنْتُمْ مُنْحَرِفُونَ عَنْهَا ، فَالْزُمُوهَا السَّيْرَ عَلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ ، وَفَقَّنَا اللَّهُ
 وَآيَاكُمْ لِلْإِسْتِقَامَةِ ، وَأَمَّنَّا وَلِيَاكُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَقَّانَا وَلِيَاكُمْ

شَرُّ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٦٠ مَوْعِظَةٌ

اِخْوَانِي إِنَّكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِيبِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ
وَالطَّرِيقُ كَثِيرَةٌ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَذَارَكُوا
هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخُلُوتِ ،
وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ،
وَاسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيَ بِكُمْ مُنَادِ
الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْأَنْبِيُنُ
وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ
مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْعَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنَ الْقُصُورِ إِلَى بُطُونِ
الْقَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ
تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهِيَ هَاتِ .

شِعْرًا :

وَقَالَ وَاحِرَبًا وَصَاحَ يَا هَرَبًا بَكَى لِأَنْ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ
إِذَا أَرَادَ حُبُوبًا فَارًا وَالتَّهَبَا وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ
وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبَا وَلَوْهَ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حِينَ رَأَى
إِلَّا بَكَى نَفْسُهُ الْمُسْكِينُ وَانْتَحَبَا لَمَّا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَرَ بِهِ
أَتَى يَرَاهَا بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا وَمَنْ رَأَى السُّمَرَ فِي جَنْبِهِ شَارِعَةً
أَرَتْهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطَلَّعَ عَلَى أَحَدٍ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْعِظَةٍ وَعَظَهَا أَلَّا أَنْ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ ،
وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ ، وَغَنِيهَا فَقِيرٌ ، شَابُّهَا يَهْرَمُ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَلَا يَغْرُكُمُ إِقْبَالُهَا
مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِصُرْعَةِ إِذْبَارِهَا وَالْمَعْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا .

أَيْنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ بَنَوْا مَرَابِعَهَا وَشَقَّقُوا أَنْهَارَهَا وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا وَأَقَامُوا
فِيهَا أَيَّاماً يَسِيرَةً وَغَرَّثَهُمْ بِصُحْبَتِهِمْ وَغَرَّوْا بِنِسَاطِهِمْ فَارْكَبُوا الْمَعَاصِي إِنَّهُمْ كَانُوا
وَاللَّهُ بِالْدُّنْيَا مَغْبُوطِينَ بِالْمَالِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنَعِ عَلَيْهِ مَحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ .

مَا صَنَعَ الثَّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ وَالرَّمْلُ بِأَجْسَامِهِمْ وَالْدِّيدَانُ بِأَوْصَالِهِمْ وَلُحُومِهِمْ
وِعِظَامِهِمْ وَإِذَا مَرَزَتْ فَنَادِيَهُمْ إِنْ كُنْتَ مُنَادِيًا وَاذْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ دَاعِيًا .
وَمَرَّ بِعَسْكَرِهِمْ وَانْظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ وَسَلِّ غَنِيَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ
وَسَلِّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَلْسِنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ
وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَنْظُرُونَ وَسَلِّمْهُمْ عَنِ الْأَعْضَاءِ الرَّقِيقَةِ .

وَالْوُجُوهَ الْحَسَنَةَ وَالْأَجْسَادَ النَّاعِمَةَ مَا صَنَعَتْ بِهَا الدِّيدَانُ .

مَحَبَّ الْأَلْوَانِ ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ ، وَعَفَّرَتِ الْوُجُوهَ ، وَمَحَبَّ
الْمَحَاسِنِ ، وَكَسَّرَتِ الْفَقَارَ ، وَأَبَانَتِ الْأَعْضَاءَ ، وَمَزَقَتِ الْأَشْلَاءَ قَدْ حِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَفَارَقُوا الْأَحَبَّةَ .

فَكَمْ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ بِالِيَةِ ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ
بَائِنَةً ، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَمَزِّقَةً ، وَقَدْ سَأَلَتْ الْحَدَقُ عَلَى الْوَجَنَاتِ ، وَأَمْتَلَاتِ
الْأَفْوَاهُ صَدِيدًا ، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَامِهِمْ ، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَاؤُهُمْ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ فَصَارُوا
بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَائِقِ قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ وَتَرَدَّدَتْ فِي الطَّرِيقِ أَبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمَوْسِعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ الْعِصْ النَّاعِمِ فِيهِ الْمُتَنَعِّمُ بِلَذَائِهِ ، فَيَا سَاكِنَ

القبر ما الذي غرَّكَ في الدنيا هل تظنُّ أنَّكَ تَبْقَى أو تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الْفَيْحَاءِ
 وَنَهْرُكَ الْمُطَرَّدِ وَأَيْنَ ثَمَرَتُكَ الْحَاضِرُ يَنْعُمُهَا وَأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ وَأَيْنَ كِسْوَتُكَ
 لَصِيفِكَ وَشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُغْمَضُ الْوَالِدِ وَالْأَخِ وَغَاسِلُهُ وَحَامِلُهُ يَا
 مُدْلِيَّهُ فِي قَبْرِهِ وَرَاحِلُ عَنْهُ ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْتُ عَلَى خُشُونَةِ الثَّرَى ،
 وَبَأَيِّ حَدِّكَ بَدَأَ الْبَلَى ، يَا مُجَاوِرَ الْهَلَكِي صِرْتُ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتِ ، لَيْتَ
 شِعْرِي مَا الَّذِي يَلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِي مِنَ الدُّنْيَا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ
 وَأَيَّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزَقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ،
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٦١ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ فَالزُّمُوهَا ، وَأَحْثُكُمْ عَلَى
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَاعْتَنِمُوهَا ، إِنَّ الزَّمَانَ يَطْوِي بِكُمْ مَسَافَةَ الْأَعْمَارِ لَا شَكَّ
 وَأَنْتُمْ رَاحِلُونَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ فَيَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ مَاذَا تَنْتَظِرُونَ بَعْدَ الْمَشِيبِ وَهَلْ
 بَعْدَهُ إِلَّا الْمَوْتُ فَإِنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ مِنْ سَبِيلٍ فَمَاذَا تَزَوَّدْتُمْ
 لِلرَّجِيلِ وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ أَنْفَقْتُمْ غُرَرَ الْأَعْمَارِ عِنْدَ الْمِذْيَاعِ وَالْكُرَةِ وَنَحْوِ
 ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ وَيَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ لَقَدْ ضَاعَتْ
 أَعْمَارُكُمْ فِي الْوُوكُمِ رَيْحَ فُلَانٍ وَكَمْ يَبِيعُ الْبَيْتُ الْفُلَانِيُّ وَالْأَرْضُ الْفُلَانِيَّةُ وَخُذْ
 هَذِهِ الْجَرِيدَةَ وَأَعْطِنِي الْآخَرَى أَلَا صَرَفْتُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ إِلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى
 غُرَفِ الْجَنَّةِ وَأَرَاضِيهَا وَأَنْفَقْتُمْ بَعْضَ مَا وَهَبَ اللَّهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ إِلَى مَا
 يُرْضِي اللَّهَ مِنْ تَفْقِيدِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ لَا قَلِيلَةٌ وَلَا كَثِيرَةٌ مِمَّنْ

يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمِنْ مَسَاجِدَ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمٍ أَوْ فُرْشٍ وَإِلَى
 إِنْشَاءِ مَسَاجِدَ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَوْ إِلَى طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً
 جَيِّدَةً فَتُوزَعُوهَا عَلَى التَّالِينَ لِلْقُرْآنِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ طَبْعِ كُتُبٍ دِينِيَّةٍ فِيهَا
 تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ وَنَشْرِ لِمَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ كَكُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ
 وَتَلْمِيزِهِ بْنِ الْقِيَمِ وَابْنِ رَجَبٍ وَابْنِ مُفْلِحٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَالْمَوْفِقِ وَالْمَجْدِ وَالشَّيْخِ
 الْمُجَدِّدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ
 الْمُصْلِحِينَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
 يُيسِّرَ لَنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ أَمْثَالَهُمْ لِنُصْرِ دِينَهُ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

شعرا :

الْمَالُ يَذْهَبُ جِلَّةً وَحَرَامُهُ
 طُرّاً وَتَبْقَى فِي غَدِ آثَامُهُ
 لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ إِلَّا لَهُ
 حَتَّى يَطِيبُ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
 وَيَطِيبُ مَا يَحْوِي وَيَكْسِبُ كَفُّهُ
 وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهُ
 نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ
 فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَطَهِّرْ مَكْسَبَنَا مِنَ الرِّبَا
 وَالسُّنَنَّا مِنَ الْكَذِبِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا عَنْ ذُنُوبِنَا وَقَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاضِعْنَا
 بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَتَتْ سِرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ وَاغْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٦٢ خطبة في (شؤم المعاصي وخطرها)

الحمد لله كتب العزة والكرامة لمن أطاعه . وقضى بالذل والهوان
على من عصاه نحمده سبحانه ونشكره لا رب لنا سواه ولا نعبد إلا
إياه . ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، العالم بما في
الكون من حوادث وخطوب وبما ألم بالمسلمين من شدائد وكروب
ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه وعلى
آله وصحبه وكل من سار على نهجه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فيقول الله سبحانه وتعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم) عباد الله اتقوا الله واحذروا وخافوا ما أنذرتكم
منه . هذه الآية اذهي نص صريح بأن الله لا يؤاخذ قوماً الا بما
كسبت أيديهم فلا يغير تعالى ما بهم من نعمة بنعمة أو عافية بلاء أو
أمن بخوف أو سرور بحزن أو غنى بفقر حتى يغيروا ما بأنفسهم
فيقابل الشكر بالكفران والطاعة بالمعصيان تلکم سنة الله في خلقه
ولن تجد لسنة الله تبديلاً . أيها المسلمون يظهر لنا جلياً مصداق الآية
الكريمة وشاهدها من التأمل في ماضي المسلمين الوضاء وحاضرهم المظلم
وما طرأ عليه من تحول فظيع لما أن غيروا وتهاونوا بحرمات الله في

الماضى إبان أن كانت الأمة الإسلامية صادقة في دعوتها ، متمسكة
 بكتاب ربها عاملة بسنة نبيها صحيحة العقائد كريمة الأخلاق حسنة
 المعاملة بصيرة في دينها ودنياها كانت مهابة ، قوية الشوكة ، عظيمة
 الجانب ، صاحبة السلطة ، تغزو القلوب قبل الأجسام يقول سبحانه :
 (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) ويقول ﷺ نصرت بالرعب
 مسيرة شهر . وبعد أن وهن المسلمون وضعفوا وفتنوا أو معظمهم ،
 بزخارف الدنيا وساروا وراء أطماعهم الخاصة واتبعوا شهواتهم وأهواءهم
 وغاروا لأنفسهم ولم يغاروا لحرمة الله والتمسوا الأعذار للمخلوقين
 ونسوا أو تناسوا مسوئولية رب العالمين . بعد أن وجد فيهم ذلكم
 سافراً أعذر الله فيهم فسلط عليهم ذلاً لا ينزعه حتى يرجعوا الى
 دينهم وتداغت عليهم الأثم من كل حذب وصوب حتى أصبحوا
 خائفين بعد أن كانوا مخوفين ، ومغزيين بعد أن كانوا غازين ، وهائبين
 بعد أن كانوا مهيبين فلا حول ولا قوة إلا بالله . روى الامام أحمد
 عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن تداعى
 عليكم الأثم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قلنا يا رسول
 الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل
 تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن
 قال حب الدنيا وكراهية الموت . وما ذلکم يا عباد الله إلا شوم
 المعاصي وثمرات الذنوب التي أفقدتنا أعظم عدة وأنكى سلاح وهو

غزو القلوب (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)
فهم ذلكم عقلاء الاسلام فحذروه كل الحذر . روى الامام أحمد
رحمه الله عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرص
وفرق بين أهلها فبكى بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالساً يبكي
فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال
ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة
قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى .

عباد الله . حذار أن تستهينوا بمحارم الله ومعاصيه فان لها حامياً
غيوراً يراقب السر والجهر ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
فحذار من معاصيه فانكم بارتكابها تؤججون نار إحراقكم وتحفرون
الهوى السخيفة لأنفسكم فقد أخبر القرآن الكريم عن مصير العصاة
وما لا قوه من نتائج وخيمة في العاجل والآجل فإنا الذي يا عباد الله
أخرج الأيوين من الجنة دار اللذة والنعيم الى دار الأحزان والآلام
إلا شؤم أكلة واحدة نهيها عنها وما الذي أخرج إبليس من ملكوت
السما وصيره طريداً مصدراً لكل شقاء إلا تكبره وامتناعه من
الانتيان بسجدة واحدة وما الذي أغرق أهل الأرض حتى علا الماء
رؤوس الجبال وسلط الريح العقيم على قوم عاد وأرسل على قوم ثمود
الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وما الذي رفع قوم لوط حتى
سمع أهل السماء صوت كلابهم ثم قلبها عليهم وما الذي خسف الأرض
بقارون وأغرق فرعون وهامان وجنودهما ما الذي أطاح بعروش

كثيرة أضحى أهلها بعد العزُّ العوبة في يد الطغاة إلا شؤم ذنوبهم
وما ذكر الله أولئككم في كتابه الكريم إلا ليخوفنا وينذرنا ويحذرنا
مما حل بهم . فحذار عباد الله من معاصي الله فانها شهوة قصيرة عاجلة
تعقبها حسرة دائمة ونار حامية . حذار فقد وضع السبيل ولن ينفع
عند الله ملفق الأعذار ولا التأويل . نفعي الله وإياكم بهدي كتابه
وجعلنا من أهله . أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي
ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

٦٣ خطبة في (فضل الشهادة بالحق)

وضرر كتمها - وخطر شهادة الزور

الحمد لله الخبير فلا تخفى عليه خافية يعلم ما توسوس به نفس المرء وما
ينطق به سرّاً او علانية . أحمدته سبحانه امرنا بحفظ السنن عن قول الزور
والفحشاء وأسأله التوفيق لقول الحق في السراء والضراء واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله
بشر الصادقين بجنات تجري من تحتها الانهار . وآذن الكاذبين بسوء
العاقبة والنار والدمار . صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه اهل
الصدق في الأقوال والأفعال والبعد عن الزيف والضلال وسلم
تسليماً كثيراً

اما بعد فيا ايها المسلمون اتقوا الله واسمعوا قوله سبحانه بأذان

مصغية وقلوب واعية تنشده الحق لتتبعه يقول جل من قائل (يا أيها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو
والدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) عباد الله
ما هو جل وعلا امركم بالفسط الذي هو العدل وبأن تكون شهادتكم
بحق لشخص أو عليه مراداً بها وجه الله سبحانه . أمركم بالآيات
بالشهادة على وجهها من غير التواء أو تأويل (ومن يطع الله فقد وقع
أجره على الله) فتحرروا رحمكم الله في شهادتكم واقوالكم الحق الذي
لا غبار عليه فبشهادة الحق اثبات الحقوق وتوطيد دعائم الأمن وإياكم
وتحكيم عاطفة القرابة في الشهادة . إياكم والميل الى غني لغناه أو فقير
رحمة به فالله أولى بعباده منكم فقد تظنون أن الشهادة بالحق عليهم نعمة
وهي في باطن الأمر نعمة .

عباد الله ان الشهادة بالحق لا يؤديها الا نفوس علوية متنزهة عن
ان تريد بها الدنيا وحطامها الفاني نفوس متطلعة الى الفردوس الى
الرحيق المختوم الذي ختامه مسك فاستسيغوا رحمكم الله في ادائها كل
مرارة واستسهلوا كل صعب سواء كان سيراً الى المحاكم أو انتظاراً أو
كان في ذلك اغضاب لأحد ففي تأخركم عن أداء شهادة بحق تعلمونه
إثم كبير والله يقول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)
وان القلب يا عباد الله مصدر الفساد والصلاح فاذا آثم القلب فماذا يبقى
بعد ذلك فلا تكتموها في كتمانها شر على بني الانسانية التي أمرتم
بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم

عباد الله اذا كان كتم الشهادة فيه ضرر على البشرية واختلال لنظامها
 فهناك ما هو اشد منه اثماً واكبر خطراً وما ادراككم ما هو ، هو الجريمة
 العظمى والطامة الكبرى شهادة الزور التي كادت تعدل الاشراك بالله
 شهادة الزور التي تهددنا في أموالنا ودمائنا وأمننا تللكم التي أخربت
 بيوتاً عامرة وأزهقت أرواحاً بريئة وأهدرت حقوقاً واضحة فافشت
 في أمة الا وسادت فيها الفوضى وتحكمت فيها الأهواء لذا وغيره من
 أضراره الخطرة حذرنا الرسول ﷺ منها بقوله ألا انبئكم بأكبر
 الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس يقول الراوي كان
 كان متكئاً فجلس ثم قال وشهادة الزور وقول الزور وما زال يكررها
 حتى قلنا ليته سكت . فحذر معشر المسلمين من شهادة الزور وقوله
 فان فيها إساءة على قضاة المسلمين بتليس الحق عليهم فيها إساءة الى
 المشهود له بمساعدته على الاثم والعدوان . فيها إساءة الى من حرمه
 حقه بشهادته وخذله في حين حاجته الى نصرته فليتنق الله شاهد الزور
 وقاتل الزور وليتب الى الله قبل ان يوقف بن يدي احكم الحاكمين
 واعدل العادلين الذي سيقبض للشاة الجلاء من الشاة القرناء . ليتب
 الى الله قبل ان يساق الى جهنم مع المجرمين فوالله لو علم ما اعد الله له
 من الخزي العاجل والعذاب الاليم في الآخرة لتمنى ان لسانه قطع قبل ان
 ينطق بشهادة زور او كلمة زور فاتقوا الله ايها المسلمون (ولا تقف ما ليس
 لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً) . نفعني
 الله واياكم بهدي كتابه اقول قول لي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم

ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

خُطْبَةٌ فِي (اَكْلُ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ — وَخَطَرُ الرِّشْوَةِ)

الحمد لله الهادي الى سبيل الرشاد . احمده تعالى واعوذ به من
مفاتن الدنيا ونزعات الفساد . واشكره واسأله التوفيق المتواصل
والسداد . واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له . امرنا بالاكل
من طيبات الاموال . ونهانا عن كل ما فيه خطر على كياننا من
الاعمال . واشهد ان سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وبارك عليه
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

اما بعد فيا عباد الله الي بالآذان المفتحة والقلوب الواعية الي لتتعقل
وتتفهم الوحي السماوي الذي جاء بما يكفل سعادة الفرد والمجموع جاء
بما ان تمسكنا به لن نضل ابداً . جاء بما يقوي الروابط ويحفظ الصلات
يقول سبحانه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى
الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون) عباد الله
نهاكم الله في هذه الآية الكريمة عن أن تأكلوا أموالكم أو أن
يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . وأكله بالباطل أكله من غير الوجه
الذي أباحه الاسلام فكلماً أنفقه الانسان في حرام أو فيما لا فائدة فيه فهو
أكل له بالباطل وما أخذ من انسان بغير وجه شرعي كالزيادة الربوية
وأثمان الجزء المغشوش من الأعيان وما كسب بالقمار وما يدفع

للكهان ومهر البغي والرشوة وما الى ذلك من غلول وشبهه فكل من
 وصل إليه مال من هذه الطرق يعد آكل مال غيره بالباطل وكل
 من أنفق فيما لا فائدة فيه يعد منفقاً في باطل والباطل هو الزائل الذاهب
 الذي عاقبته الويل والخسران وما احرى واحق - يا عباد الله - أهل هذه
 الجرائم الذين أعرضوا عن هذه التعاليم السماوية الكريمة (ولا تأكلوا
 أموالكم بينكم بالباطل) ما أحقهم بالعذاب الاليم وتصلية الجحيم .
 عباد الله إن من أكبر الكبائر أكل الأموال بالباطل وأخبثها أخذ الرشوة
 أو إعطاءها فذلكم الداء الخطر داء السرطان الذي ما خالط جسماً الا وقضى
 عليه ما لم يستأصل فما خالطت الرشوة عملاً الا أفسدته ولا نظاماً الا
 قلبته ولا قلباً أو طريقاً منيراً الا أظلمته فافشت في امة الا وأطاحت
 بسلطانها ما وجدت في امة الا وحل الغش فيها محل الاخلاص
 والخيانة محل الامانة ولا غرو فكم لله من السنة ناطقة أحرستها وضمائر
 وأدتها، لذا وغيره من اضرارها السيئة وعواقبها الوخيمة لم يقف النظم
 القرآن في بادئها في الباطل فقط بل قال بعد ذلك مؤكداً لتحريمها
 ومحذراً من سوء عاقبتها (وتدلوأ بها الى الحكم) أي ولا تدلوأ
 بالأموال الى الحكم . والادلاء المنهي عنه له معنيان احدهما ان الله
 سبحانه ينهك ايها المسلم ان تدلي بحجتك الى الحاكم ليحلل لك ما أكلته
 بالباطل . والحاكم انما يحكم بالظاهر فحكمه لا يحرم حلالاً في باطن
 الاثر ولا يحل حراماً يقول رسول الله ﷺ انكم تختصمون الي

فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما اسمع فن قطعت له من حق اخيه شيئاً فانما اقطع له قطعة من نار فليأخذها او ليدعها . المعنى الثاني للدلاء ان الله سبحانه ينهاكم ان تعطوا الخماكم شيئاً من المال ملتسين بذلكم استمالته في الحكم كي تتوصلوا الى أكل طائفة من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ما أثم عليه من باطل وظلم تعلمون أنكم بذلك أسأتم إلى أنفسكم وعرضتموها للعة الله وغضبه وعقابه يقول رسول الله ﷺ لعن الله الراشي والمرشي والرائش . وروى الطبراني عن ابن مسعود موقوفاً قال الرشاء في الحكم كفر وفيما بين الناس سحت

عباد الله ليست الرشوة المتوعد أهلها بالطرد والابعاد من رحمة الله مقصورة على دفع مال إلى حاكم وشبهه بل كل نفع تقدمه إلى حاكم أو رئيس مصلحة أو مأمور ثغر تقصد بذلك استمالته واستغلال منصبه في باطل فهو رشوة جاء الحديث النبوي مثبتاً إن هدايا العمال غلول استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة يقال له ابن اللثية فلما قدم على رسول الله ﷺ قال هذا لكم وهذا أهدي إلي فغضب رسول الله ﷺ من ذلك وصعد المنبر فقال ما بال أحدكم نستعمله فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي هلا قعد أحدكم في بيت امه فينظر ماذا يهدي إليه فاتقوا الله عباد الله وتعاونوا على تطهير نفوسكم وجمتمعكم من داء الرشوة فانه مهدر للحقوق معطل للمصالح فحذار منه فان فشوه في أمة مؤذن بهلاكها كيف لا وهي مساعدة على الاثم والعدوان تقدم الجهلاء

وتؤخر الاكفاء ترفع الخامل وتضع المجد العامل فحذار من الرشى
 يا عباد الله فإنها فسخ المروءة وقبر الامانة والشرف لا يقدم عليها الاخوان
 وضع دنيء النفس سافل المروءة مساوم في دينه وكرامته . بارك الله
 لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني واياكم لما فيه من الآيات
 والذكر الحكيم اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم
 ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

٦٤ موعظة

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ لَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ عَامِكُمْ وَفَاتَ ، وَتَقَضَّتْ أَيَّامُهُ وَلَيَالِيهِ
 وَأَنْتُمْ مُنْهَمِكُونَ فِي اللَّذَّاتِ ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَصْرُمَتْ مِنْهُ الْأَوْقَاتُ ، وَمَا أَكْثَرَ
 مَا خَطَبِكُمْ لِسَانُ حَالِهِ بِزَوَاجِرِ الْعِظَاتِ ، وَمَا أَطْوَلَ مَا نَادَى بِكُمْ مُنَادِي
 الشَّتَاتِ .

أَبْنِي ابْنِنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ
 أَبْدَأُ غُرَابُ السَّيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ

فَطُوبَى لِمَنْ تَذَارَكَ الْهَفَوَاتِ ، وَبُشْرَى لِمَنْ لَازَمَ تَقْوَى اللَّهِ ، وَعَمِلَ
 بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَيِّثًا لِمَنْ أَذْهَبَ الشَّيْثَاتِ بِالْحَسَنَاتِ ، وَيَا خَيِّتَهُ
 مَنْ شَغَلَتْهُ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، عَنْ طَاعَةِ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ، وَمَا أَعْظَمَ
 خَسَارَةً مَنْ بَاعَ نَفْسَ آخِرَتِهِ بِخَيْسِ دُنْيَاهُ ، وَخَسِرَ لَهُ يَوْمٌ ﴿ تَقُولُ نَفْسُ
 يَا خَسِرْتَ عَلَى مَا قُرِطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ وَتَعَسَا وَجَدَعًا لَهُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ
 الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ :

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ فِي سَكْرَاتِهِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ
 وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَخَطَرُ مَنْ كَانَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ وَأَعْظَمُ

مِن ذَلِكَ الْأَخْطَارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعَرْضِ
عَلَى الْجَبَّارِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَنَضْبِ الْمِيزَانِ لِمَعْرِفَةِ الْمَقَادِيرِ .
ثُمَّ جَوَّازُ الصَّرَاطِ مَعَ ذِقْتِهِ وَحَدِيثِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النَّدَاءِ عِنْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا
بِالِإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالِإِسْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالُ وَأَهْوَالُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الْإِيمَانُ بِهَا
عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصْدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي مِقْدَارُهُ
خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَتَذْنُوبُهُمُ الشَّمْسُ
وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتْلُغُ الْأَمْرُ مِنَ الْحَيَرَةِ وَالِدَّهْشَةِ وَالِاضْطِرَابِ وَالذُّهُولِ
أَنْ تَذْهَلَ الْمُرْضِعَةُ عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي فَمُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ
بِالذُّهُولِ عَمَّا سِوَاهُ وَتَسْقِطُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْفَرْعِ وَالرُّعْبِ وَالرُّوعِ مَا فِي بُطُونِهَا
مِنَ الْأَجْنَةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ وَالْفَرْعِ
وَالْخَوْفِ الَّذِي صَيَّرَ مَنْ رَأَاهُمْ يُشَبِّهُهُمُ بِالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السَّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ « يَوْمَ تُرْجَفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا
الرَّادِفَةُ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ تَكْفَأُ
بِأَهْلِهَا .

فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقُطُونَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَيُلَوِّغُهُ أَقْصَى
الْغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلَ الْعُقُولِ وَأَذْهَبَ التَّمْيِيزِ وَالْفِكْرِ وَالصُّحُوحِ إِنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ .

إِنَّهَا لَهَزَّةٌ غَنِيْفَةٌ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الْأَرْضُ الثَّابِتَةُ ارْتِجَافًا وَتَزُلْزَلُ زِلْزَالًا وَتَنْفُضُ مَا فِي جَوْفِهَا نَفْضًا وَتُخْرِجُ مَا يُثْقَلُهَا مِنْ أَجْسَادٍ وَنُقُودٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا حَمَلَتْهُ طَوِيلًا وَهُوَ مَشْهُدٌ يَهْزُ كُلُّ شَيْءٍ ثَابِتٍ وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ .

إِنَّهُ لَمَشْهُدٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ ، يَخْلَعُ الْقُلُوبَ بَرَى الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْهَدُ وَيُوَاجِهُ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لَا يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلَا السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ مَا الَّذِي يُزْلِزِلُهَا هَكَذَا وَيَرْجُحُهَا رَجَأً .

وَكَاثُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَائِلُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَيَتَشَبَّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ شَيْئًا لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لِأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُورُ مَوْرًا شَدِيدًا قَدْ اِمْتَلَأَ مِنَ الرُّعْبِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهْشَةِ وَالْعَجَبِ .

يَرَى الْجِبَالَ وَهِيَ تَسِيرُ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيرَتْ ، هَذِهِ الْجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ وَبُسْتُ وَرَاءَهَا ذُرَابٌ فِي الْهَوَاءِ ﴿وَبُسْتُ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا .

هَذِهِ تُصْرِّحُ وَتُسَيِّرُ إِلَى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَتَزَلْزَلُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً يَتَلَاشَى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُهَا وَاهْتِفَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا وَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلَا يَكَادُ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ .

هُنَا يُشَاهِدُ وَيُوَاجِهُ الْحَشَرَ وَالْحِسَابَ وَالْوِزْنَ وَالْجَزَاءَ وَيَقِفُ جَبْرِئِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ

النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿١٠﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا .

وَمَوْقِفٌ هَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ صَامِتِينَ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ ﴿١١﴾ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتَ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٢﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذَا صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِي فِي النَّفْسِ الرُّهْبَةَ وَالرُّعْبَ وَالْفَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ مَسْتُورٍ وَيُعْلِمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُولٍ .

وَتَقِفُ فِيهِ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرَتْ مِنَ الرِّصِيدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَضْلِ وَالْحِسَابِ ﴿١٣﴾ هُنَالِكَ تَبْلُغُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴿١٦﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ التَّغْيِيرُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُودَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الشَّمْسُ مُكْوَرَةٌ وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ وَالسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ وَالْوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُورَةٌ وَالْأَنْعَامُ وَالطُّيُورُ وَالْعِشَارُ مُعْطَلَةٌ ﴿١٧﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ آمِنُ الْمَقَرِّ ﴿١٨﴾ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٠﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ .

هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ الْهَائِلِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ حَادِثٌ عَظِيمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ

بِالْخَلْقِ الضَّعَافِ الْمَهَازِلِ الَّذِينَ تَهْزُهُمُ الصَّوَاعِقُ هَزًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خَلْعًا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلِ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ .

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهُولِ وَالْإِنْقِلَابِ يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ الْمَذْعُورُ الْمَرْعُوبُ أَيْنَ الْمَفْرُ وَيَتَذَوُّ ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُودٌ دُونَهُ مَأْخُودٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَنَقَذَ وَلَا وَقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ وَأَخِذِهِ، وَالرُّجْعَةُ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ .

فَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الْخَلَائِقِ وَضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَنُفُوذُ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآبٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿إِنَّكُمْ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ﴾ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ﴿إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

فَلَا مَجَالَ لِهَرَبِ أَحَدٍ وَلَا نِسْيَانٍ لِأَحَدٍ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكُلِّ فَرْدٍ يَقُومُ وَجِيدًا لَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ فَإِذَا هُوَ فَرِيدٌ وَجِيدٌ أَمَامَ الدِّيَانِ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ﴾ .

مَشْهَدُ الْمَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالصَّقِيهِمْ بِهِ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ تَرْبُطُهُمْ بِهِ وَشَائِجُ وَرَوَابِطُ لَا تَنْفَصِمُ وَلَكِنَّ الصَّاحَّةَ وَالطَّامَةَ تُمَزَّقُ

هَذِهِ الرُّوَاطِيطُ وَتُقَطَّعُ الْوَشَائِجُ وَالصَّلَاتُ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

فَالْهَوَلُ يُفْرِغُ النَّفْسَ وَيُقْلِقُهَا وَيَفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَاداً
فِلِكُلِّ نَفْسِهِ وَشَأْنِهِ وَلَدَيْهِ الْكِفَايَةُ مِنَ الْهَمِّ الْخَاصِّ بِهِ الَّذِي لَا يَدْعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ
وَعِيٍّ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَاطْمِينَ (.

فَهَا هِيَ ذِي السَّاعَةِ الَّتِي يَغْفُلُ عَنْهَا الْغَافِلُونَ وَيَلْهُو عَنْهَا اللَّاهُونَ
وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مُسْتَفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَلْبِسُ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ .

وَهَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ حَائِرِينَ يَائِسِينَ لَا أَمَلَ فِي النَّجَاةِ وَلَا رَجَاءَ وَلَا
خَلَاصَ بَلْ قَدْ أَيَقَنُوا فِي الْعَطَبِ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ . رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ .

هُنَا يَعْتَرِفُونَ بِالْخَطِيئَةِ وَيَقْرُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَحَدُوهُ بِالدُّنْيَا وَيَعْلَنُونَ
الْيَقِينَ بِمَا شَكُّوا فِيهِ وَيَطْلُبُونَ الْعُودَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِإِصْلَاحِ مَا فَاتَ فِي الدُّنْيَا
وَمَنْظَرُهُمْ إِذْ ذَاكَ مُفْرِغٌ مُخِيفٌ وَهُمْ نَاكِسُوا الرُّؤُوسَ خَجَلًا وَخِزْيًا .

فَالْأَمْرُ أَمْرٌ فَطِيعٌ وَالْحَالُ مُزْعِجَةٌ أَقْوَاماً حَاسِرِينَ مَكْرُوبِينَ وَسْوَالٍ غَيْرُ

مُجَابَ لِقَوَاتِ وَقْتِ الْإِمْهَالِ ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ وَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ وَاحْذَرُوا
الْإِنْهَمَاكَ فِي دَارِ الْغُرُورِ فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لَكُمْ إِنْ أَدْرَكَكُمْ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ ، زَيَّنْتُمْ الْفُلْلَ وَالْقُصُورَ وَنَسِيتُمْ الْقُبُورَ ، اذْكُرُوا الْقَبْرَ وَظُلْمَتَهُ
وَوَحْشَتَهُ وَالْمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ وَالْمِيزَانَ وَخِفَّتَهُ أَوْ رَجَحَتَهُ وَالكِتَابَ وَأَخَذَتَهُ
وَالصِّرَاطَ وَدِقَّتَهُ ، وَالْمَوْتَ ، سَكْرَةً فِي سَكْرَةٍ وَحَيْرَةً فِي حَيْرَةٍ وَجَذْبَةً يَا لَهَا مِنْ
جَذْبَةٍ وَكُرْبَةً يَا لَهَا مِنْ كُرْبَةٍ فَالْمُسْكِينُ يُكَابِدُ غُصَصَ الْمُنُونِ دَاهِشَ الْعَقْلِ
كَالْمَحْزُونِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ أَفِيقُوا مِنْ سَكْرَاتِكُمْ وَانْتَبَهُوا مِنْ نَوْمَاتِكُمْ وَاسْتَيْقِظُوا
مِنْ غَفْلَاتِكُمْ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ الْمَنِيَّةِ وَحُلُولِ الرَّزِيَةِ وَوُقُوعِ الْبَلِيَّةِ حَيْثُ لَا مَالٌ وَلَا
وَلَدٌ نَافِعٌ وَلَا حَمِيمٌ شَافِعٌ وَلَا فَرَحٌ وَاقِعٌ وَلَا رَجَاءٌ طَامِعٌ وَلَا حَسَنَةٌ تُزَادُ وَلَا سَيِّئَةٌ
تُحَذَفُ وَلَا حَيَاةٌ تُعَادُ وَيَزُوذُكَ أَحِبَابُكَ بِالْحَزَنِ عَلَيْكَ وَالْبُكَاءِ فَلَا عَثْرَةَ تُقَالُ وَلَا
رَجْعَةً تُنَالُ .

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ عُيُوبَنَا وَاغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوَبَقَاتِ الْجَرَائِرِ
وَاسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا فَاضِحَاتِ السَّائِرِ ، وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ
بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرَكْنَا مِنْ جِيلٍ صَفَحَكَ وَاحْسَانِكَ وَآتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٦٥ « مَوْعِظَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ »

أَخَوَانِي أَيْنَ رُفَقَاؤُنَا وَأَخَوَانُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَجِيرَانُنَا أَيْنَ
أَصْدِقَاؤُنَا أَيْنَ زُمَلَاؤُنَا وَأَقْرَانُنَا أَيْنَ عُلَمَاؤُنَا الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ أَيْنَ آبَاؤُنَا
وَأَجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَلَّ وَاللَّهِ بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا. هَذِهِ مَسَاكِينُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ قَدْ
نَسِينَاهُمْ وَنَسِيَهُمْ مُحِبُّهُمْ وَجَفَاهُمْ. أَيْنَ أَصْحَابُ الْقُصُورِ الْحَصِينَةِ ،
وَالْأَنْسَابِ الْعَالِيَةِ الرَّصِينَةِ وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِينَةِ ، قَبِضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ
الْمَنَآيَا فَظْفَرَتْ ، وَنَقِلُوا إِلَى أَجْدَاثٍ مَا مُهِّدَتْ إِذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بِذُنُوبٍ
لَا يَذُرُونَ هَلْ غُفِرَتْ أَوْ بَقِيَتْ فَالصَّحِيحُ مِنْهُمْ بِالْحَزَنِ قَدْ سَقِمَ وَالْمَدْعُو
إِلَى دَارِ الْبَلَى أَسْرَعَ وَلَمْ يُقِمِ وَالْكِتَابُ قَدْ سَطَرَ بِالذُّنُوبِ فَرَقَمَ. وَلِذِيذُ
عَيْشِهِمْ بِالتَّغْنِيصِ قَدْ خُتِمَ وَفِرَاقُهُمْ لِأَحْبَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ قَدْ حُتِمَ وَالْوَلَدُ قَدْ
ذَلَّ وَبَيْتُهُمْ ، فَتَفَكَّرُوا فِي الْقَوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا ، وَتَذَكَّرُوا دِيَارَهُمْ أَيْنَ نَزَلُوا ،
وَأَسْأَلُوا مَنَازِلَهُمْ عَنْهُمْ مَاذَا فَعَلُوا فَانْتَبِهْ مِنْ رُقَاكِ قَبْلَ أَنْ تَصَلَ مَا
وَصَلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهِيَ وَلَهَى وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى.

٦٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذُّنُوبِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي
دَارِ الْقَرَارِ ، وَأَمَّا كَانَتْ التَّوْبَةُ كَذَلِكَ لِأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لَا
فَرْقَ بَيْنَ صِغَارِهَا وَالْكَبَارِ وَلَآنَ التَّائِبَ إِذَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ بِأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ
شُرُوطُهَا وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ يُصْبِحُ بِالتَّوْبَةِ أَمِينًا عَلَى دِينِهِ لَا يُخِلُّ بِوَاجِبٍ مِنْ
وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ فَتَوَبُوا عِبَادَ اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا لِيَسْتَنِيرَ قُلُوبُكُمْ وَأَبْدَانُكُمْ
بَدَلِ ظُلُمَاتٍ كَانَتْ مُحِيمَةً عَلَيْهَا تُثْقَلُكُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاكُمْ وَسَتَجِدُونَ بِإِذْنِ
اللَّهِ انْشِرَاحًا فِي صُدُورِكُمْ بَدَلِ انْقِبَاضِهَا وَضِيقِهَا فَإِنَّ الذُّنُوبَ تَوَثَّرَ عَلَى

الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ انْقِبَاضاً يَشْتَدُّ عَلَى الْمُصِرِّ عَلَى الذُّنُوبِ حَتَّى يَضِيقَ بِهِ
فَسِيحُ الْأَرْجَاءِ وَلَكَ أَيُّهَا النَّائِبُ الْعَامِلُ بِالطَّاعَاتِ الْأَمَلُ الْقَوِيُّ بِتَوَالِي
الطَّاعَاتِ لِأَنَّ الْخَيْرَاتِ تُتَبَّحُ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَكَ الْأَمَلُ الْقَوِيُّ بِأَنَّ
تَنْقَادَ لَكَ الْأَرْزَاقُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً فَتُصْبِحُ فِي يُسْرٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ فِي
اعْسَارٍ وَلَكَ الْأَمَلُ فِي أَنْ الْعِدَاوَاتِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ تُصْبِحُ
بِإِذْنِ اللَّهِ حَبًّا يَلْفُتُ الْأَنْظَارَ ذَلِكَ أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِي هِيَ أَسْبَابُ
الشُّرُورِ وَالْعُقُوبَاتِ الْمُؤَلِمَاتِ وَأَنَّ الْمَرْءَ بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا يُرْضَى بِدِيْعِ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ فَتَأْكُذُ أَيُّهَا الْأَخُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ الْيَنْبُوعُ الْفَيَاضُ لِكُلِّ خَيْرٍ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَا تَشْكُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُفِيضُ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ مَا
يُفِيضُ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِحِلَالِهِ فَتُبْ أَيُّهَا الْأَخُ وَاصْدُقْ فِي التَّوْبَةِ
وَاسْأَلْهُ أَنْ يُبَلِّغَكَ بِهَا رِضْوَانَهُ وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ حِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ ﴿ لَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فَتَعِيشُ وَتَمُوتُ وَتُبْعَثُ فِي رِعَايَةِ رَبِّكَ
وَلُطْفِهِ وَغَيْرِكَ مِمَّنْ لَمْ يَتُوبُوا فِي أَهَانَتِهِ الْبَالِغَةِ يَتَقَلَّبُونَ فَعَلَيْكَ بِالْإِعْتِمَادِ
عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاللَّجَاءِ إِلَيْهِ دَائِماً مُتَضَرِّعاً مُتَمَلِّقاً .

اللَّهُمَّ اعْمُرْ قُلُوبَنَا وَأَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْإِمْتِنَانِ
لَأَمْرِكَ وَأَمِنَّا مِنْ سَطَوَاتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَاكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ
الْمُفْلِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

٦٧ « مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ تَمُرُّ الْحَيَاةُ بِأَحَدِنَا وَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِي مَلَذَاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَمَطَامِعِهِ ، لَا يُفَكِّرُ فِي مَالِهِ وَلَا فِي يَوْمِ حِسَابِهِ وَكَأَنَّهُ خَالِدٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ أَبَدًا ، أَوْ كَأَنَّهُ عِنْدَهُ يَقِينٌ أَنَّهُ لَا يُحَاسَبُ عَلَى مَا جَنَاهُ .

وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّهُ لَا يَمُرُّ يَوْمٌ بَلْ وَلَا سَاعَةٌ إِلَّا وَفِي ذَلِكَ نَذِيرٌ لِابْنِ آدَمَ بِالرَّجِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ، يُشَاهِدُ الْمَوْتَ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ فَلَا يَزْدَجِرُ ، وَتَقُومُ الْحَوَادِثُ الْجَسَامُ مِنْ حُرُوبٍ تُفْنِي آلِفًا مِنَ الْبَشَرِ وَتُهْدِدُ الْأَحْيَاءَ بِالْإِتْحَاقِ بِمَنْ مَاتَ ، وَبِالْمَجَاعَاتِ وَالْخَرَابِ ، فَلَا يَتَعِظُ وَلَا يَغْتَبِرُ .

وَيَرَى الْحَرَائِقَ مَا بَيْنَ آوِنَةٍ وَآوِنَةٍ تُتَلَفُ النُّفُوسُ وَالْأَمْوَالُ وَالْمَسَاكِينُ ، وَكَيْفَ تَكُونُ حَالَةُ النَّاسِ وَمَطَامِعُهُمْ ، فَلَا يَذْكُرُ جَهَنَّمَ وَأَهْوَالَهَا وَأَنْكَالَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي لَا تَصُمُدُ لَهُ الْجِبَالُ الصُّمُّ الصَّلَابُ ، قَسَتْ الْقُلُوبُ ، وَتَحَجَّرَتِ الضَّمَائِرُ ، (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ ، دُنْيَاكُمْ دَارُ غُرُورٍ وَهُمُومٍ وَأَحْزَانٍ ، وَهِيَ بِلَا شَكٍّ فَانِيَةٌ ، وَأَخْرَاكُمْ دَارُ قَرَارٍ بَاقِيَةٍ ، وَأَجْهَلَ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ وَالتَّقْوَى مِفْتَاحُ السَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، ضَمَانُ ضَمِينَةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ ، وَوَعْدٌ لَا يَتَخَلَفُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أَمَّا الْمَعَاصِي وَالْعَقْلَةُ وَالنَّسْيَانُ وَالطُّغْيَانُ ، فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا ضَنْكُ الْمَعِيشَةِ فِي الدُّنْيَا بِالْهُمُومِ الْمَبْرَحَةِ وَالْأَحْزَانِ الْمَجْرَحَةِ مَعَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ

فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ الْآيَاتِ .

أَيُّهَا الْعَاقِلُونَ كُلُّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْغَفْلَةَ تُنْسِي الْعَبْدَ رَبَّهُ وَآخِرَتَهُ ، وَمَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أَنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا بِذَلِكَ لِسَخَطِهِ وَكُونُوا دَائِمًا ذَاكِرِينَ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعَثُ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ اسْتَقَامَ بِأَذْنِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

٦٨ موعظة

رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بغيرِ عَمَلٍ وَيؤَخِّرُ التَّوْبَةَ لِطُولِ الْأَمَلِ وَيَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلِ الرَّاعِيَيْنِ إِنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَشْبَعْ وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِيهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ أَعْمَالَهُمْ وَيُبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَهُوَ مِنْهُمْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ لَهُ الْمَوْتَ إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنَ لَا هَيْأَ يَعْجُبُ مِنْ نَفْسِهِ إِذَا عُوْفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا تَغَلَّبَتْ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ وَلَا يَتَّقِي مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَهُ وَلَا يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ إِنْ اسْتَغْنَى بِطَرَوَانٍ افْتَقَرَ قَنِطَ وَحَزَنَ فَهُوَ مِنَ الذَّنْبِ فِي حَالِ النِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ مُوقِرٌ ، يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ وَلَا يَشْكُرُ وَتَكْلُفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يُؤْمَرُ وَيَضِيعُ الْمَوْتَ وَلَا يُيَادِرُ الْفَوْتَ يَسْتَكْبِرُ مِنَ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْهُلُ أَكْثَرُهُ مِنْ نَفْسِهِ . مَزَاهِرُ اللَّهِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَاهْلِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۝ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٦٩ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا كَانَ
ذَلِكَ عَجَباً لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَقَيَّنُ يَقِيناً لَا شَكَّ فِيهِ أَنْ مَوْلَاهُ جَلٌّ وَعَلَا يَرَاهُ ،
وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ أَخَاهُ
وَهُوَ يَرَاهُ ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ ضَرراً وَلَا نَفْعاً فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَا فِي دَارِ
الْقَرَارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ هَذَا الْمَخْلُوقِ فَعَجِيبٌ جِداً أَنْ لَا يَكُونَ
أَشَدَّ احْتِرَاماً وَحَيَاءً مَعَ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي
أَوْجَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الْحَيَاةَ وَهُوَ الَّذِي أَسْبَغَ
عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرةً وَبَاطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَوَالَاهُ ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكَ
كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحْلَى بِكَ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ عِبْرَةً لِأُولَى
الْأَبْصَارِ ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُمِيتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ فِي قَبْرِكَ
بِمَا يُنَاسِبُ مَالِكَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَيَسُوقُكَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الَّذِي هَوْلُهُ يُشِيبُ الْأَطْفَالَ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُكَ عَلَى مَا
كَانَ مِنْكَ فِي حَيَاتِكَ الْأُولَى مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ بِكَ إِمَّا إِلَى
الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ
بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَآخِرَاهُ ، إِنْ الْبُرْهَانَ الَّذِي لَا مَغْمَرَ
فِيهِ عَلَى أَنَّكَ تَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُونَ بَعِيداً كُلَّ الْبُعْدِ
دَائماً عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، فَتَحْبِسَ لِسَانَكَ عَنِ الْقَذْفِ وَالْكَذْبِ وَالنَّمِيمَةِ

وَالْغَيْبَةِ ، وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ ، وَعَنِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ،
وَالسُّخْرِيَّةِ بِالنَّاسِ ، وَاللَّعْنِ وَالْفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعًا
أَوْ مَكْرُوهٌ ، لِأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِيَتْلَاوَةَ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتُرْشِدَ بِهِ
خُلُقَ اللَّهِ ، وَتُظْهَرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعَ بِهِ
عَنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبَالًا
عَلَيْكَ ، وَتَحْبِسُ عَيْنَكَ ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ فِي الظُّلُمَاتِ ،
وَتَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بِعَيْنِ الْاِغْتِيَارِ إِلَى عَجَائِبِ
مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَتَغَيَّرَ بِمَا فِيهَا مِنْ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ ؛
فَاحْفَظْهَا عَنْ النَّظَرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ ، مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مُحَرَّمٍ مِنَ النِّسَاءِ ،
أَوْ إِلَى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الْاِخْتِقَارِ وَالْازْدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تَلْفِيزِيُونٍ أَوْ إِلَى سَيْنِمَاءٍ ،
أَوْ إِلَى صُورَةٍ مَلِيحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا عَلَى غَيْبِ مُسْلِمٍ ، أَوْ إِلَى بَيْتِ
جَارٍ أَوْ غَيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ .

وَأَمَّا الْأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ ، أَوْ إِلَى بَذْعَةٍ أَوْ إِلَى غَيْبَةٍ أَوْ فُحْشٍ ، أَوْ قَذْفِ مُسْلِمٍ أَوْ
حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَا اسْتِمَاعَكَ كَارِهُونَ ، أَوْ إِلَى الْخَوْصِ بِالْبَاطِلِ ، أَوْ
ذِكْرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ وَسُنَّةَ
رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، الْمَوْصِلَةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، الدَّائِمِ فِي
جَوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ أَوْ
الْمَكْرُوهَاتِ ، صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وَانْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ
هَلَاكِكَ ، وَهَذَا غَايَةُ الْخُسْرَانِ ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ الْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَائِلُ دُونَ
الْمُسْتَمِعِ إِلَّا إِنَّ أَنْتَكَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بِقَلْبِهِ أَنْ خَافَ ، وَأَنْ قَدِرَ عَلَى الْقِيَامِ

وَالْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ ، أَوْ قَدِرَ عَلَى قَطْعِ الْكَلَامِ بِكَلَامٍ آخَرَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ آثِمٌ ،
وَكَذَلِكَ يَكْفُ الْبَطْنَ وَالْفَرْجَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَحَاسَةَ
الشَّمِّ .

٧٠ في موعظة جليلة

قال بعض العلماء على قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

كَشَفْتُ لَنَا هَذِهِ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ عَنْ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى : وَهِيَ
أَنَّ مَنْ غَفَلَ عَنْ تَذَكُّرِ اللَّهِ فَتَنِيَّتُهُ وَالْهَتَّةُ دُنْيَاةٌ عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ
أَنَسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ فَلَا يَسْعَى لِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي
أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَمَا يَكْمُلُهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا
وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَوَّلَ بِهَا إِلَى الْفُسَادِ وَالذَّمَارِ وَالْهَلَاكِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ
الْعُقُوبَةِ لِلْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ
وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَصَلَاحِهَا
وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةَ فِي النَّعِيمِ الْمَقِيمِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنفُسَهُمْ
وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا مِنَ اللَّهِ وَبَاعُوهَا رَخِيصَةً بِثَمَنٍ بَخْسَ بَيْعِ الْمَغْبُورِ
وَيُظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ، إِنَّهَا لِحَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ
ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهَدْيِ فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ .

وَأَمَّا الرَّابِحُونَ فَهُمْ الَّذِينَ أَنَارَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْحَقِّ فَعَرَفُوا الدُّنْيَا

وَقِيَمَتَهَا وَقَالُوا مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا حَتَّى نَبْعَ حَطْنَا مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى وَالذَّارِ الْآخِرَةِ بِهَا فَكَيْفَ بِمَا يَنَالُ الْعَبْدَ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ
الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ الْبَتَّةِ

فَاللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
ضُحَاهَا ﴾ هَؤُلَاءِ هُمُ الْكَيْسُونَ الَّذِينَ عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا كَمَا عَلِمُوا قِلَّةَ
لُبِّهِمْ فِيهَا وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْحَيَوَانِ وَدَارِ الْبَقَاءِ اتَّجَرُوا
تِجَارَةَ الْأَكْيَاسِ وَلَمْ يَغْتَرَوْا بِتِجَارَةِ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابِنِ
رَبْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ
أَدْلَكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ عُمَرُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمْلٌ مُخْتَرَمٌ
أَيُّ مُتَقَضٍّ وَبَلَغُ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا وَسَبِيلٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ فَرَحِمَ
اللَّهُ أَمْرًا أَفْكَرَ فِي أَمْرِهِ وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ وَتَابَ إِلَى
رَبِّهِ إِلَى أَنْ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَانْهَافًا مَكْسَلَةً عَنِ الصَّلَاةِ وَمَفْسَدَةً لِلْجِسْمِ
وَمُؤَدِّيَةً لِلْسَّقَمِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرَفِ وَأَصَحُّ
لِلْبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ أَنَّ الْعَبْدَ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فِي هَوَانٍ نَفْسِهِ وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهَا لَهَا مُكْرَمٌ وَيَجْتَهِدُ فِي جِزْمَانِهَا مِنْ حُظُوظِهَا وَشَرَفِهَا وَهُوَ يَزْعُمُ
أَنَّهُ يَسْعَى فِي حِفْظِهَا وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا وَتَضْغِيرِهَا وَتَذْنِيسِهَا وَهُوَ
يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صَلَاحِهَا وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا رَبُّ
مُهَيِّنٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُكْرَمٌ لَهَا وَمُذِلٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ

لِحَقِّهَا وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ لِنَفْسِهِ يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ مِنْهَا عَدُوُّهُ .

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ

مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ مُجَدِّدًا لِأَجْرَتِهِ وَلَا يُنْسِيَهُ نَفْسِيَّهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظَّهُ مِنَ الْآخِرَةِ عَامِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ وَلَوْ أَنَّهُ تَأَمَّلَ قَلِيلًا لَوَجَدَ أَنَّ لَذَائِذَ الدُّنْيَا مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ آلَامِهَا فَمَثَلًا لَذَّةُ الطَّعَامِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْمِ الْجُوعِ وَلَذَّةُ الشَّرَابِ لَا بَدَأَ أَنْ يَسْبِقَهَا حُرْقَةُ الْعَطَشِ وَلَذَّةُ النَّوْمِ لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ لَهَا شَوْقًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُضَيِّبِهِ التَّعَبُ الشَّدِيدُ وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْحِكْمَةِ غَفَلَ عَنْهُ الْكَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ أَنَّهَا بِمَثَابَةِ بَرَاطِيلَ تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى قَوَامِهِ وَبِقَاءِ حَيَاتِهِ فَلَذَّةُ الطَّعَامِ تَدْفَعُهُ إِلَى الْإِهْمَالِ جِسْمَهُ مِنَ الْغِذَاءِ وَلَوْلَا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ لَذَّةِ النِّكَاحِ لَا نَقَرَضَ النَّوْعَ الْإِنْسَانِي مِنَ الْوُجُودِ وَلَمَا وَجَدْنَا ذَابَةً تَذُبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَلَا طَائِرًا يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ فَرَحَةُ الْأُمِّ بِطِفْلِهَا تُنْسِيهَا آلامَ الْحَمْلِ وَالْوَحْمِ وَالْوِلَادَةِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَالرِّضَاعِ وَالسَّهْرِ الطَّوِيلِ فِي التَّمْرِیضِ مِمَّا يَقْضَى مَضْجَعَهَا وَيُنْسِيهَا نَفْسَهَا فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ، انْتَهَى بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ .

٧١ موعظة

كَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا كِتَابًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ مُقَامٍ وَأَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهَا آدَمُ عُقُوبَةً فَاحْذَرَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الزَّادَ مِنْهَا تَرَكُّهَا وَالْغِنَى فِيهَا فَقْرُهَا تَذَلُّ مِنْ أَعْرَازِهَا وَتَفْقَرُ مِنْ جَمْعِهَا كَالسُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ خَفِئَةٌ

فأحذر هذه الدار الغرارة الختالة الخداعة وكن أسراً ما تكون فيها أحذراً ما تكون لها ، سرورها مشوب بالحزن وصفوها مشوب بالكدر فلو كان الخالق لم يخبره عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكنت قد أيقظت النائم ونبّهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن ، ما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرّضت على نبيّنا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقص عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها وكره أن يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه عليه زواها الله عن الصالحين اختياراً وبسطها لأعدائه اغتراراً أفيظن المغرور بها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد على بطنه الحجر ، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا فلم يخف أن يكون مكرراً إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه وما أمسك عن عبد فلم يظنه خيراً له فيها إلا نقص عقله وعجز رأيه .

اللهم الهنا ذكرك وشكرك وأرزقنا الاستقامة طوع أمرك وتفضل علينا بعافيتك وجزيل عفوك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٧٢ موعظة

وقال الشيخ الواسطي في بعض رسائله : اذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً من ذكر الآخرة يريد فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي فيبدأ في السير والسلوك في طريق الآخرة وأول السير فيها تصحيح التوبة ، والتوبة لا تتم إلا

بالمُحَاسِبَةِ ورعاية الجوارح السبعة ، العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وكفها عن جميع المحارم والمكاريه والفضول هذا أحد شطري الدين وَيَبْقَى الشطر الآخر وهو القيام بالأوامر فتحقيق الشطر الأول وهو ترك المناهي من قلبه وقالبه .

أما القالب فلا يعصي الله بجارحة من جوارحه ومتى زل أو أخطأ تاب وأما القلب فتتقي منه الموبقات المهلكات مثل الرياء والعجب والكبر والحسد والبغض لغير الله وحُب الدنيا ورد الحق واستثقاله والازدياء بالخلق ومقتهم وغير ذلك من الكبائر القلبية التي هي في مقابلة الكبائر القلبية من شرب الخمر والزنا والقذف وغير ذلك فهذه كبائر ظاهرة وتلك كبائر باطنة . وكلاهما ضرر .

قال : فَمَنْ انطوى على شيء من الكبائر الباطنية ولم يتب حبط عمله بدليل لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثال ذرة من كبر وجاء إن الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وجاء بقول الله تعالى : ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك مَنْ عَمِلَ عملاً فاشرك معي فيه غيри تركته وشركه﴾ وقال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

فمتى تنقى القلب من مثل هذه الخبايا والرذائل طهر وسكنت فيه الرحمة في مكان البغض والتواضع في مقابلة الكبر والنصيحة في مقابلة الغش والاخلاص في مقابلة الرياء ورؤية المنية في مقابلة العجب ورؤية النفس فعند ذلك تزكوا الأعمال وتضعد إلى الله تعالى ويظهر القلب ويبقى محلاً لنظر الحق بمشيئة الله ومعونته فهذا أحد شطري الدين وهو رعاية الجوارح السبعة عن المآثم والمحارم وانما تصلح وتظهر برعاية

القلبَ وَطَهَارَتِهِ مِنَ الْمُؤَبَّقَاتِ وَالْجَرَائِمِ وَمَعْنَى الْمُؤَبَّقَاتِ الْمَهْلَكَاتِ أَهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : والقلوبُ ثلاثة ، قلبٌ خالٍ من الإيمانِ وَجَمِيعِ الْخَيْرِ فَذَلِكَ قَلْبٌ مُظْلَمٌ قد اسْتَرَاخَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِقَاءِ الْوَسَاوِسِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ قد اتَّخَذَهُ بَيْتًا وَوَطَنًا وَتَحَكَّمُ فِيهِ بِمَا يُرِيدُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غَايَةً التَّمَكُّنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَوْقَدَ فِيهِ مِصْبَاحَهُ لَكِنْ عَلَيْهِ ظُلْمَةٌ الشَّهَوَاتِ وَعَوَاصِفُ الْأَهْوِيَةِ فَلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ أَقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ وَمَجَالَاتٌ وَمَطَالِيعٌ فَالْحَرْبُ دَوَّلٌ وَسِجَالٌ وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصَّنْفِ بِالْقِلَّةِ وَالكَثَرَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلَبَتِهِ عَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةٌ وَتَارَةٌ .

القلبُ الثالثُ : قلبٌ مُحْشَوٌ بِالْإِيمَانِ قد اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَانْقَشَعَتْ عَنْهُ حُجُبُ الشَّهَوَاتِ وَأَقْلَعَتْ عَنْهُ الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ فِي صَدْرِهِ إِشْرَاقٌ وَلِذَلِكَ الْإِشْرَاقُ إِيقَادُ لَوْدَنَّا مِنْ الْوَسَاوِسِ اخْتِرَاقٌ بِهِ فَهُوَ كَالسَّمَاءِ الَّتِي حُرْسَتْ بِالنَّجُومِ فَلَوْ دَنَا مِنْهَا الشَّيْطَانُ يَتَخَطَّأُهَا رُجِمَ فَاحْتَرَقَ .

وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَحِرَاسَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أُنْثَمُ مِنْ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءِ مُتَعَبَّدٌ الْمَلَائِكَةُ وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ وَفِيهَا أَنْوَارُ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوْحِيدِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ وَفِيهِ أَنْوَارُهَا فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْفَظَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ فَلَا يَنَالُ مِنْهُ إِلَّا خَطْفَةٌ تَحْصُلُ لَهُ عَلَى غَرَّةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ الْعَبْدِ إِذْ هُوَ بَشَرٌ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالذَّهْوِ وَغَلَبَةِ الطَّبَعِ انْتَهَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ جِزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتْهُمْ لِيُخْدَمَتِكَ وَجَعَلَتْهُمْ مِنْ قِبَلَتِ أَعْمَالِهِ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال ابن القيم رحمه الله : والقلوب ثلاثة ، قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير فذلك قلبٌ مَظْلَمٌ قد استراح الشيطان من إلقاء الوسواس إليه لأنه قد اتخذهُ بيتاً ووطناً وتَحَكَّم فيه بما يُريدُ وتَمَكَّن منه غاية التمكن ، القلب الثاني : قلبٌ قد استنارَ بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظُلمةُ الشهواتِ وعواصِفُ الأهويةِ فلِلشَّيْطَانِ هُنَاكَ أَقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ وَمَجَالَاتٌ وَمَطَالِيعٌ فَالْحَرْبُ دَوْلٌ وَسِجَالٌ وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ هَذَا الصَّنْفِ بِالْقِلَّةِ وَالكَثْرَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَتِهِ لِعَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَاتُ غَلْبَةِ عَدُوِّهِ أَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَارَةٌ وَتَارَةٌ .

القلب الثالث : قلبٌ محشورٌ بالإيمان قد استنارَ بنور الإيمان وانقشعت عنه حُجُبُ الشهواتِ وأقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ فِي صَدْرِهِ إِشْرَاقٌ وَلِذَلِكَ الْإِشْرَاقُ إِيقَادُ لَوْدَنَا مِنَ الْوَسْوَاسِ اخْتِرَقَ بِهِ فَهُوَ كَالسَّمَاءِ الَّتِي حُرِسَتْ بِالنَّجُومِ فَلَوْ دَنَا مِنْهَا الشَّيْطَانُ يَتَخَطَّاهَا رُجَمٌ فَاخْتِرَقَ .

وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَحِرَاسَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَتَمُّ مِنْ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءِ مُتَعَبِدٌ الْمَلَائِكَةُ وَمُسْتَقَرُّ الْوَحْيِ وَفِيهَا أَنْوَارُ الطَّاعَاتِ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَقَرُّ التَّوَجِيدِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ وَفِيهِ أَنْوَارُهَا فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُحْرَسَ وَيُحْفَظَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ فَلَا يَنَالُ مِنْهُ إِلَّا خُطْفَةٌ تَحْصُلُ لَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ الْعَبْدِ إِذْ هُوَ بَشَرٌ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالذَّهْوِ وَغَلْبَةِ الطَّبَعِ انْتَهَى .

هذه قصيدة لبعضهم فيها غُلُوٌ صَلَحْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْغُلَطِ الْإِعْتِقَادِي
وَجَعَلْنَا عَلَى مَا فِيهِ تَصْلِيحٌ أَقْوَساً :

تَيْقُضُ لِنَفْسٍ عَنْ هَذَاهَا تَوَلَّتْ وَبَادِرُ فَنِي التَّأخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةٍ

فَحَتَّامٌ لَا تَلْوِي لِرُشْدٍ عِنَانَهَا
وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ
إِذَا أَرْمَعَتْ أَمْرًا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا
وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي بَالِهَا أَتَشْنَى
وَلِيَّ قَدَمٍ لَوْ قَدَّمْتَ لِظُلَامَةٍ
لَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ
وَقَائِلَةٌ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي
رُؤْيَاكَ لَا تَقْنُطُ وَإِنْ كَثُرَ الْخَطَا
مَعَ الْعُسْرِ يُسَّرُ وَالْتَّصَبُ نُصْرَةٌ
«وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالُ أَهْلِ جَهَنَّمَ
» فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيَتْ خَيْرًا عَلَى الَّذِي
« فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى
» فَقَالَتْ فَطَبَّ نَفْسًا وَقَمْ مُتَوَجِّهًا
« فَكَمْ آيَسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فَالْتَجَا
» فَذَيْتُكَ فَأَقْصِدْهُ بِذُلِّ فَإِنَّهُ
« إِذَا مَا أَتَوْهُ تَائِبِينَ مِنَ الَّذِي
وَصُلِّ إِلَهِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ غِيَّهَا كُلَّ بُغْيَةٍ
نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةً
عَنِ الْفِعْلِ إِخْوَانُ التَّقَى وَالْمُبَرَّةُ
أَبُو مُرَّةٍ يَشْبِيهِ فِي كُلِّ مُرَّةٍ
لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعِيتُ لِقَرْنَةٍ
وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ لَهَيْبٍ وَزَفَرِي
وَلَا تَيَّاسُنٌ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَحْمَةٍ
وَلَا فَرَجٌ إِلَّا بِشِدَّةٍ أَرْمَتْ
فَلَمَّا دَعَى الْمَوْلَى أَعْيَدَ لِحَنَةٍ
مَنْحَتٍ مِنَ الْبُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيحَةِ
وَمَا حِيلَتِي فِي أَنْ تُفَرِّجَ كُرْبَتِي
لِرَبِّكَ تَسْلَمُ مِنْ بَوَارٍ وَخَيْبَةٍ
إِلَيْهِ فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ
يُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ
جَنُوهُ مِنَ الْآثَامِ تَوْنَةً مُجْبَتِ
عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ أَرْكَى الْبَرِيَّةِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهْلَتَهُمْ
لِخِدْمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ مِنْ قِبَلَتِ أَعْمَالِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٣ موعظة

عبادَ الله اُخْلِصُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ سِوَاءِ أَكُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لِخَلْقِ اللَّهِ وَسِوَاءِ أَكُتِّمْتُمْ بَيْنَ الْخَلْقِ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَمْ كُنتُمْ فِي مَحَلٍ خَفِيٍّ لَا يَرَاكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَالْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ وَسِوَاءِ أَكُتِّمْتُمْ فِي سِرٍّ وَقَتِ الْعَمَلِ أَمْ فِي ضَرَاءٍ .

ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا تُرِيدُ جَزَاءً عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ اللَّهِ يَكُونُ ذَلِكَ قَصْدَكَ قَبْلَ الْعَمَلِ وَحِينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ لَا تَذْكُرُهُ بِلسَانِكَ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِنِعْمِ اللَّهِ أَوْ لِيَقْتَدِيَ بِكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ ، بِهَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً حَقًّا وَتَكُونُ أَنْتَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَبِهَذَا يَثْمُرُ عَمَلُكَ الْقَبُولُ عِنْدَ رَبِّكَ وَعِنْدَ النَّاسِ ، وَبِهَذَا تَكُونُ أَقْوَى النَّاسِ لِأَنَّ وَلِيَّكَ حِينَئِذٍ يَكُونُ مَوْلَاكَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ وَبِهَذَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكَرَامَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ الْجَزَاءِ .

أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقْبَلَ عَلَيْكَ النَّاسُ وَيَقُولُوا إِنَّكَ مِنَ الصَّالِحِينَ فَأَنْتَ إِذَا تَكُونُ مُرَائِيًّا لَا تُخْلِصَ الْعَمَلَ بَلْ تَشْرِكُ مَعَهُ النَّاطِرِينَ فَتَكُونُ فِي دَعْوَى تَمْجِيسِ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى لَسْتَ بِصَادِقٍ بَلْ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

وَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ حَالُ مَنْ يَكْذِبُ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، لَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، إِنْ الْمُرَائِيَّ مَهْمَا أَخْفَى رِيَاءَهُ يُظْهِرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمِينَ ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا مَنَقَذٌ لَأَخْرَجَ اللَّهُ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ كَانَتْ أَوْ كَانَتْ » .

ولذلك يكون لأعمال المرآئي من السَّماجة في نفوس الناس مالا
يَحْكِيهِ اللِّسَانُ ولهذا يكون مَرْدُولا ثَقِيلاً عِنْدَ النَّاسِ ، ومن هذا تَرَاهُ يَتَوَدَّدُ
إِلَى النَّاسِ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَنُفُورُهُمْ عَنْهُ عِبْرَةٌ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ ثُمَّ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ
أَسْوَأُ حَالاً خُصُوصاً فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَشْيَبُ فِيهِ الْإِطْفَالُ فَقَدْ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى
النَّارِ وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ لَكُنْهَا لَمَّا لَمْ يُزِدْ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ خَالِصَةً
صَارَتْ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْهِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الرِّبَا .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ
وَالْإِنَابَةِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبَّتِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَالْهَمَمَاتِ ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٤ « موعظة »

اعْلَمْ وَفَّقْنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ، وَيَعْرِفُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ
الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ إِجْلَالٍ ، وَوَصَفَ
لَهُمْ شِدَّةَ عَذَابِهِ ، وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ ، لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّ فِيهَا
لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنُّكَالِ وَالْأَغْلَالِ ، وَمَا اخْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرِيعِ
وَالزُّقُومِ وَالْحَمِيمِ وَالسَّلَاسِلِ وَالْغُسَّاقِ وَالْغُسْلِينَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهَا مِنْ
الْأَهْوَالِ وَالْفَضَائِعِ وَالْعِظَائِمِ ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ ،

وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِنَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَبُحْبُهِ وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْتِيهِ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا بِأَنَّ الْخَلْقَ وَارِدُوهَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنَ النَّجَاةِ فِي شُكِّكَ ، فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ السَّاهِي عَنْ نَفْسِهِ ، الْمَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْاشْتِغَالِ بِعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيهِ وَسَيَّارَاتِهِ ، وَشُرَكَائِهِ وَمُقَاوَلَاتِهِ وَزَوَاجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ مَا يُلْهِمُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالِاتِّفَاتِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، دَعِ التَّفَكُّرَ وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِيمَا أَنْتَ مَرْتَجِلٌ عَنْهُ ، وَجَادُ فِي السَّيْرِ عَنْهُ ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشِعِرْ فِي قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ ، لَعَلَّكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَتَأَمَّلُ فِي حَالِ الْخَلْقِ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ تَفَكَّرْ فِي ازْدِحَامِ الْخَلَائِقِ وَقَدْ صَهَرَتْهُمْ الشَّمْسُ ، إِلَّا مَنْ أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْغَمُّ مِنَ الْوَهْجِ ، وَتَدَافَعَتِ الْخَلَائِقُ لِشِدَّةِ

الزُّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَقْدَامِ ، وَانْتِصَافِ إِلَى ذَلِكَ شِدَّةِ الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْفَضَائِحِ وَالْاِخْتِرَاءِ عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْجِيَارِ ، وَقُرْبِ الشَّمْسِ مِنَ الْخَلْقِ فَيَتَلُغُّ عَرَقَهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَغْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْثَرِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَلِّينَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَادِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لَأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرَضَى قُلُوبَ ، وَيَخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لَأَنَّ الْمَرِيضَ يُعْدِي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ ، الْجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالْمُعْتَزَلَةُ ، وَالْمَاتَرِيئِيَّةُ ، وَالْخَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالْأَشَاعِرَةُ وَمَنْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيَحْذِرَ عَنْهُمْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلیاء أن تعز الاسلام والمسلمین وأن تذل الشرك والمشرکین وان تدمر أعداء الدین اللهم صل علی محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لی شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتی من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عني فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره وباطنه وأوله
وآخره وعلايته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.
اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على
الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة
والنجاة من النار يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.
اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على
محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت
الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.
ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً.
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء
وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك
وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل
وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخري التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللهم طهر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون. رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفوتحّب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. وادخلي برحمتك في عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خَاتَمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ)

إِغْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ
الِاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْتَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَيْسَّرَ
مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحِّحَتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرِ الْمَقْنَعِ لِئَتَيْسَرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتَاجُهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صُدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ
أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .
وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللَّوْلُو وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الرِّيَالَاتِ
فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ أَوْ الْأَرْبَعِينَ الثَّوَابِ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا مِنَ الرِّيَالَاتِ
وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مَخْتَصَرَ الْمَقْنَعِ فِي الْفَقْهِ أَلْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالَاتِ فَالْغَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُريدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِمِيِّ الْمُتَمَتِّزِ الْبَاقِي النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ
اللَّهِ وَسَبَبًا لِبِرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسِإْلُ اللَّهِ أَنْ يُوفَّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ
ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدًا أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ
وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي
هَلَاقِهِ عِزَّ وَصَلَاحَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ
شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ
وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ
مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

والله المستول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً
عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد
خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً .

عبد العزيز المحمد السلطان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

